

المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة أم القرى  
كلية التربية - مكة المكرمة  
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

**منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم**  
وتطبيقاتها التربوية في المؤسسات الجامعية المعاصرة  
« تصور مقترح »

**بحث مكمّل لنيل درجة " الدكتوراه " في الأصول الإسلامية التربوية**

**إعداد الطالب**  
**خليل بن عبدالله بن عبدالرحمن الحدري**

**إشراف الدكتور**  
**حامد بن سالم بن عائض الحربي**

**الفصل الدراسي الأول ١٤٢٢هـ**



٣٠١٠٢٠٠٠٠٦٤١١

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية التربية بمكة المكرمة

نموذج رقم (أ)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات المطلوبة

الكلية : التربية

القسم : خليل بن عبدالله بن عبدالرحمن الحديري

التخصص : الأصول الإسلامية للتربية

القسم : التربية الإسلامية والمقارنة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الدكتوراه

عنوان الأطروحة :

( منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية في المؤسسات الجامعية المعاصرة )

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه

أجمعين ، وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة عليه ، والتي تمت مناقشتها بتاريخ

٢٥ / ١٠ / ١٤٢٢ هـ بقبول الأطروحة بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ،

فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة ، متطلباً تكميلياً للدرجة العلمية المذكورة أعلاه .

والله الموفق ،،،

أعضاء اللجنة

مناقش من خارج الجامعة

مناقش من داخل القسم

المشرف

د : عبدالرحمن بن عبدالله الزيد

أ . د : محمد جميل بن علي خياط

د : حامد بن سالم الحربي

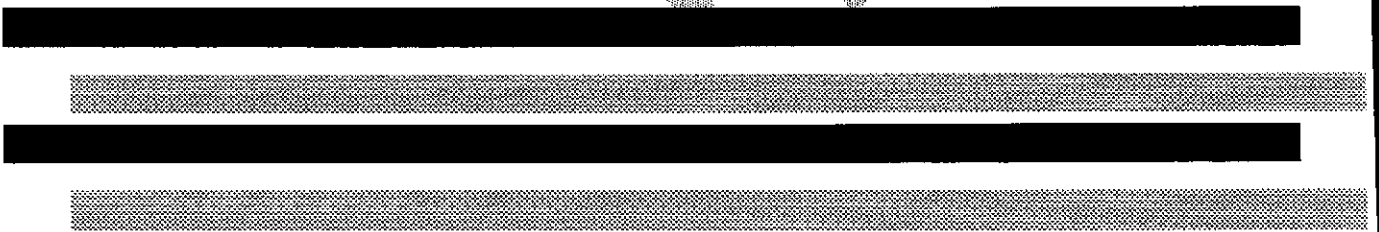
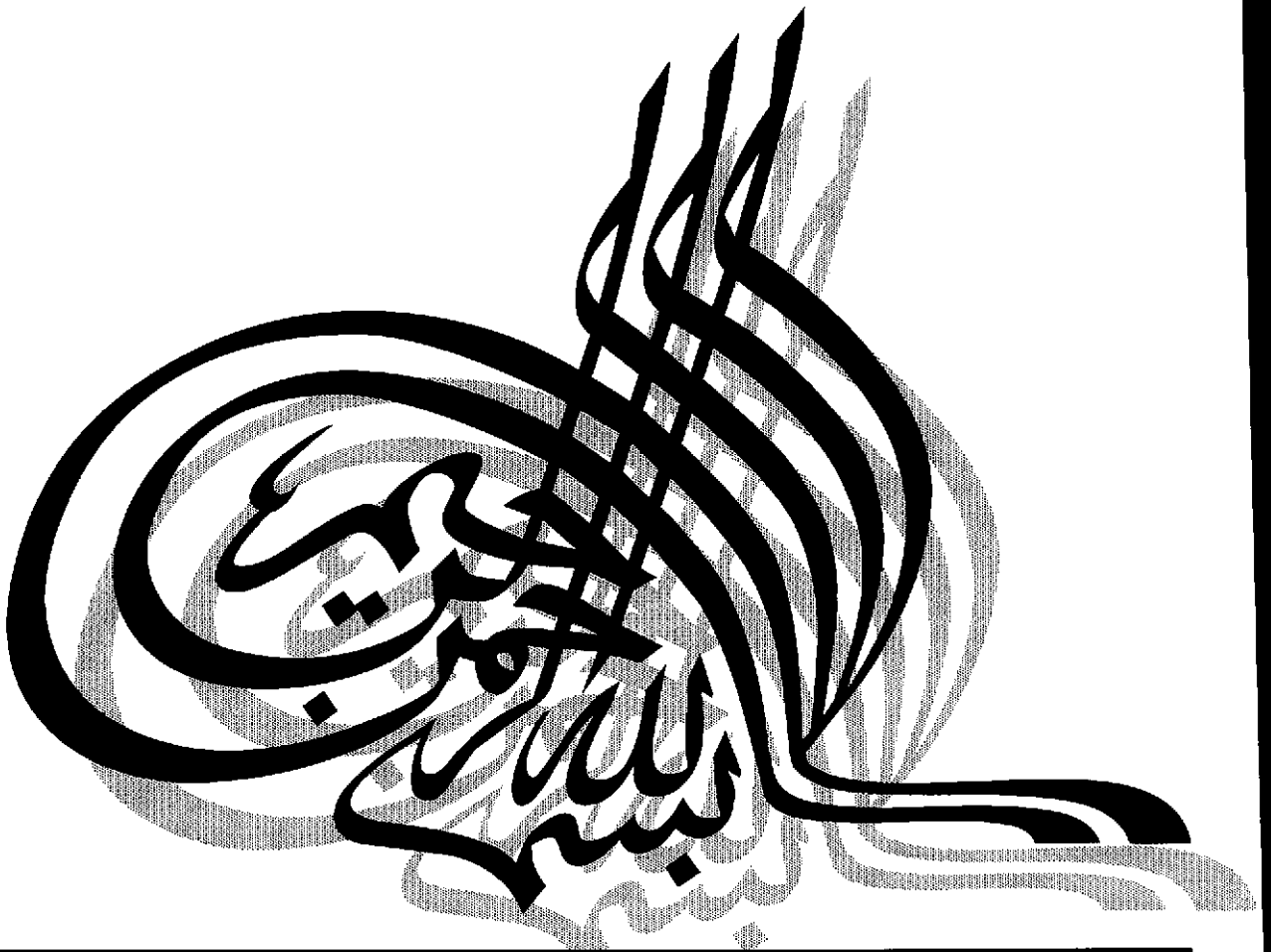
التوقيع : 

التوقيع : 

التوقيع : 

يعتمد رئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة

د : نايف بن حامد بن همام الشريف



قال الله تعالى :

﴿ إِنِّي فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾

[سورة آل عمران: الآيات ١٩٠-١٩١]

وقال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾

[سورة الأعراف: الآية ١٧٩]

وقال تعالى :

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾

[سورة الحج: الآية ٤٦]

اسم الباحث : خليل بن عبدالله بن عبدالرحمن الحدري

عنوان البحث : " منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية في المؤسسات الجامعية المعاصرة - تصور مقترح "

أهداف الدراسة : تهدف هذه الدراسة إلى استنباط منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم من خلال عرض أداتها وعلاقتها بالعلم وبيان أبعادها وأهدافها وأساليبها

ومعوقاتها : وكيف يمكن تطبيقها في المؤسسات الجامعية من خلال عضو هيئة التدريس الجامعي في طرائق التدريس وأساليب التقويم .

موضوع الدراسة : يتحدد موضوع الدراسة من خلال الإجابة عن سؤالها الرئيس التالي :

ما هي الملامح العامة لمنهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم ؟ وكيف يمكن تطبيقها في المؤسسات الجامعية المعاصرة من خلال عضو هيئة التدريس الجامعي في طرائق التدريس

وأساليب التقويم ؟ إضافة إلى ما يتفرع عن هذا السؤال من أسئلة فرعية حول مكانة العقل والعلم في القرآن الكريم ، وحول أبعاد التفكير العلمي وأهدافه وأساليبه ومعوقاته .

منهج الدراسة : طبيعة الدراسة تحتم على الباحث أن يستخدم المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي بجمع أطراف هذه المنهجية وتصنيفها . وكيف يمكن تطبيقها في

المؤسسات الجامعية لدى عضو هيئة التدريس الجامعي من خلال طرائق التدريس وأساليب التقويم ) .

فصول الدراسة : اشتملت الدراسة - بعد الفصل التمهيدي المخصص لخطة البحث - على خمسة فصول ، هي كالتالي :

الفصل الأول : وعنوانه : ( العقل والعلم في القرآن الكريم ) حيث عرف الباحث العقل وبين مكانه من الجسد ومكانته في القرآن الكريم وعلاقته بالتفكير العلمي ، ثم بين مفهوم

العلم في القرآن الكريم . وبين نظرة القرآن الكريم الشاملة للعلم ، ثم حدد مفهوم التفكير العلمي ، وبين أثر توجيهات القرآن الكريم - في الدعوة إلى التفكير العلمي - على علماء

المسلمين في مختلف جوانب المعرفة .

الفصل الثاني : وعنوانه : ( أبعاد منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم ) وجعلها الباحث في خمسة أبعاد هي : العمليات ، والأنواع ، والأحوال ، والياديين ، والضوابط

الفصل الثالث : وعنوانه : ( أهداف وأساليب منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم ) وجعل الأهداف على ثلاثة أقسام : أهداف متعلقة بالمظهر الشعائري ، وأهداف متعلقة

بالمظهر الكوني ، وأهداف متعلقة بالمظهر الاجتماعي ، وذكر جملة من الأساليب التي تحقق هذه الأهداف .

الفصل الرابع : وعنوانه : ( معوقات منهجية التفكير العلمي كما نبه عليها القرآن الكريم ) وذكر الباحث منها : الجهل ، والتقليد ، والتعصب ، والاستكبار ، واتباع النهي .

واتباع الظن ، والتأثير الجماهيري ، والجدال من أجل الانتصار للمواقف المسبقة ولو كانت خاطئة ، ثم الهزيمة النفسية .

الفصل الخامس : وعنوانه : ( تصور مقترح لاستفادة المؤسسات الجامعية المعاصرة من منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم لدى عضو هيئة لتدريس الجامعي من خلال طرائق

التدريس وأساليب التقويم ) .

أهم النتائج والمقترحات :

وبعد فقد توصل الباحث إلى جملة من النتائج ، منها ، أولا : أن مفهوم التفكير العلمي في القرآن الكريم أوسع مدلولاً وأشمل مراداً من حصره في نوع واحد من أنواع المعرفة

البشرية المادية . ثانياً : حدد الباحث مكان العقل بأنه في القلب ، وليس في الرأس ، وقد دل على ذلك أكثر من مائة وثلاث وثلاثين آية في كتاب الله الكريم ، مع وجود علاقة بين

القلب والدماغ ، فإن مبدأ القوة العاقلة في القلب ثم تنتهي إلى الدماغ . ثالثاً : أكد القرآن الكريم في منهجيته العلمية وهو يدعو إلى التفكير على توظيف جميع العمليات العقلية

عند مطارحة فكرة أو معالجة قضية أو بيان مسألة ، أو عرض موضوع ، حفظاً وتديراً وفيما وتطبيقاً وتحليلاً وتركيباً وتصنيفاً واستقراءً واستنباطاً وربطاً وتقويماً . رابعاً : أكد

القرآن الكريم في منهجيته العلمية في التفكير على ربط كل قول أو فعل فردي أو جماعي ظاهر أو باطن بالغاية النهائية من الوجود وهي عبادة الله تعالى بمفهومها الشامل . خامساً

: زور بعض الغربيين تاريخ العلم فنسبوا بعض إنجازات علماء الأمة المسلمة في التخصصات المادية والإنسانية إليهم فجعلوا ( نيوتن ) مكان العالم المسلم ( الهمداني ) والأخير

سبقه - في أبحاث الجاذبية - بعدة قرون ، وجعلوا ( ولیم هارفي ) مكان العالم المسلم ( ابن النفيس ) والأخير سبقه - في أبحاث الدورة الدموية - بعدة قرون ، واستحضروا الرادار

والتلسكوب الإلكتروني والمختبر الكهربي عند ذكر قياس السنة الشمسية ، وأغفلوا أبحاث العالم المسلم ( البتاني ) صاحب النتائج المذهلة في هذا القياس قبل حوالي ١١٠٠ سنة

، وإذا ذكر تصنيف الأهداف التربوية ذهب الناس إلى ( بلوم ) ونسوا أن محتوى هذا التصنيف قد جاءت به المنهجية الإسلامية في شتى العلوم والفنون . سادساً : مصطلحا

الشريعة الإسلامية والتربية الإسلامية ، وجنجان لعملة واحدة - ذلك أن التربية الإسلامية إنما هي حمل الناس على شريعة الله تعالى ، وأن الاختلاف بين المصطلحين إنما هو

اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد . سابعاً : حاجة البحث التربوي عند المسلمين إلى إعادة صياغته ليكون منطلقاً من أعظم مصدرين للمعرفة على وجه الأرض كتاب الله وسنة نبيه

محمد صلى الله عليه وسلم . ثامناً : أهمية طرائق التدريس وأساليب التقويم في جميع مراحل التعليم ومنها المرحلة الجامعية . وأن تعلمها والعناية بهما من أوجب الواجبات

تهيئة لتغيير قناعات المتعلم بعد توفيق الله تعالى - وإعطاء المستوى الحقيقي لتحصيل الطالب خروجاً من تبعه الظلم وعواقبه . وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . ومن

المقترحات التي يقترحها الباحث ، إعادة صياغة السياسات التعليمية والتربوية بكل أبعادها وفي جميع مراحلها لتتنطق في منهجيتها العلمية من توجيهات القرآن الكريم والسنة

النبوية المطهرة . كما يقترح الباحث استحداث مادة يدرسها طلاب المرحلة الجامعية يمكن تسميتها بـ ( منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم ) يتدرب فيها طلاب الجامعة

على أبعاد هذه المنهجية وأهدافها وأساليبها ومعوقاتها ، وكيف يفعلونها في حياتهم العلمية والعملية . كما يقترح الباحث احتواء علم ( البرمجة اللفظية والعصبية ) المسمى

( N L P ) وتوجيهه توجيهاً إسلامياً لينطلق في غاياته ووسائله وأساليبه من توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة . كما يقترح الباحث على إخوانه من

الباحثين وطلبة العلم دراسة ما لم يتناولوه في دراسته هذه مما له علاقة بهذه المنهجية ، وخاصة في ميدان التطبيق ، أو تناول أجزاء هذه المنهجية بتوسع راجياً أن يكون قد وسع

إخوانه - بعد توفيق الله تعالى - بابها ، وسهل لهم قيادها .

عميد كلية التربية

المشرف

الباحث

أ : د . محمود بن محمد بن عبدالله كسناوي

د : حامد بن سالم بن عائض الحربي

خليل بن عبدالله بن عبدالرحمن الحدري

## الإهداء

- إلى الذي غمرني بوابل حبه ، وأفاض علي من خميل أدبه ، إلى الذي كان يهبني كريم عطائه ، وعظيم دعائه ، إلى والذي المفضل ( أبو خليل ) ثمرة من ثمرات تربيته ، وجنى من رياض بساتينه ، وعطر من حقول رياحينه ، وشذا من عبقات وروده ، عسى الله أن يبارك لك في عمرك ، وينسأ لك في أجلك ، وينفعك بذريتك في الدنيا والآخرة .
- إلى التي تحمل بين جوانحها مثاقيل الجبال من الحب ، إلى التي تنثر عندما يحين اللقاء بسمات المشتاق ، وتنثر عندما يحين الفراق دمعات الفراق ، إلى التي كنت أرى آثار دعواتها تيسيرا عندما تحل المتاعب ، وتنفيسا عندما تتراكم المصاعب ، إلى أمي ثم أمي ثم أمي الغالية ( أم خليل ) عسى الله أن يرزقني برك فيما بقي من العمر ، وأن يرفع درجاتك في الخالدين .
- إلى أخي الغالي ( أبي سعد ) سعادة الأستاذ : محمد بن سعد الشريف ، اعترافا بكل عطاء نبيل ، وعرفانا بكل فضل وجميل ، إنها لفرصة أن أهمس في أذنك كلمة تقول : كسوتني نعمة تبدو محاسنها لأكسونك من حسن الثناء حُللاً .
- إلى الأمل — بعد الله — في الحياة المثالية الجميلة ، إلى صاحبة العقل الراجح ، والأدب الناجح ، والسلوك الصالح ، إلى من كنت أشكو لها عندما تتراحم الموموم ، وتتكالب الغيوم ، فأرى في مشورتها ، وحسن خلقها ، حلولا مثالية واقعية ، إلى الكبيرة في نفسي ، زوجتي الغالية ( أم عبدالله ) مثال الزوجة الصالحة ، ورفيقة العمر الناصحة ، ثمرة عمل دؤوب كنت وراءه بالتشجيع والدعاء ، والبذل والعطاء ، عسى الله أن يبارك لك في عمرك ، وأن يحلك من قلبي محل السويداء .
- إلى فلذتي كبدي ، ومهجتي فوادي ، وربحاني حياتي ( ولاء وعبدالله ) الذين آنساني في جنبات مكنتي ، يبعث أوراقها ، وتسويد جذرائها ، غير أن نداءاتهما بلفظ الأبوة ، ومعونتتهما بإحضار مرجع أو قلم أو كتاب ، كانت تبعث في النفس سرورا لا يعدله إلا حبهما الكبير ، لقد حرمتكما كثيرا من الحقوق ، ولكن لا عليكم ، فقد جاء وقت التعويض ، بإذن الله تعالى .
- إلى كل فرد — على وجه الأرض — يرجو لنفسه الفلاح في الدنيا والآخرة .
- إلى القائمين على المحاضن التربوية في جميع مراحلها ، الحريصين على أن تقوم بواجبها الحقيقي تجاه الناشئة .
- إلى كل منتسب إلى أعظم كتاب عرفته البشرية في تأريخها الطويل ، غيور على علومه الربانية ، وحقائمه المعرفية ، إليكم يا حملة القرآن الكريم .
- إليكم جميعا أهدي هذا الجهد المتواضع ، كخطوة ثانية في مشوار طويل ، أسأل الله أن يسدد فيه الخطوات ، وأن يقبل فيه العثرات ، إنه سميع قريب مجيب الدعوات .

## شكر وتقدير

روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( لا يشكر الله من لا يشكر الناس )) وفيه من رواية أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( من لم يشكر الناس لم يشكر الله )) والحديث بروايته صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ج ٢ ص ١٨٥ .

وانطلاقاً من هذا المبدأ التربوي الإسلامي النبيل ، فإنني أتوجه بخالص شكري ، وعظيم امتناني لجامعة أم القرى ، التي أتاحت لي فرصة مواصلة دراسي في هذا الصرح التعليمي التربوي الكبير ، ممثلة في معالي مدير الجامعة المكلف الأستاذ الدكتور : ناصر بن عبدالله الصالح ، وسعادة عميد الدراسات العليا وأمين مجلس الجامعة الدكتور : أحمد بن ناصر الحمد ، وسعادة عميد الدراسات العليا المكلف ، وأمين مجلس الجامعة حالياً الدكتور : تامر بن محمد الحربي ، وسعادة عميد كلية التربية السابق الدكتور : صالح بن محمد السيف ، وسعادة عميد كلية التربية الحالي الأستاذ الدكتور : محمود بن محمد كستاوي ، وسعادة رئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة الدكتور : نايف بن حامد بن همام الشريف ، ولأصحاب السعادة أعضاء لجنة تحكيم خطة البحث سعادة الأستاذ الدكتور : محمد جميل بن علي خياط ، وسعادة الدكتور : نايف بن حامد بن همام الشريف ، وسعادة الدكتور : عبداللطيف بن محمد بالطو ، وسعادة الدكتور : عثمان بن أمين نوري ، ولكل من يقدم العون لطلاب العلم في هذه الجامعة الرائدة .

كما أتوجه بالشكر الجزيل ، والعرفان بالجميل ، للمربي الفاضل سعادة الدكتور : حامد بن سالم الحربي ، المشرف على هذه الدراسة ، على ما أولانيه من رعاية وتوجيه ، طيلة مدة إشرافه على هذه الدراسة ، مقدرًا له تلك المواقف الخالدة ، التي تدل على نبل تعامله ، ودمائة خلقه ، وقد لمس الباحث ذلك في كثير من توجيهاته ، التي كان يعرضها في صورة المستشير ، وبحكمة المربي الخبير ، فجزاه الله عني خير ما يجزي معلماً عن تلميذه .

كما أتوجه بالشكر الجزيل لمناقشي هذه الدراسة سعادة الدكتور : عبدالرحمن بن عبدالله الزيد ، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي المساعد ، وسعادة الأستاذ الدكتور : محمد جميل بن علي خياط عضو هيئة التدريس بقسم التربية الإسلامية والمقارنة ، بكلية التربية ، بجامعة أم القرى ، على قراءتهما للبحث ، ومناقشته الباحث ، مع كثرة أعمالهما ومشاغلهما ، فجزاهما الله عن الباحث خير الجزاء .

كما أتقدم بوافر الشكر وعظيم التقدير لزوجتي الغالية ( أم عبدالله ) التي كانت الساعد الأيمن لي أثناء عملي في هذه الدراسة ، والتي ضحت بكثير من وقتها وجهدها ، بل وحتى كثير من حقوقها في سبيل توفير الراحة لي لمواصلة الليل بالنهار حتى خرج هذا العمل المتواضع .

كما أشكر أخوي الكريمين ، سعادة الأستاذ منتصر بن عيسى العسيري ، وسعادة الأستاذ محمد بن حامد الغامدي على ما قدماه للباحث من جهد مشكور ، في قراءة البحث ومراجعته ، فلهما جزيل الشكر وخالص الدعاء .

كما أتقدم بالشكر والتقدير ، لكل من أعارني كتاباً ، أو أسدى لي توجيهاً ، أو شجعتني على فكرة ، أو نبهني على خطأ ، أو دلني على تقصير ، ولهم جميعاً أسأل الله تعالى أن يبارك لهم في نياتهم وذرياتهم ، إنه أكرم الأكرمين ، وأرحم الراحمين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

## تنبيهات

أولاً : ليس كل مرجع نقل عنه الباحث يسلم بكل ما فيه ، ما لم يعرض على كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن خلال فهم سلف الأمة رضوان الله تعالى عليهم ، وإذا نقل الباحث فائدة من مرجع ما ، فيه أخطاء ومغالطات علمية ، فإنما هو تطبيق عملي لمبدأ تربوي إسلامي نبيل ، يؤكد على التقاط الحكمة من كل من نطق بها ، ولو كان ضالاً منحرفاً ، على حد قول الأول : نجني الثمار ونقي العود للنار .

ثانياً : الباحث فيما كتب ، لا يعدو أن يكون مجتهداً في تحري الصواب قدر المستطاع ، وقد عقد الباحث على نفسه عهداً ، أنه إن وقع في خطأ علمي يؤديه الدليل ، وتقويه الحجة ، أن يعود عن الخطأ إلى الصواب ، فإن هذا الفن لطيف خفي وابن آدم أقرب إلى الضعف والخطأ والعجلة .

ثالثاً : كل ما يأتي بين معكوفتين هكذا [ ] في ثنايا الاقتباس فهو من كلام الباحث لكون السياق يقتضيه .

رابعاً : اختصر الباحث في حاشية كل صفحة معلومات المصدر أو المرجع الذي يقتبس منه تجنباً لتكرار معلومات المصدر أو المرجع في القائمة النهائية للمصادر والمراجع .

خامساً : وثق الباحث بالاسم الأول والأخير للمؤلف ، ولم يوثق بالاسم الأخير ثم الأول ، تحاشياً للمنهجية الغربي في التوثيق التي تجعل الرجل امرأة والمرأة رجلاً ، ومثال ذلك : لو أن الباحث أراد أن يقتبس نصاً من مؤلف لكتابة اسمها : فاطمة النجاشي ، فليس من المنطق العلمي أن يقول : تقول النجاشي ، فإن الفعل : تقول صدر بناء التأنيث والنجاشي رجل ، وإذا نقل الباحث عن كاتب اسمه : سالم دولة ، فليس من المنطق العلمي أن يقول الباحث : يقول دولة ، لكون الفعل قد صدر بياء المذكر ، فتحاشياً لهذا الجرح ، ذكر الباحث الاسم الأول والأخير للمؤلف ، إلا إذا كان المؤلف مشهوراً لا يعرف إلا بكنته أو لقبه فإن الباحث يوثق باسم المؤلف الذي اشتهر به ، مثل : يقول ابن تيمية ، أو ابن جماعة .

سادساً : اعتمد الباحث على الأحاديث الصحيحة سواء كانت في الصحيحين ، أو في غيرها وخرج ما لم يكن في الصحيحين ، وذكر كلام أهل العلم في تصحيحها ، واستشهد ببعض الأحاديث الضعيفة التي تلقاها بعض المحدثين بالقبول ، وحكموا عليها بالقوة ، لكثرة شواهدنا ومتابعاتها ، وإن كانت نادرة جداً .

سابعاً : قد يوجد في كلام الباحث بعض الأساليب البلاغية ، وهو غير مستساغ في عرف البحث العلمي ، غير أن الباحث قد يختلف مع هذا الطرح البشري ولو كان متعارفاً عليه ، ولعل حجة الباحث في ذلك : أن أعظم كتاب على وجه الأرض — وهو القرآن الكريم — قد عرضت حقائقه التي جاء بها عن الوجود كله بمن فيه وما فيه في غاية العلمية ، ومع ذلك فقد خاطب العقل من جهة واستثار الوجدان من جهة أخرى ، من خلال منطق علمي في غاية البيان والإقناع ، وهو منهج تميز به كتاب الله تعالى على سائر الكتب ، فلماذا لا يقتفي الباحثون في أبحاثهم العلمية مثل هذا المنهج ؟ فيخاطبوا العقل والوجدان ، خاصة في العلوم الإنسانية التي يصب جهدها في المقام الأول على تربية الإنسان وتركيب قدراته .



## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	صفحة الغلاف
ب	البسمة
ج	آيات بينات
د	ملخص الدراسة
هـ	الإهداء
و	الشكر والتقدير
ز	تنبيهات
ح	فهرس الموضوعات
١	الفصل التمهيدي ( خطة البحث )
٢	المقدمة
١١	موضوع الدراسة
١٨	أهمية الدراسة
٢١	أهداف الدراسة
٢١	أسئلة الدراسة
٢٢	حدود الدراسة
٢٢	منهج الدراسة
٢٤	مصطلحات الدراسة
٢٧	الدراسات السابقة
٢٩	الفصل الأول : العقل والعلم في القرآن الكريم
٣٠	مدخل للفصل
٣١	أولاً : العقل في القرآن الكريم وعلاقته بالتفكير العلمي
٣١	مفهوم العقل في القرآن الكريم
٣٧	مكان العقل في القرآن الكريم
٣٩	مكانة العقل في القرآن الكريم
٤٥	علاقة العقل بالتفكير العلمي في القرآن الكريم

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٤٧	ثانيا : العلم في القرآن الكريم
٤٧	مفهوم العلم في القرآن الكريم
٤٩	مكانة العلم في القرآن الكريم
٥٥	النظرة الشاملة للعلم في القرآن الكريم
٦٣	مفهوم التفكير العلمي في القرآن الكريم
٦٤	أثر توجيهات القرآن الكريم — في الدعوة إلى التفكير العلمي — على علماء المسلمين في مختلف جوانب المعرفة
٦٥	أولا : العلوم الشرعية
٧١	ثانيا : العلوم الطبيعية
٨٧	ثالثا : العلوم الإنسانية
٩٣	خاتمة الفصل
٩٤	الفصل الثاني : أبعاد التفكير العلمي في القرآن الكريم
٩٥	مدخل للفصل
٩٦	البعد الأول : عمليات التفكير العلمي في القرآن الكريم
٩٦	التعقل
٩٨	التفكير
١٠١	التذكر
١٠٥	التدبر
١٠٦	النظر
١٠٩	الرؤية العقلية
١١١	الاعتبار
١١١	الادكار
١١٣	التفكير من خلال فهم سياق الآيات القرآنية
١١٤	البعد الثاني : أنواع التفكير العلمي القرآن الكريم

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
١١٤	
١١٩	التفكير الغائي
١٢٨	التفكير التنبؤي
١٣٢	التفكير الناقد
١٣٣	التفكير الشمولي
١٣٤	التفكير المقارن
١٣٥	التفكير المنطقي
١٣٦	التفكير الإبداعي
١٣٦	البعد الثالث : أحوال التفكير العلمي في القرآن الكريم
١٣٦	التفكير الجماعي
١٣٨	التفكير الفردي
١٣٨	البعد الرابع : ميادين التفكير العلمي في القرآن الكريم :
١٤٠	أولا : ميدان الآفاق
١٤٧	ثانيا : ميدان الأنفس
١٥١	ثالثا : ميدان العقيدة
١٥٤	رابعا : ميدان التشريع
١٥٥	خامسا : ميدان الاجتماع البشري
١٥٥	الميادين التي نهي العقل عن التفكير فيها :
١٥٨	أولا : ما اختص الله تعالى به من علم الغيب : ومنها :
١٥٨	أ - الذات الإلهية
١٦٠	ب - مفاتيح الغيب
١٦١	ج - الروح
١٦٣	ثانيا : عند ورود النص من القرآن أو السنة
١٦٤	ثالثا : القرون الغابرة في حياة البشرية
	رابعا : العبادات التوقيفية

الصفحة	الموضوع
١٦٤	البعد الخامس : ضوابط التفكير العلمي في القرآن الكريم
١٦٥	أولا : الضوابط الخلقية ومنها :
١٦٥	الموضوعية
١٦٨	التثبت قبل إصدار الحكم أو اتخاذ القرار
١٦٩	الصدق في النقل
١٧١	الأمانة العلمية
١٧٢	عدم استعداد الرأي الآخر عند الجدل
١٧٤	عدم هتك أстар الخصوم عند مجادلتهم
١٧٥	التركيز على الصفات أكثر من التعرض للأسماء
١٧٦	ثانيا : الضوابط العلمية ومنها :
١٧٦	عدم قبول أي فكرة إلا بدليلها
١٨١	عدم خوض الإنسان في قضية لا يحسنها
١٨٣	العناية بالمصطلحات وفهم اللغة التخصصية التي يتحدث بها الآخرون
١٨٨	أهمية التناسب بين المجال المعرفي والمنهج العلمي المستخدم
١٩٠	أهمية التناسب بين المجال المعرفي وبين طاقات العقل وقدراته
١٩٢	عدم التعميم عند إصدار الأحكام
١٩٣	الإحاطة بالقضية عند مناقشتها
١٩٥	تلقي المعرفة من مصادرها الصحيحة
١٩٧	الانفتاح على خبرات الآخرين والإفادة منهم في كل ما هو نافع مفيد
١٩٩	التنازل عند الحوار — جدلا — مع الخصم
٢٠٣	خاتمة الفصل
٢٠٤	الفصل الثالث : أهداف وأساليب منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم
٢٠٥	مدخل للفصل
٢٠٦	أهداف وأساليب منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم
٢١١	أولا : الأهداف المتعلقة بالمظهر الشعائري وأساليبها

الصفحة	الموضوع
٢٩٢	خامسا : إقناع الناس والتأثير في نفوسهم
٢٩٤	سادسا : إثارة ملكة الاستنباط
٢٩٥	سابعا : تحقيق الخلافة في الأرض
٢٩٧	خاتمة الفصل
٢٩٨	<b>الفصل الرابع : معوقات التفكير العلمي كما نبه عليها القرآن الكريم</b>
٢٩٩	مدخل للفصل
٣٠٠	أولا : الجهل
٣٠٥	ثانيا : التقليد
٣١٧	ثالثا : التعصب
٣٢٥	رابعا : الاستكبار
٣٣١	خامسا : اتباع الهوى
٣٣٨	سادسا : اتباع الظن
٣٤١	سابعا : التأثير الجماهيري
٣٤٥	ثامنا : الجدل من أجل الانتصار للمواقف المسبقة
٣٥٠	تاسعا : الهزيمة النفسية
٣٦٣	خاتمة الفصل
٣٦٤	<b>الفصل الخامس : تصور مقترح لاستفادة المؤسسات الجامعية المعاصرة من منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم لدى عضو هيئة التدريس الجامعي من خلال طرائق التدريس وأساليب التقويم</b>
٣٦٥	مدخل للفصل
٣٦٦	الميدان التربوي وأهميته
٣٧٥	مفهوم المؤسسات الجامعية وأهميتها
٣٧٦	أهداف المؤسسات الجامعية
٣٧٩	خصائص طلاب المرحلة الجامعية
٣٧٩	عضو هيئة التدريس الجامعي
٣٩١	الخطوات الإجرائية لتفعيل منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم لدى عضو هيئة التدريس الجامعي من خلال طرائق التدريس وأساليب التقويم

الصفحة	الموضوع
٣٩١	أولا : طرائق التدريس
٣٩١	مفهومها
٣٩١	أنواعها
٣٩٢	طريقة التدريس الشائعة
٣٩٣	وأد القدرات العقلية بالكلام الإنشائي المجرد
٤٠٢	خطوات تفعيل هذه المنهجية في طرائق التدريس :
٤٠٢	طرائق التدريس وربط كل قول أو فعل أثناء الموقف التعليمي بالغاية النهائية من الوجود
٤٠٣	طرائق التدريس والنظرة الشاملة للعلم
٤٠٧	طرائق التدريس وأبعاد التفكير العلمي
٤٢٥	طرائق التدريس وأهداف التفكير العلمي
٤٢٧	طرائق التدريس وأساليب التفكير العلمي
٤٣٠	طرائق التدريس ومعوقات التفكير العلمي
٤٣١	ثانيا : أساليب التقويم
٤٣١	تعريف التقويم
٤٣٤	أنواع التقويم
٤٣٤	أساليب التقويم بين الوسيلة والغاية
٤٣٦	أساليب التقويم بين التجزئة والشمول
٤٣٧	أولا : الاختبارات الشفوية
٤٣٨	ثانيا : الاختبارات التحريرية
٤٤٣	الخاتمة
٤٤٤	النتائج
٤٤٧	المقترحات
٤٤٨	فهرس الآيات القرآنية
٤٦٣	فهرس الأحاديث النبوية
٤٦٥	فهرس المصادر والمراجع

## الفصل التمهيدي ( خطة البحث )

- المقدمة •
- موضوع الدراسة •
- أهمية الدراسة •
- أهداف الدراسة •
- أسئلة الدراسة •
- حدود الدراسة •
- منهج الدراسة •
- مصطلحات الدراسة •
- الدراسات السابقة •

## المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، حمدا يليق بجلاله ، وعظيم سلطانه ، وأصلي وأسلم على خير خلقه ، وخاتم رسله ، وأكرم أنبيائه ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على طريقه ، واقتفى أثره ، واتبع سنته ، وحمل منهجه ، إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإن أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده ، نعمة الهداية إلى الإسلام ، حيث يصطفي سبحانه لهذه النعمة من يشاء من عباده ، فيشرح بها صدورهم ، ويصد عنها - بحكمته البالغة ، وقدرته النافذة - من يشاء من عباده ، فيجعل صدورهم ضيقة حرجة كأنما يصعد أصحابها في السماء ، كما قال سبحانه

: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ

كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ (١) ذلك

أن الإسلام هو الدين العالمي الخالد ، الذي بعث به خاتم النبيين ، وسيد الخلق أجمعين ، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو الدين الذي ارتضاه الله للبشرية كلها شرعة ومنهاجا ، كما قال سبحانه

: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ

لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿٣﴾ (٢) وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحد سواه ، وأن من لقي

الله في الآخرة بدين غيره ، فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين ، كما قال سبحانه : ﴿

وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ

الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ (٣) .

وقد توعد المولى سبحانه من لا يؤمن بالقرآن الكريم - باعتباره المصدر الأول من مصادر

التشريع في الإسلام - بأن يدخله في الآخرة نار جهنم ، فقال سبحانه : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ

(١) - [سورة الأنعام: الآية ١٢٥]

(٢) - [سورة المائدة: الآية ٣]

(٣) - [سورة آل عمران: الآية ٨٥]



مِنَ الْأَحْزَابِ فَأَلْنَا نَارَ مَوْعِدُهُمْ ﴿١﴾ قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره : " ثم قال

تعالى متوعدا لمن كذب بالقرآن أو بشيء منه : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الْأَحْزَابِ

فَأَلْنَا نَارَ مَوْعِدُهُمْ ﴾ أي ومن كفر بالقرآن من سائر أهل الأرض مشركيهم أهل الكتاب

وغيرهم من سائر طوائف بني آدم على اختلاف ألوانهم وأشكالهم وأجناسهم " (٢)

كما توعد النبي محمد صلى الله عليه وسلم من يسمع بمبعثه ، وما أرسل به من الوحي المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ثم لا يؤمن به ، إلا كان من أصحاب النار ، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار )) (٣) .

ولقد أكد المولى سبحانه على الإيمان بهذا القرآن العظيم ، وجعله المعجزة الخالدة التي أيد الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم ، كما أنه الكتاب الذي جعله الله مهيمنا على الكتب السماوية السابقة كلها ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (٤) وأخبر أن أهل الكتاب

يعرفونه - بهيمنتته - كما يعرفون أبناءهم فقال سبحانه : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ

يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ

وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ وهو الكتاب الذي تحدى الله به الإنس والجن مجتمعين أن يأتوا بمثله

فقال سبحانه : ﴿ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ

(١) - [سورة هود: الآية ١٧]

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ص ٥٤٢

(٣) مسلم ، صحيح مسلم ، ص ٨٥ حديث رقم (١٥٢)

(٤) - [سورة المائدة: الآية ٤٨]

(٥) - [سورة البقرة: الآية ١٤٦]

هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾  
﴿١﴾ بل تحداهم سبحانه أن يأتوا بعشر سور مثله فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَنَاهُ قُلْ

فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ  
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢﴾ ﴿٢﴾ بل وصل الإعجاز والتحدى ذروته حينما تحداهم الله أن يأتوا

بسورة واحدة مثله ، فقال سبحانه : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ  
مِثْلِهِ وَاَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣﴾ ﴿٣﴾

إن القرآن الكريم هو كتاب الله الذي أنزله - سبحانه - تبياناً لكل شيء ، وجعل فيه  
الهدى ، والرحمة ، والبشارة ، لكل مسلم ، فقال سبحانه : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ

تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٤﴾ ﴿٤﴾ تبياناً  
لكل شيء . . هكذا على وجه العموم ، ليشمل كل العلوم والفنون التي تحتاجها البشرية في أمور  
دينها ودنياها ، يقول ابن كثير في تفسيره : " قال ابن مسعود : وقد بين لنا هذا القرآن كل علم وكل  
شيء ، وقال مجاهد : كل حلال وحرام ، وقول ابن مسعود أعم وأشمل ، فإن القرآن اشتمل على  
كل علم نافع من خير ما قد سبق ، وعلم ما سيأتي ، وحكم كل حلال وحرام ، وما الناس إليه  
محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ، ومعاشهم ومعادهم " (٥) .

إنه الكتاب الذي يهدي للتي هي أقوم في جميع شؤون الحياة ، قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا

الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴿٦﴾ ﴿٦﴾ هكذا على الإطلاق ، حيث لم تحدد الآية لونا

(١) - [سورة الإسراء: الآية ٨٨]

(٢) - [سورة هود: الآية ١٣]

(٣) - [سورة يونس: الآية ٣٨]

(٤) - [سورة النحل: الآية ٨٩]

(٥) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ص ٧١٩

(٦) - [سورة الإسراء: الآية ٩]

من ألوان النشاط الإنساني الذي يهدي إليه القرآن الكريم: " ليشمل الهدى أقواما وأجيالا بلا حدود من زمان أو مكان ، ويشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق ، وكل خير يهدي إليه البشر في كل زمان ومكان . . . يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور ، بالعقيدة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض . . . ويهدي للتي هي أقوم في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه ، وبين مشاعره وسلوكه ، وبين عقيدته وعمله . . . ويهدي للتي هي أقوم في عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة . . . ويهدي للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض ، أفرادا ، وأزواجا ، وحكومات ، وشعوبا ، ودولا ، وأجناسا " (١)

ولروعة هذه المنهجية المطلقة التي يسلكها القرآن الكريم في هدايته الخليقة للتي هي أقوم في كل جانب من جوانب الحياة ، فقد أمر المولى جل ثناؤه بتدبر كتابه ، ودعا إلى إعمال العقل في آياته ، بغية تحويل هذه الهداية المطلقة إلى واقع حي في حياة الأمة ، مبينا أن من يفعل ذلك إنما هم أولو الألباب ، فقال سبحانه: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ

وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٢) كما استنكر - سبحانه - على الذين لا يتدبرونه

، ولا يعقلون معناه ، فقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَبَدًا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَقْفَالًا

﴾ (٣) ليخرج المسلم من ذلك بنتيجة تؤكد على أن الذين يقفون بالقرآن عند مجرد التلاوة

فقط ، إنما هم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني ، كما وصف الله حال أهل الكتاب في مبلغ علمهم من كتابه بقوله سبحانه: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّ

هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (٤) قال ابن تيمية رحمه الله في معنى الأماني: " فعن ابن عباس

وقتادة في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ ﴾ أي: غير عارفين بمعاني الكتاب ، يعلمونها حفظا

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٤ ص ٢٢١٥

(٢) - [سورة ص: الآية ٢٩]

(٣) - [سورة محمد: الآية ٢٤]

(٤) - [سورة البقرة: الآية ٧٨]

وقراءة بلا فهم ، ولا يدرون ما فيه ، وقوله : ﴿إِلَّا أَمَانِي﴾ أي تلاوة ، فهم لا يعلمون فقه

الكتاب ، إنما يقتصرون على ما يسمعونه يتلى عليهم " (١)

نعم . . . إن العلم بمعاني القرآن الكريم لا يمكن تحقيقه إلا بأن يجتمع في العلم به ، العلم باللفظ — عن طريق جودة القراءة — إضافة إلى العلم بالمعنى ، لتتنفي عن أتباعه الأماني والأمية ، ويتحقق فقه الكتاب الذي أكد عليه حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره لمعنى الأماني ، ومن هذا الفقه ، الفقه التربوي .

ومن أهم جوانب الفقه التربوي لكتاب الله تعالى — كما يتصوره الباحث — العناية بالتفكير العلمي المنضبط ، وذلك يكون باستثمار القدرات العقلية التي وهبها الله — سبحانه — للإنسان استثماراً إيجابياً يتحقق من خلاله النفع للإنسان في حياته الدنيوية والأخروية .

إن الإنسان مخلوق متوسط الخلقة بين فئتين من مخلوقات الله ، بين الملائكة الذين وهبهم الله العقل ، وبين البهائم التي وهبها الله الشهوة ، حيث وهبه الله تعالى العقل والشهوة ، وأمره أن يغلب قوته العقلية على قوته الشهوانية ، لئلا تتخبط به الشهوات والشبهات في كل واد سحيق من أودية الضلال والانحراف ، التي لا يقوم على قبولها نقل ولا عقل ، يقول ابن تيمية عليه رحمة الله : " قوى الإنسان ثلاث : قوة العقل ، وقوة الغضب ، وقوة الشهوة ، فأعلاها القوة العقلية التي يختص بها الإنسان دون سائر الدواب ، وتشركه فيها الملائكة ، ثم نقل كلاماً لبعض أصحابه [مفاده] : خلق للملائكة عقول بلا شهوة ، وخلق للبهائم شهوة بلا عقل ، وخلق للإنسان عقل وشهوة ، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ، ومن غلبت شهوته عقله فالبهائم خير منه " (٢)

والتأمل في كتاب الله الكريم يرى فرط عنايته بالعقل بصورة لم تكن في غيره من الأديان : " ففي كتب الأديان الكبرى إشارات صريحة أو مضمونة إلى العقل أو إلى التمييز ، ولكنها تأتي عرضاً غير مقصودة ، وقد يلمح فيها القارئ بعض الأحيان شيئاً من الزرابة بالعقل أو التحذير منه ، لأنه مزلة العقائد ، وباب من أبواب الدعوى والإنكار ، ولكن القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبية إلى وجوب العمل به والرجوع إليه " (٣) .

(١) ابن تيمية ، الفتاوى ، ج ١٧ ص ٤٣٤

(٢) ابن تيمية ، دقائق التفسير ، ج ٤ ص ٤٨٤

(٣) العقائد ، التفكير فريضة إسلامية ، ص ٣

حكم يخالفها حداً محدوداً ، وحجراً محجوراً " (١) سواء كان ذلك في أمور الدين ، مما يتعلق بالمقاييس أو الاعتبار أو الاستنباط ، أو في أمور الدنيا مما يتعلق باكتشاف سنن الله في الكون ، وتسخير ذلك فيما يعود على البشرية بالخير والتقدم .

غير أن المتأمل في واقع المسلم المعاصر ، يجد أنه يعيش أزمة في استثمار قدراته العقلية في التفكير وفق منهج الله تعالى ، امتد أثرها حتى شمل كثيراً من جوانب حياته ، وهي أزمة حقيقية : " تكمن في قصور أو سوء استخدامه لقدراته العقلية ، الأمر الذي نتج عنه إهدار أدبي ووظيفي لكافة قدراته الأخرى ، الجسمية والوجدانية والاجتماعية والأخلاقية والمهنية " (٢) .

من أجل هذا كله كان التفكير العلمي فريضة إسلامية ملحة ، وخاصة لأصحاب الرسالة العالمية التي ارتضاها الخالق سبحانه للبشرية شرعة ومنهاجا ، وعلى الأخص في مثل هذا الزمن الذي تتصارع فيه المعتقدات ، والأفكار ، والثقافات ، والحضارات ، كل يريد أن يثبت وجوده ، ويسيطر نفوذه ، على أنه لا أحد يملك منهجا يتفق في أحكامه وتشريعاته مع الفطرة السليمة ، والعقل السوي الراجح إلا المسلمين ، مما يستلزم على كل مسلم أن يعنى بقضية التفكير العلمي عناية فائقة ، وخاصة المعنيون بقضايا التربية ، لتتحول قضية التفكير العلمي من الكلام النظري المجرد ، حتى تكون واقعا حيا في حياة الأمة .

وعليه فقد اختار الباحث موضوعا يتعلق بالتفكير العلمي في القرآن الكريم ، يقوم على جانبين : جانب نظري تحدد من خلاله منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم ، وجانب تطبيقي على المؤسسات الجامعية المعاصرة في بلاد المسلمين ، من خلال عضو هيئة التدريس الجامعي فيما يتعلق بطرائق التدريس وأساليب التقويم ، تفعل فيه هذه المنهجية تفعيلا إيجابيا في خطوات إجرائية ، قابلة للقياس والتقويم ، وقد وسم الباحث دراسته هذه بـ : ( منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية في المؤسسات الجامعية المعاصرة - تصور مقترح ) ليكون بحثا مكتملا لنيل درجة " الدكتوراه " في الأصول الإسلامية للتربية ، مؤملا أن يكون في عرضه لهذا الموضوع خدمة للمنهج التربوي الإسلامي ، ولبنة في البناء التربوي الشامخ لخير أمة أخرجت للناس ، ولعله أن يكون إضافة إلى المكتبة التربوية الإسلامية المباركة .

وأما الأسباب التي دفعت الباحث لاختيار هذا الموضوع فيمكن إنجازها في النقاط التالية :

١ - عناية الإسلام - عبر مصادره الأساسية - بالعقل الذي هو أداة التفكير ، ومناطق التكليف .

(١) عابد السنيان ، معالم طريقة السلف في أصول الفقه ، ص ٢٨٩

(٢) محمد أبو رزيزة ، آداب المعلم المسلم ، ص ٢٢٩

٢- دعوة القرآن الكريم إلى التفكير العلمي الواعي ، واعتباره عبادة يؤجر العبد عليها ، وهو قسيم لعبادة الذكر التي أمر الله بها في قوله سبحانه وهو يصف أولي الأبواب : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ

اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٣١﴾

﴿١﴾ حيث يأتي التفكير في الآية الكريمة بالنظر في هذا الملكوت الهائل ليستدل من خلاله على أن لهذا الكون المدهش خالقا حكيما يستحق العبادة دون سواه ، وكلما تقدمت العلوم الطبيعية ، والاكتشافات المعاصرة ، المتعلقة بآيات الآفاق والأنفس ، كلما زادت المسلم يقينا بعظمة الخالق سبحانه ، وأنه المستحق للعبادة دون سواه .

٣- قصور نظرة بعض المسلمين تجاه القرآن الكريم ، وحصص مهمته في جوانب محدودة من الحياة مشروعة كانت أم ممنوعة ، أما أنه كتاب يهدي للتي هي أقوم في ميادين الحياة كلها - يشهد لذلك النقل ، والعقل ، والواقع - فهذا ما تتقاصر عن معرفته كثير من الأفهام .

٤- ظن بعض المثقفين (٢) من أبناء أمتنا ، أن التفكير العلمي إذا ذكر ، فإنما هو من مهام الفلاسفة والمتكلمين ، وأن مناهجه الحقيقية ، إنما هي وليدة البيئات الغربية ليس إلا ، مع أن التفكير العلمي التطبيقي القائم على الملاحظة والتجريب - الذي أجاد استخدامه غير المسلمين ، في حين بقيت أمة الإسلام على وجه العموم مقصرة فيه ، وخاصة في عصور الانحطاط التي مرت بها - إنما هو جزء يسير من منهجية التفكير العلمي التي جاء بها القرآن الكريم وهو يدعو إلى إعمار الأرض باكتشاف سنن الله في الكون ، والتعرف على النواميس التي تحكم مسيرة الحياة : " ولم يتوقف القرآن الكريم عند بعث الروح العلمية والفكرية في حياة المسلمين ، وإنما تجاوز ذلك إلى توجيه المسلمين لطرق التفكير ومنهج البحث " (٣) وجعل ذلك عبادة يؤجر العبد عليها ، وهو ما أثمر للأمة في عصور ازدهارها " حضارة إسلامية يانعة الثمار ٠٠٠ ألفت نقلة علمية وعقلية ، كما كانت نقلة وتصحيحا في مجالات العقيدة والتشريع والأخلاق " (٤)

(١) - [سورة آل عمران: الآية ١٩١]

(٢) سيشير الباحث إلى نماذج من ذلك ، في الصفحات القادمة بإذن الله تعالى .

(٣) حلمي صابر ، منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام ، ص ١٣

(٤) عبداللطيف الرياح ، مكانة العلوم الطبيعية في التربية الإسلامية ، ص ٢

٥- واقع الأمة المسلمة ، أفرادا ، وجماعات ، ومناهج ، وأفكار ، وهيئات ، ومؤسسات ، حيث يقوم العمل في كثير من الأحيان على العشوائية في تسيير العقل - عند معالجة قضية أو مطارحة فكرة - فتعود النتائج عكسية في كثير من المواقف .

٦- سهولة انتشار الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام ، وسرعة التصاقها بالقلوب التي لا تعرف منهجية التفكير العلمي ، ولا تحسن استغلاله .

٧- انتشار معوقات التفكير العلمي ، حيث أصبحت سمة بعض الناس عندما يتناولون الأحداث ، ويعالجون القضايا ، لأمر سوف يفصح الباحث عنها في حينها بإذن الله .

٨- الإسهام في تصحيح بعض القصور في الواقع التعليمي والتربوي لبعض المؤسسات الجامعية المعاصرة في بلاد المسلمين ، التي تركز على أساليب الحفظ والتلقين المجردة ، فتبني عقولا تستهلك المعارف المختلفة ، دون أن يكون لها آلية واعية - يثيرها التفكير العلمي - فتكتشف العلاقات ، وتربط بين الأحداث ، وتلحق الأسباب بالمسببات ، والعلل بالمعلولات ، لتصل إلى نتائج سليمة فيما تأتي وما تذر .

٩- ما يؤكد عليه مجلس التعليم العالي في المملكة العربية السعودية من ضرورة تربية الناشئة على أساليب التفكير الهادف ، وخاصة في المراحل العليا من التعليم ، فقد جاء في المادة الثامنة والثلاثين من اللائحة المنظمة لشؤون أعضاء هيئة التدريس في جامعات المملكة العربية السعودية ، تحت عنوان : الواجبات ، ما نصه : " أن ينقل [ أي المعلم ] لطلابه أحدث ما توصل إليه العلم في مجال تخصصه ، ويثير فيهم حب العلم والمعرفة والتفكير العلمي السليم " (١) .

١٠- ما لاحظته الباحث وهو يؤدي رسالته التعليمية والتربوية في المرحلة الجامعية ، من قصور فهم بعض طلاب الجامعة لأبعاد منهجية التفكير العلمي ، وعدم قدرة بعضهم على تحويل هذه المنهجية إلى واقع عملي عند النقاش ، وتسليمه في كثير من الأحيان ببعض القضايا المخالفة للمنطق العلمي الذي يشهد له النقل والعقل والواقع .

١١- ما يؤكد بعض الباحثين (٢) من أن كثيرا من المشاكل التي يعيشها العالم سببها قصور منهجية التفكير العلمي عند كثير من الناس ، عندما يتناولون الأحداث أو يعالجون القضايا .

(١) اللائحة المنظمة لشؤون أعضاء هيئة التدريس بالجامعات السعودية ، ص ٢٦

(٢) سيشير الباحث لذلك عند كتابة البحث بإذن الله تعالى .

١٢- اهتمام الباحث بهذا النوع من النشاط الإنساني ، وخاصة بعد انتقاله للتدريس في المرحلة الجامعية ، لعلمه أن هذه المرحلة العمرية في أمس الحاجة إلى أن تستثمر قدراتها العقلية استثماراً واعياً ، لتسهم في بناء أنفسها ، وأسرها ، ومجتمعها ، وأمتها .

وما توجه الباحث تلقاء هذا الكتاب العزيز - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد - إلا استجابة للحق سبحانه حين أمر بتدبر كتابه ، وتسريح الفؤاد

في آياته ، قال تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ

لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ (١) وعليه ، فإن أصاب الباحث مراده ، فذلك

فضل الله تعالى ومنته ، فله الحمد أولاً ، وآخراً ، وظاهراً ، وباطناً ، في الأولى والآخرة ، وإن تقاصر علمه ، وتباطأ فهمه ، فعذره أن كل باحث عن الحقيقة يرد هذا المورد العظيم ، فيعرف منه على قدر إنائه فمستقل ومستكثر .

فأما إن زلت القدم ، وطاش الفهم ، فذلك تقصير من الباحث نفسه ، ويظل كتاب الله

تعالى موسوماً بقوله سبحانه : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (٢) والله المستعان

وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

### موضوع الدراسة :

من الأمور البديهية المسلم بها عند أهل الإسلام ، أنه لا يمكن أن تعيش البشرية حياة سوية مهتدية ، إلا عن طريق بناء منهجية في التفكير ، يوظف الإنسان من خلالها قدراته العقلية توظيفاً سليماً فيما يعود عليه بالنفع في دنياه وآخرته ، ذلك أن التفكير هو إحدى وظائف العقل ، والعقل هو : "أس الفضائل ، وينبوع الآداب ، الذي جعله الله للدين أصلاً ، وللدين عماداً ، فأوجب التكاليف بكماله ، وجعل الدنيا مديرة بأحكامه ، وألف به بين خلقه ، مع اختلاف همهم ومترهم ، وتباين أغراضهم ومقاصدهم " (٣) وبما أن الهمم والمآرب ، والأغراض والمقاصد ، والآداب والفضائل ، تختلف الأفهام البشرية في بيان مواصفاتها ، وتباين الأطروحات الأرضية في تحديد معاييرها ، وبما أن أداة التفكير ، وهي العقل البشري - في نظر الإسلام - جارحة من الجوارح ، لها قدراتها وطاقاتها المحدودة ، فقد حدد الإسلام للعقل مساره ، ورسم له طريقه ، ليقود صاحبه إلى ما

(١) - [سورة النساء: الآية ٨٢]

(٢) - [سورة البقرة: الآية ٢]

(٣) الماوردي ، أدب الدنيا والدين ، ص ٢٣



ينفعه في الدنيا والآخرة ، فكان موقفه وسطا بين الغلاة والخفأة ، حيث دعا إلى إعماله ، وجعله مناط التكليف من جهة ، وحدد له الميادين التي يعمل فيها - دون أن يتجاوزها فيما لا يتحقق لصاحبه من ورائه فائدة بحكم بشريته - من جهة أخرى ، ولكي لا ينحرف بتقديس هذه الجارحة حين يظن أهل القدرة على كل شيء ، فتنحرف به عن سواء السبيل ، وهو ما وقع فيه الغرب الكافر : " فإن حضارة الغرب المعاصرة قد ألهمت العقل ، واعتبرته قادرا على كل شيء ، وكان الافتتان بالعقل - إلى هذا الحد - مدخلا واسعا لنشوء فلسفات مادية جامحة ، مغرقة في الشهوات ، إلى الحد الذي أصبح فيه الإنسان بهيميا ، لا يرقى بعقله إلى معرفة الله خالق الكون ، وكانت النتيجة هذا الضنك الذي تعيشه البشرية على كل المستويات : الفكرية ، والسياسة ، والاقتصادية والاجتماعية ، ونحوها" (١) .

لهذا كله كان لا بد لهذه الجارحة من منهجية ربانية في التفكير تضبط مسارها ، وتحدد معالم طريقها ، لتعمل من خلالها في ثقة واطمئنان ، فتصل إلى ثمرات مهتدية تسعد بها في أمور دينها ودنياها ، لكونها تستنبط هذه المنهجية من كتاب الله الكريم ، الذي يقول فيه منزله جل جلاله : ﴿

قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ (٢) .

وما هذا كله إلا لعلمه سبحانه أن هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد : " هو مفجر العلوم ومنبعها ، ودائرة شمسها ومطلعها ، أودع فيه سبحانه علم كل شيء ، وأبان فيه كل هدي وأغي ، فترى كل ذي فن منه يستمد ، وعليه يعتمد ، فالفقيه يستنبط منه الأحكام ، ويستخرج حكم الحلال والحرام ، والنحوي يبني منه قواعد إعرابه ، ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه ، والبياني يهتدي به إلى حسن النظام ، ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام ، وفيه من القصص والأخبار ، ما يذكر أولي الأبصار ، ومن المواعظ والأمثال ، ما يزدجر به أولي الفكر والاعتبار ، إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها ، هذا ، مع فصاحة لفظ ، وبلاغة أسلوب ، تبهر العقول ، وتسلب القلوب ، وإعجاز نظم

، لا يقدر عليه إلا علام الغيوب " (٣) .

(١) عبد الكريم عبيدات ، الدلالة العقلية في القرآن ، ص ٧

(٢) - [سورة الإسراء: الآية ٨٨]

(٣) السيوطي ، الإفتان في علوم القرآن ، ج ١ ص ٢ - ٣

وبما أن الفقهاء ، والنحاة ، والبلاغيين ، وغيرهم ، يستمدون منه فنونهم وعلومهم ، وفق منهجية علمية منضبطة في التفكير ، فإن الباحث في التربية الإسلامية يستمد من هذا الكتاب العظيم علوم وفنون التزكية ، والتي تستهدف إخراج فرد خير ، ومجتمع خير ، وأمة خيرة ، وحضارة خيرة تسعد بها البشرية في أمور دينها ودنياها ، وفق تلك المنهجية المنضبطة في التفكير .

هذه التزكية بمفهومها الشامل تشمل جوانب الإنسان كلها بلا استثناء ، ومنها جانب تزكية القدرات العقلية التي أولها الإسلام عناية فائقة في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فرسم لها منهجيتها في التفكير بصورة لم تعرف الأمم - على اختلاف علومها وفنونها وثقافتها - مثلها على الإطلاق .

والباحث يرى أن هذا الهدف النبيل - الذي يكمن في إخراج الفرد والمجتمع والأمة والحضارة الخيرة - مرهون بأمور كثيرة يتربع على رأسها ، عناية الأمة المسلمة بالطرائق المثمرة التي يستثمر المسلم من خلالها قدراته العقلية على أوسع نطاق ، فيوظفها توظيفاً أمثل ، استجابة لأمر الله سبحانه في كتابه الكريم ، وهو يدعو إلى إعمال العقل في آياته الكونية والشرعية ، فيقول سبحانه :

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

(١) ويقول سبحانه : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا

تَعْقِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ (٢) ويثني - سبحانه - على أولي الألباب والنهي من عباده فيقول في غير ما

آية : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣١﴾ ﴾ (٣) ويقول سبحانه :

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٣٣﴾ ﴾ (٤) كما أنه سبحانه يستهجن حال

الذين يعطلون ملكاتهم العقلية عن العمل ، ويصفهم بأنهم كالأنعام ، بل هم أضل ، فيقول سبحانه :

(١) - [سورة النمل: الآيات ٢٠-٢١]

(٢) - [سورة الأنبياء: الآية ١٠]

(٣) - [سورة البقرة: الآية ٢٦٩]

(٤) - [سورة آل عمران: الآية ١٣]

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلَّ

هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ (١)

وليس معنى الآية أن الكفار الذين لم يستجيبوا لله خلقوا مجانين بلا عقول ، وإنما المراد أنهم ملكوا عقولا معطلة عن التفكير السوي الناضج ، فكانوا بمنزلة البهائم التي لا تعقل ، بل هم أضل ، وفي هذا المعنى يقول القرطبي - رحمه الله - في تفسيره : " وذهب جل وعز بهذا ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ

أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ ﴾ سماع قبول ، أو يفكرون فيما تقول فيعقلونه ، أي هم بمنزلة من لا

يعقل ولا يسمع " (٢) ويقول الرازي - رحمه الله - في تفسيره : " ليس المراد أنهم لا يعقلون ، بل

إنهم لا ينتفعون بذلك العقل ، فهو كقول الرجل لغيره إذا لم يفهم : إنما أنت أعمى وأصم " (٣) وهو

ما أكده ابن القيم - عليه رحمة الله - بقوله : " والله تعالى لم يخلق للأنعام قلوبا تعقل بها ، ولا ألسنة تنطق بها ، وأعطى ذلك لهؤلاء ، ثم لم ينتفعوا بما أعطى ، وجعل لهم من العقول والقلوب والألسنة والأسماع والأبصار ، فهم أضل من البهائم ، فإن من لا يهتدي إلى الرشد ، وإلى الطريق مع الدليل ، أضل وأساء حالا ممن لا يهتدي حيث لا دليل معه " (٤) .

ونظرا لما للتفكير العلمي من أهمية في حياة الأمة فقد جاءت العناية به في كتاب الله الكريم حيث : " جاء [ القرآن الكريم ] حافلا بالآيات التي تحث المسلمين على تقليب النظر في ملكوت السموات والأرض ، ليستدلوا بذلك على وجود الخالق المبدع ، كما حثهم على النظر في أحوال البشر وبدايات خلق الأشياء ، وتحريك عقولهم بقياس أحوالهم على أحوال من سبقهم من الأمم ، حتى لا يعرضوا أنفسهم لمثل ما تعرضوا له من عقاب وتدمير ، وأمرهم باكتشاف السنن العليا التي تحكم حركة الإنسان والكون حتى يقتصروا الجهد والوقت ، ويجنبوا أنفسهم التصادم معها " (٥) .

(١) - [سورة الفرقان: الآية ٤٤]

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٣ ص ٣٦

(٣) الرازي ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ج ١٢ ص ٨٧

(٤) ابن القيم ، بدائع التفسير ، ج ٣ ص ٢٩٥

(٥) عبدالكريم بكار ، فصول في التفكير الموضوعي ، ص ١٦

ذلك : " أن الدعوة القرآنية من شأنها أن تفتح المدارك ، وتثير التفكير ، وتحمل على الاستزادة من العلوم والمعارف ، وتفصل فصلا حازما بين الحقائق والأوهام ، ذلك أن الإنسان إنما يفكر ويتقدم بالعمل العقلي ، فإذا تعطل العقل انحسرت المعرفة ، وضمحل العلم " (١)

وبما أن العقل هو الأداة التي يفكر بها الإنسان ، فقد طالبه الإسلام بأن يكون ربانيا وهو يمارس نشاطه في التفكير ، في كل عمل يقوم به ، ليثمر له هذا النشاط ثمرات مهندية ، يسعد بها في أمور دينه ودنياه ، وذلك من خلال ما يتوصل إليه من نتائج .

نعم . . . إن الذي رسم للتفكير مساره ، وحدد له طريقه ، وأمر من أجله ونهى ، ووعد وتوعد ، ومدح وذم ، هو رب العالمين ، العالم بما يصلح عباده ، وما يصلح لهم ، إنه الحكيم العليم ،

الذي يقول عن سعة علمه وحكمته: ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ

وَالْبَحْرِ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ ﴾ (٢) قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره : " وقال قتادة : قال المشركون

: إنما هذا كلام يوشك أن ينفد ، فقال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ

أَقْلَمٌ ﴾ (٣) أي لو كان شجر الأرض أقلاما ، ومع البحر سبعة أبحر ، ما كان لتنفد

عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه ، وهو ما أكده نبي الله الخضر عليه السلام وهو يبين لموسى عليه السلام سعة علم الله تعالى حين رأى الطائر ينقر من البحر فقال كما روى ذلك البخاري في صحيحه

من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (( ووقع عصفور

على حرف السفينة ، فغمس منقاره في البحر ، فقال الخضر لموسى : ما علمي وعلمك وعلم

الخالق في علم الله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره )) (٤) وقال الربيع بن أنس : إن مثل

علم العباد كلهم في علم الله كقطرة من ماء البحور كلها" (٥) .

(١) عبدالكريم عبيدات ، الدلالة العقلية في القرآن ، ص ٨٨

(٢) - [سورة لقمان: الآية ٢٧]

(٣) - [سورة لقمان: الآية ٢٧]

(٤) البخاري ، صحيح البخاري ، ص ٩١٣ ، حديث رقم ( ٤٧٢٧ )

(٥) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ص ٥٥٧

فإذا كان علم الله تعالى على هذه المنزلة فلا شك أن من يرد هذا المورد العظيم — وهو كتاب الله الكريم — يستقي منه مطلبه في أي فن من فنون المعرفة ، فإنه سيجد بغيته ، ويقف على ضالته ، فمن أصدق من الله قبيلاً ؟ ومن أحسن من الله حديثاً ؟ .

وكيف لا يكون كتاب الله كذلك وهو الكتاب الذي أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ؟!!! وكيف لا يكون كذلك وهو الكتاب الذي أنزله — سبحانه — تبياناً لكل شيء ، وفصله تفصيلاً محكما فـ : " شأته عند بلاغته وجود عبارات البلاء ، وحلت في معارضته نطق أنطاق الفصحاء ، وشابت في تحديه لم مفارق العرب العرباء ، وقرحت في التطلع على تراكيبه ، والتسلق على أساليبه قرائح مصاقع الخطباء ، وتزينت ظواهره باختلاف الحروف والكلمات بحسب اختلاف اللغات فأهض لحفظها القراء ، وتسترت بواطنه بعرائس النفائس التي فنيت في كشفها أنفاس العلماء ، وحارت في مهام حقائقه وخلوات دقائقه أفكار العرفاء ، ليبقى معجزة على وجنات الشهور والأعوام ، وصفحات الدهور والأيام ، بقاء الأرض والسماء " (١) .

ولكون هذا الكتاب العظيم قد تسترت بواطنه بعرائس النفائس ، التي فنيت في كشفها أنفاس العلماء ، فقد حرص الباحث على أن يستنبط من عرائس نفائسه ( منهجية التفكير العلمي ) التي تعد ثمرة العقل ونتاجه ، بعد أن يحدد جوانبها وفق منهج الاستقراء ، ومن ثم وضع هذه الجوانب في تطبيقات تربوية ، يمكن للمؤسسات الجامعية في المجتمعات المسلمة أن توظفها توظيفاً تربوياً أمثل في حياتها المعاصرة .

لقد جاء القرآن الكريم بمنهجية علمية في التفكير ، تارة في أصول عامة ، وقواعد كلية ، وتارة فصل القول في بعض جوانبها ، وفق ما تحتاجه البشرية في حياتها ، ويمكن أن يحدد الباحث هذه المنهجية في القرآن الكريم من خلال ما جاء فيه من ذكر لوظائف العقل ، والإشادة به ، وبأصحابه ، ومكانته من الدين ، وعلاقته بالتفكير العلمي ، والتنديد بمن يعطلونه ، ومن خلال عرض أهداف التفكير العلمي ، وأساليبه ، ومظاهره ، ومعوقاته التي نبه عليها القرآن الكريم .

وبما أن القرآن الكريم قد دعا إلى استثمار القدرات العقلية ، ورسم لها منهجيتها في التفكير ، وبما أن الأمة المسلمة في أمس الحاجة إلى أن تحيل هذه المنهجية إلى واقع عملي في مؤسساتها النظامية وغير النظامية ، في خطوات علمية إجرائية ، فقد جعل الباحث عنوان دراسته : " منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية في المؤسسات الجامعية المعاصرة " محاولاً عرض هذا الموضوع في أصول عامة ، وقواعد كلية ، ليندرج تحته كل جديد مما له علاقة بالتفكير العملي بكل

(١) العماد الأصفهاني ، كاشف المعاني في شرح القصيدة المنظومة بحمز الأمان ، مخطوط .

فما بقي إلا أن يقدم الباحث جهده على قلة البضاعة ، وضعف الصناعة ، مستلهما التوفيق والتسديد من رب العالمين القائل في محكم تنزيله : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١) والقائل جل شانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٢) فعسى الله أن يجعل للباحث في هذه الدراسة

فرقانا يفرق به بين الحق والباطل ، والصواب والخطأ ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

### أهمية الدراسة :

يرى الباحث أن أهمية هذه الدراسة تكمن في النقاط التالية :

- ١- يشرف الموضوع بشرف مصدره ، ويعظم بعظم منهجه ، وعليه ، فإن منهجية التفكير العلمي هذه ، تشرف بشرف مصدرها الذي تستنبط منه ، وهو القرآن الكريم ، حيث تسير هذه المنهجية في ظل أحكامه ، وتلتزم منهجيته ، وتتأدب بأدابه ، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .
- ٢- تعد منهجية التفكير العلمي - في نظر الإسلام - ضربا من العبادة التي يتعدى نفعها للأمة كلها ، ذلك أن بعض أعمال العبادة يقتصر أثرها على صاحبها ، بينما منهجية التفكير العلمي يتعدى أثرها إلى الأمة كلها حين يترتب أفرادها - على أيدي المعنيين بالتربية في المؤسسات الجامعية المعاصرة - على هذه المنهجية المستنبطة من القرآن الكريم .
- ٣- تعطي هذه الدراسة تصورا عن شمولية القرآن الكريم ، وأنه الكتاب الذي أنزله الخالق سبحانه لتسعد به البشرية في أمور دينها ودنياها ، وفي هذا تصحيح لأفهام بعض المسلمين الذين يظنون أنه كتاب أنزله الله تعالى لتجمع به الحسنات ليس إلا ، أو لأنه نزل ليقرأ في المناسبات فحسب ، فتأتي هذه الدراسة لتؤكد أنه الكتاب الذي يهدي للتي هي أقوم في كل جانب من جوانب الحياة ، ومن ذلك هدايته للتي هي أقوم في طرائق التفكير ومنهجيته .

(١) - [سورة البقرة: الآية ٢٨٢]

(٢) - [سورة الأنفال: الآية ٢٩]

٤- تبني هذه المنهجية - عند من يحسن استغلالها - من أهل الإسلام سدا منيعا في وجوه الفتن التي يثيرها أعداء الإسلام ، من مروجي الشبهات والشهوات ، وخاصة في زمن ( القرية العالمية الصغيرة ) (١) التي تتصارع الأمم فيها عقديا وفكريا وثقافيا ، بغية إثبات الوجود ، وبسط النفوذ ، فإذا تربت الأمة المسلمة على منهجية القرآن الكريم في التفكير ، لم تكتف بالمواجهة والصد فقط ، بل إنها لتحمل زمام المبادرة ، فتقود الساحة العالمية بما معها من الحق العقدي والفكري ، الذي يتفق مع الفطرة السليمة ، والعقل السوي الراجح .

٥- يعدل التفكير العلمي في أهميته لتسيير أمور الحياة - حسب نظر الباحث - أهمية العقل بالنسبة إلى بقية أعضاء الجسد ، ذلك أن الجسد لا قيمة له حين يفقد الإنسان عقله ، وكذلك الحياة لا يمكن أن تستقيم في كل جانب من جوانبها ، إلا حين يحيل المسلمين - من المعنيين بتربية الأمة تربية إسلامية صحيحة - هذه المنهجية العلمية في التفكير إلى واقع حي في حياة الأمة ، عبر مؤسساتها التربوية النظامية وغير النظامية .

٦- المتأمل في حياة البشرية اليوم يلاحظ ما تعيشه من ضلال في بعض جوانب حياتها ، ضلال في المعتقدات ، والعبادات ، والأخلاق ، والسلوك ، والمعاملات ، والتصورات ، ضلال لا تقره العقول السليمة ، ولا الفطر السوية ، والباحث يرجع ذلك - بعد قدر الله الكوني - إلى جملة من الأمور ، منها : تعطيل الملكات العقلية عن العمل ، مما جعل البشرية تفتقد إلى النظرة الكلية الشاملة لمنهجية التفكير العلمي ، فقصرت تفكيرها في المحسوس الملموس ، وألغت من حساباتها الهدف النهائي من الحياة ، وتخبطت في أساليبها ، وسيطرت عليها معوقات التفكير الصحيح فضلت وأضلت ، وهو ما تحاول هذه الدراسة بيانه وإلقاء الضوء عليه .

٧- واقع الأمة المسلمة وما تعيشه من فرقة مريعة ، واختلاف مذموم ، وحزبية منكرة ، يرى الباحث أن من أسباب ذلك - بعد قدر الله الكوني - الإعراض عن منهجية التفكير العلمي التي جاء بها القرآن الكريم ، وأن أكثر هذه المذاهب ، والجماعات ، والحزبيات ، إنما تسيطر عليها معوقات التفكير العلمي ، فتجعل منها جزرا متناحرة ، وأحزابا متنافرة ، يصدق عليها

قول الله تعالى : ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (٢) وهو ما

(١) ( القرية العالمية الصغيرة ) تعبير يراد به : تقارب العالم . بسبب ما قدره الله تعالى من تيسير وسائل الاتصال الحديثة ، التي أصبح العالم من خلالها كالقرية الواحدة .

(٢) - [سورة الروم: الآية ٣٢]

تحاول هذه الدراسة بيانه ، ومن ثم معالجة هذا الخلل وفق منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم .

٨- يقوم التعليم في بعض بلاد المسلمين على أساليب الحفظ والتلقين المجردين ، دون منهجية في التفكير تُوظف من خلالها العمليات العقلية العليا ، فتكتشف العلاقات ، وترتبط بين الأحداث ، وتحلل المشكلات ، وتلحق الأسباب بالمسيبات ، والعلل بالمعلولات ، في خطوات علمية إجرائية ، وهو ما تحاول هذه الدراسة بيانه ، ثم عرض علاج هذا الأمر من خلال تطبيقات تربوية تفيد منها المؤسسات الجامعية المعاصرة في بلاد المسلمين .

٩- كما أن أهمية هذه الدراسة تكمن في كونها يستفيد منها كل من يُعنى بالتربية في المؤسسات التربوية النظامية وغير النظامية ، ومن هؤلاء الذين يستفيدون من هذه الدراسة:

أ - الآباء والأمهات في تربية أولادهم ، وتوعيدهم على التفكير العلمي منذ نعومة أظفارهم ، وفق قدراتهم العقلية المناسبة لأعمارهم .

ب - القائمون على المؤسسات التربوية النظامية - من القادة التربويين ، وصناع القرار ، وواضعي المناهج ، ومسئولي الأنشطة ، والمديرين ، والمعلمين - الذين يشكلون - مجتمعين - عقول الناشئة من أبناء المسلمين ، مع مراعاة خصائص كل مرحلة ، وتبسيط هذه المنهجية العلمية في التفكير وتحويلها إلى تطبيقات تربوية إجرائية يمكن قياسها وتقييمها .

ج - المسئولون عن الإعلام ، الذين يشكلون عقلية الرأي العام ، حيث أثبت الواقع أن تأثيرهم في عقول العامة أكبر من تأثير بعض المؤسسات التربوية النظامية ، بل ربما أخذوا وظيفة الأب والأم في التربية والتوجيه ، وتكمن إفادتهم من هذه الدراسة بأن تكون منطلقاتهم في تربية الأمة من خلال ما يطرحون ، مبنية على منهجية التفكير العلمي التي جاء بها القرآن الكريم ، ليكونوا عوناً للناس على بيان ما يحملونه من الحق عن قدرة واقتناع ، وليكونوا سداً منيعاً في مواجهة ما في الساحة العالمية من شهوات مفسدة ، وشبهات مضللة ، لا تقرها الفطر السليمة ، ولا العقول السوية .

د - الدعاة إلى الله تعالى ، سواء الذين جندوا أنفسهم لدعوة إخوانهم من أهل الإسلام ، أو ممن جندوا أنفسهم لدعوة الكفار ، وضرورة اقتفاء أثر هذه المنهجية في التفكير عند عرض الحق على الناس ، أو عند مجادلة الكافرين ، وذلك بالتي هي أحسن ، في مقدمات صحيحة تقود إلى نتائج صحيحة بإذن الله .



هـ - الفرق والمذاهب والجماعات والأحزاب التي تنتسب إلى الإسلام ، وتجعل من التعصب ، والهوى ، والعناد ، والآبائية المذمومة منهجا لها عند الجدل أو الحوار ، فترفض الحق بعدما يتبين ، ولو أنها تُربّي على أن تسلك مسلك القرآن الكريم في منهجيته العلمية في التفكير القائمة في طرحها على الدليل ، محتتبة معوقات التفكير العلمي التي نبه عليها القرآن الكريم ، لاتخذ صفها ، واجتمعت كلمتها ، ذلك أن الاجتماع من أعظم مقاصد الدين الإسلامي الحنيف .

وإن الباحث ليؤكد على أن كتاب الله تعالى لا تنقضي عجائبه ، وأن المواقف المتجددة في حياة الناس لتُحلّي فهم الأمة له ، وتعمق إيمانها به ، وتجعلها تعتقد من سويداء قلبها أن من حكم به عدل ، ومن عمل به - في أي جانب من جوانب الحياة - هُدي إلى صراط مستقيم .

### **اهداف الدراسة :**

الهدف الرئيس للدراسة يكمن في الآتي :

التعرف على منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم ، وكيف يمكن تطبيقها في المؤسسات الجامعية المعاصرة من خلال عضو هيئة التدريس الجامعي في طرائق التدريس وأساليب التقويم .  
ويتفرع عن هذا الهدف الرئيس الأهداف الفرعية التالية :

- ١- بيان مكانة العقل والعلم في القرآن الكريم وعلاقته بالتفكير العلمي .
- ٢- تحديد أبعاد التفكير العلمي في القرآن الكريم .
- ٣- توضيح أهداف وأساليب التفكير العلمي في القرآن الكريم .
- ٤- بيان معوقات التفكير العلمي كما نبه عليها القرآن الكريم .

### **أسئلة الدراسة :**

يمكن تحديد السؤال الرئيس للدراسة في الآتي :

ما الملامح العامة لمنهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم ، وكيف يمكن تطبيقها في المؤسسات الجامعية المعاصرة من خلال عضو هيئة التدريس الجامعي في طرائق التدريس وأساليب التقويم .  
ويندرج تحت السؤال الرئيس ، الأسئلة الفرعية التالية :

- س١- ما مكانة العقل والعلم في القرآن الكريم وما علاقته بالتفكير العلمي ؟ .
- س٢- ما أبعاد التفكير العلمي في القرآن الكريم .
- س٣- ما أهداف وأساليب التفكير العلمي في القرآن الكريم ؟ .
- س٤- ما معوقات التفكير العلمي كما نبه عليها القرآن الكريم ؟ .

## حدود الدراسة :

للعلمية التربوية وأبعاد كثيرة منها : السياسات التعليمية ، والأهداف التربوية ، والمعلم ، والمقرر ، والنشاط ، وطرائق التدريس ، وأساليب التقويم ، وغيرها .  
وسوف يقصر الباحث دراسته عند إعطاء التصور المقترح لتطبيق منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم ، على أهم هذه الأبعاد في العملية التعليمية والتربوية ، وخاصة في المرحلة الجامعية ، ألا وهو عضو هيئة التدريس الجامعي ، من خلال طرائق التدريس وأساليب التقويم .

## منهج الدراسة :

من مظاهر منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم : أهمية التناسب بين المجال المعرفي والمنهج العلمي المستخدم ، كيما تكون النتائج التي يتوصل إليها الباحث صحيحة منطقية مقنعة .  
والباحث يرى أن المنهج الملائم لطبيعة دراسته هو :  
أ - المنهج ( الاستقرائي ) وهو في اللغة مأخوذ من الفعل الماضي ( قرأ ) يقال : " قرأ الشيء قرأناً بالضم أيضاً : جمعه وضمه " (١) والجمع والضم لا يكون إلا لمتفرق الأجزاء ، وعليه فإن الاستقراء هو المنهج المعروف : " بالانتقال من الشواهد الجزئية إلى الحكم الكلي " (٢) حيث سيقوم الباحث باستقراء آيات القرآن الكريم المتعلقة بكل جانب من جوانب منهجية التفكير العلمي ، لإعطاء صورة كلية متكاملة عن التفكير العلمي في القرآن الكريم ، وقد استخدم هذا المنهج - للبحث في القرآن الكريم - غير واحد من علماء السلف رحمهم الله تعالى : " فتكلم عن ناحية واحدة من نواحيه المتشعبة المتعددة . . . وغير هؤلاء كثير من العلماء الذين قصدوا إلى موضوع خاص في القرآن يجمعون ما تفرق منه ، ويفردونه بالدرس والبحث " (٣) .

ب - المنهج ( الاستنباطي ) وهو في اللغة مأخوذ من الفعل الماضي ( نَبَطَ ) : " يقال نَبَطَ الماء نُبوطاً : نَبَعَ ، والبئر استخرج ماءها . . . واستنبط الفقيه : استخرج الفقه الباطن بفهمه واجتهاده " (٤) وقد عُرِفَ الاستنباط على جهة العموم بأنه : " كل ما يستخرجه الإنسان من مكنون سر أو غامض عام " (٥) وهو في اصطلاح أهل العلم بالشريعة الإسلامية : " استخراج دقائق المعاني وحقائق الحكمة من

(١) محمد الرازي ، مختار الصحاح ، ص ٤٧٠

(٢) ذوقان عبيدات وآخرون ، البحث العلمي ، ص ٣١

(٣) محمد الذهبي ، التفسير والمفسرون ، ج ١ ص ١٤٨-١٤٩

(٤) الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص ٨٨٩ - ٨٩٠

(٥) الخطابي ، غريب الحديث ، ج ١ ص ٢١

آيات الله عز و علا وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم " (١) والمتأمل يجد التناسب كاملا بين المعنى اللغوي ، والمعنى الاصطلاحي ، وهو المعنى الذي يريده الباحث من دراسته هذه ، فاستنباط الماء : إخراجها من باطن الأرض ، واستنباط الحكم والفوائد والأحكام في كل تخصص إخراجها من مظاهها ، وهو ما يهدف إليه الباحث حين يتبع منهجية التفكير العلمي ليستخرجها من القرآن الكريم ، وعليه ، تكون الصلة وشيخة بين المعنى اللغوي الذي يراد به : استخراج الماء من باطن الأرض ، والمعنى الاصطلاحي الذي يراد به : استخراج دقائق المعاني وحقائق الحكمة من المصدرين الكتاب والسنة ، وتكمن هذه الوشيخة في أمرين اثنين : في الطريقة ، وفي النتيجة ، فأما الطريقة : " فلا يكون استنباط الماء بغير اجتهاد و فراسة ، وكذلك استنباط العلم ، وكلما بالغ المرء في التوغل في أدبار الأرض كلما كان الماء أعذب وأنقى ، وكذلك العلم . . . [ وأما النتيجة ] : فكلاهما السبب الرئيسي لصورة من صور الحياة : بالأول حياة الأجساد ، وبالأخر قوام حياة الأرواح " (٢) وقد جاء التصريح بأهمية الاستنباط في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ

وَإِلَى أَوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (٣)

حيث تشير الآية الكريمة إلى أهمية الاستنباط من القرآن الكريم وذلك يكون : " يبذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة " (٤) وسوف يقوم الباحث - بإذن الله - بعدة خطوات إجرائية من أجل استقراء واستنباط منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم كجانب نظري في الدراسة ، ثم يضع هذه المنهجية في تطبيقات تربوية إجرائية كجانب تطبيقي تفيد منه المؤسسات الجامعية المعاصرة في بلاد المسلمين . وتكمن هذه الخطوات المنهجية الإجرائية التي سيستخدمها الباحث فيما يلي :

أولا : قراءة القرآن الكريم كاملا من بداية سورة الفاتحة إلى سورة الناس .

ثانيا : تدبر آيات القرآن الكريم عند القراءة ، ومراجعة ما له علاقة بموضوع الدراسة .

ثالثا : جمع نصوص القرآن الكريم المتعلقة بكل جانب من جوانب هذه المنهجية .

رابعا : تصنيف الآيات المتعلقة بكل جانب من جوانب هذه المنهجية .

خامسا : وضع كل تصنيف تحت الفصل الخاص به من فصول الدراسة .

سادسا : التركيز على كتب التفسير المعتمدة لفهم مراد الله تعالى من كل آية .

(١) محمود سعد ، سبل الاستنباط من الكتاب والسنة ، ص ١٥

(٢) محمود سعد ، سبل الاستنباط من الكتاب والسنة ، ص ١٥ - ١٦

(٣) - [سورة النساء: الآية ٨٣]

(٤) عبدالرحمن صالح وحلمي فودة ، المرشد في كتابة الأبحاث ، ص ٤٣

سابعا : الاستعانة ببعض المصادر والمراجع ، في أي فن من فنون المعرفة - عند الحديث عن أي جزئية من جزئيات هذه الدراسة ، لتدعيم آراء الباحث وما يتوصل إليه من نتائج .  
ثامنا : وضع ما يتوصل إليه الباحث من استنباطات متعلقة بمنهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم في تطبيقات تربوية إجرائية ، تفيد منها المؤسسات الجامعية المعاصرة في بلاد المسلمين ، من خلال عضو هيئة التدريس الجامعي في طرائق التدريس وأساليب التقويم .

## مصطلحات الدراسة :

منهجية :

قال الجوهري في مادة ( نهج ) : " النهج : الطريق الواضح ، وكذلك المنهج ، والمنهاج ، وأنهج الطريق : استبان ، وصار نهجا واضحا بينا . . . . ونهجت الطريق أيضا : إذا سلكته ، وفلان يستنهج سبيل فلان : أي يسلك مسلكه " (١) .

والباحث يريد بالمنهجية في هذه الدراسة أمرين : أولهما : تلك الطريقة الواضحة التي انتهجها القرآن وهو يبين مكونات منهجية التفكير العلمي بدءا بتحديد أداها وانتهاء ببيان معوقاتها مروراً ببيان أبعادها وأهدافها وأساليبها .

وثانيهما : تلك الطرق الواضحة السهلة الميسرة التي ينتهجها القرآن في تركيته للقدرات العقلية لدى المسلم ، وتدريبه على التفكير العلمي السليم .  
التفكير :

قال الجوهري في مادة ( فكر ) : " التفكير : التأمل . والاسم : الفكر والفكرة ، والمصدر : الفكر بالفتح . . . وأفكر في الشيء وفكر فيه وتفكر : بمعنى ، ورجل فكير . . . كثير التفكير " (٢)

وقال ابن منظور : " الفكر والفكر : إعمال الخاطر في الشيء ، وقال الليث : التفكير : اسم التفكير . . . والاسم : الفكر . . . والمصدر : الفكر . . . قال يعقوب : الفتح فيه أفصح من الكسر " (٣)  
وقال الفيروزآبادي : " الفكر : إعمال النظر في الشيء ، وفكر فيه وأفكر وفكر وتفكر وهو فكير كسكيت ، وفكير : كثير الفكر " (٤)

(١) الجوهري ، الصحاح ، ج ١ ص ٣٤٦

(٢) الجوهري ، الصحاح ، ج ٢ ص ٧٨٣

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ص ٦٥

(٤) الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص ٥٨٨

وعليه ، فمن خلال جمع مادة ( فكر ) من كتب اللغة ، يتبين أن هناك تلازما كبيرا بين معنى ( التفكير ) في هذه الدراسة ، وبين المعاني اللغوية ، فيكون معنى التفكير هو : التأمل وإعمال الخاطر والنظر في الشيء .

### التفكير العلمي :

يرى الباحث أن الكتب الحديثة التي تكلمت عن التفكير العلمي تقصره على جانب واحد فقط متعلق — في الغالب — بالعلوم البشرية التي تركز على حل ما يعترض الإنسان في حياته من مشكلات ، فقد جاء في بعض كتب البحث العلمي ومنهجيته تعريف للتفكير العلمي ، ومن ذلك قول بعضهم هو : " منهج أو طريقة منظمة يمكن استخدامها في حياتنا اليومية أو في أعمالنا ودراساتنا " [ ثم يقول ] : إن التفكير العلمي هو بالتأكيد نتيجة للجهود التي بذلها العلماء في بحثهم عن المعرفة الإنسانية " (١) ومنها العلوم الطبيعية حيث يحرص كثير ممن كتب عن طرائق التفكير ومنهج البحث مفهوم التفكير العلمي على هذه العلوم التي تقوم على المنهج التجريبي ، فأصبح التفكير العلمي قلصرا على جزء من المعرفة البشرية لا يتعداها إلى غيرها .

حتى أنهم جعلوا للتفكير العلمي أسسا أربعة مدارها على العقل البشري ، وهو ما أكده بعض الباحثين بقوله : " هنالك أربعة أسس للنهج الجديد للتفكير ، هذه الأسس الأربعة هي :

- ١- الاعتماد الكلي على العقل البشري .
  - ٢- الاعتماد على ما يبلغه الإنسان من خلال عقله البشري وبحثه من علوم .
  - ٣- عزل ذلك كله عن أي تصور إيماني أو ديني أو غيبي .
  - ٤- أخذ جزئية ثم جعلها قانونا عاما .
- [ ثم نقد ذلك فقال ] : هذا النهج في التفكير هو الذي يسمونه ( النهج العلمي للتفكير ) وأخذ بعض المسلمين هذا النهج بمصطلحاته ومعناه ومبناه ، وما تحمل كلمة ( العلم والعلمي ) من زخرف وزينه توحى بالقناعة والرضا " (٢)
- إن التفكير العلمي في القرآن الكريم أشمل مرادا ، وأوسع مدلولاً من كونه محصوراً في جانب واحد من جوانب المعرفة .

وعليه ، فإن الباحث يقصد بالتفكير العلمي : إعمال العقل من أجل اكتشاف حقيقة مجهولة ، أو البرهنة على حقيقة موجودة ، مما يتعلق بأمور الدنيا أو الآخرة ، في خطوات علمية ، منطقية ، مقصودة ، منظمة ، مدروسة ، محاطة بالتوجيه الرباني في قواعد كلية ، أو إجراءات تفصيلية

(١) ذوقان عبيدات وآخرون ، البحث العلمي ، ص ٤٨

(٢) عدنان النحوي ، النهج الإيماني للتفكير ، ص ٢٤

، سواء كان مجال هذا النوع من التفكير هي العلوم الشرعية أم الإنسانية أم الطبيعية ، وسواء كان ميدانيه الغيب (١) أم الشهادة .

وهو ما أكده بعض الباحثين بعد أن ساق جملة من تعريفات التفكير العلمي بقوله : " إن التفكير ليس حكرا على العلوم التطبيقية ، ولا على القضايا التجريبية ، وإنما هو طريقة في التفكير ذات منهجية منظمة ، وخطوات مقننة ، هدفها الحقيقة ، يمكن أن تطبق على المجالين النظري والتطبيقي " (٢)

وقد وصف الباحث التفكير في القرآن الكريم بـ ( العلمي ) ليفرق بينه وبين التفكير العادي العشوائي ، لأنه لا يوجد في القرآن الكريم إلا وصف واحد للتفكير وهو أنه ( علمي ) منطقي ، منضبط ، مقنع ، قائم على توجيهات ربانية تحدد مساره ، وترسم طريقه ، ليصل إلى نتائج صحيحة فيما يتناوله من قضايا .

### القرآن الكريم :

هو أعظم الكتب السماوية التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله عليهم السلام ، وقد عرفه بعض أهل العلم فقالوا ، هو : " كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته " (٣) ولم يذكر التعريف أمرا مهما جدا في تمييز القرآن الكريم عن غيره وهو الإعجاز ، وهو ما استدركه بعض من كتب في علوم القرآن فقال : " القرآن هو كلام الله المعجز ، ووحيه المنزل على نبيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، المكتوب في المصاحف ، المنقول عنه بالتواتر ، المتعبد بتلاوته " (٤)

ومن المناسب أن يزيد الباحث على التعريفين السابقين ( المحفوظ من التحريف والتبديل ، الناسخ لما قبله من الكتب السماوية )

وقد زاد الباحث هذين الوصفين لمواجهة تلك الدعوات المغرضة التي تدعو إلى وحدة الأديان ، المتضمنة للمساواة بين القرآن والتوراة والإنجيل المحرفين على أيدي المغضوب عليهم والضالين .

### المؤسسات الجامعية المعاصرة :

عرف بعض الباحثين الجامعة بأنها : " المؤسسة التي تعد أصحاب المهن الراقية من أطباء ومهندسين ومحاسبين ورجال قانون ومعلمين " (٥)

(١) يقصد الباحث بالغيب هنا ، ما غاب عن حواس الإنسان ، مما هو موجود في عالم الشهادة ، حتى يكشف .

(٢) نايف الشريف ، التربية الإسلامية وقضية التفكير العلمي ، ص ٥٧

(٣) مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن ، ص ٢١

(٤) محمد الصباغ ، لمحات في علوم القرآن ، ص ٦

(٥) عبدالعزيز السنبل وآخرون ، نظام التعليم في المملكة العربية السعودية ، ص ٢٨٨

وهو تعريف يشوبه شيء من القصور ، فليس تعريف الجامعة مقتصر على ما ذكر .  
والباحث يقصد بالمؤسسات الجامعية المعاصرة : هي تلك المؤسسات التربوية والتعليمية المنتشرة في  
بلدان العالم الإسلامي اليوم ، التي تعنى بتعليم ما فوق المرحلة الثانوية ، وتقوم بمهام متعددة كالأبحاث  
العلمية وخدمة المجتمع .

### **للدراست السابقة :**

من خلال مساءلة الباحث لبعض الجامعات ومراكز البحث العلمي لم يعثر الباحث على  
دراسة تناولت التفكير العلمي في القرآن الكريم ، غير أن هناك دراسة علمية واحدة ، لها علاقة  
بموضوع الدراسة ، وعنوانها : ( التربية الإسلامية وقضية التفكير العلمي ) تقدم بها الباحث : نايف  
بن حامد بن همام الشريف إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية بجامعة أم القرى بمكة  
المكرمة ، عام ١٤١١هـ . وكان عمل الباحث فيها على النحو التالي :

**أولاً : هدف الدراسة :** حدد الباحث دراسته في النقاط التالية :

- ١- التعرف على طبيعة التفكير العلمي ، وتحديد مفهوم واضح للتفكير العلمي ،  
ومحدداته .
- ٢- التعرف على تحديد التصور الإسلامي للتفكير العلمي في عناصره الأساسية .
- ٣- التعرف على التفكير العلمي وتطبيقاته في بعض المذاهب الغربية ونقدها في ضوء  
المنظور الإسلامي .
- ٤- محاولة إبراز أصالة التربية الإسلامية في تناولها للتفكير العلمي وتنميته هدفاً ومحتوى  
وطريقة .

**ثانياً : منهج الدراسة :**

اعتمد الباحث على المنهج الاستنباطي عند تعرضه للدراسات والمراجع التي تناولت التفكير العلمي من  
زاوية فلسفية ونفسية وتربوية عديدة ، وإن كانت في طبيعتها متكاملة ، بهدف إبراز معيارية التفكير  
العلمي ، وتحديد مجالاته ، وضوابطه ، وعلاقة ذلك بأبعاد العملية التربوية ، والتي حددها الباحث  
بالهدف والمحتوى والطريقة ، كما اعتمد الباحث على هذا المنهج عند الرجوع إلى القرآن الكريم  
والسنة المطهرة وعلومهما لدراسة بعض الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة التي تناولت  
التفكير العلمي من جوانب متعددة ، في محاولة لإبراز معالم التفكير العلمي ومحدداته ومجالاته  
وضوابطه من المنظور الإسلامي ، كما استخدم الباحث المنهج المقارن ، عند مقارنة مفهوم التفكير  
العلمي في بعض المذاهب التربوية الغربية كالمثالية والطبيعية والبراجماتية ، لإبراز محددياته ومجالاته  
وضوابطه فيها ، ثم مقارنتها بالتفكير العلمي من المنظور الإسلامي ، لإبراز أصالة الرؤية التربوية  
الإسلامية

ثالثا : نتائج الدراسة : وقد توصل الباحث في دراسته إلى بعض النتائج كان من أهمها :

- ١- أن المفهوم الصحيح للتفكير العلمي شامل ومتكامل يتسع لجميع مجالات الحياة وجوانب المعرفة ، وأنه يتطلب بعض الضمانات والضوابط ليكون فعالا وإيجابيا .
- ٢- أن مفهوم التفكير العلمي في الفلسفات المثالية والطبيعية والبراهمية في غاياته ومجالاته ومصادره يعتريه الكثير من الخلل مما انعكس على مضامينه التربوية في كل منها هدفا ومحتوى وطريقه ، وذلك لبعدها عن الاسترشاد بالهدى الإلهي الكريم .
- ٣- أن مفهوم التفكير العلمي في الإسلام مفهوم شامل ومتكامل لكمال مصدره وهو الوحي الإلهي ، ولتميز خصائصه وتوفر الضمانات الكافية له ، وتحديد الضوابط المطلوبة لضمان صوابه .

- ٤- أن المضمون التربوي لمفهوم التفكير العلمي في التربية الإسلامية يتميز بالفعالية والإيجابية في الأهداف والمحتوى والطريقة .
- الفرق بين الدراسة السابقة والدراسة الحالية :

تناولت الدراسة السابقة التفكير العلمي بصورة عامة ، وركزت على المقارنة - في قضية التفكير العلمي - بين التفكير في الإسلام ، وبين الفلاسفة القدامى من جهة ، والفلسفات التربوية المعاصرة - كالمثالية والطبيعية والبراهمية - من جهة أخرى ، ولما جاء الحديث عن التربية الإسلامية ركز الباحث على أبعاد العملية التعليمية والتربوية التي تناولها وهي : الهدف والمحتوى والطريقة ، أما الدراسة الحالية فيمكن للباحث أن يصفها بأنها دراسة تأصيلية تربوية إسلامية صرفة ستعمق في دراسة منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم ، من خلال الحديث عن أبعادها ، وأبعادها وأهدافها وأساليبها ، ومظاهرها ، ومعوقاتها التي نبه عليها القرآن الكريم ، وكيف يمكن للمؤسسات الجامعية المعاصرة في بلاد المسلمين أن تحيلها إلى تطبيقات تربوية في حياتها المعاصرة ، من خلال عضو هيئة التدريس الجامعي في طرائق التدريس وأساليب التقويم .



## الفصل الأول

**العقل والعلم في القرآن الكريم ، ويشمل :**

**أولاً : العقل في القرآن الكريم :**

**مفهوم العقل في القرآن الكريم**

**مكان العقل في القرآن الكريم**

**مكانة العقل في القرآن الكريم**

**علاقة العقل بالتفكير العلمي في القرآن الكريم**

**ثانياً : العلم في القرآن الكريم :**

**مفهوم العلم في القرآن الكريم**

**مكانة العلم في القرآن الكريم**

**المنظرة الشاملة للعلم في القرآن الكريم**

**مفهوم التفكير العلمي في القرآن الكريم**

**اثر توجيهات القرآن الكريم - في الدعوة إلى التفكير العلمي - على**

**علماء المسلمين في مختلف جوانب المعرفة**

## مدخل للفصل :

جعل الإسلام — من خلال مصدره الأساسيين كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم — العقل مناط التكليف ، وجعله المرتكز الذي تقام به أمور الدنيا والآخرة ، ومن خلاله تتحقق مصالح الدنيا والدين ، والمتدبر لكتاب الله تعالى يجد مصداق ذلك واضحا في ثنايا سوره وآياته .

كما أن العلم لم ينل من العناية حظا وافرا كما ناله في مصادر التشريع الأساسية في الإسلام كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث بدأت أول آية نزلت من القرآن الكريم بالدعوة إلى القراءة وتحصيل المعرفة قبل أي نشاط يقوم به الإنسان على الأرض ، لتكون جميع أنشطة الإنسان المسلم على ظهر هذه الأرض ، مبنية على القراءة النافعة ، والمعرفة الصحيحة ، ليسعد الإنسان على ظهر هذه الأرض وهو يعيش حياته الدنيوية قبل سعادته الأبدية المنتظرة عند ربه في الدار الآخرة .

ولبيان ذلك حاول الباحث — في هذا الفصل — أن يبين مفهوم العقل في القرآن الكريم ، وأن يجدد مكانه من الجسد ، وأن يبين مكانته من الدين من خلال ما جاء في القرآن الكريم ، فإذا اتضحَت هذه الرؤى كلها ، بين الباحث كيف ربط القرآن الكريم بين العقل وبين التفكير العلمي .

ثم يعرج الباحث على العلم فيبين مفهومه ، ومكانته في القرآن الكريم ، ثم يبين نظرة القرآن الكريم للعلم ، وهل هو مقتصر على جانب واحد من جوانب المعرفة ، أم أنه شامل لجميع المعارف النافعة ، من خلال دعوته إليها ، وحضه عليها .

ثم يبين الباحث المراد من التفكير العلمي الذي حض عليه القرآن الكريم ، وكيف ألزم المسلم أن يجعل من التفكير العلمي منهجا له في حياته وهو يعالج قضايا دينه ودنياه .

ثم يختم الباحث هذا الفصل بعرض بعض النماذج من علماء أمتنا المسلمة في تخصصات مختلفة منها النظري والتطبيقي ، وكيف استجابوا لدعوة القرآن الكريم وهو يحض على التفكير العلمي ، فكانوا شموعا استضاء بعلمهم العالم كله ، وما تزال النداءات البشرية المنصفة في الأرض تدين للأمة المسلمة بالفضل لكونها فتحت للبشرية الباب على مصراعيه في مختلف جوانب المعرفة فكانت كثير من معارف هذه الأمم وعلومها غريبة الشكل إسلامية الأصل ، غير أن الأيام دول ، وسنة الله في خلقه لا تتغير ، ذلك أن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فإن الأمة المسلمة حين غفلت عن دينها ، وتراخت في أمرها ، تراجعت عن مكان الصدارة ، ليتبوأه غيرها ، وخاصة في العلوم المادية ، لكن الأمة المسلمة من خلال موعود الله تعالى ، ستنفض عنها غبار التخلف ، وستراجع دينها ، وتجعله معيارها في جميع أمور حياتها ، لتعود لقيادة البشرية من جديد ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، وفيما يلي بيان لموقف الإسلام من العقل والعلم في كتاب الله الكريم .

**أوة : للعقل في القرآن الكريم وعلاقته بالتفكير العلمي :**  
**منهوم العقل في القرآن الكريم :**

بعد أن تتبع الباحث الآيات التي وردت في القرآن الكريم لم يجد آية واحدة ذكرت العقل من حيث حقيقته وكنهه بصيغة الاسمية ، ولكنها جميعا جاءت بصيغ الأفعال في الأفراد والجمع والحضور والغيبة ، مثل : تعقلون ، يعقلون ، عقلوه ، نعقل ، يعقل " حيث وردت الإشارة إليه في مواضع

متعددة من آيات القرآن في صيغ مختلفة بذكر مشتقاتها في تسع (١) وأربعين موضعا " (٢) .

وإن كان الباحث يرى أن القرآن الكريم قد جاء بالفاظ مرادفة للعقل ، وبصيغة المصدر في عدة مواضع من كتاب الله الكريم ، منها :

أ - ( الحجر ) وقد ورد ذكره في القرآن الكريم - بمعنى العقل - مرة واحدة ، كما في

قوله تعالى : ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ (٣) قال الطبري -

رحمه الله - في تفسيره : " فأما معنى قوله لذي حجر : فإنه لذي حِجَى وذو عقل " (٤) .

ب - ( التهي ) وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في موضعين اثنين ، منها قوله تعالى :

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي أَلْبَابٍ ﴾ (٥) قال القرطبي - رحمه الله

- في تفسيره : " أي العقول " (٦) ومفردها عقل .

(١) الصواب : " في تسعة " لأن العدد هنا يخالف المعدود ، فإذا كان المعدود هي المواضع ، ومفردها موضع ، وهو مذكر ، فإن العدد يكون مؤنثا ، فيقال : تسعة مواضع .

(٢) عبد الكريم زهد ، دور العقل في التربية الإسلامية ، ص ٥٦

(٣) - [سورة الحجر: الآية ٥]

(٤) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ج ٣٠ ص ١٧٣

(٥) - [سورة طه: الآية ٥٤]

(٦) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١١ ص ٢١٠

ج - (الألباب) وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم ست عشر مرة ، منها قوله تعالى :

﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (١) قال القرطبي - رحمه الله - في

تفسيره : " أي : أصحاب العقول ، واحدها : لبٌ " (٢)

وقال السيوطي - رحمه الله - في تفسيره في معنى أولي الألباب : " أولوا العقول من الناس "

(٣) وقال النووي رحمه الله : " وأما اللب فهو العقل " (٤)

د - (الأحلام) وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم - بمعنى العقول - مرة واحدة ، كما

في قوله تعالى : ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ

﴾ (٥) قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره : " أي عقولهم " (٦) ومفردتها حُلْم ، وقلل

أبو السعود - رحمه الله - في تفسيره : " يقولون ما يقولون من الأكاذيب الخارجة عن دائرة العقول

والظنون " (٧)

هـ - (الأبصار) وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم - بمعنى العقول - أربع مرات ، منها

قوله تعالى : ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي

الْأَبْصَارِ﴾ (٨) قال الطبري - رحمه الله - في تفسيره ، في معنى أولي الأبصار : "

ممن له فهم وعقل " (٩) وكما في قوله تعالى عن أنبيائه عليهم الصلاة والسلام : ﴿وَأذْكُر

(١) - [سورة ص: الآية ٢٩]

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٥ ص ١٩٢

(٣) السيوطي ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، ج ٥ ص ٥٧٨

(٤) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج ٢ ص ٤٢٦

(٥) - [سورة الطور: الآية ٣٢]

(٦) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ص ٢٨٧

(٧) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٨ ص ١٥٠

(٨) - [سورة النور: الآية ٤٤]

له فهم وعقل " (١) وكما في قوله تعالى عن أنبيائه عليهم الصلاة والسلام : ﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾ (٢) قال الطبري

— رحمه الله في تفسيره قال ابن عباس رضي الله عنه قال : " الأيدي القوة في أمر الله ، والأبصار

العقول " (٣)

و — ( الفؤاد ) وقد ورد ذكر الفؤاد في القرآن الكريم ست عشرة مرة ، تارة بصيغة الإفراد

، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ

عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (٤)

وتارة بالجمع كما في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ

أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ

وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٥)

(١) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ج ١٨ ص ١١٩

(٢) - [سورة ص: الآية ٤٥]

(٣) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ج ٢٣ ص ١٧٠

(٤) - [سورة الإسراء: الآية ٣٦]

(٥) - [سورة النحل: الآية ٧٨]

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره بعد أن ذكر مئة الله تعالى على عباده في إيجلدهم : " ثم بعد هذا يرزقهم تعالى السمع الذي به يدركون الأصوات ، والأبصار التي بها يحسون المرئيات ، والأفئدة - وهي العقول - التي مركزها القلب على الصحيح " (١) وقال ابن عاشور : " والأفئدة

: جمع الفؤاد ، وأصله القلب ، ويطلق كثيرا على العقل وهو المراد هنا " (٢) .

ح - ( القلب ) وورد ذكر القلب في القرآن الكريم بمعنى العقل في اثنين وثلاثين ومائة

موضع ، منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ

أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۗ ﴾ (٣) قال القرطبي - رحمه الله - في تفسير

هذه الآية ، في معنى القلب هنا : " أي عقل يتدبر به ، فكأن بالقلب عن العقل لأنه موضعه " (٤)

وقال صديق خان بعد أن ذكر جملة من الأقوال في معنى القلب : " وقيل القلب نفسه لأنه إذا

كان سليما أدرك الحقائق وتفكر كما ينبغي " (٥)

وعليه ، فإن القلب يطلق ويراد به أمران : الأول : تلك المضغة الصنوبرية التي خلقها الله تعالى في جوف ابن آدم ، وهي على هذا المعنى جزء من عالم الشهادة ، كما هو معروف في عالم الطب الجسدي ، والثاني : تلك اللطيفة الروحانية التي لا يعلم أحد بحقيقتها ، وهي على هذا المعنى جزء من علم الغيب الذي استأثر الله - تعالى - بعلمه ، وقد جاء معنى هذين الأمرين في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ص ٧١٥

(٢) ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج ٧ ص ٢٣٢

(٣) - [سورة ق: الآية ٣٧]

(٤) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٧ ص ٢٣

(٥) صديق خان ، فتح البيان في مقاصد القرآن ، ج ٩ ص ١١٠

الجسد كله إلا وهي القلب )) (١) قال ابن حجر - رحمه الله - عن المضغة : " أي قدر ما يمضغ

، وعبر بها هنا عن مقدار القلب في الرؤية " (٢)

وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم القلب بأنه مضغة ، والمضغة كما يقول العرب في

كلامهم هي : " قطعة اللحم ، وقلب الإنسان مضغة من جسده " (٣) وهي شبيهة بالمضغة التي يلوكها

الإنسان في فيه ، ومنه قول العرب : " المضغة من اللحم : قدر ما يلقي الإنسان في فيه " (٤) وهذا

وصف حسي مشاهد ، فإن القلب في عالمه الحسي قطعة لحم ، وهو في عالمه الغيبي مما استأثر الله تعالى بعلمه .

وتنجلي في هذا الإنسان مكوناته المادية والروحية ، فهو قبضة من دين ، ونفخة من روح ، والروح الغيبية هذه متعلقة بالقلب الحسي المادي ، كما أن العقل متمركز في القلب ، ذلك أن : " الإنسان لحم ودم ودورة دموية ، إنما هو مخلوق خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وجعل له هذا

القلب الصنوبري سببا من أسباب الحياة ، ومركزا للفؤاد واللب " (٥)

هذه جملة من مرادفات ( العقل ) التي وردت في كتاب الله الكريم على صيغة المصدر ، إلا أنها جميعا لا تعطي تعريفا للعقل ، مما يؤكد على أهمية البحث في ( أفعال العقل وثمراته ) دون

الخوض في حقيقته وكنهه ، فإن البحث في ذلك مما تتعذر معه المنفعة ، حتى قال بعضهم (٦) :

سل الناس إن كانوا لديك أفاضلاً عن العقل وانظر هل جوابٌ يُحصَلُ

فإذا عجز الناس عن معرفة حقيقة العقل وكنهه ، وجب التركيز على مهامه ، التي سيأتي

ذكرها في موطنها من البحث بإذن الله تعالى .

(١) البخاري ، صحيح البخاري ، ص ٣٤ ، حديث رقم ( ٥٢ ) ورواه مسلم في صحيحه ، ص ٦٥١ ، حديث رقم ( ١٥٩٩ )

(٢) ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ١ ص ١٢٨

(٣) الجوهري ، الصحاح ، ج ٤ ص ١٣٢٦

(٤) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٨ ص ٤٥١

(٥) سلمان اليماني ، القلب ووظائفه في الكتاب والسنة ، ص ١٤٦

(٦) السمعاني ، قواطع الأدلة ، ج ١ ص ٢٧

ولكن أهل العلم قد حاولوا من قبل أن يضعوا للعقل حداً يميزه عن غيره ، فكانوا يتناولونه من جوانب مختلفة ، هي التي سببت اختلافهم في بيان حدّه ، وفي هذا يقول الإمام الغزالي - رحمه الله - في الإحياء : " اعلم أن الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته ، وذهل الأكترون عن كون هذا الاسم مطلقاً على معان مختلفة ، فصار بذلك سبب اختلافهم [ غير أن هؤلاء الناس الذين ذكرهم الغزالي - رحمه الله - لم يخرجوا عن أربعة معان في تعريفهم للعقل ، وهي ما أكده ابن الجوزي - رحمه الله - بقوله : ] " واعلم أن التحقيق في هذا أن يقال : هنا الاسم أعني العقل ينطلق بالاشتراك على أربعة معان :

الأول : الوصف الذي يفارق به الإنسان سائر البهائم ، وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية ، وتدبير الصناعات الخفية الفكرية ، وهو الذي أراده من قال غريزة ، وكأنه نور يقذف في القلب ، يستعد به لإدراك الأشياء .

الثاني : ما وضع في الطباع من العلم بجواز الحائزات ، واستحالة المستحيلات .

الثالث : علوم تستفاد من التجارب تسمى عقلاً ، زاد الغزالي على هذا قوله : " فإن من حكته التجارب ، وهذبه المذاهب ، يقال إنه عاقل في العادة ، ومن لا يتصف بهذه الصفة ، فيقال إنه غبي غمر جاهل " (١)

الرابع : أن منتهى قوته الغريزية إلى أن نطمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ، والناس

يتفاوتون في هذه الأحوال ، إلا في القسم الثاني ، الذي هو العلم الضروري (٢) .

وقد جمع شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بين هذه الأقوال فقال : " والصحيح أن

العقل يتناول هذا وهذا " (٣) أي يتناول جميع ما ذكره أهل العلم ، من كونه غريزة ، وكونه تدرك به الأمور البديهية ، وكونه تدرك به العلوم النظرية والتجريبية ، وكونه حابساً للإنسان ومانعاً له من الوقوع في الرذائل والمستقبحات من الأقوال والأفعال ، وهو ما أكده - رحمه الله - في رده على

(١) أبو حامد الغزالي ، الإحياء ، ج ١ ص ٨٥

(٢) ابن الجوزي ، الأذكياء ، ص ١٠

(٣) ابن تيمية ، الفتاوى ، ج ٩ ص ٢٨٧



المنطقيين ، فقد ذكر أن العقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه ، ولا العمل بلا علم ،  
إنما يتناول الأمرين معا العلم والعمل . (١)

ولكن هذا لا يمنع أن يعطي الباحث تعريفا للعقل يجمع هذه المعاني كلها ، بل ويفيد معانٍ  
أخرى زائدة ، فيكون حده : غريزة خلقها الله سبحانه في الإنسان على صورة لا يمكن إدراك  
حقيقتها ، وميّزه بها عن غيره من المخلوقات ، يفرق بها بين الجائز والمحال ، وتذكر بها العواقب  
والأحوال ، لها طاقات محدودة ، تقوم بوظائف فطرية ومكتسبة ، تستجمل الجميل ، وتستقبح القبيح  
، في غالب الأمر ، وهي — في نظر الإسلام — مناط التكليف .

### مكان العقل في القرآن الكريم :

اختلف العلماء في تحديد مكان العقل ، بناءً على عدم معرفتهم بحقيقته ، فمنهم من يرى أن  
العقل في الرأس ، أي في الدماغ ، واستدلوا على ذلك بدليل عقلي مفاده : أن الإنسان إذا ضرب  
على رأسه ذهب عقله ، وقد ذكر الإمام القرطبي — رحمه الله — في تفسيره أن بعضهم نسب هذا  
القول إلى الإمام أبي حنيفة — رحمه الله — ، ولكنه نفاه عنه ، فقال : " وقد قيل إن العقل محله الدماغ  
، وروي عن أبي حنيفة ، وما أراها عنه صحيحة " (٢) ولعل هذا القول منسوب إلى بعض أصحاب

أبي حنيفة — رحمه الله — لا إليه . (٣)

وأما استدلال بعضهم على أن العقل في الرأس بكون الإنسان إذا ضرب على رأسه ذهب  
عقله فهو استدلال في غير مكانه ، ولهذا قال القاضي أبو يعلى — رحمه الله — : " وما ذكروه من  
زوال العقل بضرب الرأس فلا يدل على أنه محله ، كما أن عصر الخصى يزيل العقل والحياة ولا يدل  
على أنها محله \* " (٤)

(١) ابن تيمية ، الرد على المنطقيين ، ص ١٩٦ بتصرف .

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٢ ص ٧٧

(٣) السمعاني ، قواطع الأدلة ، ج ١ ص ٣٠

(٤) أبو يعلى ، العدة في أصول الفقه ، ج ١ ص ٩٣—٩٤

\* جاء في الأصل ( ولا يدل على أنها محلها ) والباحث يظن أن الصواب ما أثبتته أعلاه .

كما نقل الرازي — رحمه الله — في تفسيره كلام من يرى أن العقل محل الدماغ ، فقال : " وعند قوم أن محل التفكير هو الدماغ [ ثم رد عليهم فقال ] : فالله تعالى يبين أن محل ذلك هو الصدر "

(١)

ومنهم من يرى أن العقل في القلب ، وهو ما عليه جمهور العلماء والمفسرين كما تقدم ، وهو ظاهر النصوص الواردة في القرآن الكريم ، وهو كلام علي بن أبي طالب وأبي هريرة وكعب بن

مالك رضي الله عنهم أجمعين حيث قالوا : إن العقل في القلب (٢)

ومنهم من وازن بين أقوال أهل العلم في هذه المسألة ، ثم خرج برأي مفاده : العقل في القلب وله تعلق بالدماغ ، ومن ارتأى هذه الرأي شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله — بعد أن بين المراد من لفظ ( القلب ) حيث يقول : " وقد يراد بالقلب باطن الإنسان مطلقا ، فإن قلب الشيء باطنه . . . وعلى هذا فإذا أريد بالقلب هذا ، فالعقل متعلق بدماغه أيضا ، ولهذا قيل : إن العقل في الدماغ ، كما يقوله كثير من الأطباء ، ونقل ذلك عن الإمام أحمد ، ويقول طائفة من أصحابه : إن

أصل العقل في القلب ، فإذا كمل انتهى إلى الدماغ " (٣)

ومن نصر هذا الرأي ابن القيم — رحمه الله — حيث يقول : " ولهذا كان الرأي الصحيح أنه [ أي القلب ] أول الأعضاء تكويننا ، ولا ريب أن مبدأ القوة العاقلة منه ، وإن كان قد خالف في ذلك آخرون ، وقالوا : بل العقل في الرأس ، فالصواب : أن مبدأه ومنشأه من القلب ، وفروعه

وثمرته في الرأس ، والقرآن قد دل على هذا " (٤)

وعليه فإن الباحث يرى أن مكان العقل في القلب ، ولا مانع أن يكون له تعلق بالدماغ ،

وقد دل على أن العقل في القلب أكثر من مائة وثلاثين آية في كتاب الله تعالى ، منها قوله تعالى : ﴿

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ

(١) الرازي ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ج ١٢ ص ٤٦

(٢) أبو يعلى ، العدة في أصول الفقه ، ج ١ ص ٩٢-٩٣

(٣) ابن تيمية ، الفتاوى ، ج ٩ ص ٣٠٣

(٤) ابن القيم ، مفتاح دار السعادة ، ص ٢٣٠

ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى

الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ (١) ففي الآية الكريمة رد سبحانه كل وظيفة

إلى مصدرها الحقيقي ، فوظيفة السمع تعود إلى مصدرها الحقيقي وهو الأذن ، ووظيفة العقل تعود إلى مصدرها الحقيقي وهو القلب ، وهو ما أكد عليه الإمام القرطبي — رحمه الله — في تفسيره حيث

يقول : " أضاف العقل إلى القلب لأنه محله ، كما أن السمع محله الأذن " (٢) وقال ابن حجر —

رحمه الله — بعد أن ساق حديث المضغة : " ويستدل به على أن العقل في القلب . . . وعبر عنه [

أي عن العقل ] بالقلب لأنه محل استقراره " (٣) ولا يمنع أن يكون للقلب تعلق بالدماغ ، كما سبق

بيانه ، والعلم عند الله تعالى .

### مكانة العقل في القرآن الكريم :

للعقل في الإسلام منزلة رفيعة لا تدانيها منزلة ، وكيف لا يكون كذلك ودين الله — تعالى — الذي أنزله على خلقه في كتابه الكريم ، وفي سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، قد جعل القيام به منوطاً بوجود العقل : " فإذا فقد [ أي العقل ] ارتفع التكليف ، وعُد فاقده كالبهيمة لا تكليف عليه

" (٤)

وعليه فإن قلم التكليف — وما يترتب عليه من ثواب وعقاب — مرفوع عند العبد ما دامت هذه الأداة غير موجودة ، يؤيد هذا ما رواه أبو داود — رحمه الله — بسنده إلى أم المؤمنين عائشة — رضي الله — عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( رفع القلم عن ثلاثة :

عن النائم حتى يستيقظ ، وعن المتلى حتى يبرأ ، وعن الصبي حتى يكبر )) (٥) قال العظيم آبادي

(١) - [سورة الحج: الآية ٤٦]

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٢ ص ٧٧

(٣) ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ١ ص ١٢٩

(٤) الشاطبي ، الموافقات ، ج ٣ ص ١٣

(٥) أبو داود ، سنن أبي داود ، ج ٢ ص ٥٤٤ - حديث رقم (٤٣٩٨) والحديث صححه الألباني — رحمه الله — في صحيح سنن

أبي داود ج ٣ ص ٨٣١ حديث رقم (٣٦٩٨) .

في شرحه لمعنى المبتلى: "أي المبتلى بالجنون" (١) وفي بيان معنى رفع القلم ، ذكر الإمام العظيم

آبادي — رحمه الله — احتمالين عند شرحه للحديث فقال في أحدهما (٢): "والاحتمال الثاني أن

يراد حقيقة القلم الذي ورد فيه الحديث : (( أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب ما هو كائن إلى

يوم القيامة )) (٣) فأفعال العباد كلها حسنها وسيئها يجري به ذلك القلم ويكتبه حقيقة ، وثواب

الطاعات ، وعقاب السيئات ، يكتبه حقيقة ، وقد خلق الله ذلك ، وأمر بكتبه ، وصار موضوعا على

اللوحة المحفوظ ، ليكتب ذلك فيه جاريا إلى يوم القيامة ، وقد كتب ذلك ، وفرغ منه ، وحفظ ،

وفعل الصبي والجنون والنائم لا إثم فيه ، فلا يكتب القلم إثمه ، ولا التكليف به ، فحكم الله بأن القلم

لا يكتب ذلك من بين سائر الأشياء " (٤)

وهذا ما يؤكد على أن أفعال العبد كلها ، سواء كانت مما يتعلق بأمر دينه أو دنياه ،

مدارها على وجود العقل ، فكأن العقل هو كل شيء في الإنسان ، فالقيام بشرع الله تعالى في أرضه

— وهي المهمة التي خلق الله الوجود كله من أجلها — منوط بوجود العقل ، كما أن أمور الدنيا

مدبرة بوجوده ، وحين تُغيب هذه النعمة ، أو تُغيب تكون الحياة فوضى لا معنى لها ، وقد تنزهه

الخالق سبحانه أن يخلق البشر على الأرض دون أن يكون لحياتهم معنى ، فقال سبحانه : ﴿ وَمَا

خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ

الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴿٥﴾

(١) العظيم آبادي ، عون المعبود ، ج ١٢ ص ٧٣

(٢) اختار الباحث هذا الاحتمال حملا للفظ على ظاهره ، لعدم وجود الدليل أو القرينة التي تدل على الجاز ، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع نصوص الوحي في الكتاب والسنة .

(٣) أبو داود ، سنن أبي داود ، ج ٢ ص ٦٣٨ - حديث رقم ( ٤٧٠٠ ) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ج ٣ ص ٨٩٠ حديث رقم ( ٣٩٣٣ ) .

(٤) العظيم آبادي ، عون المعبود ، ج ١٢ ص ٧٢

(٥) - [سورة ص: الآية ٢٧]

لقد بلغت عناية القرآن الكريم بالعقل إلى درجة لا يكاد يجد المتأمل فيه سورة إلا وهي تحت على التفكير وتدعو إلى التأمل والنظر ، بصيغ مختلفة ، كل له مناسبه في سياق الكلام ، وكل ذلك

:" لتؤكد النهج القرآني الفريد في الدعوة إلى الإيمان وقيامه على احترام العقل " (١)

يقول القرطبي — رحمه الله — في تفسيره حول بيان منزلة العقل ومكانته من الدين : " فإن العقل لكل فضيلة أس ، ولكل أدب ينبوع ، وهو الذي جعله الله للدين أصلا ، وللدينا عمادا ،

فأوجب الله التكليف بكماله ، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه " (٢)

وكيف لا تكون منزلة العقل في الإسلام رفيعة العماد وقد جعل الإسلام دية العقل كدية النفس المسلمة المعصومة حين تزهد ، حتى قال ابن قدامة — رحمه الله — لا نعلم في هذا خلافا [ إلى أن قال ] : ولأنه أكبر المعاني قدرا ، وأعظم الحواس نفعا ، فإن به يتميز [الإنسان] عن البهيمة ويعرف حقائق المعلومات ، ويهتدي إلى مصالحه ، ويتقي ما يضره ، ويدخل به في التكليف ، وهو شرط في ثبوت الولايات ، وصحة التصرفات ، وأداء العبادات ، فكان بإيجاب الدية أحق من بقیة

الحواس " (٣)

كما أن بيان منزلة العقل من الدين — من خلال ما ورد في كتاب الله تعالى — يمكن في النقاط التالية :

الأولى : من خلال العلاقة بين الدماغ والقلب ، فقد سبق أن مكان العقل في القلب وإن كان له تعلق بالدماغ ، وعليه يكتسب العقل أهميته من خلال أهمية القلب في جسد ابن آدم .  
الثانية : يتفق المسلمون جميعا على أن صلاح الجوارح مرهون بصلاح القلب وأن فساده مرهون بفساده ، فهو الملك ، والجوارح رعيته ، تصلح بصلاحه ، وتفسد بفساده ، وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (( ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا

فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب )) (٤)

(١) فهد الرومي ، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ، ص ٣٠

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٥ ص ٢٦١

(٣) ابن قدامة ، المعني ، ج ٨ ص ٣٧

(٤) سبق تحريجه ص ٣٢

الثالثة : أن القرآن الكريم ، إنما أنزله الله — تبارك وتعالى — ليتزكى به الإنسان ، ويهدى للتي هي أقوم ، في كل شأن من شؤون حياته ، ومناطق الهداية هو القلب ، المتصل بالدماغ .  
 الرابعة : إن أول خطوة من خطوات ترقية هذا الإنسان ، تتوجه إلى قلبه لتربطه بخالقه ، وتؤسس فيه عقيدة التوحيد ، التي عليها مدار حياته ، فيما يتعلق بأمر دينه ودينه ، فإذا كان مبدأ القوة العاقلة هو القلب ، ومنتهاها إلى الدماغ ، كان الصواب في المنتهى مرهونا بالصواب في الابتداء ، وهو ما أكد عليه الإسلام ، حين جعل الخطوة الأولى لتزكية الإنسان ، تتوجه إلى قلبه ، دون غيره من الجوارح .

لمثل هذه الأمور مجتمعة ، كانت العناية بالعقل في القرآن الكريم ، على صورة لم تكن في غيره من الكتب على الإطلاق ، سواء تلك الكتب السماوية التي أنزلها الله على أنبيائه من قبل ، أو غيرها من الكتب التي ألفها البشر .

إن القرآن الكريم في هدايته للتي هي أقوم في شؤون الحياة كلها ، لا يخرج عن خمسة أحوال ، فهو إما تعريف بالخالق سبحانه في ربوبيته ، وألوهيته ، وأسمائه ، وصفاته ، وإما أمرٌ أو نهي ، وإما بيان للجنة ، وما أعد الله فيها من النعيم المقيم للمتقين من عباده ، وإما بيان للنار ، وما أعد الله فيها لمن غلبت عليهم الشقوة من عباده ، وإما بيان لأحوال الأمم الماضية ، وما كانوا عليه من الإيمان والإعراض ، وكيف كان عاقبة أمرهم في الدنيا والآخرة .

وكل هذه الأحوال التي نزل بها القرآن الكريم ، يقوم العقل فيها بوظيفة أساسية ، من أجل تفعيل هذه المعاني في الحياة ، تفعيلًا إيجابيًا ينتفع منه صاحبه في الدنيا والآخرة ، ولو لم يكن للعقل هذه الوظيفة ، لكان مسيرًا ، لا خيار له في معرفة الله ، والتفكير في خلقه وشرعه ، ولما كان مطالبًا بالتعقل ، والتفكير ، والتذكر ، والنظر ، والعلم ، والادكار ، والاعتبار ، ولما كان هذا الثناء المتكرر في القرآن الكريم على أولى الألباب والنهي .

لقد جاء القرآن الكريم بأسلوب راق ضرب في الروعة منتهاها ، حيث تميز بخطابه للعقل والوجدان في آن واحد ، يستثير خلجات النفس ، ودقائق المشاعر ، معتمدا على الحجج البالغة ، والبراهين الدامغة ، جاعلا المحور الذي تدور عليه حياة الإنسان على ظهر هذه الأرض هي عبادة الله تعالى بمفهومها الشامل ، الذي يشمل جميع مناسط الحياة على ظهر هذه الأرض ، وهو ما بينه المولى سبحانه في كتابه الكريم ، حين قال على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وأمره أن يبلغه للناس

: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

الْعَلَمِينَ ﴿١١٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ

الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾ ﴿١﴾

وهذه هي عقيدة المسلم ، التي يعيش بها على ظهر هذه الأرض ، التي تؤكد على أن كل شيء لله ، وأن الحياة كلها يجب أن تسير وفق منهج الله تعالى .

فما دام أن الفطر تعترف بأنه سبحانه هو الخالق الذي خلق الوجود كله ، وأنه الذي يحيي ويميت ، فإنه يجب أن توجه نشاطها على الأرض لتحقيق تلك الغاية : " فكما أنه يوحد بالإحياء والإماتة ، فينبغي أن يوحد بالعبادة " (١) والعبادة التي يجب أن يوحد بها المولى — سبحانه — هي

العبادة بمفهومها الشامل ، الذي لا يقتصر على مجرد أداء الشعائر التعبدية فقط ، ولكنه المفهوم الذي يخضع جوانب الحياة كلها لله تعالى ، ما دام أنه الذي خلق الإنسان ، وهو العالم بما يصلح له وما يصلح له ، وهذه هي العقيدة الإسلامية الفريدة — التي يعيش بها المسلم في هذه الحياة ، القائمة على المنطق العقلي الذي يؤكد على أن يكون الخالق هو الأمر ، وأن يكون المخلوق هو المأمور .

" ولقد كان من مزايا هذه العقيدة أنها أطلقت العقل البشري يعمل في أوسع نطاق متاح على الأرض ، ولم تغلق عليه الأبواب ، أو تجمده في قوالب مصبوبة لا فكاك منها ، وكان من آيات الإسلام الكبرى ، أنه في دعوته إلى الإيمان بالله ، لم يقهر العقل بالخوارق القاهرة التي يعنو لها الفكر ، ولا بأسرار لا حيلة له فيها ولا اختيار ، بل خاطبه ووعّاه ، وأيقظه وناقشه ، وجعله يشترك في عملية الإيمان الواعية ، الجديرة بالإنسان الذي كرمه الله بالأفئدة والأبصار " (٢)

والتأمل في هذه المخاطبة يجدها تنجّه إلى هذين الجانبين — الوجدان والعقل — في توازن مثالي لا يطغى أحدهما على الآخر ، وذلك : " لأن في النفس الإنسانية قوتين : قوة تفكير ، وقوة وجدان ، وحاجة كل منهما غير حاجة أختها ، فأما إحداها فتتقّب عن الحق لمعرفة ، وعن الخير للعمل به ، وأما الأخرى فتسجل إحساسها بما في الأشياء من لذة وألم ، والبيان التام هو الذي يوفّي

(١) - [سورة الأنعام: الآيات ١٦٢-١٦٣]

(٢) البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ج ٧ ص ٣٣٩

(٣) محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ، ج ١ ص ٨٨-٨٩

لك هاتين الحاجتين ، ويطير إلى نفسك بهذين الجناحين ، فيؤتيهما حظهما من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معا " (١) .

إنه يخاطب الفطرة بالبراهين العقلية ، ويخاطب العقل من خلال المسلمات الفطرية ، فتجتمع في خطابه إثارة القوتين ، الأمر الذي يجعله يؤثر في النفوس فتتشعر له الأبدان ، وتتحقق على أثر ذلك استجابة الذين يخشون ربهم لرهبهم ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ

الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي

بِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿١٢﴾ (٢) وتحدد مخاطبته للعقل حين يكون الكلام فيما يمكن للإنسان أن يدركه ، أما ما لا يمكن للإنسان — بحكم قصوره وبشريته — أن يدركه ، فلا مجال لمخاطبته ، إنما هي الدعوة إلى التسليم المطلق لله رب العالمين ، وهي صورة من الصور التي يتلى بها الإنسان في الحياة الدنيا ، ليعلم الله من يؤمن به ، ويستسلم لأمره ، وإن لم يحط به عقل الإنسان .

وللباحث هنا وقفة مع ما ذكره بعض المعاصرين حين تحدث عن التشريع الجنائي في الإسلام ، وقارنه بالقانون الوضعي ، وذكر ما تميزت به الشريعة الإسلامية من إطلاقها حرية التفكير ، غير أنه — غفر الله له ورفع الله درجته في الجنة — وسّع مدلول حرية العقل ، فقال : " جاءت الشريعة الإسلامية معلنة حرية التفكير ، محررة العقل من الأوهام والخرافات والقاليد والعادات ، داعية إلى نبذ كل ما لا يقبله العقل ، فهي تحث على التفكير في كل شيء ، وعرضه على العقل ، فإن آمن به العقل

كان محل إيمان ، وإن كفر به كان محل كفران " (٣)

والحقيقة أن إطلاق الحرية في التفكير بهذه الصورة أمر غير مقبول أبداً ، لكون العقل البشري عاجز عن التفكير في كل شيء ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، ليس العقل البشري هو المعيار

(١) محمد دراز ، النبأ العظيم ، ص ١٤٣

(٢) - [سورة الزمر: الآية ٢٣]

(٣) عبدالقادر عودة ، التشريع الجنائي في الإسلام ، ج ١ ص ٢٩



الوحيد الذي يحكم به على صلاح الأمور من فسادها ، وإن كانت له مساحة جد واسعة يعمل فيها شريطة أن يعمل مستنيرا بوحى الله تعالى ، وإلا ضل وأضل .

ودعوى أن العقل مدعو إلى التفكير في كل شيء غير صحيح ، فقد هينا عن التفكير في أشياء لا يمكن أن تدركها عقولنا مهما أوتيت من قدرات ، ثم إن جعل العقل هو المعيار الوحيد في الحكم على الأشياء ( فما آمن به كان محل إيمان ، وما كفر به كان محل كفران ) يعد أمرا خطيرا ، لأن العقل — والحال ما ذكر — سيصبح هو المشرع الوحيد الذي يحاكم إليه كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فلو أن إنسانا فكر بعقله تفكيرا مجردا بعيد عن توجيهات الوحي لضل وأضل في أمور كثيرة جدا ، سواء كانت هذه الأمور في جانب العقيدة أو العبادة ، أو غيرها ، ومن أمثلة ذلك :

أمر الإسلام بصلاة الفجر ، وهي أول صلاة يفتتح بها الإنسان نهاره ، بعد أن أخذ قسطا وافرا من الراحة ، وجعل الإسلام صلاة الفجر ركعتين فقط ، ثم يبدأ الإنسان نهاره فيكدح وينصب إلى منتصف النهار ، ثم تحين صلاة الظهر ، وبعد التعب والكدح ، يجعل المولى — سبحانه — صلاة الظهر أربع ركعات ؟ .

سبحان الله !!! بعد الراحة نصلي الفجر ركعتين ، وبعد التعب والكدح نصف النهار نصلي الظهر أربعاً ؟ !!! أليس المنطق العقلي يقول : بعد الراحة أربع ركعات ، وبعد التعب ركعتان !!! إن هذا هو المنطق العقلي الجرد ، لكن الشارع الحكيم رتبها هكذا ، فهل يرد ترتيبه وتشريعته لكون ذلك غير متفق مع العقل ؟ !!!

وعليه ، يقال : لقد جعلت الشريعة الإسلامية العقل في مكانة لا تدانيها مكانة ، حيث جعلته مناط التكليف ، وجعلت أمور الدنيا والآخرة مديرة بجودة توظيفه ، ودعت — عبر مصادرها الأساسية — إلى إعماله ، مع اعترافها بأنه جارحة كبقية الجوارح ، لها حدودها وطاقاتها ، وهي مصدر واحد من مصادر المعرفة ، مستضيئة بنور الوحي ، تابعة له ، غير متقدمة عليه .

### **علاقة العقل بالتفكير العلمي في القرآن الكريم :**

تظهر هذه العلاقة من خلال ما سبق بيانه من حديث عن تعريف العقل ومكانه من الجسد ومكانته في القرآن الكريم .

وبعد أن استعرض الباحث كتاب الله تعالى لم يجد ذكرا للعقل ولا المرادفاته ، من حيث الحقيقة والكثرة .

وبعد أن وقف الباحث على كلام أهل العلم في المراد من العقل ومرادفاته ، وتبين أنهم جميعا مختلفون في تعريفه بناءً على اختلافهم في فهم حقيقته وكنهه ، تبين أن البحث في حقيقة العقل وكنهه من الأمور التي يصح أن يقال فيها : العلم بها لا ينفع ، والجهل بها لا يضر ، إذ لو كان في الأمر فائدة

لجاء به الوحي ، مما يؤكد على أهمية البحث في أعمال العقل ، وتحري ثمراته التي وردت في كتاب الله الكريم : " ففي القرآن الكريم أشياء كثيرة لم يبينها الله لنا ، ولا رسوله [ صلى الله عليه وسلم ] ولم يثبت في بيانها شيء ، والبحث عنها لا طائل تحته ، ولا فائدة منه ، وكثير من المفسرين يطنبون في ذكر الأقوال فيها بدون علم ولا جدوى ، ونحن نعرض عن مثل ذلك دائما ، لكون كلب أصحاب الكهف ، واسمه ، وكالبعض الذي ضرب به القتيل من من بقرة بني إسرائيل ، وكاسم الغلام الذي قتله الخضر ، وأنكر عليه موسى قتله ، وكخشبة سفينة نوح [ عليه السلام ] من أبشجر هو ، وكم طول السفينة وعرضها ، وكم فيها من الطبقات ، إلى غير ذلك مما لا فائدة في البحث عنه ، ولا دليل على التحقق منه " (١)

وهو هدف تربوي كبير تسعى التربية الإسلامية إلى غرسه في نفوس أتباعها ، ذلك أن بعض العلوم لا يصح أن يستنفد فيها التفكير ، وتضيع فيها الأوقات ، ما دامت عديمة الفائدة ، قليلة الجدوى ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، ذكرها أهل العلم ، ونبهوا عليها ، كالبحث في لون كلب أصحاب الكهف ، إذ لو كان في الأمر فائدة لبيته المولى — سبحانه — في كتابه الكريم ، ومثل ذلك ، البحث في مسمى الشجرة التي أكل منها أبونا آدم عليه السلام ، إذ لم يرد في كتابه الله تعالى ، ولا في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما يشير إلى مسمى الشجرة ، مما يؤكد على أن البحث في ذلك مما لا تحقق معه فائدة تذكر .

وهذا كله جزء من التفكير العلمي المنضبط ، الذي يبحث فيما يمكن أن يتحقق من ورائه فائدة ، استثمارا للوقت والجهد ، وكل صور المعاناة ، واجتناب كل ما من شأنه أن يبدد القدرات ، ويستنزف الإمكانيات فيما لا طائل من ورائه .

وأما البحث في مكان العقل من جسد الإنسان كما بينه القرآن الكريم وعلاقة ذلك بالتفكير العلمي فإن معرفة تلك العلاقة من أهم الأمور التي تعين المرين على حسن سياسة الإنسلن ، وتزكيته ، والعناية بتفكيره ، فإذا أدرك المرين أن مكان العقل في القلب ، وله تعلق بالدماع ، وأن الإسلام قد أولى القلب عناية كبيرة ، فجعله الملك المتصرف في سائر الأعضاء والجوارح ، وإذا أدركوا — أيضا — أن القلب إذا هُذب ، واتصل بخالقه ، واستمد منه هديه فيما يأتي وما ينذر ، أدركوا أنه يمكن أن يحوز الخير كله ، بعد توفيق الله وقدرته ، وأيقنوا — أيضا — أن ذلك الخير يتصل بيقية أعضاء الجسد كلها ، مما يجعل للحواس — التي تحصل بها المعرفة البشرية — مزية إبداع وهي تنتج المعرفة بتخصصاتها المختلفة ، فيكون للعين مزية إبداع وهي ترى ملكوت السموات

(١) الشنيطي ، أضواء البيان ، ج ٤ ص ٤٨

والأرض ، لترسل ما رأته إلى القلب ، فيخبر ساجداً لله رب العالمين ، عاملاً بمقتضيات هذا النظر ، من تعظيم الخالق سبحانه ، ومن اكتشاف القوانين التي أودعها الله — سبحانه — في هذا الملكوت الهائل ، لتيسير أمور الحياة ، وتذليل سبل المعيشة فيها بما يحقق الخير والتقدم للإنسان ، ويكون للأذن مزية إبداع وهي تسمع كلام الله تعالى ، فترسل ما سمعته إلى القلب ، ليحيل ما سمع إلى منهج عملي في واقع الحياة ، بل ويكون للأذن مزية إبداع وهي تسمع كلام غيره من البشر ، فتوقظ فيها القوة العاقلة — المتصلة بالقلب — حس التمييز بين الصواب والخطأ ، والحق والباطل ، والطرح الواعي القائم على الحجة والبرهان ، من الطرح القائم على الظنون والأوهام والتخرصات ، وهلم جرا في بقية الأعضاء ، وهذا كله له قيمته التربوية في ميادين التفكير العلمي الشمولي الذي تميز به الإسلام على المذاهب والأديان .

وأما البحث في مكانة العقل في القرآن الكريم وعلاقتها بالتفكير فإن الباحث يرى أن المساحة التي أخذها الحديث عن العقل في القرآن الكريم ، وربط أمور الدنيا وأحكام الدين بوجوده ، تؤكد على مدى عناية الدين الإسلامي العظيم بالتفكير العلمي ، وأن تفعيله في أمور الحياة أمر مهم تؤكد عليه التربية الإسلامية ، وتجعله جزءاً لا يتجزأ من مهمتها في إعداد الإنسان الصالح ، والمجتمع الصالح ، والأمة الصالحة ، والحضارة الصالحة . ولو لم يكن للتفكير العلمي هذه المتزلة لما احتل من مصادر التشريع ، كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم هذه المساحة ، مما يؤكد على ضرورة عناية المؤسسات التربوية النظامية وغير النظامية بذلك ، في تكوين برامج عملية في خطوات إجرائية ليصبح التفكير العلمي جزءاً من شخصية المتعلم التي تسعى التربية الإسلامية إلى إخراجها .

## ثانياً : العلم في القرآن الكريم :

### مفهوم العلم في القرآن الكريم .

في القرآن الكريم مفات الآيات التي جاءت في موضوع العلم ، من خلال المفردة اللغوية ( علم ) وقد أحصاها بعضهم فوجدوا : " تسعا وسبعين وثلاثمائة آية " (١) غير أن الباحث حاول إحصاءها من خلال مادة ( علم ) فوجدها أكثر من تسعين وخمسمائة آية تقريباً ، ولكن العلم الذي جاء به القرآن الكريم ليس محصوراً في اشتقاقات المفردة اللغوية ( علم ) بل إن مجالات العلم في القرآن الكريم أوسع من ذلك بكثير ، ذلك أن القرآن الكريم كله من أوله إلى آخره كتاب هداية

للعالمين في أمور دينهم ودنياهم ، كما قال سبحانه ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي

(١) صالح بن حميد وعبد العزيز الملوح ، موسوعة نضرة النعيم ، ج ٧ ص ٢٩١١

لَلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴿١﴾ (١) والمداية للتي هي أقوم في جوانب الحياة كلها ، في العقيدة ،

والعبادة ، والأخلاق ، والسلوك ، والمعاملات ، وفي جوانب الحياة كلها : السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والتعليمية والإعلامية والمدنية والعسكرية ، لا تقوم — بصورة تتحقق من ورائها المنفعة العاجلة والآجلة للإنسان — إلا على علم رباني يرسم لها الطريق ، ويحدد لها معالمه ، ويبين لها الصواب من الخطأ ، والضار من النافع ، تارة في أصول عامة ، وقواعد كلية ، تاركا للعقول البشرية المسلمة المتخصصة أن تتعامل مع مستجدات الحياة ومتطلباتها بجرية واعية ، ما دامت تدور في فلك أصول الإسلام ، وقواعده الكلية ، ومقاصده العامة ، وتارة يفصل الإسلام في مصدره الأساسيين ما يحتاج الناس إلى تفصيله ، كأمر النكاح والطلاق والميراث وغيرها ، وبهذا تحقق المرونة في أسسها صورها حيث مراعاة الثوابت ، وإتقان التعامل مع المتغيرات .

ومن خلال النظر في الآيات الواردة في القرآن الكريم في موضوع العلم يتبين أنها تناولت فيه أبعادا مختلفة مثل : الكلام على علم الله تعالى ، وأن العلم المطلق من صفاته سبحانه ، والبحث على طلب العلم ، وأنه يشتمل على ميداني الغيب والشهادة ، وأن ميدان الشهادة يشمل الكون والإنسكان والطبيعة ، وأن في هذه الجوانب — من هذا الميدان — غيب وشهادة ، وأن العلم من خصال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ومن تبعهم بمن حمل ميراثهم ، وبيان منزلة العلماء ، وأثر التقوى في حصول العلم ، وعظم المسؤولية الملقاة على عرائق أهل العلم ، وانقسام الناس — في مسألة العلم إلى فريقين : علماء عاملين بعلمهم ، وهم المحمودون في الدنيا والآخرة ، وعلماء غير عاملين بعلمهم ، تزداد عليهم الحجة ، ويشتد نكير الله عليهم في الدنيا والآخرة ، كما ذم القرآن الكريم المعرضين عن العلم ، وذم الجهل وأهله ، وحذر من تعطيل المكالات العقلية ، وشبهه من يفعل ذلك بالأنعام ، بل هم أضل .

ومن خلال ما سبق فإن الباحث يرى أنه لم يرد في القرآن الكريم تحديدا دقيقا لمفهوم العلم ، ولعل الحكمة في ذلك أن يكون العلم ميدانا واسعا ليس لجوانبه عد ، ومضمارا كبيرا ليس لنهايته حد ، ليشمل كل ما ينتفع به العبد في أمور دينه ودنياه ، وعليه فإن : " العلم الذي نوه به القرآن ، وحفلت به آياته ، يشمل كل معرفة تنكشف بها حقائق الأشياء ، وتزول بها غشاوة الجهل والشك عن عقل الإنسان ، سواء أكان موضوعه الكون والطبيعة ، أم موضوعه الإنسان ، أم موضوعه

(١) - [سورة الإسراء: الآية ٩]

الوجود والغيب ، وسواء أكانت وسيلة معرفته الحس والتجربة ، أم وسيلته العقل والبرهان ، أم وسيلته الوحي والنبوة " (١)

هذه هي النظرة الشاملة للعلم ، التي تتفق مع شمولية هذا الدين ، وعالمية رسالته ، وخلود مبادئه ، ومرونة تطبيقاته ، في كل جانب من جوانب الحياة ، في موازنة جد رائعة بين مطالب الروح والجسد ، ومطالب الفرد والجماعة ، ومطالب الدنيا والآخرة .

### مكانة العلم في القرآن الكريم .

يكفي في بيان هذه المكانة أن أول آية نزلت من القرآن الكريم على هذه الأمة الأمية تحث على القراءة ، وتدعو إلى المعرفة ، فلم يكن أول ما نزل يدعو إلى إقامة الشعائر كالصلاة ، أو الصيام ، أو الجهاد ، ولم يكن أول ما نزل يدعو إلى العناية بالحياة الدنيا كالاتمام بالطعام والشراب ، أو تعمير الدور ، وتهيئة المشافي ، وتعبيد الطرقات ، مع أهمية هذه الأمور كلها في حياة الإنسان ، ولكن

أول ما نزل من القرآن الكريم هو قوله تعالى : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ

﴿ ١ ﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿ ٢ ﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿ ٣ ﴾

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿ ٤ ﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿ ٥ ﴾ (٢) ومع

أن الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فإن كل خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو خطاب لأُمَّته إلا ما خصه الدليل ، وليس في كتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما يدل على أن الأمر بالقراءة من خصوصيات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما يؤكد على أن هذه الأمة الخاتمة هي أمة القراءة ، أمة المعرفة ، أمة الثقافة ، أمة الفهم ، أمة التفكير ، أمة الاستنباط ، إنها أمة العلم وكفى .

وعليه ، يكون كل فرد في الأمة المسلمة مطالب بالقراءة كل على حسب قدرته واستطاعته

، إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها كما قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا

(١) يوسف القرضاوي ، العقل والعلم في القرآن الكريم ، ص ١٤٩

(٢) - [سورة العلق: الآيات ١-٥]

وُسْعَهَا ﴿١﴾ وتكون المؤسسات العلمية ، والجامعات ، ومراكز البحث العلمي في الأمة مطالبة

بالقراءة المتخصصة لثمر أهداف العلم التي أكد عليها الإسلام .

كما أن من الأمور الجليلة التي تتضح بها منزلة العلم في الإسلام أن الله — سبحانه — قد

حصر الخشية له فيهم فقال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ

اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾ إضافة إلى أنه قد أشهد على أعظم قضية في الوجود — وهي قضية

التوحيد معه ومع ملائكته البررة المقربين — أهل العلم ، فقد جاءت شهادة العلماء مقرونة بشهادته

سبحانه وشهادة ملائكته في قوله سبحانه : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ قال ابن كثير — رحمه الله — في تفسيره : " وهذه خصوصية عظيمة

للعلماء في هذا المقام " (٤) ذلك أن الله سبحانه لم يشهد من البشر أحدا على توحيدهِ إلا أولي العلم ،

الذين يشهدون على ذلك شهادة تقر بها نفوسهم ، ويبدونها للناس ويبينونها لهم ، وقد ذكر ابن القيم

— عليه رحمة الله تعالى — أن هذا يدل على فضل العلم وأهله وذلك من عشرة وجوه هي : (٥)

أولها : استشهادهم دون غيرهم من البشر . وثانيها : اقتران شهادتهم بشهادته . وثالثها : اقترانها

بشهادة الملائكة . ورابعها : أن في ضمن هذا تزكيتهم وتعديلهم ، فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا

العدول . . . وخامسها : أنه وصفهم بكونهم أولي العلم ، وهذا يدل على اختصاصهم به ، وأهم

أهله وأصحابه ، ليس بمستعار لهم . وسادسها : أنه — سبحانه — استشهد بنفسه ، وهو أجل

شاهد ، ثم بخيار خلقه وهم ملائكته والعلماء من عباده ، ويكفيهم هذا فضلا وشرفا . وسابعها : أنه

(١) - [سورة البقرة: الآية ٢٨٦]

(٢) - [سورة فاطر: الآية ٢٨]

(٣) - [سورة آل عمران: الآية ١٨]

(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ص ٤٣٥

(٥) ابن القيم ، مفتاح دار السعادة ، ص ٦٣ - ٦٤

استشهد بهم على أجل مشهود به وأعظمه وأكبره ، وهو شهادة ألا إله إلا الله ، والعظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وسادتهم . وثامنها : أنه سبحانه جعل شهادتهم حجة على المنكرين ، فهم بمنزلة أدلته وآياته وبراهينه الدالة على توحيدِهِ . وتاسعها : أنه — سبحانه — أفرد الفعل المتضمن لهذه الشهادة الصادرة منه ومن ملائكته ومنهم ، ولم يعطف شهادتهم بفعل آخر غير شهادته ، وهذا يدل على شدة ارتباط شهادتهم بشهادته ، فكأنه سبحانه شهد لنفسه بالتوحيد على ألسنتهم وأنطقهم بهذه الشهادة ، فكان هو الشاهد بما لنفسه إقامة وإنطاقا وتعلينا ، وهم الشاهدون بما له إقرارا واعترافا وتصديقا وإيمانا . وعاشرها : أنه — سبحانه — جعلهم مؤدبين لحقه عند عباده بهذه الشهادة ، فإذا أدوها فقد أدوا الحق المشهود به ، فثبت الحق المشهود به ، فوجب على الخلق الإقرار به ، وكان ذلك غاية سعادتهم في معاشهم ومعادهم .

كما أن المولى — سبحانه — قد حصر بعثة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، في ميدان

العلم والتزكية ، فقال جل ذكره ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا

مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ (١) فهاهي

المهمة التي بعث من أجلها سيد الثقلين محمد صلى الله عليه وسلم — كما بينته الآية الكريمة — تنحصر في ميدان العلم ومعطياته ، من حيث تلاوة الآيات ، والتزكية ، وتعليم الكتاب والحكمة ، وكل هذا له أثره في بيان المكانة الرفيعة التي أولاهها الإسلام للعلم والمعرفة .

كما أن أعظم معلم ومرب عرفته البشرية في تاريخها الطويل وهو النبي الخاتم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم لم يطلب ربه من الزيادة في شيء إلا في العلم ، فقد ذكر الله تعالى عنه

قوله : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (٢) قال الطبري في تفسيره : " يقول تعالى ذكره

: "وقل يا محمد : رب زدني علما إلى ما علمتني أمره بمسألته من فوائد العلم ما لا يعلم " (٣) وقال

الألوسي — رحمه الله — في تفسيره حول هذه الآية : " واستدل بالآية على فضل العلم حيث أمر

(١) - [سورة الجمعة: الآية ٢]

(٢) - [سورة طه: الآية ١١٤]

(٣) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ج ١٦ ص ٢٢٠

صلى الله عليه وسلم بطلب زيادته ، وذكر بعضهم أنه ما أمر عليه الصلاة والسلام بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم . . . وما هذا إلا لزيادة فضل العلم ، وفضله أظهر من أن يذكر " (١)

كما أن أول أداة أقسم بها المولى سبحانه هي القلم ، وهو أداة العلم ، قال تعالى : ﴿

**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ** ﴿١﴾ (٢) قال الطبري — رحمه الله — في تفسيره : " وأما

القلم فهو القلم المعروف ، غير أن الذي أقسم به ربنا من الأقلام : القلم الذي خلقه الله تعالى ذكره ،

فأمره فجرى بكتابة جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة " (٣) وقال المظفر السمعاني — رحمه الله — في

أحد قوله في معنى القلم : " القلم الذي يكتب به بنو آدم . . . قال لولا ذلك لولا القلم ما قام لله

دين ، ولا كان للخلق عيش " (٤) بمعنى أن الكتابة بالقلم هي من النعم العظيمة التي يسر الله بها

مصالح الدنيا والآخرة ، ولهذا يظهر سر إقسام الله تعالى بهذه الأداة ، والله سبحانه لا يقسم إلا بعظيم

، وفي هذا المعنى يقول القرطبي — رحمه الله — في تفسيره : " نه على فضل علم الكتابة لما فيه من

المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو ، وما دونت العلوم ، ولا قيدت الحكم ، ولا ضبطت أخبار

الأولين ومقالاتهم ، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة ، ولولا هي ما استقامت أمور الدين والدنيا "

(٥)

كما أن مما يؤكد مكانة العلم في القرآن الكريم أنه لا يقبل العمل إلا إذا كان مسبوقا بعلم

صحيح ، وهو ما جاء واضحا في قوله سبحانه : ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** ۚ

**وَأَسْتَغْفِرْ لِدُنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** ﴾ (٦) حيث أمر الله تعالى

(١) الألويسي ، روح المعاني ، ج ٨ ص ٢٦٨-٢٦٩

(٢) - [سورة القلم: الآية ١]

(٣) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ج ٢٩ ص ١٦

(٤) السمعاني ، تفسير القرآن ، ج ٦ ص ١٧

(٥) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٢٠ ص ١٢٠

(٦) - [سورة محمد: الآية ١٩]



بالعلم قبل العمل كما في الآية الكريمة ، وهو الاستغفار ، ذلك أن الاستغفار لا يكون صوابا نافعا إلا إذا كان استغفارا عن علم وبصيرة ، ثم إن الاستغفار لا يكون مؤثرا إلا إذا كان المستغفر يعلم عظمة من يطلب منه المغفرة في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، وإلا كان استغفارا لا ينفع ولا يفيد ولا يؤثر ، لا في شكله ولا في مضمونه .

وإن من الأمور العجيبة التي تدل على أهمية العلم ومكانته في الإسلام ، أن الكلاب إذا ذكرت في موطن فإنما يذكر عندها العلم ، وبيان ذلك : أن الكلاب من أنجس الحيوانات ، وقد أمر الإسلام بقتل الكلب الأسود لكونه شيطان فقد روى أبو ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (( الكلب الأسود شيطان )) (١) وقوله صلى الله عليه وسلم من حديث جابر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( لولا أن الكلاب أمة من الأمم

لأمرت بقتلها ولكن اقتلوا الكلب الأسود البهيم فإنه شيطان )) (٢) وقد ضربه الله مثلا لمن

أوتي آيات الله فانسخ منها وأخلد إلى الأرض واتبع هواه ، كما قال الله تعالى عنه : ﴿ وَآتَىٰ

عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ

مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (٣) ومع ذلك فقد أباح الإسلام في أحكامه الشرعية أكل صيد

الكلب المعلم دون غيره من الكلاب ، كما قال سبحانه : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ

قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ

مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٤) قال السعدي — رحمه الله — في تفسيره

: " فيه فضيلة العلم ، وأن الجراح المعلم — يباح صيده — والجاهل بالتعليم لا يباح صيده " (٥) وهذه

(١) مسلم ، صحيح مسلم ، ص ٢٠٧ ، حديث رقم ( ٥١٠ )

(٢) الترمذي ، سنن الترمذي ، ج ٤ ص ٧٨ ، حديث رقم ( ١٤٨٦ ) وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٣) — [سورة الأعراف: الآية ١٧٥]

(٤) — [سورة المائدة: الآية ٤]

فضيلة العلم ، وأن الجراح المعلم — يباح صيده — والجاهل بالتعليم لا يباح صيده " (١) وهذه من

الأمر التي تؤكد على عظمة العلم ومكانته في القرآن الكريم .

كما من الأمور التي تؤكد على مكانة العلم في الإسلام أنه الباب الذي يلج منه المسلم لعبادة ربه في أي جانب من جوانب العبادة ، وقد بوب الإمام البخاري — رحمه الله — في صحيحه في كتاب

العلم باباً قال فيه : " باب : العلم قبل القول والعمل " (٢) ثم ابتداء هذا الباب بقوله تعالى : ﴿

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (٣) ثم أتبعها ببعض الآيات الواردة في شأن العلم ، ثم

ساق أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك .

وما تزال الأمة المسلمة تتوارث العناية بالعلم في جوانب المعرفة كلها ، فتتناقله جيلاً بعد جيل ، وتتوارثه كائناً عن كائناً ، وما لم تتمكن من الوصول إليه وخاصة في العلوم المادية أخذته عن الآخرين ، فحذفت منه وأضافت إليه ، ومحصته ، ونقته ، وخلقت بأخلاق الإسلام ، وأدبته بأدابه ، لكونها تعلم أن الحكمة في أي جانب من جوانب المعرفة هي ضالة المؤمن أتى وجدها فهو أحق الناس بها .

ولشمول نظرة الإسلام للدنيا والآخرة فقد جعل من الأعمال التي تبقى للعبد عند ربه في الآخرة سعيه أيام حياته الدنيا إلى توريث علم تنتفع منه البشرية ، فقد روى أبي هريرة رضي الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (( إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو عمل

ينتفع به أو ولد صالح يدعو له )) (٤) ونتيجة لهذا كله فقد تتابع علماء الإسلام يثرون المكتبة

الإسلامية في شتى العلوم والفنون ، فألفوا أسفاراً كثيرة تناولوا فيها جوانب المعرفة بالبيان والتفصيل " وقد تشعبت طرق اكتساب العلم والمعرفة في الإسلام وشملت مختلف مراحل التربية وسائر أنواع المعرفة الثقيلة والعقلية والعملية النافعة مما أدى إلى تكوين حضارة إسلامية ساهمت مساهمة فعالة في

الحضارة الإنسانية " (٥) وليست الأسفار الإسلامية التي تُولف في مختلف التخصصات إلا دلالة على

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ١٨٤

(٢) البخاري ، صحيح البخاري ، ص ٣٨

(٣) - [سورة محمد: الآية ١٩]

(٤) ابن خزيمة ، صحيح ابن خزيمة ، ج ٤ ص ١٢٢ ، ورواه الترمذي في سننه ج ٣ ص ٦٦٠ ، حديث رقم (١٣٧٦) وقال حديث

حسن صحيح .

(٥) رشاد معتوق ، الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي ، ص ٣٥٦

عناية الإسلام بالعلم والمعرفة ، فهذا هو الإمام البخاري — عليه رحمة الله — يخصص جزءاً من صحيحه للعلم ، ومثله فعل الإمام مسلم ، وغيرهم من جهابذة علماء السنة النبوية الشريفة ، كما ألف ابن عبد البر كتابه القيم ( جامع بيان العلم وفضله ) : " ضمنه بحثاً عن العلم وفضله ، وآداب العالم والمتعلم ، وما يلزم الناظر في اختلاف العلماء من الإحاطة بمذاهب علماء الأمصار ، وبين فيه المراحل التي يمر بها طالب العلم ، والعلوم الأساسية التي يجب أن يلم بها من فهم لكتاب الله ، ومعرفة بالسنة النبوية ، واللغة ، وحث الطالب على الاطلاع على العلوم المكملة لثقافته مثل الجغرافية ، والطب ، وعلم الحساب ، والترجمة : وغير ذلك " (١) وألف الخطيب البغدادي كتابه القيم ( الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ) وألف ابن جماعة كتابه القيم ( تذكرة السامع والمتعلم في آداب العالم والمتعلم ) وغيرهم كثير كثير .

ولقد أكد الوحيان كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على أهمية العلم ومكانة العلماء ، من خلال جملة من المسالك التربوية المتنوعة ، كالتأكيد على ذلك من خلال القصص الواردة في الكتاب والسنة ، كقصة نبي الله موسى عليه السلام مع نبي الله الخضر عليه السلام ، ومن خلال الترغيب وضرب المثال كقول النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحياتان في جوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر )) (٢)

### • النظرة الشاملة للعلم في القرآن الكريم

الإسلام هو رسالة الله تعالى للعالمين كما قال — سبحانه — لنبيه محمد صلى الله عليه

وسلم : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٣) وعالمية

رسالة الإسلام — القائم على العلم الصحيح النافع — تقتضي أن تكون نظره للعلم شاملة لمطالب

(١) الزهيري ، مقدمة كتاب صحيح جامع بيان العلم وفضله ، ص ٢٣

(٢) أبو داود ، سنن أبي داود ج ٣ ص ٣١٧ - حديث رقم ( ٣٦٤١ ) والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ج ٢ ص

٦٩٤ حديث رقم ( ٣٠٩٦ )

(٣) - [سورة الأنبياء: الآية ١٠٧]

الدنيا والآخرة ، والمتبع للآيات التي جاءت في كتابه الله الكريم يرى أنها جاءت في مواطن كثيرة منها ما يتعلق بالقضايا الشرعية ، وعلى رأسها — كما سبق — أعظم قضية في الوجود ، وهي قضية التوحيد ، حيث أشهد الله تعالى عليها من عباده العلماء العالمين به سبحانه ، ومنها ما يتعلق بالقضايا الكونية ، والأحوال الفلكية ، كالاتجاه بالنجوم في ظلمات البر والبحر ، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ  
وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ (١) فقد

ختمت الآية الكريمة ببيان أن الله — سبحانه — ما فصل مثل هذه الآيات إلا لقوم يحققون في حلهم مفهوم العلم النافع ، الذي يتفجع منه الناس في تيسير أمور معاشهم على ظهر هذه الأرض ، والآيات في هذا المعنى كثيرة .

وكالاتجاه إلى معرفة السنين والحساب عن طريق الشمس والقمر كما في قوله تعالى : ﴿ هُوَ

الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ  
لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا  
بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ (٢)

ومنها ما يتعلق بالقضايا الاجتماعية من خلال التأكيد على ما يضبط بنية العلاقات الاجتماعية بين الناس ، وكيف يعيشون حياة مستقرة آمنة ، متجنين كل ما من شأنه أن يهز استقرارهم ، وينغص عيشهم ، ويكون ذلك عن طريق دراسة أحوال الماضي والحاضر ، ووضع تصورات علمية صحيحة يستشرف من خلالها المستقبل .

كما أن شمولية العلم التي دعا إليها القرآن الكريم تتضح جليا في صدر سورة العلق ، ذلك أن المولى — جل ذكره — حينما أمر بالقراءة ، وحث على المعرفة ، لم يقيد بلون واحد من ألوان

(١) - [سورة الأنعام: الآية ٩٧]

(٢) - [سورة يونس: الآية ٥]

المعرفة ، وإنما فتح فيها الباب لكل مبدع ، ما دامت هذه المعرفة نافعة ، تدور في فلك الإسلام ، وتلتزم منهجه ، وتتأدب بآدابه ، والمتأمل للآية الأولى من سورة العلق ، وهي قوله تعالى : ﴿ أَقْرَأْ

بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (١) يلاحظ أن الآية الكريمة صدرت بفعل الأمر (

اقرأ ) وأن الفاعل ضمير مستتر تقديره ( أنت ) ومن المعلوم عند الناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم ، بارهم وفاجرهم ، أنه لا يمكن أن يكون هناك فعل وفاعل من غير مفعول به ، وحين البحث عن المفعول به لا يجد المتأمل له أثراً ، فكيف يكون ذلك ؟ !!!

والجواب عن هذا يتضمن نكتة تربوية جد رائعة ، مستنبطة من قاعدة لغوية جد نافعة ، ألا وهي : أنه حين يوجد الفعل والفاعل ولا يوجد المفعول به ، يكون المعنى إرادة العموم ، ومن أمثلة

ذلك ، ما قاله الزمخشري في كشافه عند قوله تعالى : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي

خَلَقَ ﴾ (٢) حيث قال : " فإن قلت : كيف قال : ﴿ خَلَقَ ﴾ فلم يذكر له مفعولاً

... ؟ قلت على وجهين : [ وذكر منهما ] : وإما أن يُقَدَّرَ ، ويراد : خلق كل شيء ، فيتناول

كل مخلوق " (٣)

وهذا ما ينطبق على قوله تعالى : ﴿ أَقْرَأْ ﴾ فليس في الآية مفعول به ، مما يدل على

إرادة عموم القراءة ، قال الشوكاني في تفسيره : " والأمر بالقراءة يقتضي مقروءاً " (٤) والباحث

يرى أن هذا المقروء يتسع ليشمل كل معرفة تنتفع منها البشرية في أمور دينها ودنياها ، وهو ما يتفق مع شمولية العلم والمعرفة في القرآن الكريم ، ليكون معنى الآية : اقرأ أيها المسلم في كل تخصص نافع مفيد ، واقراء أيها المعاهد والجامعات ومراكز البحث العلمي في كل معرفة نافعة مهما كان تخصصها .

(١) - [سورة العلق: الآية ١]

(٢) - [سورة العلق: الآية ١]

(٣) الزمخشري ، الكشاف ، ج ٦ ص ٤٠٣

(٤) الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٥ ص ٤٦٨

ولئلا يظن البعض أنها دعوة إلى القراءة المتحررة من كل ضابط ديني خلقي رباني ، جاء

التأكيد في نفس الآية الكريمة على أن تكون القراءة ( باسم الله ) فقال سبحانه : ﴿ **أَقْرَأْ بِاسْمِ**

**رَبِّكَ** ﴾ وقد ذكر القرطبي — رحمه الله — في تفسير هذه الآية : " أن الباء في قوله تعالى : ﴿

**بِاسْمِ رَبِّكَ** ﴾ بمعنى ( على ) أي : اقرأ على اسم ربك " (١) لتكون القراءة على ما يريد الله

تعالى ، لا على ما تريد الأهواء والأمزجة البشرية ، فلا قراءة على اسم النفس وحظوظها الشهوانية ، ولا قراءة على اسم العائلة وحظوظها المتكبرة ، ولا على اسم القبيلة أو العشيرة وحظوظها التسلطية ، ولا قراءة على اسم الوطن وحدوده الضيقة القطرية ، إنما هي القراءة العالمية التي لا تتقيد بلون أو بلد أو جنس أو أو عائلة أو قبيلة ، إنها القراءة ( على اسم الله ) لأن القراءة ( باسم الله تعالى ) قيد للمعرفة من الانحراف .

وقد جاء ختام الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ **الَّذِي خَلَقَ** ﴾ وذلك لئلا يقول

متطفل لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، لماذا القراءة على اسم الله ؟ لقد كانت القراءة على اسم الله يوم كان الإنسان جاهلاً يلقي بعبئه على الله ، أما بعد أن غزا الفضاء ، وغاص في أعماق الماء ، وفجر الذرة ، واكتشف المجهول ، فإنه لم يعد في حاجة إلى الله !!! فكان الجواب حاسماً في ختام الآية

بقوله تعالى : ﴿ **الَّذِي خَلَقَ** ﴾ فإن في عرف كل عاقل أن الصانع أعلم بالمصنوع ، وإذا

كان الأمر كذلك ، فإن الخالق أعلم بالمخلوق ، وإلا فكيف يؤمن فقام من الناس بأن الصانع أعلم بالمصنوع ، فإذا قيل والخالق أعلم بالمخلوق قالوا : لا !!! إن هذا لشيء عجيب !!! لا تؤمن به فطرة سوية ، ولا يقبله عقل سوي .

ثم إن البشرية قد ذاقت الويلات من جراء علوم كثيرة ، قرأ فيها أصحابها على غير اسم الله ، فشقيت بقراءاتهم البشرية ، وانتكست في حمأة الفساد ، وغاصت فيها إلى الأذان .

وفي ظلال الآية الكريمة من صدر سورة العلق ، التي يعطي مدلوها شمولية العلم في القرآن الكريم ، يتأكد على الأمة المسلمة أن تقرأ في كل جانب من جوانب التخصصات المعرفية المختلفة ، وعلى رأس هذه العلوم ( العلوم الشرعية ) وهي أفضلها على الإطلاق ، وفي مقدمة هذه العلوم

(١) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٢٠ ، ص ١١٩

الشرعية ( علم التوحيد ) وفي مقدمته ( علم أسماء الله تعالى وصفاته ) إذ : " لا ريب أن أشرف العلوم على الإطلاق هو العلم بالمعرف بالله تعالى ، لأن شرف العلم بشرف المعلوم ، لذلك احتل علم توحيد الاسماء والصفات مكان الصدارة بين سائر العلوم الشرعية ، فضلا عن غيرها " (١) ويتأكد على الأمة المسلمة — ولو على فرض الكفاية — أن تقر في العلوم الإنسانية كعلم النفس ، والتربية ، والاجتماع ، لتصحح ما علق بالحياة من فساد في التصورات جلبته هذه العلوم الإنسانية المستحدثة التي ولدت في بيئات غربية علمانية كافرة ، وهو ما ذكره بعض المتخصصين في العلوم التربوية حيث يقول : " لكن النقد الأساسي الذي يوجه للعلوم التربوية هو أنها نشأت في بيئات جاهلية تؤمن بالعلمانية " (٢) فجعلت من الإلحاد على منهجية ( التأريخ الظني ) منطلقا لها عند الحديث عن هذه العلوم ، وهو ما أكده بعض المتخصصين في هذه العلوم حين قال عن انحرافات هذه العلوم : " لأن التطور الإلحادي لأصل الإنسان — والذي قال به التطوريون قد أصبح اليوم هو أساس جميع العلوم الإنسانية وغير الإنسانية ، وبالتالي أساس علم النفس بجميع مدارسه " (٣)

إذن فالحاجة ماسة إلى القراءة في مثل هذه العلوم ، لتنقيتها مما علق بها من ضلالات وأوهام ، لعلمنا أن ليس هناك منهج تربوي أعطى للبشرية الحقائق العلمية عن التربية في غاياتها وأهدافها وأساليبها ووسائلها وأعطى الحقائق العلمية عن النفس الإنسانية — فبنى من خلال تلك الحقائق مجتمعات مثالية تتوازن فيها الحقوق والواجبات ، وتتوازن فيها مطالب الدنيا والآخرة — غير الإسلام .

ويتأكد على الأمة المسلمة أن تقر في العلوم الطبيعية بكل تخصصاتها على فرض الكفاية — قراءة تهتدي بعلاقة التسخير التي بينها القرآن الكريم ، لتذليل سبل الحياة ، وتيسير سبل المعيشة للإنسان ، وقد ذكر الغزالي — رحمه الله — نموذجين لهذه العلوم ، وهما : الطب والحساب ، ثم قال : " وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عن من يقوم بها حرج أهل البلد ، وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين " (٤) لتخليها عن واجب الكفاية في مثل هذه العلوم التي لا يمكن أن يستغني عنها المسلم على ظهر هذه الأرض .

(١) عبدالله الدميجي ، اسم الله الأعظم ، ص ٥

(٢) عبدالرحمن صالح ، التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية ، ص ١٩

(٣) محمد رشاد خليل ، علم النفس الإسلامي العام والتربوي ، ص ٤١

(٤) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج ١ ص ١٦

ولعل هذا الواحد الذي تخرج به الأمة عن الحرج — كما ذكره الغزالي رحمه الله — يمكن أن يتسع ليشمل أفرادا ومؤسسات وهيئات تتعدد في كل مجتمع ، وتتنوع احتياجات الأمة إليها .  
وبالجمل ، فإن المسألة تقدر بقدرها وفق حاجة الأمة ومتطلبات حياتها المادية في كل عصر ومصر .  
على أن تكون القراءة في هذه التخصصات كلها على اسم الله ، لتحقيق العبودية لله رب العالمين ، الأمر الذي يجمع للبشرية شتات هذه المعارف ، فنصب كلها في مصب واحد ، حين تكون تكون غاياتها واحدة ، ووسائلها وأساليبها تدور في فلك الإسلام ، وهو ما يحقق للبشرية على الأرض سعادتها التي ينشدها كل عاقل ، ذلك أن المعارف حين تتجزأ ، ويصبح أصحابها جزرا متناحرة ، وأحزابا متناحرة ، ينعكس أثرها على الإنسان فيعيش حياة متناقضة متنافرة ، فيتمزق إربا بين معرفة مادية أرضية وضعية وضبعة لا تجعل للمغيب في حياتها حسابا ، ومعرفة دينية محرفة ضالة لا تجعل للدنيا في حسابها نصيبا ، أو حين يتصارع المتخصصون في جوانب المعرفة المختلفة ، ويتخاصمون ، ويتنازرون بالألقاب ، كل يرشق الآخر بما في جعبته من سهام ، واصفا غيره بالتخلف والرجعية ، معتقدا أنه الذي يملك ناصية العلم وحده .

ولكن ، لو أن جميع المتخصصين في جوانب المعرفة ينطلقون من منطلقات واحدة ، ويتجهون نحو غايات واحدة ، وهي تحقيق العبودية لله تعالى ، لكانت البشرية تسير في علومها سيرا معتدلا واعيا ، لا يستنزف الصراع طاقاتها وإمكاناتها ، ولا يبعثر جهودها ومقدراتها ، ولا تتشتت على أثر ذلك القلوب ، فتتحول الحياة إلى مسرح لنصراع الشهواني البهيمي الذي لا يرحم .  
وعليه ، فإن مفهوم العلم في القرآن مفهوم واسع وشامل ، يستوعب كل معرفة مفيدة ، ويدعو إلى أن يتكامل المتخصصون في جوانب المعرفة المختلفة ، لأن ذلك يندرج تحت قاعدة كلية عظيمة المقام ، جليلة القدر ، ألا وهي قاعدة التعاون على البر والتقوى ، التي جاءت واضحة في قوله سبحانه :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ <sup>ط</sup> وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ

وَالْعُدْوَانِ ﴿١﴾

(١) - [سورة المائدة: الآية ٢]



وتتجلى تفصيلات هذه القاعدة الجلية وتطبيقاتها التربوية في قوله تعالى : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ

رَبِّكَ ﴾ حيث يجتمع في تحقيق هذه الآية جملة من التخصصات المختلفة وهي : التخصص اللغوي

، والتخصص التربوي ، والتخصص الشرعي .

فالتخصص اللغوي بحذفة للمفعول من الجملة يؤكد على إرادة عموم القراءة ، والتخصص

التربوي بهذه القاعدة يفتح لنفسه وللآخرين مجالات أرحب للقراءة في التخصصات المختلفة للعلوم الإنسانية والطبيعية ، والتخصص الشرعي يضع القيد لهذه المعارف المختلفة ، مؤكداً أن تكون هذه العلوم والمعارف — على اختلاف تخصصاتها — على اسم الله تعالى لئلا تنحرف بالبشرية عن الجادة

ما دامت على اسم الخالق ، العالم بما يصلح عباده وما يصلح لهم ، وهو القائل في محكم ما أنزل :

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١)

كما أن القرآن الكريم يدعو إلى الإبداع في مجال التخصص وفق القاعدة الكلية التي جلت

واضحة في قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ ﴾ (٢)

﴿ (١) فهذه الآية الكريمة تحدد سمتين رئيسيتين لكل من يستأجر على عمل من الأعمال علمي كان

أم مهني ، ألا وهما : القوة والأمانة ، إذ لو أن أهل كل تخصص تحققت فيهم هاتان الخصلتان : القوة في التخصص ، والأمانة في الأداء ، لكانت الحياة المسلمة مسرحاً للإبداع العلمي ، حيث التكامل الواعي بين التخصصات العلمية المختلفة ، مقروناً بالقوة في التخصص ، والأمانة في الأداء ، وهو مطلب شرعي ملح ، وخاصة في مثل هذه الأزمنة التي تمر بها الأمة المسلمة .

كما أن المتدبر لكتاب الله تعالى يجده يدور في الغالب على محاور ثلاثة لا يكاد يتجاوزها إلى غيرها ، أولها : ما يتعلق بتوحيد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وما يتعلق بها من قضايا العبادة ، وثانيها : ما يتعلق بالقضايا الكونية ، وما أودع الله فيه من الحكم والأسرار ، وما يحكمه من سنن وقوانين ونواميس ، يسير من خلالها في دقة متناهية ، وثالثها : ما يتعلق بأحوال الأمم

(١) - [سورة الملك: الآية ١٤]

(٢) - [سورة القصص: الآية ٢٦]

السابقة وعلاقتها برها سبحانه من حيث الإقبال والإدبار ، ومن حيث عمران الأرض وطريقة الحياة

وكل بُعد من هذه الأبعاد تتعلق بها علوم متخصصة ، فالبعد الأول : تتعلق به علوم الشريعة على اختلاف تخصصاتها ، على أن يكون بين المسلمين من هذه العلوم قدرا مشتركا لا يعذر أحد بجهله ، ثم يكون ما بقي ميدان اجتهاد ومناقسة بين أهل العلم فيه .  
والبعد الثاني : تتعلق به العلوم الطبيعية على اختلاف تخصصاتها ، والبعد الثالث : تتعلق به العلوم الإنسانية على اختلاف تخصصاتها كذلك .

على أن المتخصصين في هذه العلوم كلها حين يريدون بها وجه الله تعالى تكون لهم ضريبا من العبادة ، وهو ما يدعو المسلم إلى الإبداع حين يشعر في قرارة نفسه أن يمارس هذه الفنون وهو مأجور عند ربه ، مسدد في دنياه وآخرته .

وهذه الصورة هي التي تعطي شمولية المعرفة في القرآن الكريم ، فلا مادية مفرطة لا تؤمن بالله تعالى ، ولا رهبانية مبتدعة ما كتبها الله تعالى ، وإنما هو التوازن بين مطالب الدنيا والآخرة ، ذلك أن الذي أمر بتقوى الله عز وجل ، وجعلها خير لباس كما في قوله تعالى :

﴿ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ (١) هو الذي قال أيضا :

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا

وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ (٢)

وعليه فقد نادى بعض من كتب في التربية بتوسيع مدلول العبادة حتى تشمل ثلاثة مظاهر هي : المظهر الشعائري ، والمظهر الاجتماعي ، والمظهر الكوني ، حيث يقول : " ولذلك فقد اشتمل مفهوم العبادة في التربية الإسلامية على ثلاثة مظاهر : مظهر شعائري ، ومظهر اجتماعي ، ومظهر كوني .

أما المظهر الشعائري فهو يتمثل في شعائر وممارسات ترمز إلى أشكال الحب والطاعة التي يعبد بها الإنسان الخالق ، وأما المظهر الاجتماعي ، فموضوعه الثقافة والقيم والعادات والتقاليد والقيم

(١) - [سورة البقرة: الآية ١٩٧]

(٢) - [سورة الملك: الآية ١٥]

والنظم ، وأما المظهر الكوني للعبادة فموضوعه العلوم الطبيعية التي توفر للعالم المسلم دخول مختبر الآفاق ، وإبراز معجزات العصر وبرايمه وتوفير الشواهد التي تكشف عن عظيم صنع الله وقدرته ،

وتقنع المتعلم الجديد والأجيال الجديدة بوجود محبة الخالق محبة كاملة وطاعته طاعة كاملة . (١)

وسيشير الباحث — بإذن الله تعالى — إلى التطبيقات التربوية لهذه المظاهر في المؤسسات

الجامعية المعاصرة في بلاد المسلمين في مكانها المناسب من البحث .

وليست الدعوة إلى شمولية هذه المظاهر لمفهوم العمل الصالح ببدعة في المفهوم التربوي

الإسلامي ، فقد تضمنها كتاب الله الكريم ، ودعا إليها ، وجعل كل جهد يبذل فيها ضرباً من العبادة التي ينتفع منها صاحبها في الدنيا والآخرة .

### مفهوم التفكير العلمي في القرآن الكريم .

يرى الباحث أن الكتب الحديثة التي تكلمت عن التفكير العلمي تقصره على جانب واحد

فقط متعلق — في الغالب — بالعلوم البشرية التي تركز على حل ما يعترض الإنسان في حياته من

مشكلات ، فقد جاء في بعض كتب البحث العلمي ومنهجيته تعريف للتفكير العلمي ، ومن ذلك

قول بعضهم هو : " منهج أو طريقة منظمة يمكن استخدامها في حياتنا اليومية أو في أعمالنا ودراساتنا

" [ ثم يقول ] : إن التفكير العلمي هو بالتأكيد نتيجة للجهود التي بذلها العلماء في بحثهم عن المعرفة

الإنسانية " (٢) ومن هذه المعارف البشرية التي يحصر فيها التفكير : العلوم الطبيعية حيث يحصر كثير

من كتب عن طرائق التفكير ومناهج البحث مفهوم التفكير العلمي على هذه العلوم التي تقوم على

المنهج التجريبي ، فأصبح التفكير العلمي قاصراً على جزء من المعرفة البشرية لا يتعداها إلى غيرها .

بينما التفكير العلمي في القرآن الكريم أشمل مراد ، وأوسع مدلولاً من كونه محصوراً في

جانب واحد من جوانب المعرفة .

وعليه ، فإن الباحث يقصد بالتفكير العلمي : إعمال العقل من أجل اكتشاف حقيقة

مجهولة ، أو البرهنة على حقيقة موجودة ، مما يتعلق بأمور الدنيا أو الآخرة ، في خطوات علمية ،

منطقية ، مقصودة ، منظمة ، مدروسة ، محاطة بالتوجيه الرباني في قواعد كلية ، أو إجراءات تفصيلية

، سواء كان مجال التفكير هي العلوم الشرعية أم الإنسانية أم الطبيعية ، وسواء كان ميدانيه الغيب (٣)

أم الشهادة .

(١) ماجد الكيلاني ، فلسفة التربية الإسلامية ، ص ٨٥-٨٦

(٢) ذوقان عبيدات وآخرون ، البحث العلمي ، ص ٤٨

(٣) يقصد الباحث بالغيب هنا ، ما غاب عن حواس الإنسان ، مما هو موجود في عالم الشهادة ، حتى يكشف .

وهو ما أكده بعض الباحثين بعد أن ساق جملة من تعريفات التفكير العلمي بقوله : " إن التفكير ليس حكرا على العلوم التطبيقية ، ولا على القضايا التجريبية ، وإنما هو طريقة في التفكير ذات منهجية منظمة ، وخطوات مقننة ، هدفها الحقيقة ، يمكن أن تطبق على المجالين النظري والتطبيقي " (١)

وقد وصف الباحث التفكير في القرآن الكريم بـ (العلمي) ليفرق بينه وبين التفكير العادي العشوائي ، لأنه لا يوجد في القرآن الكريم إلا وصف واحد للتفكير وهو أنه (علمي) منطقي ، منضبط ، مقنع ، قائم على توجيهات ربانية تحدد مساره ، وترسم طريقه ، ليصل إلى نتائج صحيحة فيما يتناوله من قضايا .

### **اثر توجيهات للقرآن الكريم - في الدعوة إلى التفكير العلمي - على علماء المسلمين في مختلف جوانب المعرفة :**

منذ أن نزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء ، وأمر بتبليغ دين الله إلى الثقلين ، كانت الأمة المسلمة تصدر عن الكتاب والسنة في كل شأن من شئون حياتها ، إذ كان القرآن الكريم يوجهها إلى العم ويدعوها إلى المعرفة بأساليب مختلفة ، تارة بالأمر ، وتارة ببيان فضل العلم والعلماء ، وتارة بدم الجهل والجاهلين ، وتارة بالتنديد بمن يملكون عقولا معطلة عن التفكير السليم الذي يقود صاحبه إلى ما ينفعه في أمور دينه ودنياه .

إضافة إلى أن الدعوة إلى العلم كانت توجه - في توازن كبير بين مطالب الدنيا والآخرة - إلى العقل ، ذلك أن الذي أمر بالتزود من التقوى ، وأخبر أنها خير الزاد ، كما قال سبحانه : ﴿

وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۗ﴾ (٢) هو الذي أمر بالسير في

الأرض بحثا عن الرزق كما قال سبحانه : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا

فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (٣)

والسير في الأرض بحثا عن الرزق وتحسين سبل المعيشة يختلف باختلاف الأفراد والأمم والشعوب والدول في نوعيته وأهدافه ووسائله وإمكاناته ، وكلما كان تحسين سبل المعيشة راقى النوع ، عظيم الهدف ، متعلقا بمصالح كبيرة لبعض الأفراد أو الأمم أو الشعوب أو الدول ، كلما

(١) نايف الشريف ، التربية الإسلامية وقضية التفكير العلمي ، ص ٥٧

(٢) - [سورة البقرة: الآية ١٩٧]

(٣) - [سورة الملك: الآية ١٥]

احتاج إلى عقول مفكرة مبدعة ، تستخدم في ذلك الطرق العلمية القائمة على التخطيط المسبق ، والتنفيذ الدقيق ، والمتابعة الجادة ، والتطوير المستمر ، بغية استثمار ما أودع الله في هذا الكون من النعم التي سخرها للإنسان استثماراً أسئل ، فتوجهه لمصلحة الإنسان لأن : " الإسلام يتطلب من العقل البشري استخلاص الطاقة المادية وتذليلها لخدمة الإنسان " (١) على أن تلتزم هذه العقول بالضوابط الخلقية لتكون نتائج ما يقدمونه للبشرية من أبحاث — في مختلف جوانب المعرفة — نافعة ، وإلا تحولت على أيدي الباحثين والمفكرين والمبدعين — الذين لا يلتزمون بمثل هذه الضوابط — إلى أدوات هدم ، ووسائل تخريب ، وعوامل تدمير ، الأمر الذي جعل الكثير ممن ترددت في نفوسهم نداءات الفطرة — من غير المسلمين — ينادون بضرورة عودة القيم إلى ميادين البحث العلمي لتضبط مسيرته ، وتتفجع من نتائجه .

لقد كان لتوجيهات القرآن الكريم أبلغ الأثر في الدعوة إلى التفكير العلمي على علماء المسلمين في مختلف جوانب المعرفة ، ذلك أن جوانب المعرفة المختلفة لا تقوم إلا على العلم ، والعلم لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال منهجية واعية ، تؤكد على إعمال العقل ، وتستثمر قدراته . وقد دعا القرآن الكريم المسلمين إلى التفكير العلمي في سائر جوانب المعرفة النافعة سواء كانت فيما يتعلق بأمر الدنيا أو الآخرة ، وقد جعل الباحث جوانب المعرفة في ثلاثة تصنيفات ، يتفرع من كل صنف علوم كثيرة متخصصة ، وهذه التصنيفات الثلاثة هي : العلوم المتعلقة بإقامة الشعائر الدينية ، وهي ما يمكن تسميتها بـ ( العلوم الشرعية ) والعلوم المتعلقة بالكون ، وهي ما يمكن تسميتها بـ ( العلوم الطبيعية ) والعلوم المتعلقة بالاجتماع البشري ، وهي ما يمكن تسميتها بـ ( العلوم الإنسانية ) وتفصيل ذلك ، كما يلي :

### أولاً : العلوم الشرعية :

يتميز الإسلام عن غيره من الأديان والمذاهب والأنظمة والقوانين ، بسميزات كثيرة منها : عالمية رسالته ، ووسطية منهجيته ، يتبين ذلك من خلال أمور كثيرة منها : تحقيقه لجانب التوازن الكبير بين مطالب الدنيا والآخرة ، ولا تعني هذه الموازنة بـ ( التشطيرية ) أو ( التنصيفية ) إنما تعني إعطاء كل نصيب منهما قدره ، ويتحقق هذا القدر من خلال معرفة الإنسان بمدى مكثته في كل منهما فعلى قدر مكث الإنسان في هذه الحياة الدنيا يعطيها من عنايته ، وعلى قدر مكثه في الآخرة يعطيها من عنايته ، دون إفراط أو تفريط .

وإذا كان البحث عن الرزق ، وتحسين سبل المعيشة — وهو أمر تابع للمهمة الكبرى التي خلق الإنسان من أجلها — تكون جودة إنتاجه في الكم والكيف مبنية على دراسات علمية مسبقة ،

(١) سيد سابق ، ومحمد عدلان ، التربية العقلية في الإسلام ، ص ٣

فإن المهمة الكبرى التي خلق الخلق من أجلها ، وهي المهمة المتبوعة ، عبادة الله تعالى بمفهومها الشامل ، وفي طليعة هذه العبادة الشاملة إقامة الشعائر الدينية ، وهي الأصل الأصيل والركن الركين لتحقيق مفهوم العبودية لله تعالى ، فلا بد أن تقوم كذلك على أسس علمية منطقية واعية حينما تعرض الحق على الناس من جهة ، وتبين لهم بطلان الباطل من جهة أخرى .

كما أن دعوة القرآن الكريم إلى التفكير وإعمال العقل في نهاية الآيات التي تبين الحكمة من التشريع ، ما جاءت إلا لتؤكد على تلك المنهجية العلمية الواعية ، التي تجمع وتحلل وتستنبط وتعمم ، وقد جاءت بنية العلوم الشرعية ، وما يتعلق بها من علوم أخرى وفق تلك المنهجية المنضبطة في فقهها الأكبر والأصغر ، فقه العقيدة وفقه العبادة .

وبما أن العلوم الشرعية — وما يتعلق بها من علوم أخرى — كثيرة ومتنوعة ، ولكل لون منها فروع دقيقة متخصصة ، فسوف يقتصر الباحث على إعطاء لمحة موجزة عن علمي العقيدة وأصول الفقه كنموذجين من النماذج الكثيرة التي تبين مدى عناية الأمة المسلمة في كتاب ربها وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم بالمنهجية العلمية عند تناول بالبحث والدراسة ، من خلال تأكيدها على الفقهاء : الفقه الأكبر وهو المتعلق بأصول الدين : " وهو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع ، ولهذا سمى الإمام أبو حنيفة — رحمه الله — ما قاله وجمعه في أوراق من أصول الدين الفقه الأكبر [ وبين — رحمه الله — أن ] حاجة العباد إليه فوق كل حاجة ، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة . . . وعلى هذه المعرفة تبني مطالب الرسالة من أولها إلى آخرها " (١) والفقه الأصغر وهو المتعلق بالعبادات ، وكيفية أدائها على الوجه الصحيح المشروع ، وتفصيل ذلك كما يلي :

### علم العقيدة :

وهو العلم المتعلق بالله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، والمتأمل في القرآن الكريم يجده يدعو إلى التفكير العلمي عند الحديث عن الله تعالى لإثبات أنه الخالق الذي أبدع هذا الكون بمن فيه وما فيه ، وأن الكون في حركته الدقيقة الدائمة ، وما فيه من التوازن العجيب بين مكوناته لم يوجد بمحض الصدفة كما يزعم الملاحدة ، مع التأكيد على أهمية الربط بين الخلق والأمر ، فإن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية ، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية ، بمعنى أن الذي يستحق العبادة وحده هو الخالق وحده ، وأن الذي لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا لا يستحق أن يكون شريكا لله في العبادة ، فضلا عن أن يكون معبودا من دون الله تعالى ، ولهذا كانت دعوة القرآن الكريم إلى التوحيد من جهة ، ومجادلته للمشركين من جهة أخرى مبنية على أسس علمية منهجية في غاية الإقناع ، وهو ما استفاده علماء الإسلام الذين ألفوا الأسفار

(١) ابن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٦٥

العلمية الكثيرة في جانب العقيدة ، حيث جاءت أطروحاتهم فيما تناولوه من قضايا عقدية مبنية على منهجية في التفكير العلمي جد واعية ، كاستدلالهم بدلالات اللزوم ، والأولى ، والتضمن ، والعناية بالمقدمات ، والبحث عن الدليل النقلي أو العقلي ، ومن أمثلة ذلك ما ذكره ابن أبي العز الحنفي — رحمه الله — حينما ناقش قضية توحيد الخالق سبحانه ، وأنه المتصرف في الكون وحده ، لا يشركه في ذلك ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، فقال : " والمشهود عند أهل النظر إثباته [ أي التوحيد ] بدليل التمانع ، وهو : أنه لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم ، وآخر تسكينه ، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته : فإما أن يحصل مرادهما ، أو مراد أحدهما ، أو لا يحصل مراد واحد منهما ، والأول ممتنع ، لأنه يستلزم الجمع بين الضدين ، والثالث ممتنع لأنه يستلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون ، وهو ممتنع ، ويستلزم أيضا عجز كل منهما ، والعاجز لا يكون إلها ، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هذا هو الإله القادر ، والآخر عاجزا لا يصلح للإلهية " (١) وهذه صورة من صور التفكير العلمي المنطقي في مقدمات علمية منطقية يسلم بها المجادل ، لتسلم إلى نتيجة معلومة واضحة ، لا يسلم بها إلا معاند مكابر ، كما أنهم ناظروا المخالفين بالحجج العقلية الباهرة فبهت الذي كفر ، وعاد منهم من كان بجاثا عن الحق ، وبان عور المعاند بعد أن ألزم الحجة .

ومن ذلك ما ذكره ابن كثير — رحمه الله — في تفسيره من أن الإمام أبا حنيفة رحمه الله ناظر بعض الملاحدة حول السفينة التي تمخر عباب البحر دون ريان ، فقد : " سألوه عن وجود الباري تعالى فقال لهم : دعوني فأني مفكر في أمر قد احترت فيه ، ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر ، وليس بها أحد يجرسها ولا يسوقها ، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها ، وتخرق الأمواج العظام حتى تتخلص منها ، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد ، فقالوا : هذا شيء لا يقوله عاقل ! فقال : ويحكم ! هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي ، وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع ؟! فبهت القوم ، ورجعوا إلى الحق ، وأسلموا على يديه " (٢)

وهذا حير الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما : " جيء إليه بشاب حيرت الخصومة عقله ، قال له : امدد بصرك يا ابن أخي ، ما السواد الذي ترى ؟ قال : فلان ، قال : صدقت ، قال : فما الخيال المسرف من خلفه ؟ قال : لا أدري ، قال عبدالله : يا أخي فكما جعل الله لأبصار العيون حدا محدودا من دونها حجابا مستورا ، فكذلك جعل لأبصار القلوب غاية لا

(١) ابن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٧٨

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ص ٧٨

يجاوزها ، وحدودها لا يتعداها ، قال الراوي : فرد الله على الشاب غارب عقله وانتهى عن المسألة عما لا يعنيه " (١) فهاهو الخبر — رضي الله عنه — يضع كلامه في صورة مثال محسوس قبل أن يتحدث في القضية التي حيرت عقل الشاب ، ثم يحملها على القضية ، ليعود إليه غارب عقله ، وينتهي عن السؤال فيما لا يعنيه .

وما مناظرة ابن عباس — رضي الله عنه — للخوارج ، وعودة أربعة آلاف منهم إلى الحق ، إلا من خلال منهجية علمية متدرجة في التفكير حتى سلم المعاند وأقبل على الحق طائعا مختارا .  
ومن الجوانب العقدية التي وردت في القرآن الكريم مبنية على منهجية علمية واعية قضية البعث بعد الموت ، وقد ضرب المولى — سبحانه — أمثلة تدل على تحقق وقوعها بأدلة عقلية وواقعية ، فأما العقلية فمنها : أن القادر على الخلق ابتداءً قادر على الإعادة ، وأما الواقعية فرؤية الناس للأرض وهي تحيا بالزررع حينما يتزل عليها الغيث بعد موتها بالجذب ، إضافة إلى ما في ذلك من أعمال العقل من الربط بين حياة القلوب وحياة الأرض ، ومنها قصة إحياء قتيل بني إسرائيل بضرب بدنه ببعض أجزاء البقرة ، وقصة مرور رجل على قرية خاوية على عروشها ، وتساؤله عن إحياء الله لها بعد موتها ، فأما الله تعالى مائة عام ثم بعثه ، ثم أراه الله تعالى طعامه وشرابه لم يتغير مدة مائة عام ، وأحى له حماره أمامه بعد أن أنشز عظامه وكساها باللحم ، وكقصة مرور نبي الله إبراهيم عليه السلام بحيوان ميت على شاطئ البحر ، قد تفرق لحمه وعصبه ودمه في بطون السباع وحواصل الطير ، فسأل ربه كيف يحيي الموتى ويعيد هذه الأشلاء المتناثرة ، فأراه الله تعالى ذلك بالطيور الأربعة (٢)

وكقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ، ثم أحياهم (٣) .  
وبمجموع هذه القصص يؤكد على أن الذي قدر على الإحياء بعد الإمامة في الدنيا قادر على ذلك في الآخرة ، وأن الذي يبدو الخالق من العدم ، تسهل عليه الإعادة من باب أولى ، وهذه كلها أدلة عقلية تضمنتها الأدلة النقلية التي وردت في كتاب الله تعالى .

### علم أصول الفقه :

وهو العلم الذي يتخذ من الأصول والقواعد طريقا له إلى استنباط الأحكام الشرعية الفقهية ، في منهجية علمية منضبطة ، تراعي الثوابت ، وتبدع في التعامل مع المتغيرات ، فتكون نتائجه منضبطة مقنعة ، لكونها تستند إلى النقل والعقل معا ، وفي هذا المعنى يقول أبو حامد الغزالي — رحمه

(١) ابن بطة العكبري ، الإبانة ، ص ٤٢٢

(٢) وردت هذه القصص في سورة البقرة في الآيات ٢٦٠ - ٢٧٣

(٣) هذه القصص وردت في سورة البقرة في الآيات ٧٣ ، ٢٤٣ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ،



الله — وهو يتحدث عن فضل هذا العلم ، هو : " العلم الذي ازدوج فيه العقل والسمع ، واصطحب فيه الرأي والشرع ، فأخذ من صفوة الشرع والعقل سواء السبيل ، فلا هو تصرف بمحض العقول الذي لا يتلقاه الشرع بالقبول ، ولا هو مبني على محض التقليد الذي لا يشهد له العقل بالتسديد والتأييد " (١)

ومما يدل على انتهاج هذا العلم منهجية علمية في التفكير ما قاله ابن رجب الحنبلي — رحمه الله — وهو يضع منهجته العلمية في مقدمة كتابه القواعد حيث يقول : " أما بعد : فهذه قواعد مهمة ، وفوائد حمة ، تضبط للفقيه أصول المذهب ، وتطلعه من مأخذ الفقه على ما كان عنه قد تغيب ، وتنظم له منثور المسائل في سلك واحد ، وتقيد له الشوارد ، وتقرب عليه كل متباعد " (٢)

وقد نقل الزركشي — رحمه الله — كلاما لإمام الحرمين يقول فيه : " والوجه لكل متصد للإقلال بأعباء الشريعة أن يجعل الإحاطة بالأصول شوقه الأكبر ، وينص مسائل الفقه عليها نص من يحاول بإيرادها تهذيب الأصول ، ولا ينزف حمام الذهن في وضع الوقائع مع العلم بأنها لا تنحصر مع الذهول عن الأصول " (٣) وهذا صحيح لا يختلف عليه اثنان ، ولا تنتطح فيه عنزان ، فإن الوقائع التي ذكرها إمام الحرمين يقصد بها الجزئيات ، ولا يمكن حصرها ما دامت الحياة تتجدد ، لكنه يمكن ضبطها إذا كانت العناية بالأصول لتندرج تحتها كل واقعة مهما تقادم عليها الزمان .

كما أشاد الإمام الشوكاني — رحمه الله ، بمنهجية الأصوليين في وضع هذا العلم ، وأثنى على طريقتهم العلمية في تععيد قواعد ، المرتبطة بالأدلة العلمية العقلية والنقلية ، وبين قدرتهم على الإقناع العلمي فقال : " فإن أحدهم إذا استشهد لما قاله بكلمة من كلام أهل الأصول أذعن له المنازعون وإن كانوا من الفحول ، لاعتقادهم أن مسائل هذا الفن قواعد مؤسسة على الحق الحقيقي بالقبول ، مربوطة بأدلة علمية من المعقول والمنقول ، تقصر عن القدرح في شيء منها أيدي الفحول وإن تبالغت في الطول " (٤)

وذلك لأن القواعد الأصولية والفقهية إنما هي ثمرة استقراء نصوص الكتاب والسنة ، صيغت في هيئة قواعد كلية يندرج تحتها كل جديد في مختلف جوانب الحياة .  
وبما أن أصول الفقه قائم على تععيد القواعد ، لتضبط للعالم ما يتعلق بها من جزئيات فقد عرف الإمام السبكي — رحمه الله — القاعدة ، حينما تحدث عن القواعد الفقهية — التي تعد الوجه

(١) أبو حامد الغزالي ، المستصفى من علم الأصول ، ج ١ ص ٤

(٢) ابن رجب ، القواعد ، المقدمة .

(٣) الزركشي ، البحر المحيط في أصول الفقه ، ج ١ ص ١٢

(٤) الشوكاني ، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول ، ص ١٥-١٦

الثاني من علم أصول الفقه كما يراه بعض المتخصصين — فقال : القاعدة هي : " الأمر الكلي الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة تفهم أحكامها منها " (١)

وإن كان بعض المتخصصين يرى أن هناك فرقا بين أصول الفقه والقواعد الفقهية حيث يرى : " أن علم الأصول يبين المنهاج الذي يلتزمه الفقيه ليعتصم به من الخطأ في الاستنباط ، أما القواعد الفقهية فهي مجموعة الأحكام المتشابهة التي ترجع إلى قياس واحد يجمعها ، أو إلى ضبط فقهي يربطها " (٢) إلا أنهما قائمان على منهجية علمية في التفكير جد رائعة .

وما من شك أن المتجادلين إذا اتفقوا على تحديد القاعدة بدقة كانت هذه القاعدة ملزمة لهم فيما يتجادلون حوله من الجزئيات ، إضافة إلى أنها تختصر الوقت والجهد ، ذلك أن الجزئيات المتعلقة بالقواعد لا تنتهي إلى يوم الدين ، فكان ضبط القاعدة ضبطا لكل جزئياتها مهما تعددت .

وقد وصف هذا العلم الجليل — علم أصول الفقه — بعض المعاصرين بقوله : " فهو من أبعد العلوم أثرا في تكوين العقلية الفقهية القادرة على الدرس والفحص والاستنباط السليم . . . وبالجملة : فعلم الأصول هو المنهاج القويم لفهم العلوم المختلفة ، والأساس الذي لا بد منه لبناء شخصية العالم " (٣)

ولما اهتم بعضهم علم أصول الفقه بأنه : " نُبذت جمعت من علوم متفرقة كعلم النحو وعلم الكلام وغيرهما [ رد عليهم الزركشي — رحمه الله — بقوله ] : إن الأصوليين دققوا النظر في فهم أشياء من كلام العرب لم تصل إليها النحاة ولا اللغويون ، فإن كلام العرب متسع ، والنظر فيه متشعب ، فكتب اللغة تضبط الألفاظ ومعانيها الظاهرة ، دون المعاني الدقيقة التي تحتاج إلى نظر الأصولي ، باستقراء زائد على استقراء اللغوي " (٤)

وما من شك أن العلم الذي يهتم بالقواعد التي تقيد الشوارد ، وتقرب كل متباعد ، وتضبط عملية الفهم والقياس ، وتلحق الفرع بالأصل ، والجزء بالكل ، وتستوعب كل جديد يقع في حياة الناس هو العلم الذي يحرك الذهن ، ويثير التفكير ، فيضبط للفقيه ملكة الاستنباط ، التي يعدها الباحث ضربا من منهجة التفكير العالمي التي دعا إليها القرآن الكريم ، وعليه فإن علم الأصول بشقيه : الأصول والقواعد هو من أجل العلوم الشرعية التي تضبط للعالم المسلم استنباط الأحكام في التفسير والحديث والفقه وغير ذلك ، وهو ثمرة من ثمرات استجابة الأمة لأمر ربها في كتابه الكريم وهو يدعو إلى استثمار القدرات العقلية وفق خطوات علمية محكمة تقود إلى نتائج سليمة بإذن الله .

(١) السبكي ، الأشباه والنظائر ، ج ١٠ ص ١١

(٢) محمد أبو زهرة ، أصول الفقه ، ص ١٠ بتصرف يسير .

(٣) شعبان إسماعيل ، أصول الفقه الميسر ، ج ١ ص ٢١ — ٢٣

(٤) الزركشي ، البحر المحيط في أصول الفقه ، ج ١ ص ١٤

## ثانيا : العلوم الطبيعية :

وهي العلوم المتعلقة بتيسير أمور الناس على ظهر هذه الأرض ، وهي قاسم مشترك بين الأمم والشعوب ، والمعرفة فيها تراكمية ، يبنى فيها الآخر على الأول ، ويفيد فيها المتأخر من المتقدم ، وقد سماها بعض العلماء بالعلوم العقلية فقال : " وأما العلوم العقلية التي هي طبيعية للإنسان ، من حيث إنه ذو فكر فهي غير مختصة بملة بل يوجد النظر فيها لأهل الملل كلهم ، ويستوون في مداركها ومباحثها ، وهي موجودة في النوع الإنساني منذ كان عمران الخليفة " (١) غير أن العلوم الطبيعية جزء من العلوم العقلية ، ذلك أن العلوم العقلية تنقسم إلى عدة أقسام هي : علم المنطق الذي يقتنص المجهول من المعلوم ، والعلم الطبيعي الذي يبحث في المحسوسات من الأجسام ، والعلم الإلهي الذي يبحث فيما وراء الطبيعة ، وعلم المقادير كالهندسة والهيئة وغيرها (٢) .

على أنها — عند المسلمين — ضرب من العبادة ، حين تحسن فيها النية ، ويراد من خلالها رفاهية الإنسان ورقية ، وعمارته للأرض وفق منهج الله تعالى ، ذلك أن المسلم يتعامل مع هذه العلوم وهو يعتقد من سويداء قلبه أن العلاقة بينه وبين الكون من حوله علاقة تسخير ، لتحقيق الغاية النهائية من الوجود كله بمن فيه ، وما فيه ، ألا وهي عبادة الله تعالى وشكره كما دلت على ذلك نصوص الوحي في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، بخلاف ما يريد المضلون ترسيخه في أذهان الناس من أن العلاقة بين الإنسان وبين الطبيعة علاقة صراع دائم ينتج عنها في كثير من الأحيان قهر للطبيعة ، وكل ذلك من أجل تحقيق أكبر قدر ممكن من الشهوات ، وهو ما تؤكد عليه كل تربية لا يجعل للإيمان بالله تعالى في حياتها حسابا ، إنما هي المنفعة المادية الحسية (البراهماتية) \* ليس إلا ، وهي التي وصف الله سبحانه أتباعها بأن شعارهم في دنياهم قولهم بلسان الحال والمقال

﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ (٣)

بخلاف التربية الإسلامية التي تجعل من الدنيا مطية للدين ، وتسخر قدرات البشر على الأرض من أجل تحقيق السعادة العاجلة في الدنيا ، والآجلة الأبدية في الدار الآخرة ، في توازن مثالي لا ترقى إلى تشريعه أفهام البشر على الإطلاق ، ومن ذلك عناية الأمة المسلمة بالعلوم الطبيعية على

(١) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص ٤٦٢

(٢) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص ٤٦٢ — ٤٦٣ بتصرف .

\* نسبة إلى الفلسفة الوضعية المادية النفعية البراهماتية ، التي وضعها جون ديوي ، والتي لا تؤمن إلا بما يكون نفعه محسوسا ، وتنكر

الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر باعتباره — عندهم — غيب لا يدرك نفعه ولا يقاس .

(٣) - [سورة ص: الآية ١٦]

اختلاف أنواعها ، كعلوم البحار والنبات والطب والفلك والجغرافيا والرياضيات والفيزياء والكيمياء وغيرها .

والتأمل في القرآن الكريم يبيده يؤكد على أهمية النظر في هذا الكون الهائل المذهل الذي خلقه الله تعالى وأبدعه بعوالمه العلوية والسفلية ، وجعل له سننا تحكمه ، في دقة متناهية لا يعلم قدرها إلا الذي خلقها سبحانه ، تسير دون خلل أو اضطراب : " وكثيرا ما يجتمع العلم والفقه والإيمان في دراسة هذه العوالم العلوية والسفلية وتفصيلها ٠٠٠ . وإذا كان أسلافنا جعلوا الفقه خاصا بالأحكام الشرعية ، وحفظوا الممالك التي حكموها بالفروع والأصول ، فإننا نقتدي بهم ، ونسأل الله لهم الدرجات الرفيعة ، ثم نقول : لقد قاموا بما حملوا ، وحفظوا أممهم ، فعلينا الآن أن نعلم هذه الأمم وندرس لها العلم والفقه والإيمان التي نص عليها القرآن ، إن الفقه الذي نقرؤه واصطلح عليه أسلافنا فقه عملي ، ولكن هاهنا فقه علمي ، فإذا نبغ أسلافنا في الفقه العملي ، وفي أصول الفقه فلماذا لا نبغ نحن في الفقه العلمي \* الذي أشار إليه القرآن في مواطن كثيرة ٠٠٠ فهاهنا علم بالنجوم ، وفقه بعلم التشريح وعلم الحياة ، وهذا يستلزم علوما كثيرة ترجع كلها لدراسة عوالم النبات والحيوان وأصنافهما " (١) .

على أن تظل الأمة المسلمة تترقى في همة عالية للعناية بالفقهين العملي والعلمي ، دون أن يهمل أحدهما على حساب الآخر ، مع الاعتراف بتفضيل بعضها على بعض ، فإن العلوم الشرعية تحتل قائمة الصدارة ، ومهما تقادم الزمان ، وظن البعض أن الأمة اليوم في أمس الحاجة إلى العلوم الطبيعية أكثر من حاجتها إلى العلوم الشرعية فقد أبعد النجعة ، وما حال الذين يساؤون بين العلوم الدنيوية والعلوم الأخروية ، إلا كحال من يساوي بين الدنيا والآخرة ، مع الاعتراف بأن لكل قدره ومكانته ، وهذه سنة الله في الحياة ، فقد جعل الله لكل شيء قدرا .

والحقيقة أن الباحث يقف عند هذه النقطة موقف المتعجب مما قاله الإمام أبو حامد الغزالي — رحمه الله — في ذمه للعلوم الدنيوية ، حيث يقول : " العلوم ثلاثة : [ وذكر منها صنف قال فيه ] : عقلي محض لا يبحث الشرع عليه ، ولا يندب إليه كالحساب والهندسة والنجوم ، وأمثاله من العلوم ، فهي بين ظنون كاذبة لا ثقة بها ، وإن بعض الظن إثم ، وبين علوم صادقة لا منفعة لها ، ونعوذ بالله من علم لا ينفع ، وليست المنفعة هي الشهوات الحاضرة والنعم الفاخرة ، فإنها فانية دائرة ، بل النفع ثواب دار الآخرة " (٢) .

\* يقصد المؤلف بالفقه العلمي الفقه في العلوم الدنيوية كالتحليل والحساب والفلك وغيرها .

(١) طنطاوي جوهري ، الجواهر في تفسير القرآن الكريم ، ج ٢٦ ص ١٣٧—١٣٨ بتصرف يسير .

(٢) أبو حامد الغزالي ، المستقصى من علم الأصول ، ج ١ ص ٣ .

\* ليس المراد بالخاري شخص البخاري رحمه الله صاحب الصحيح ، وإنما المراد : صحيح البخاري ، فتنبه .

أوليست هذه العلوم التي ذكرها أبو حامد — رحمه الله — ميدان النظر الذي أمر به القرآن الكريم في مئات المواضع ، وليس هناك من خلاف في أن في هذه العلوم حقا وباطلا ، وصوابا وخطأ ، ومشروعا وممنوعا ، ولكن الكلام مكثرا على إطلاقه لا يسلم لأبي حامد — رحمه الله — والبلحث يخشى أن يكون هذا من تأثير نزعة صوفية تأثر بها أبو حامد — رحمه الله — ثم تبرأ منها : " وأقبل على أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فمات والبخاري على صدره " (١) \* كناية عن حبه للسنة وإقباله على علومها .

إلا إذا كان أبو حامد — رحمه الله — يقصد بدمه لتلك العلوم ما كان منها فاسدا مخالفا لما شرعه الله تعالى ، موغلا في الخرافات والأوهام وادعاء علم الغيب ، فهو كما قال لكون هذا النوع من العلم : " قد اختلطت الخرافات والأوهام بالحقائق العلمية في هذا الفن ، فلما جاء الإسلام أقر ما كان صحيحا وأبطل التوهّمات والمعتقدات الفاسدة " (٢) .

إننا في حاجة ملحة ، وخاصة في مثل هذه الأزمنة لأن نلتفت للفقهاء العلمي المتعلق بالعلوم الطبيعية ، لنعيد مجدنا بلغ نهايته أسلافنا ، وإنجازا حقق إبداعا مذهلا في كثير من جوانبه علماؤنا في سائر جوانب المعرفة العلمية ، والقدرة على تحقيق هذا الإنجاز أمر ميسر ، ما دام أن أسلافنا الأقدمون هم الذين اكتشفوا المنهج التجريبي ففتحوا به الآفاق العلمية الرحبة للبشرية قاطبة ، وهو ما أكده بعض الباحثين بقوله : " ومن يتبع إنجازات الحضارة الإسلامية في مجال العلوم الطبيعية سيجد أنهم فطنوا إلى سر تقدم المعرفة بعثورهم على المنهج العلمي التجريبي الذي اصطنعه أساسا للبحث والتفكير العلمي فكان هذا أعظم هدية قدمتها الحضارة الإسلامية لتاريخ البشرية كلها " (٣) وليس هذا الشناء للمنهجية العلمية الإسلامية من باب العصبية التي لا تتفق مع منهجية التفكير العلمي الواعي ولكنها الحقيقة : " التي وعها التاريخ ووعتها أوروبا بصفة خاصة ، إذ قامت كل نهضة عليها ، وقد اعترف الأوروبيون بأن المذهب التجريبي الحديث الذي قام عليه كل العلم الأوروبي تراث إسلامي أصيل " (٤)

إن الأمة المسلمة هي : " أغنى جميع الأمم تراثا ، وأرفعهم شأنًا ، وأجلهم أثرا في خدمة الحضارة الإنسانية ودفع عجلة التطور العلمي بفضل [ الله تعالى أولا ثم بفضل ] المثات من العلماء الأفاضل الذين نبغوا وتفوقوا في مجال العلوم الطبيعية ، بل إن منهم من يفوق علماء الغرب شهرة وأثرا في تقدم العلوم ، بالرغم من أن مؤلفاتهم لم يحقق منها حتى الآن إلا النزر اليسير ، ولا يزال معظمها

(١) ابن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٢٢٧

(٢) عبدالله الطريقي ، علماء الشريعة وبناء الحضارة ، ص ٢٥٧

(٣) أحمد فؤاد باشا ، فلسفة العلم بنظرة إسلامية ، ص ٩٩

(٤) سيد سابق ومحمد علوان ، التربية العقلية في الإسلام ، ص ٣

بكرًا ينتظر من يتناوله بالدراسة العلمية المفصلة . . . ولا تزال جهود المخلصين وأبحاثهم تكشف عن حالات الغش العلمي والفكري التي وقع فيها بعض النقلة ومؤرخي العلم والحضارة وضللوا بها أجيالا متعاقبة بعد أن دسوها في الكتب والمؤلفات على أنها حقائق علمية لا تقبل الشك " (١)

وهو ما أكده رئيس اتحاد الفيزيائيين والرياضيين العرب \* حيث يقول: " لقد اعترف القريب والبعيد بما قدمه علماء العرب والمسلمين الأوائل من بحوث وافيه ، ذات قواعد أساسية ، وشروح مستفيضة في مختلف مجالات المعرفة ، والحق أن الرسالة المحمدية [ على صاحبها الصلاة والسلام ] كانت محركا لهم في ذلك ، وعلى الرغم من ذلك فإن كثيرا من علماء العصر الحديث قد أغفلوا نتاج علماء العرب والمسلمين في العلوم إغفالا كبيرا ، وخاصة في علم الفلك الذي برزوا فيه بروزا كبيرا " (٢) .

ولقد ذكر بعض الباحثين أن القاعدة العلمية التي ينطلق منها المسلمون في أبحاثهم ودراساتهم هي: " جرب وشاهد ولاحظ تكن علما . . . وكانت قاعدة الأوروبي إلى ما بعد القرن العاشر المسيحي : اقرأ في الكتب وكرر ما يقول الأساتذة تكن علما " (٣) والحق الحقيق بالقول أن انطلاقة علماء المسلمين في سائر العلوم والمعارف — ومنها العلوم الطبيعية — لم تكن قائمة على التجريب والملاحظة فحسب ، ولكنها مزيج من الأمرين ، التجريب والمشاهدة والملاحظة من جهة ، والحفظ والفهم والاستدكار من جهة ثانية ، إذ أن العلوم الطبيعية ، لا بد فيها من حفظ القوانيين وفهمها واستدكارها إلى جانب التجريب والملاحظة .

على أن من جملة البارزين في هذه العلوم من عرفوا بالعلم الشرعي فضلا عن المتخصصين المنقطعين لهذه العلوم .

ففي الطب من أمثال : الرازي ، وابن حبان البستي ، والمازري ، وابن الرومية ، وابن القيم ، وغيرهم .

وفي الرياضيات من أمثال داود الدينوري ، والقطيعي ، وابن الصيرفي .

وفي الفلك من أمثال : مالك بن أنس ، وابن قتيبة الدينوري ، وابن حزم ، وابن تيمية ،

وابن القيم ، والسيوطي ، والبستي ، والقراي ، والألوسي ، وغيرهم (٤) .

(١) أحمد فؤاد باشا ، فلسفة العلم بنظرة إسلامية ، ص ٩٣

\* هو الدكتور : علي بن عبدالله الدفاع .

(٢) علي الدفاع ، رواد علم الفلك في الحضارة العربية والإسلامية ، ص ٥

(٣) سيد سابق ، ومحمد عدلان ، التربية العقلية في الإسلام ، ص ٣ نقلا عن أحد علماء الغرب وهو : جو ستاف لوبون .

\* يقصد الباحث بالكتاب المقروء : القرآن الكريم ، ويقصد بالكتاب المفتوح : الكون بكل ما فيه ومن فيه .

(٤) عبدالله الطريقي ، علماء الشريعة وبناء الحضارة ، ص ٢٥٠ وما بعدها .

وسوف يقتصر الباحث على ذكر بعض إسهامات علماء المسلمين في بعض العلوم الطبيعية كنماذج تدل على استجابة الأمة المسلمة لأمر ربها في كتابه الكريم ، وفي سنة نبية محمد صلى الله عليه وسلم ، وهما يدعوان إلى تدبر كتاب الله المقروء ، والتفكر في كتابه المفتوح\* في فترة كان الغرب بكل مدارسه وفلسفاته واتجاهاته يزرع تحت وطأة العصور المظلمة في القرون الوسطى .

وقبل أن يستعرض الباحث بعض هذه النماذج ، يحسن به أن يبين أثر دعوة القرآن الكريم إلى التفكير العلمي على علماء المسلمين في مختلف العلوم والفنون ، وذلك من خلال الجوانب التالية :

أولاً : أن الاستجابة لأمر الله تعالى — بالدعوة إلى العلم — هي قضية تعبدية بحتة ، وهي جزء من العبادة التي خلق الإنسان من أجلها ، وقد جاءت الدعوة إلى العلم في الكتاب والسنة في مواضع كثيرة ، منها ما يتعلق بأمور الآخرة ، ومنها ما يتعلق بأمور الدنيا من خلال التأكيد على التفكير والنظر في ملكوت الله الكبير والانتفاع بما سخره الله فيه للإنسان ، والآيات التي تدل على هذا في كتاب الله الكريم ، أكثر من أن تحصر ، وأشهر من أن تذكر ، ومنها قول الحق جل جلاله :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَابِيٌّ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴿١﴾

فقد دعا المولى سبحانه إلى النظر في ملكوته الهائل ، وحدد مواطن هذا النظر في هذه الآية الكريمة ، فذكر الماء والثمرات والجبال والناس والدواب والأنعام ، ثم ختم الآية بالثناء على العلماء الذين يحققون في حياتهم آثار هذا النظر من الخشية لهم وما يستتبعها من الانقياد التام عن محبة واقتناع .

ثانياً : من خلال عناية القرآن الكريم بالمنهج التجريبي الذي يؤكد على النظر في آيات الله الكونية الماثورة في الآفاق والأنفس ، «لعل المتأمل في صدر سورة العلق يرى أنها قد خاطبت رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم وأمرته بالقراءة مع أنه أُمِّي لا يقرأ ولا يكتب ، كما قال سبحانه :

﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ

(١) - [سورة فاطر: الآيات ٢٧-٢٨]

الْمُبْطُلُونَ ﴿٤٨﴾ (١) ومع ذلك أمر بالقراءة ، وقراءة كتاب الله الكريم متضمنة لقراءة الآيات

الكونية الدالة على عظمة الله تعالى واستحقاقه للعبادة دون سواه .

إضافة إلى أن ثاني آية أنزلها الله — سبحانه — من كتابه الكريم ، وهي قوله تعالى : ﴿

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ (٢) قد ألححت إلى منهج النظر ، وهو الشق الثاني الذي يطلب

به العلم ، ذلك أن العلم يطلب بمنهجين : منهج الكتاب ، واستظهار ما في بطون الكتب والأسفار ، ومنهج النظر القائم على الملاحظة والتجريب .

والتأمل للآية الكريمة السابغة يقوده تأمله وتفكيره إلى المقارنة بين أمرين ، بين كينونة

الإنسان بعد أن أصبح إنسانا سويا متكامل الخلقة بكل أجهزته المذهلة الحسية منها وغير الحسية ،

وبين العلقة التي خلق منها كما بينته الآية الكريمة ، فإذا قارن بين الأمرين ، خرج بنتيجة تؤكد على

أنه مر في بطن أمه بأطوار مختلفة ، وهي طور النطفة ، فإن كل عاقل في الدنيا يعلم أن الإنسان لم يلق

في بطن أمه — ساعة جماع الزوج لزوجته — علقة ، وإنما ألقى نطفة ، وهذا أمر حسي مشاهد ، ثم

إن النطفة تحولت — في رحم الأم — إلى علقة ، وهذا أمر غيبي لا يدركه الإنسان ، إنما نبأت به الآية

الكريمة ، والعلقة كما يقول القرطبي — رحمه الله — في تفسيره : " قطعة من دم رطب " (٣) ولم

يخرج إلى الدنيا نطفة كما ألقى ، أو علقة كما خُلِقَ ، إنما خرج إلى الدنيا إنسانا يكاد يكون كامل

الخلقة ، وهي صورة مختلفة تماما عن النطفة والعلقة ، مما يؤكد على أنه مر بتلك الأطوار التي لم

يكشف عنها الطب الحديث إلا في الماضي القريب ، وهو ما شهد به القرآن قبل أكثر من ألف

وأربعمئة سنة في قول الخالق سبحانه : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ

خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿٤﴾ (٤) أفلا يحق لكل مسلم متدبر للقرآن الكريم — بعد هذا — أن يخرج

يمثل هذه المعاني ، التي هي في أنظار الناس نوع من العلوم الطبيعية في التخصصات الطبية البحتة ؟ ثم

أليس التأمل في مثل هذه الآية القرآنية الكريمة مدعاة إلى تكوين منهجية علمية تفتح للمتخصصين في

العلوم الطبية آفاقا رحبة تثمر الابتكار والاختراع والاكتشاف ؟ .

(١) - [سورة العنكبوت: الآية ٤٨]

(٢) - [سورة العلق: الآية ٢]

(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٢٠ ص ١١٩

(٤) - [سورة نوح: الآيات ١٣-١٤]



إن المولى — سبحانه — حين أمر بتدبر كتابه الكريم ، وذكر فيه الأطوار التي مر بها الإنسان في تخلقه ؟ إنما هي دعوة إلى التفكير العلمي النافع المتعلق بأمور الدنيا والآخرة .

ثالثا : من خلال تأكيد القرآن الكريم على أهمية نظر الإنسان في البيئة المحيطة به ، سواء كانت هذه البيئة بشرا أم نباتا أم جمادا أم حيوانا ، أم غير ذلك ، ففيما يتعلق بالنظر في الإنسان ، وما أودع الله فيه من العجائب يقول سبحانه : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (١)

وفيما يتعلق بالنظر في النبات والجماد والحيوان يقول سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ

السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ

بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَابِيٌّ سُودٌ ﴾ (٢) وَمِنَ النَّاسِ

وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (٣) وفيما عدا ذلك مما ذكر ، يلفت المولى

سبحانه إلى كل ما يمكن أن يستجد في حياة الناس مما خلقه سبحانه فيقول : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا

تَعْلَمُونَ ﴾ (٤)

رابعا : ختم الآيات القرآنية التي جاءت في معرض الحديث عن الكون بالدعوة إلى التفكير

وإعمال العقل ، ففي أعقاب ذكر آية مد الأرض ، وتثبيتها بالجبال ، وشق الأنهار فيها ، وعرض

ظاهرة الزوجية في الثمرات ، وتعاقب الليل والنهار ، يبين سبحانه أن ذلك كله من أجل أن يقوم

الناس بوظيفة التفكير ، فقال سبحانه ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ

وَأَنْهَارًا وَمِنَ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ

النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٥)

(١) - [سورة الذاريات: الآية ٢١]

(٢) - [سورة فاطر: الآيتان ٢٧-٢٨]

(٣) - [سورة النحل: الآية ٨]

(٤) - [سورة الرعد: الآية ٣]

وفي أعقاب ذكره — سبحانه — لظاهرة الإحياء والإماتة ، واختلاف الليل والنهار يقول

سبحانه ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا

تَعْقِلُونَ ﴿٨﴾ ﴿١﴾

خامسا : استشعار المسلمين مسئوليتهم العظمى في قيادة البشرية في الدنيا من خلال العلم ، وشهادتهم على الأمم في الآخرة ، ولا يمكن أن يكون القائد في الدنيا والشاهد في الآخرة جاهلا ،

قال سبحانه : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى

النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿٢﴾ ﴿١﴾

سادسا : استشعار النظرة الشاملة للعلم في الإسلام ، سواء كان هذا العلم مما يتعلق بأمور

الآخرة أم بأمور الدنيا ، كما قال جل ذكره : ﴿ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ

الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا

تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴿٣﴾ ذلك أن الذي

أمر بالتقوى ودعا إليها ، وجعل طريق تحصيلها هو العلم الصحيح ، كما في قوله تعالى : ﴿

وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ﴿٤﴾ ﴿٤﴾ هو الذي أمر بالسعي في الأرض لطلب

الرزق ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴿٥﴾ ﴿٥﴾ وكلما تعقدت

أمور الحياة ، وتطورت وسائلها ، كلما كان ذلك تأكيدا على أن يكون طلب الرزق وفق تخطيط

علمي مسبق ، مبني على أسس علمية مدروسة ، وفي ختام الآية الكريمة يؤكد المولى — سبحانه —

على الإحسان بمفهومه الواسع ، الذي يشمل أمور الدنيا والآخرة ، محذرا من الفساد في الأرض ،

﴿١﴾ - [سورة المؤمنون: الآية ٨٠]

﴿٢﴾ - [سورة البقرة: الآية ١٤٣]

﴿٣﴾ - [سورة القصص: الآية ٧٧]

﴿٤﴾ - [سورة القصص: الآية ٧٧]

﴿٥﴾ - [سورة القصص: الآية ٧٧]

فقال سبحانه : ﴿ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ <sup>ط</sup>

إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ (١) والسعي لأموال الدنيا والآخرة يحتاج إلى العلم

ليضبط مسيرته في أهدافه وغاياته ووسائله •

سابعاً : استشعار المسلم مسئولية الاستخلاف في الأرض ، وعمرانها وفق منهج الله تعالى ،

ذلك أن الإنسان خليفة في الأرض كما قال سبحانه ملائكته : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ

إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٢﴾ وذلك ليقوم بمهمة عمرانها كما قال سبحانه ﴿

وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ

غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ

تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿١١﴾ ﴿٣﴾

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى ﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ : "

أي جعلكم عمارة تعمرونها وتستغلونها " (٤)

ثامناً : استشعار قضية الأجر المترتب على عمران الدنيا والسعي في جنباتها ، امتثالاً لأمر

الله تعالى في قوله سبحانه : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ

وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴿٥﴾

تاسعاً : الخوف من وعيد الله تعالى بدمه للذين يرون آيات الله تعالى في السموات والأرض

فلا تلفت انتباههم ، ولا تقودهم إلى الإيمان بالله الخالق العظيم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَكَأَيِّن

(١) - [سورة القصص: الآية ٧٧]

(٢) - [سورة البقرة: الآية ٣٠]

(٣) - [سورة هود: الآية ٦١]

(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ص ٥٥٥

(٥) - [سورة الجمعة: الآية ١٠]

مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ

(١) ﴿١٠٥﴾

عاشروا : في امتثال أمر الله تعالى بدراسة قضايا الكون واكتشاف ما أودع الله فيه من أسرار ، وما بث فيه من سنن سبب من أسباب تحصيل الرزق ، ذلك أن حب المال قد جبل عليه الإنسان ، كما قال سبحانه : ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ (٢) ومن رحمته سبحانه بعباده أنه ما جعل الطاعة سببا في الاستغناء عن طلب الرزق ، حتى عند أداء أحد أركان الإسلام وهو الحج ، فقد رفع المولى - سبحانه - الحرج عن الإنسان أن يتغني الفضل من من ربه سبحانه في مواسم الحج ، فقال سبحانه : لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿٣﴾

(٣) والمراد بالفضل كما قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره ، بعد أن ساق سند البخاري رحمه الله إلى ابن عباس أنه قال : " كانت عكاظ ومجنة وذو الحجاز أسواق الجاهلية ، فتأثموا أن يتجروا في المواسم فنزلت : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ في مواسم الحج ٠٠٠ ولبعضهم : فلما جاء الإسلام تأثموا أن يتجروا ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فأنزل الله هذه الآية " (٤) فليس هناك من حرج أن يتغني المسلم من وراء العلوم الطبيعية المال ، كما أن حسن النية في طلبها يحقق - بعد رحمة الله تعالى - للعبد ثواب الدنيل ، وحسن ثواب الآخرة .

هذه جملة من الأمور التي رأى الباحث أنها كانت وراء إقبال الأمة المسلمة على العلوم الطبيعية ، وأن الإبداع فيها هو ثمرة هذه الأمور كلها .

(١) - [سورة يوسف: الآية ١٠٥]

(٢) - [سورة الفجر: الآية ٢٠]

(٣) - [سورة البقرة: الآية ١٩٨]

(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ص ٢٩٨-٢٩٩

وعليه فقد كانت العلوم الطبيعية التي برع فيها المسلمون استجابة لأمر ربهم ، وأمر نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ، كثيرة ومتنوعة ، وسوف يذكر الباحث منها نماذج على سبيل المثال لا الحصر ، فمنها :

### علم الطب والصيدلة :

كان للمسلمين فيه باع طويل بين الإبداع من جهة ، وبين الإفادة من الآخرين مع النقد والتمحيص والحذف والإضافة من جهة أخرى ، غير أنهم ضيعوا كثيرا منه ، وقد كان الإمام الشافعي — رحمه الله — يتحسر على ضياعه ويقول : " ضيعوا ثلث العلم ووكلوه إلى اليهود والنصارى " (١) وفي هذا الميدان أخذ المسلمون بنظام التخصص واهتموا بعلم التشريح والجراحة واكتشفوا العديد من الأمراض ووصفوا أعراضها وطرق علاجها ، واهتموا بطب الأمراض النفسية والعصبية ، وهم الذين وضعوا علم الأقربازين ودستور الأدوية ، وهم أول من أدخل الكيمياء إلى الطب وكان ذلك على يد الفخر الرازي رحمه الله . (٢)

وقد برز في هذا الميدان من العرب أطباء أكثر منهم الحارث بن كلدة الثقفي \* ومع كونه طبيبا عربيا متفوقا أثرى الساحة الطبية بما قدمه للبشرية من نتائج مميزة في هذا الميدان ، إلا أنه لم يحصر هذه المعرفة في بني قومه فيؤطرها بأطر ضيقة محدودة ، بل تميز بعقلية متفتحة تستفيد من تجارب الآخرين ما دامت المعرفة في هذا الميدان تراكمية لا تعرف جنسا ولا لونا ولا قطرا ولا عائلة ، حيث : " نجده لا يقتنع بثقافته العربية الطبية وتجارهم في ميدان الطبابة ، وإنما يضيف إلى ذلك ثقافة الأمم الأخرى في هذا المجال " (٣) وقد اختلف في إسلامه ، حيث ذكر بعض أهل العلم أنه مات كافرا بالله ، ثم نقل عن ابن أبي حاتم قوله : " لا يصح إسلامه " (٤) والعلم عند الله تعالى .

ومن برز في هذا الميدان العالم المسلم الملقب بـ ( ابن النفيس ) وهو علاء الدين علي بن أبي حزم حيث كان صاحب منهج علمي واضح ، فقد كان يفيد في بعض أبحاثه من جهود من سبقه ليبنى نظريات جديدة ، وينقض كلام غيره بمنهجية علمية تعتمد على مشاهداته الشخصية ، وتجاربه الذاتية ، وقد كان يهتم بالوقاية قبل العلاج ، حيث كان يعنى بالبحث في الظواهر والعوامل المؤثرة في جسم الإنسان أكثر من اهتمامه بالطب العلاجي ، وكان من الرواد القلائل في علم وظائف الأعضاء ، وقد كتب عن الدورة الدموية الصغرى ، وبين خطأ بعض من سبقه في ميدان الطب ومنهم ابقراط ، كما نقض بعض آراء جالينوس ، وعارض ابن سينا في موضوع غذاء القلب ، وقد اكتشف العالم في

(١) ابن كثير ، مناقب الإمام الشافعي ، ص ٢٣٨

(٢) أحمد فؤاد باشا ، فلسفة العلم بنظرة إسلامية ، ص ٩٨ بتصرف

(٣) حمد الدخيل ، من أعلام الحضارة العربية والإسلامية ، ص ٣٧٨—٣٧٩

(٤) ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ١ ص ٦٨٧

شرفه وغريبه افتراء ( وليم هارفي ) الذي زعم أنه أول من اكتشف الدورة الدموية ، مؤكداً على أن ( ابن النفيس ) قد سبقه بقرون عديدة (١) .

وبرز إلى جوار ابن النفيس في علم الطب ( ابن الهيثم ) الحسن بن الحسن ، وهو صاحب الإبداع في علم البصريات ، وقد سميت بعض المسائل في الطب باسمه ، وما تزال على هذا المسمى إلى يوم الناس هذا ، مع ما اعتراها من تصوير وزيادة ، تأثر به كثير من علماء الغرب ، وكتبوا عنه معجبين به ، ومؤكدين عبقرته في علم البصريات ، ومن هؤلاء ( فيلتو ) و ( بايكون ) ) وقد ترجمت كتبه إلى العبرية ، والأسبانية ، والإيطالية ، واللاتينية ، والانكليزية ، والفرنسية ، مرات عديدة . (٢)

### علم الفلك :

كثير من النظريات والعلوم الفلكية الحديثة كانت أصولها إسلامية وقد تتلمذ عليها كل من ( تيكو براهي ) واستخدمها من بعده ( كبلر ) حين صاغ قوانينه الحديثة عن حركة الكواكب ، وطور من خلالها ( نيوتن ) قانون الجاذبية . (٣)

" ولقد كان علماء العرب والمسلمين مغرمين بدراسة الأجرام السماوية ، ومراقبة النجوم ومعرفة أسمائها وأماكنها ، ومنازل النجم التي قسموها إلى ثمانية وعشرين قسماً " (٤) حتى أن بعض القبائل العربية كانت مشهورة بهذا الفن ولهذا قيل : " إن أعلم العرب بالنجوم كلب وبنو شيبان " (٥) وليس هذا بغريب ، فإن هذا الكم الهائل الذي خلفه للبشرية في مكتباتها المتفرقة في العالم جهايزة علماء الإسلام في علم الفلك وفي غيره من أكبر الأدلة على ذلك ، يقول رئيس اتحاد الفيزيائيين والرياضيين العرب : " لقد حدثني ديفيد كنج الانجليزي الأصل الذي قضى أكثر من عشر سنوات يبحث في دار الكتب المصرية في تراث العرب والمسلمين الأوائل في علم الفلك أن هناك أكثر من خمسة آلاف مخطوطة عن الفلك العربي والإسلامي مبعثرة في مكتبات العالم تحتوي على معلومات خصبة وغنية ، دونت في الفترة التي كان علماء المسلمين فيها قادة الفكر في هذا الميدان ، ولا تزال هذه المخطوطات مكدسة لم تصل إليها حتى الآن يد البحث والدراسة " (٦)

(١) محمد فرشوخ ، موسوعة عباقرة الإسلام ، ج ١ ص ٢٢ بتصرف

(٢) محمد فرشوخ ، موسوعة عباقرة الإسلام ، ج ١ ص ٢٦ بتصرف

(٣) أحمد فؤاد باشا ، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية ، ص ٩٧ بتصرف

(٤) علي الدفاع ، رواد علم الفلك في الحضارة العربية والإسلامية ، ص ١٢

(٥) ابن قتيبة ، الأنواء ، ص ٢

(٦) علي الدفاع ، رواد علم الفلك في الحضارة العربية والإسلامية ، ص ٦

ولهذا لم يكن غريبا أن يكون علماء المسلمين هم الذين: "اكتشفوا كروية الأرض ، وحركتها حول الشمس قبل ( كوبر نيكس ) بعدة قرون ٠٠٠ [ ولم يقفوا من النتائج والمكتشفات التي توصل إليها الآخرون موقف المستسلم دون حذف أو إضافة ] فقد طور ( الريحان البيروني ) الذي عاش بين ٣٦٢ - ٤٤٠ هجرية معادلة رياضية لاستخراج محيط الأرض بطريقة علمية بسيطة ٠٠٠ ولا تزال مستعملة حتى يومنا هذا ، وعرفت عند علماء الغرب والشرق بقاعدة البيروني لحساب نصف قطر الأرض ٠٠٠ وكان أول من ألف كتابا وصف به طريقة استعمال الاسطرلاب \* هو ( محمد بن إبراهيم الفزاري ) المتوفى سنة ١٨٠ هـ أحد فلكي الخليفة العباسي المنصور ، وهو أول من وضع اسطرلابا في الإسلام ٠٠٠ وقد طور تقنيته ( إبراهيم بن يحيى النقاش الشهير بالزرقالي ) الذي عاش ما بين ٤٢٠ - ٤٨٠ هجرية ، وقال عنه كوبر نيكس : بأنه أحسن اسطرلاب صنع في القرون الوسطى ، واستخدمه في جميع دراساته الفلكية " (١)

ولقد كان من أبرز علماء المسلمين في علم الفلك العالم المسلم ( البتاني ) الذي عاش ما بين ٢٣٥ - ٣١٧ هجرية ، وكان من أجل كتبه ( الزيج الصابي ) شاع استعماله في أوروبا وترجم وطبع مرات ، ومما قاله في مقدمة كتابه هذا : " ما يدرك بذلك من أنعم النظر وأدام الفكر فيه من إثبات التوحيد ، ومعرفة كنه عظمة الخالق ، وسعة حكمته ، وجليل قدرته ، ولطيف صنعه ، قال عز من قائل : ﴿ إِنِّي فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢) وقال تبارك وتعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾

\* الاسطرلاب : هو عبارة عن قرص مرن من المعدن ، وفي مركزه مؤشر يمكن تحريكه نحو المرئي وهو مقسم إلى درجات تحدد بالضبط ارتفاع الكوكب في أي لحظة ، وتعطي قيمة زاوية الخطاط الأفق .

(١) علي الدفاع ، رواد علم الفلك في الحضارة العربية والإسلامية ، ص ٣٤ - ٣٦ بتصرف يسير .

(٢) - [سورة آل عمران: الآيتان ١٩٠-١٩١]

(١) وقال عز وجل : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ (٢) مع اقتصاص كثير من

كتاب الله عز وجل يطول وصفه " (٣)

: " وبعد البتاني من أعظم علماء الفلك والرياضيات في العالم العربي والإسلامي ويتضح ذلك من أنه وضع جداول فلكية على مستوى كبير من الأهمية والإتقان والدقة ، حتى صارت منشرة في جميع أنحاء المعمورة مصدرا من أهم المصادر للباحين في مجال علم الفلك ، فهو أول من سخر علم المثلثات لخدمة الفلك ، وأول من أدخل علم الجبر في علم حساب المثلثات " (٤) كما أنه : " رصد زاوية الميل الأعظم بمدينة الرقة ، وقاس موضع أوج الشمس في مسيرها الظاهري ، فوجد أنه تغير عما كان عليه أيام بطليموس ٠٠٠ وقد طول السنة الشمسية ، ومقدار تقهقر الاعتدالين ، وأثبت احتمال حدوث الكسوف الحلقي للشمس ، وعمل جداول جديدة صحح فيها حركات القمر والكواكب ، وقارن بين التقاويم العربية والرومية والفارسية والقطبية ، كما تحدث عن منازل القمر ، وأرصاد النجوم ، ووصف الآلات الفلكية وطرق صناعتها " (٥)

وقد كان البتاني — رحمه الله — يجري تجاربه في العلوم الفلكية في مرصدي النطاكية . (٦) ولقد أصيب الباحث بالذهول وهو يرى مقارنة دقيقة ذكرها بعض المتخصصين بين النتائج التي توصل إليها البتاني الذي عاش في القرن الثالث الهجري ، وبين ما نطق به العلم الحديث في زمن الشرائح الإلكترونية المتناهية في الدقة ، وتقول هذه المقارنة : كانت : نتائج البتاني — رحمه الله — من خلال أرصاده التي صنعها في تلك الفترة ، أن طول السنة الشمسية ( ٣٦٥ ) يوما ، و ( ٥ ) ساعات ، و ( ٤٦ ) دقيقة ، و ( ٣٢ ) ثانية ، وكانت نتائج العصر الحديث بواسطة التلسكوب ، والمنظار الكهربائي ، والرادار ( ٣٦٥ ) يوما ، و ( ٥ ) ساعات ، و ( ٤٨ ) دقيقة ، و ( ٤٦ ) ثانية . (٧)

بمعنى أن الفارق بين نتائج البتاني — رحمه الله — في القرن الثالث مع بدائية التقنيات في تلك الفترة ، إذا قيست بتقنيات العصر الحديث ، وبين نتائج العصر الحديث مع ما وصلت إليه من تقنية متطورة مذهلة ، لم يتجاوز دقيقتين وأربع عشرة ثانية ، بمعنى أن الفارق بين النتيجتين خلال اثني

(١) - [سورة الفرقان: الآية ٦١]

(٢) - [سورة الرحمن: الآية ٥]

(٣) محمد فرشوخ ، موسوعة عباقرة الإسلام ، ج ١ ص ٣٠ — ٣١

(٤) علي الدفاع ، رواد علم الفلك في الحضارة العربية والإسلامية ، ص ٦٢

(٥) عبدالحليم منتصر ، تاريخ العلم ، ص ١٣٨

(٦) علي الدفاع ، رواد علم الفلك في الحضارة العربية والإسلامية ، ص ٣٢

(٧) علي الدفاع ، رواد علم الفلك في الحضارة العربية والإسلامية ، ص ٦٣ بتصرف يسير .



عشر قرنا من الزمان تقريبا ، هي دقيقتان وأربع عشرة ثانية فقط ، وهذا الفارق اليسير لا يصح أن يذكر إذا قيست الفترة بهذه القرون الطويلة ، ولهذا : " عده لالاند من العشرين فلشيا المشهورين في العالم كله " (١)

" وقد انطبع تفكير المسلمين بهذه الدقة العلمية — على الرغم من قلة ما كان بأيديهم يومئذ من الآلات والأدوات — فوصوا إلى كشف علمية تثبت لهم الجد في التحصيل والصدق في التفكير ، كما تثبت لهم قدرا من الدقة يعتبر مثاليا بالنسبة لذلك الحين ، وأبحاث ابن الهيثم في البصريات ، وأبحاث البتاني الذي قاس بالدقة دورة الأرض حول الشمس ، وحسب بالدقة مواعيد الكسوف والخسوف ، تعتبر شاهدا على تأثر العقل الإسلامي بمنهج التربية الإسلامية في تربية العقول " (٢)

ولعل مثل هذه النتائج التي نوصل إليها العقل المسلم المبدع تكون بمثابة الزاد المحرك لأجيال الأمة من المتخصصين في العلوم الطبيعية أن ينفذوا عن أنفسهم الهزيمة النفسية ، وأن يتحرروا من التبعية العلمية للآخرين ، دون أن يكونوا متحجين بتلك الدقة التي كان عليها أسلافهم ، مع إفادهم من تجارب الآخرين ، وتمحيص ما وقع بأيديهم من تراث غيرهم .

### علم الرياضيات :

يذكر بعض الباحثين أن دافع تعلم الرياضيات عند المسلمين كان بدعوة من القرآن الكريم والبحث في مزاياه حرصا على تنفيذ المعاملات والعبادات الإسلامية وفق مبادئ الإسلام ، فاكشفوا تحديد القبلة من خلال هذا العلم ، وعرفوا الأهلة ، وقد كان ( الخوارزمي ) من أفذاذ هذا الفن ، وهو الذي اخترع علم الجبر (٣) وهو أول من كتب في هذا الفن (٤) الذي يقول عنه كلجوري : " إن العقل ليدهش عندما يرى ما عمله العرب في الجبر ، وهم أول من أطلق لفظه ( جبر ) على العلم المعروف الآن بهذا الاسم . . . وقد بقي الحساب قرونا عدة معروفا باسم ( الغورثمي Algorithmi ) نسبة إلى الخوارزمي " (٥) وحل ( عمر الخيام ) معادلة الدرجة الثانية ، وأوجد ( الكاشي ) قانونا لمجموع الأعداد الطبيعية المرفوعة إلى القوة الرابعة ، وقد اعترف علماء

(١) عبدالحليم منتصر ، تاريخ العلم ، ص ٦٣

(٢) محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ، ج ١ ص ٧٩

(٣) أحمد فؤاد باشا ، فلسفة العلم بنظرة إسلامية ، ص ٩٤ بتصرف

(٤) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص ٤٦٨

(٥) عبدالحليم منتصر ، تاريخ العلم ، ص ٦١

الرياضيات بأن هذا القانون لعب دوراً جوهرياً في تطور علوم الأعداد ، وقد شهد المنصفون بأن الفضل في اكتشاف نظرية ذات الحدين يعود إلى غياث الدين الكاشي . (١)

لقد كان علماء المسلمين منفتحين على معارف الآخرين وعلومهم ، فاستفادوا من المعرفة التراكمية التي سبقهم إليها من كان قبلهم ، غير أن انفتاحهم : " لم يمنعهم من إحصائه بمعارفهم الجديدة ، والتفوق عليها ، ولا سيما بقدر ما أحدثوه ، فعندما نقل العرب عن الهنود النظام العشري وأكملوه بلغوا فيه مرتبة جعلتهم يعتبرون بحق مؤسسي علم الحساب ، وقد هُضوا بعلم الجبر أيضاً إلى مستوى علمي دقيق ، ووضعوا أساس الهندسة التحليلية ، وكانوا أول من تعاطى علم المثلثات الكروية ، ثم قوموا علم المناظر ، ووسعوا أفق الجغرافيا بشكل غير منتظر " (٢)

**علم الفيزياء :**

وفي هذا الفن سبق علماء المسلمين إلى تحديد كثير من المفاهيم العلمية في علوم الميكانيكا وخواص المادة وغيرها ، فقد ربط ( ابن المرزيان ) بين الحركة والزمن ، وعبر ( ابن ملكا البغدادي ) عن مضمون قانون الفعل ورد الفعل قبل نيوتن بعدة قرون ، واكتشف ( الرازي ) فكرة الاتزان تحت تأثير قوتين متساويتين في المقدار ومتعاكستين في الاتجاه ، واكتشفوا خاصية الوزن النوعي للمواد الصلبة والسائلة ، حتى طبقت ما توصل إليه المعاصرون ، وأبدعوا في علم الصوت ففسروا حدوث الصدى من خلال معرفتهم للحركة التموجية (٣)

" كما تناولوا في بحوثهم علم الحرارة والبرودة وآثارهما في الأجسام . . . وكانوا عرلفين بالمغناطيس وخاصيته . . . وهم الذين ابتكروا الطريقة الحديثة في التفكير والبحث لمعرفة قوانين الطبيعة . . . وشكوا في كثير من استنتاجات علماء اليونان . . . فأبطل ( ابن الهيثم ) نظرية السرعة الآلية للضوء ، وأثبت بالتجربة أن للضوء زماناً وسرعة معينة . . . وخطأً إقليدس في أن شعاع الضوء ينبعث من العين ويقع على المبصر ، وقرر عكس هذه النظرية . . . يقول كاجوري في كتابه ( تاريخ الفيزياء ) : " إن علماء العرب والمسلمين هم أول من بدأ ودافع بكل جدارة عن المنهج التجريبي ، فهذا المنهج يعد مفخرة من مفاخرهم ، فهم أول من أدرك فائدته وأهميته في العلوم الطبيعية ، وعلى رأسهم ابن الهيثم " (٤)

لقد كان للمسلمين أثراً يشهد به الشرق والأرض على مختلف العلوم المتعلقة بالأرض ، حتى أن ما يتوصلون إليه من نتائج قبل مئات السنين يكاد ينطق بها العلم الحديث ، من خلال ما

(١) أحمد فؤاد باشا ، فلسفة العلم بنظرة إسلامية ، ص ٩٤ بتصرف

(٢) رحاب عكاوي ، موسوعة عباقرة الإسلام ، ج ٤ ص ٦

(٣) أحمد فؤاد باشا ، فلسفة العلم بنظرة إسلامية ، ص ٩٥ — ٩٦ بتصرف

(٤) رحاب عكاوي ، موسوعة عباقرة الإسلام ، ج ٤ ص ٥٦ — ٥٨

توصل إليه من آليات متناهية في الدقة : " وهكذا كانت أعمال كل علماء المسلمين ، وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن تقديرات الثقل النوعي للعناصر والمعادن التي حصل عليها علماء مسلمون من أمثال ( جابر بن حيان ) و ( الرازي ) و ( البيروني ) و ( الخازن ) تعتبر قريبة إلى درجة التطابق مع الأوزان النوعية المعينة لها بالطرق الحديثة " (١)

### ثالثا : العلوم الإنسانية :

وهي ما يطلق عليها بعض الباحثين ( العلوم الاجتماعية ) ويقسمونها إلى عدة فروع : " هي علم الاجتماع ، وعلم الإنسان ، وعم السياسة ، والاقتصاد ، والتاريخ " (٢) وإذا قصدوا بالجغرافيا طبيعة ما يؤثر في الناس من حيث الزمان والمكان ، وقصدوا بعلم النفس دراسة الإنسان من جانب السلوك كانت الجغرافيا وعلم النفس بهذا الاعتبار فرعين من فروع العلوم الاجتماعية ، وإلا فإنهما تندرجان ضمن العلوم الطبيعية .

ولم تكن هذه العلوم معروفة في صدر الإسلام كعلوم مستقلة بهذه التسميات ، ولكن محتوى هذه العلوم كان مبثوثا في كتاب الله تعالى ، وفي سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي تراث أمة الإسلام ، وهي في نظر الإسلام — عبر مصادره التي ذكرت آنفا — وحدة واحدة ، لا يمكن الفصل بينها البتة ، ذلك أن علم التربية — إن صححت تسميته بهذا — خاص ببناء هذه النفس ، وهذه النفس مع تلك تُكوّن في نهاية المطاف هذه المجتمعات المنتشرة في أرجاء الأرض كلها ، والبحث في تاريخ الأمم والشعوب أحد المحاور المهمة التي أكدت على دراستها مصادر التشريع في الإسلام ، ذلك أن الإسلام : " قد أعطى إجابات قاطعة عن أصل الإنسان ، وعن الغاية من وجوده ، وعن تكوينه ، وخصائصه ، وحرية ، ومسئولته ، وعن عمله ، ومصيره ، وعن علاقته بغيره حسب وضعه في البنية الاجتماعية ، وعن تأثيره وتأثره بالأشياء والأحياء ، وعن سلطانه على الأشياء والأحياء ، وعن حدود هذا السلطان ، وكل هذه الموضوعات التي أصبحت اليوم في الغرب في مجموعة من العلوم المتخصصة في النفس والاجتماع " (٣)

ولا يشك متأمل لكتاب الله تعالى ، ولسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ولما سطره علماء الإسلام من قبل ، ما اشتملت عليه هذه المصادر ، من حديث عن النفس الإنسانية ، من حيث تكوينها ، وأحوالها ، وغاياتها ، وطرائق تهذيبها وتركيتها ، وكيف تتكون المجتمعات المثالية في الأرض ، وما هي دعائم تكوينها وبنائها ، وما هي عوامل دمارها وانهيارها .

(١) زغلول النجار وعلى الدفاع ، إسهام علماء المسلمين الأوائل في تطور علم الأرض ، ص ١٩٥

(٢) إسماعيل الفاروقي ، وعبدالله نصيف ، العلوم الطبيعية والاجتماعية من وجهة النظر الإسلامية ، ص ٢٣

(٣) محمد رشاد خليل ، علم النفس الإسلامي العام والتربوي ، ص ٥٦

وفيما يتعلق بالتربية وعلم النفس ، لم يأت أحد من الخلق بحقائق عن النفس البشرية وطرق تهذيبها كما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وكيف لا يكون الأمر كذلك ، والخالق — سبحانه — هو الذي أعطى للبشرية هذه الحقائق باعتباره خالقها من العدم ، قال تعالى : ﴿ أَلَا

## يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾

وإذا كانت العلوم الإنسانية ومنها : التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع — كعلوم مستقلة وهذه المسميات — قد نشأت في بيئات غربية علمانية كافرة ، وترجمت بغثها وسمينها ، وأصبحت مصادر توجيه في بعض المؤسسات التربوية في بلاد المسلمين ، فإنه لا يصح أن تكون في عمومها زادا لخير أمة أخرجت للناس ، وكلفت بهداية العالمين ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، على أننا أمة تفيد مما أصاب فيه الآخرون ، ما دام يدور في إطار الإسلام ، وإنما المعيب أن تظل هذه العلوم — التي قامت في بعض أطروحاتها على أسس إحادية مضللة — توجه العقل المسلم في المؤسسات التعليمية والتربوية ، وإن الإنسان ليملكه العجب كيف يولي بعض المسلمين وجوههم قبل العلوم الإنسانية في الغرب وهم يعلمون " أن التطور الإحادي لأصل الإنسان — والذي قال به التطوريون — قد أصبح اليوم هو أساس جميع العلوم الإنسانية وغير الإنسانية ، وبالتالي أساس علم النفس بجميع مدارسه سواء منها التحليلية أو السلوكية أو الجشطاطية " (١) : " مما كان له أبلغ الأثر في قيام الحياة في الغرب على أسس مادية نفعية محسوسة لا تؤمن بالغيب ولا تجعل له في رصيدها حسابا ، بل إنها لتصف كل معرفة لا تخضع للقياس والتجريب — كالمعرفة الغيبية — بأنها معرفة ساذجة ، وأن من يؤمن بها ما هو إلا موتور متخلف .

وعليه : " فنحن في غاية الهمي عن تلك الأبحاث الإنسانية التي كان موضوعها الإنسان الغربي بضلاله وانحرافه ، وليس من العدل أن تقدم تلك الأبحاث لأمتنا على أنها نماذج للعلوم الإنسانية ، إلا إذا كنا نعرضها كنموذج للعبث الذي يسمى علما ، وللضياح الذي يسمى حضارة ، وللفساد الذي يسمى تقدما " (٢)

وما من شك أن الأمة في أمس الحاجة إلى دراسات نفسية وتربوية قائمة على حقائق ربانية ، لتحقيق الهدف من الخلق والإيجاد ، المتمثل في إخراج فرد مثالي ومجتمع مثالي وحضارة مثالية تتحقق في حياتها العبودية الشاملة لله رب العالمين ، مع ضرورة متابعة البحث العلمي الجاد من قبل

(١) - [سورة الملك: الآية ١٤]

(٢) محمد رشاد خليل ، علم النفس الإسلام العام والتربوي ، ص ٤١

(٣) خليل الحديري ، التربية الوقائية في الإسلام ، ص ٨٢

المتخصصين في هذه العلوم ، مع التأكيد على أهمية التكامل العلمي والفكري بين المتخصصين من المسلمين في مختلف جوانب المعرفة ، ليتجنب القائمون على هذه التخصصات الازدواج والتناقض ، كما تكون النتائج التي يتوصلون إليها منطقية متجانسة لا تتصادم مع الحق ، ولا تتناقض مع الحقائق الأخرى .

ومن خلال تخصص الباحث في الأصول الإسلامية للتربية ، وقراءاته المتفرقة في محتويات هذا التخصص ، وجد نفسه بين أسفرا ضخمة في الجوانب التربوية أبدعتها قرائح علماء المسلمين الأقدمين ، إلا أنها لم تحمل مسمى العلوم التربوية ، وذلك لعدة أمور :

أولها : حداثة العلوم التربوية ، كعلوم متخصصة وبهذه التسميات ، وهو ما أكده بعض الباحثين بقوله : " إن فروع المعرفة التي يسميها الغرب ( العلوم الاجتماعية ) لا يكاد عمرها يتجاوز القرن الواحد " (١)

ثانيها : كون محتويات هذه العلوم مبثوثة في كتب أهل العلم في مختلف جوانب المعرفة .  
ثالثها : النظرة الشمولية التي كان يتميز بها علماء الأمة الأقدمون للعلوم والمعارف ، فلم يكن أهل كل تخصص يعملون بمعزل عن الآخرين ، لتصادم أطروحاتهم في نهاية المطاف ، بل كان بينهم روابط مشتركة لا يعذر أحد بجهلها مهما كان تخصصه .

وإن كان قد كتب في هذه العلوم على اختلاف فروعها جمع من علماء المسلمين كابن أبي الدنيا ، والخطيب البغدادي ، والزرنجي ، وابن سحنون ، والآجري ، وابن تيمية ، وابن القيم ، وأبي حامد الغزالي ، وابن جماعة ، وابن عبد البر ، وابن خلدون ، وغيرهم ، وقد اتسمت أطروحاتهم بالأصالة والعمق والشمول والمنهجية العلمية الرائعة ، وما يزال بعضها مصدرا أساسيا يعود إليه كثير من الباحثين من أهل الشرق والغرب ، لرقى مادته العلمية من جهة ، وروعة منهجيته العلمية من جهة أخرى ، ومثالهما سفران عظيمان أحدهما في التربية وهو الموسوم بكتاب ( العيال ) لابن أبي الدنيا — رحمه الله — والآخر في علم التاريخ ، وإن شئت فقل في علم الاجتماع وهو الموسوم بكتاب ( مقدمة ابن خلدون ) للإمام العلامة عبدالرحمن بن خلدون — رحمه الله — وهذه لمحة موجزة عن الكتابين وقيمتها العلمية :

أ — كتاب ( العيال ) للإمام الحافظ ابن أبي الدنيا ، رحمه الله ، وهو : " عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي ، مولاهم البغدادي ، صاحب التصانيف السائرة ٠٠٠ ولد سنة ثمان ومئتين ٠٠٠ وتصانيفه كثيرة جدا فيها محبآت وعجائب " (٢) كان بارعا في فنون كثيرة متخصصة

(١) إسماعيل الفاروقي ، وعبدالله نصيف ، العلوم الطبيعية والاجتماعية من وجهة النظر الإسلامية ، ص ٢٣

(٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٣ ص ٣٩٧ — ٣٩٩

" تظافت هذه التخصصات العلمية المتعددة في شخص المصنف ، فأنتجت كتابا تراثيا قيما يُعد مصدرا مهما من مصادرنا العلمية المسندة ، ومرجعا ثريا في بابه ، فمؤلفه جمع بين الإمامة في الحديث ، والتاريخ ، والتربية " (١) وقد صنف في التربية هذا السفر العظيم الذي امتاز بقيمته العلمية والتربوية وكانت منهجيته في التصنيف قائمة على أسس علمية صحيحة ، قال عنها بعض المحققين : " وهذا السفر الكريم تكمن أهميته في اتجاهين رئيسين : أولاهما : أنه يعالج أهم مؤسسة في بناء الأمة تسهم في تحديد شخصية المجتمع وهي العائلة ٠٠٠ مع علو مرتبته في الابتكار التصنيفي ، والتنظيم الموضوعي ٠٠٠ بهذا الشمول والسعة ، كما أنه يعتبر سبقا حضاريا هائلا في بابه — دون ريب — إذ أنه يكشف الستار عن المنهجية التكاملية في معالجة الأسرة في ضوء التوجيهات الإسلامية في مرحلة مبكرة ٠٠٠ وثانيهما : أنه وثيقة تراثية تربوية ٠٠٠ عالج موضوع العائلة وشؤون الأسرة معالجة موسوعية شاملة ، خصت كل فرد فيها بباب متميز ، أو أكثر من باب ، ومن زاوية ، أو من زوايا عديدة ، ثم بحث الموضوع بصورة كافية موحدة ، باعتبار أن الأسرة لحمة واحدة ، وبنية متماسكة مترابطة ٠٠٠ وقد أتى به من فاتحته إلى خاتمته مسندا موصولا " (٢)

ب - كتاب ( مقدمة ابن خلدون ) للإمام العلامة عبدالرحمن ابن خلدون — رحمه الله — وقد وصف — رحمه الله — منهجيته العلمية في تأليف مقدمته فقال : " ولما طالعت كتب القوم ، وسبرت غور الأمس واليوم ، نبهت عين القريجة من سنة الغفلة والنوم ، وسميت التصنيف من نفسي — وأنا المفلس — أحسن السوم ، فأنشأت في التاريخ كتابا ، رفعت به عن أحوال الناشئة من الأجيال حجبا ، وفصلته في الأخبار والاعتبار بابا بابا ، وأبدت فيه لأولية الدول والعمران عللا وأسبابا ٠٠٠ فهذبت مناحيه تهديبا ، وقربته لأفهام العلماء والخاصة تقريبا ، وسلكت في ترتيبه وتبويبه مسلكا غريبا ، واخترعته من بين النواحي مذهبا عجيبا ، وطريقة مبتدعة وأسلوبا ، وشرحت فيه من أحوال العمران والتمدن ، وما يعرض في الاجتماع الإنساني من العوارض الذاتية ما يُمتّعك بعقل الكوائن وأسبابها ، ويعرفك كيف دخل أهل الدول من أبوابها ، حتى تنزع من التقليد يدك ، وتقف على أحوال ما قبلك من الأيام والأجيال وما بعدك " (٣)

ومما قاله في مقدمته في فضل علم التاريخ قوله : " اعلم أن علم التاريخ فن غزير المذهب ، جم الفوائد ، شريف الغاية ، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين ، من الأمم في أخلاقهم ، والأنبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياستهم ، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين

(١) نجم الدين خلف ، مقدمة كتاب العيال لابن أبي الدنيا .

(٢) نجم الدين خلف ، مقدمة كتاب العيال لابن أبي الدنيا .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٢

والدنيا ، فهو محتاج إلى مآخذ متعددة ، ومعارف متنوعة ، وحسن نظر وثبت يفيضان بصاحبهما إلى الحق ، وينكبان به عن المزلات والمغالط ، لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ، ولم تحكم أصول العادة ، وقواعد السياسة ، وصبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني ، ولا قيس الغائب منها بالشاهد ، والحاضر بالذاهب ، فلربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق " (١)

وإن المتأمل لكلامه — رحمه الله — يرى أن منهجيته في كتابة مقدمته قد تحددت فيما يلي

:

- أولا : معرفته بالتخصص وتأكيده عليه .
  - ثانيا : تفضيله بعض العلوم على بعض .
  - ثالثا : معرفته لنتائج العلوم وما يترتب عليها من آثار في حياة الناس .
  - رابعا : عنايته بالتطبيقات التربوية حين قصد من دراسة التاريخ الاقتداء .
  - خامسا : تأكيده على المعرفة الشاملة حين أكد على حاجة التأريخ إلى معارف متنوعة .
  - سادسا : تأكيده على أهمية التثبت في نقل الأخبار .
  - سابعا : عنايته الفائقة بتحليل الأخبار والمرويات وعدم الاكتفاء بمجرد النقل .
  - ثامنا : اشتمال كلامه على قواعد علمية منهجية مثل قوله : تحكيم أصول العادة ، قواعد السياسة ، طبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني ، قياس الغائب على الشاهد ، علل الكوائن وأسبابها .
  - تاسعا : لغته السهلة ، وعباراته الواضحة البعيدة عن الغموض والعمومية .
  - عاشرا : حسن تبويبه وترتيبه لأبحاثه ومؤلفاته .
  - حادي عشر : عنايته بمنهج البحث وابتكاره لبعض أساليبها .
  - ثاني عشر : ذمه للتقليد ، وتشجيعه على المقلدين .
  - ثالث عشر : عنايته بحل مشكلات الواقع ، من خلال تأمل الماضي واستشراف المستقبل .
- ولعل هذه المنهجية العلمية هي التي جعلت علماء الاجتماع في الغرب يتلمذون على مقدمته فهذا ( توينبي ) المؤرخ الانجليزي الشهير يقول كما نقل عنه : " في المقدمة التي كتبها ابن خلدون لتاريخه العام ، أدرك ، وتصور ، وأنشأ فلسفة التاريخ ، وهي بلا شك أعظم عمل من نوعه خلقه (٢) أي عقل في أي زمان " (٣)

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٦

(٢) أي أنشأه ولم يسبقه إليه أحد لا أن المراد الخلق الذي هو من خصوصيات رب العالمين .

(٣) محمد فرشوخ ، موسوعة عباقرة الإسلام ، ج ١ ص ٦٩

ولعل هذا يستحث هم المتخصصين في العلوم الإنسانية من أهل الإسلام لأن يستنبطوا من المصدرين الأساسيين ، ومن تراث أمتهم الخالد ، مادة علمية مؤصلة ، تتصف بالعمق والشمول في معالجة جوانب هذه النفس ، مما يتعلق بنشاطها على الأرض في مختلف جوانب الحياة ، تقوم على حقائق ربانية ، بأسلوب سهل ميسر ، بعيد عن شكوك الفلاسفة ، وحيرة المناطقة ، وتضليلات الملاحدة ، وبعيد عن التنظير اللفظي الاستهلاكي الممجوج ، الذي يلجأ إليه بعض المتفهبين هروبا من الواقع ، وتشدقا بأطروحات مغرقة في المثال ، لم تجد إلى واقع الناس طريقا تسلكه ، فعجزت طوال عمرها عن أن تنتج إنسانا سويا ، أو مجتمعا مثاليا ، وما مدينة أفلاطون الفاضلة إلا خير شاهد .

مع اليقين الذي لا يخالطه شك أن الآخرين قد يصيبون الحكمة في بعض الجوانب ويقصر عنها قومنا ، خاصة في المجالات العملية والدراسات المختبرية ، مما يؤكد علينا الإفادة من كل فم ينطق بالحكمة ما دامت نافعة ، ثم نوجهها وفق أصول ديننا ومقاصد شريعتنا .



## خاتمة الفصل :

وهكذا تظهر بجلاء — حسب جهد الباحث — مكانة العقل والعلم في القرآن الكريم ، فقد عرض الباحث لمفهوم العقل في القرآن الكريم ، وخرج من ذلك بأنه لم يرد ذكر العقل في القرآن على صيغة الاسمية ، وإنما ذكرت أفعال العلم ، وقد استنبط الباحث من ذلك أهمية التركيز على أعمال العقل ، بعيد عن الخوض في حقيقته : فإن ذلك مما تتعذر معه المنفعة ، ثم عرض لمكان العقل من الجسد ، من خلال ما جاء في القرآن الكريم ، وأنه في القلب كما دلت على ذلك أكثر من مائة وثلاثة وثلاثين آية في كتاب الله الكريم ، وإن كان له تعلق بالدماغ ، ثم حاول الباحث أن يبين مكانة العقل في القرآن من خلال ذكر أفعاله ، ومدح من يستثمره ، وذم من يعطله ، وكيف جعله الإسلام مناط التكليف ، ثم عرض لجملة من النماذج المبدعة من أهل الإسلام في علوم الدنيا والآخرة ، فذكر نماذج في العقيدة والشريعة ، ثم في العلوم الطبيعية ، كالطب والصيدلة والفلك والرياضيات والفيزياء ، ثم في العلوم الإنسانية كالتربية وعلم الاجتماع ، وكلها هذا الإبداع في جوانب المعرفة المختلفة كان سببه دعوة القرآن الكريم إلى التفكير العلمي إعماراً لمطالب الدنيا والآخرة .

ثم ذكر الباحث مكانة العلم في القرآن الكريم من خلال ذكر أول آية نزلت من القرآن الكريم تحض على القراءة وتؤكد على المعرفة ، لتأسس الحياة على العالم النافع في كل شأن من شؤون حياتها ، ثم ذكر النظرة الشاملة للعلم في القرآن الكريم وأنه يؤكد على طلب العلم في سائر العلوم والفنون ، النظرية والتطبيقية لكونه قد دعا إلى عموم القراءة في صدر سورة العلق ، شريطة أن تكون هذه العلوم كلها على اسم الله تعالى لتحقيق في حياة البشر العبودية لله تعالى بمفهومها الشامل .

على أن لهذه المنهجية العلمية في التفكير أبعاداً مختلفة ، سواء كانت هذه الأبعاد في عمليات التفكير العلمي ، أو أنواعه ، أو أحواله ، أو ميادينه ، أو ضوابطه العلمية والخلقية ، وكل بعد من هذه الأبعاد له أهميته في توضيح جوانب هذه المنهجية ، وهو ما سيشير إليه الباحث — بإذن الله تعالى — في الفصل الثاني من هذه الدراسة .

## الفصل الثاني

أبعاد التفكير العلمي في القرآن الكريم ، ويشمل :

البعد الأول :

عمليات التفكير العلمي في القرآن الكريم

البعد الثاني :

أنواع التفكير العلمي في القرآن الكريم

البعد الثالث :

أحوال التفكير العلمي في القرآن الكريم

البعد الرابع :

مبادئ التفكير العلمي في القرآن الكريم

البعد الخامس :

ضوابط التفكير العلمي في القرآن الكريم

## مدخل للفصل :

للتفكير العلمي في القرآن الكريم أبعاد كثيرة ، حاول الباحث أن يستبطنها من القرآن الكريم ، وبعد طول تدبر لكتاب الله تعالى ، وقف الباحث منها على خمسة أبعاد هي على النحو التالي :

بُعد عمليات التفكير ، وهي تلك العمليات التي يقوم بها العقل ، بغية الوصول إلى حقيقة من الحقائق التي جاء بها القرآن الكريم ، وقد وردت هذه العمليات بألفاظ مختلفة ، وإن كانت مشكاتها واحدة ، غير أن سياق كل آية هو الذي يحدد المراد منها .

ثم يأتي بعد ذلك بُعد أنواع التفكير العلمي حيث استنبط الباحث من القرآن الكريم — على قدر جهده واستطاعته — سبعة أنواع هي : التفكير الغائي ، التفكير التنبؤي ، التفكير الناقد ، التفكير الشمولي ، التفكير المقارن ، التفكير المنطقي ، التفكير الإبداعي .

ثم يأتي بعد أحوال التفكير العلمي في القرآن الكريم ، وهي على حالتين : التفكير الفردي ، الذي يمارسه الإنسان في جو من الهدوء النفسي ، والمراجعة الفردية ، بعيدا عن تأثيرات الآخرين ، وتحليلاتهم ، والتفكير الجماعي ، الذي يسترشد فيه الإنسان بأراء الآخرين ، فيتبادل معهم الرأي والحل والمشورة ، فيضم إلى عقله عنقول الآخرين ، ويضم إلى رأيه آراء الآخرين .

ثم يأتي بعد ذلك بعد ميادين التفكير العلمي ، وهي على قسمين : ميادين أمر العقل أن يتفكر فيها ، وميادين هي العقل أن يتفكر فيها لعدم قدرته على ذلك ، وقد بسط الباحث الحديث عنها في هذا الفصل .

وأخير ختم الباحث هذا الفصل بالبعد الخامس ، وهو يعد ضوابط التفكير العلمي ، وهي على قسمين : ضوابط علمية وضوابط حلئية .

وسوف يبسط الباحث الحديث عن هذه الأبعاد في هذا الفصل من الدراسة بإذن الله تعالى .

## البعد الأول : عمليات التفكير العلمي في القرآن الكريم :

يرى الباحث أن من الأهمية بمكان — وهذا جزء من منهجية التفكير العلمي المنضبط — أن تفهم القضية موضع البحث ، في سياستها الذي جاءت فيه ، وأن من أخطر الأساليب المناقضة لمنهجية التفكير العلمي ، أن تنتزع اللفظة من سياق الكلام ، مبتورة عما قبلها وما بعدها ، لتعطي معنى غير مراد ، وغالبا ما يفعل هذا بعض الناس إما عن جهل وعدم دراية ، وإما عن خبث مقصد ، وسوء نية ، ليُحمَل الكلام ما لا يحتمل ، وخاصة حين ينقل الناس بعضهم عن بعض .

وعليه فإن الباحث يؤكد على كل باحث مسلم يستشهد بأية من كتاب الله أو حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعني بإيراد الآية أو الحديث إيرادا كاملا حتى يظهر المراد من سياق الكلام ، وأن يحذر من إيراد الآية أو الحديث مبتورا ما قبله وما بعده ، بحجة الوقوف على الشاهد ، وذلك لكون الشاهد يأتي في سياق معين له دلالة من الإيراد ، إلا إذا كان إيراد الشاهد لا يتغير معه سياق الكلام ، ولا يتأثر بما قبله وما بعده فلا حرج ، لأن الهدف من إيراد الكلام كله — سواء كان في كلام الله تعالى أو في كلام غيره من البشر — هو فهم المراد من سياق الكلام .

ولهذا حرص الباحث — وهو يتناول هذه العمليات العقلية التي جاءت في كتاب الله الكريم — أن يبين معانيها من خلال السياق الذي وردت فيه ، إلا ما ندر شريطة أن يكون إيراد الشاهد من الآية أو الحديث أو غيرها من كلام البشر غير متأثر في معناه بما قبله وما بعده .

وقد حاول الباحث أن يتتبع هذه العمليات في القرآن الكريم ، فوجدها إما صريحة في الدعوة إلى أعمال العقل ، وإما مفهومة من سياق الكلام .

فأما الألفاظ الصريحة للعمليات العقلية في القرآن الكريم ، فمنها : التعقل : التفكير ، التذكر ، التدبر ، النظر ، الرؤية العقلية ، الاعتبار ، الادكار ، وتفصيلها على النحو التالي :

### التعقل :

حاول الباحث أن يتتبع هذه العملية من خلال مشتقات الفعل الماضي ( عقل ) حيث جاءت مشتقاته في القرآن الكريم ( تسعا وأربعين ) مرة ، واحدة منها بصيغة الفعل الماضي ، وما بقي جاء بصيغة المضارع المنفي أو المثبت ، وبيان ذلك كما يلي :

( عقل ) بصيغة الماضي ، وجاءت في القرآن الكريم للتنديد بحال أهل الكتاب الذين يحرفون

كلام الله تعالى عن مواضعه ، كما في قوله تعالى ﴿ **أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ**

وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ

مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ (١) وفي الآية الكريمة التي وردت فيها صيغة (عقل)

درس تربوي إسلامي نبيل يؤكد على خطورة تحريف الكلم عن مواضعه اللفظية أو المعنوية أو كليهما ، وما ينتج عن ذلك من فساد كبير في حق الفرد والمجتمع ، سواء كان هذا التحريف في كلام الله تعالى ، أو حتى كلام غيره من البشر ، ذلك حين يكون الباعث على التحريف ابتغاء الفتنة .

(تعقلون) للمخاطب ، و (يعقلون) للغائب ، وغالبا ما يسبق هذه الصيغ استفهام انكاري توييخي ، كقوله (أفلا تعقلون) وكقوله (أفلم تكونوا تعقلون) في المواطن التي يحتاج الناس فيها إلى التذكير بخطورة ما يقولون أو يفعلون ، كقوله تعالى لمن يأمر الناس بالبر وينسى نفسه :

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ  
الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٢)

أو في المواطن التي يحتاج الناس فيها إلى التذكير بخطورة ما تؤول إليه العواقب ، كقوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ (٣)

أو لبيان العلة من إيراد شيء ما ، كقوله (لعلكم تعقلون) ، ومن ذلك ما جاء في القرآن الكريم من بيان علة ضرب القتل ببعض أجزاء البقرة ، في سياق قصة نبي الله موسى عليه السلام مع بني إسرائيل ، كما حكى الله عن ذلك بقوله :

﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ  
الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٤)

(١) - [سورة البقرة: الآية ٧٥]

(٢) - [سورة البقرة: الآية ٤٤]

(٣) - [سورة يس: الآية ٦٢]

(٤) - [سورة البقرة: الآية ٧٣]

أو للحض على إعمال العقل ، كقوله ( إن كنتم تعقلون ) وتعليقه على الإيمان بالله تعالى ،  
كقوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ

تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٢٨﴾ (١)

وغالبا ما ترتبط هذه الصيغة بالدعوة الى التفكير في آيات الله القرآنية ، لمعرفة الحكمة من  
التشريع الرباني الفريد ، وخاصة ما ورد بصيغة المخاطب ( تعقلون ) .

وقد يراد بهذه الصيغة ذم المعطلين لعقولهم ، وتشبيههم بمن لا يعقل ، كما في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ

﴾ ﴿٢٢﴾ (٢)

( نعقل ) وقد جاءت في سياق ندب أهل النار لحالهم وهم يتقبلون في طباقها قائلين :

لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ ﴿١﴾ (٣)

وبالنظر في هذه الآيات التي وردت فيها مشتقات الفعل الماضي ( عقل ) يتبين أنها تدعو  
إلى إعمال العقل في آيات الله الكونية والقرآنية ، وتؤكد على فحص المعتقدات ، والنظر في الدعاوى  
الضالة ، وعواقب الأمور ، وذم المعطلين لعقولهم ، وتكبيت من يقعون فيما يشين من الأقوال  
والأعمال .

### التفكير :

وجاء الأمر به في سياق الدعوة إلى إعمال العقل في آيات الله الكونية والقرآنية ، والتحري  
من كل فكرة يدلي بها صاحبها ، ومن ثم قبولها ، أو رفضها إن كانت عارية عن البرهان ، وذم  
صاحبها على اعتناقها ، أو الدعوة إليها ، ويكون ذلك مقرونا ببعض الأساليب التربوية المقنعة ،  
كالقصة وضرب المثل .

وقد جاء الأمر بالتفكير في كتاب الله الكريم بصيغ مختلفة ، وهي على النحو التالي :

(١) - [سورة الشعراء: الآية ٢٨]

(٢) - [سورة الأنفال: الآية ٢٢]

(٣) - [سورة الملك: الآية ١٠]

(يتفكرون) وقد جاءت الدعوة إلى التفكير في آيات الله الكونية والقرآنية بهذه الصيغة في

حوالي ثلاث عشرة آية من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا  
عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١)

ومنها قوله تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ

إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢)

(يتفكروا) وجاءت الدعوة إلى التفكير بهذه الصيغة في موضعين :

أ - في حال النبي محمد صلى الله عليه وسلم ونفي ما ادعاه الأفاكون من كونه به جنّة ،

والتأكيد على صدق نبوته ، كما في قوله تعالى : ﴿ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ

جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٣)

ب - في إمكانية البعث بعد الموت ، وأن الذي يؤمن بأن الله - سبحانه - هو الذي أوجد هذه

النفس من العدم ، ثم ينكر إمكانية إعادتها ، ليليد الحس ، قاصر الفهم ، ساذج التفكير ، كما في قوله

تعالى : ﴿ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي

رَبِّهِمْ لَكَفِرُونَ ﴾ (٤)

(١) - [سورة آل عمران: الآية ١٩١]

(٢) - [سورة النحل: الآية ٤٤]

(٣) - [سورة الأعراف: الآية ١٨٤]

(٤) - [سورة الروم: الآية ٨]

(تفكروا) وجاءت الدعوة إليه في حال النبي محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الصيغة ، في موضع واحد ، في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفَرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ (١)

(تفكرون) وجاءت الدعوة إليه — في قضية التشريع — بهذه الصيغة ، في ثلاثة مواضع ، منها موطنان في سورة البقرة ، حيث حتم الله هما الآية الكريمة التي بينت حكم الإسلام في الخمر والميسر ، ومنهجه في الإنفاق ، فجاء ختام الآيتين مبينا العلة من التشريع بقوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ

اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢)

و جاءت هذه الصيغة أيضا ، حين المقارنة بين أهل الحق ، الذين شبههم الله بالبصير ، وبين أهل الباطل ، الذي شبههم الله بالأعمى فقال سبحانه ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ

وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣) وكان هذا مقرونا بالاستفهام الإنكاري التويخي .

(فكرو) وقد جاءت بهذه الصيغة في موطن واحد ، حين أنكر المولى سبحانه على الأفاكين المضلين ، ما قالوه في القرآن الكريم بغير علم ، فقد ادعى الوليد بن المغيرة — لعنه الله — أن القرآن الكريم من كلام البشر (٤) فقال سبحانه عنه : ﴿ إِنَّهُمْ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقَتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ

(٥) ﴿ ﴿١٨﴾

(١) - [سورة سبأ: الآية ٤٦]

(٢) - [سورة البقرة: الآية ٢١٩]

(٣) - [سورة الأنعام: الآية ٥٠]

(٤) الواحدي ، أسباب النزول ، ص ٢٤٨ ، وهو في الصحيح المسند من أسباب النزول للوادعي ص ١٦٥

(٥) - [سورة المدثر: الآيتان ١٨-١٩]



وبالنظر في الآيات التي وردت فيها مشتقات الفعل الماضي ( فكر ) يتبين أنها جاءت تدعو إلى ضرورة التثبت من الأمور ، وتؤكد على إعمال العقل في حكمة التشريع ، وتؤكد على أهمية النظر في عواقب الأمور ، وتدعو إلى المقارنة والتمييز بين النافع والضار ، وتؤكد على أهمية التفكير في خلق الله تعالى من خلال النظر في آيات الله في الآفاق والأنفس .

### التذكير :

من خلال استقراء الباحث للآيات التي وردت في الدعوة إلى التذكر يتبين أنها جاءت على صيغ مختلفة ، فنارة تأتي مقرونة بأدائي الحض ( أفلا ) و ( فلولا ) في موطن الاستفهام الإنكاري التوبيخي كقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ

عَلِمْتُمْ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢)

وتارة لبيان العلة من الخلق والتشريع كقوله تعالى : ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا

وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٤) ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ

إِلَّا كُفُورًا ﴾ (٥)

وتارة ترد هذه الصيغة من باب الحث على التذكر ، كقوله تعالى : ﴿ وَهَذَا صِرَاطٌ

رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ ﴾ (٦)

(١) - [سورة الصافات: الآية ١٥٥]

(٢) - [سورة الواقعة: الآية ٦٢]

(٣) - [سورة النور: الآية ١]

(٤) - [سورة الزمر: الآية ٢٧]

(٥) - [سورة الفرقان: الآية ٥٠]

(٦) - [سورة الأنعام: الآية ١٢٦]

وتارة تأتي وصف مذموم لبعض الناس في قلة تذكركم ، كقوله سبحانه : ﴿ أَتَّبِعُوا مَا

أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا

تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴿١﴾

وقد جاء الأمر بالتذكر في القرآن الكريم بألفاظ ومعان مختلفة ، كل له دلالة في سياق الكلام ، غير أنها جميعا تكاد تنحصر في بيان أمور العقيدة ، والمقارنة بين أهل الإيمان والكفر ، والنظر في أعاجيب خلق الله تعالى ، وحكمة تشريعه ، والنظر في عواقب الأمور ، ومحاسبة النفس ، والاستجابة لأمر الله تعالى ، فمن صيغ ( التذكر ) ما يلي :

( ذكر ) كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ

أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا اللَّهُ

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴿٢﴾ وجاء الأمر بهذه الصيغة

لتذكير الناس بأن يتفكروا في مصير الغابرين .

( تذكّر ) كقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ نَعْمَرِكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ

تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ﴿٣﴾ ﴿٣﴾ وجاء الأمر بهذه الصيغة للتأكيد على أهمية النظر في

عواقب الأمور .

( يذكّر ) التي تنفي التذكر إلا عن أولي الألباب ، و ( يتذكّر ) التي تحصر التذكر في أولي

الألباب ، ففي الأولى يقول سبحانه ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ

الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ

(١) - [سورة الأعراف: الآية ٣]

(٢) - [سورة إبراهيم: الآية ٥]

(٣) - [سورة فاطر: الآية ٣٧]

وتارة تأتي وصف مذموم لبعض الناس في قلة تذكركم ، كقوله سبحانه : ﴿ اتَّبِعُوا مَا

أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا  
تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾

وقد جاء الأمر بالتذكر في القرآن الكريم بألفاظ ومعان مختلفة ، كل له دلالاته في سياق الكلام ، غير أنها جميعا تكاد تنحصر في بيان أمور العقيدة ، والمقارنة بين أهل الإيمان والكفر ، والنظر في أعاجيب خلق الله تعالى ، وحكمة تشريعه ، والنظر في عواقب الأمور ، ومحاسبة النفس ، والاستجابة لأمر الله تعالى ، فمن صيغ (التذكر) ما يلي :

(ذُكِّر) كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ  
أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ  
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٢﴾ (١) وجاء الأمر بهذه الصيغة  
لتذكير الناس بأن يتفكروا في مصير الغابرين .

(تَذَكَّر) كقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ نَعْمَرِكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ  
تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ﴿٣﴾ (٢) وجاء الأمر بهذه الصيغة للتأكيد على أهمية النظر في  
عواقب الأمور .

(يَذَكَّر) التي تنفي التذكر إلا عن أولي الألباب ، و (يَتَذَكَّر) التي تحصر التذكر في أولي  
الألباب ، ففي الأولى يقول سبحانه ﴿ يُوْتَى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ  
الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ

(١) - [سورة الأعراف: الآية ٣]

(٢) - [سورة إبراهيم: الآية ٥]

(٣) - [سورة فاطر: الآية ٣٧]

﴿ ٣١ ﴾ ﴿ ١ ﴾ وفي الثانية يقول سبحانه ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ

الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿ ٢ ﴾

والتأمل في الآيات التي أمرت بالتذكر يرى أنها جاءت - في أغلب الآيات - مرتبطة بأولي الألباب ، مما يؤكد على أن هذه العملية العقلية إنما هي من صميم عمل أهل العقول الراجحة ، وقد جلاء سياق الآيتين السابقتين للتأكيد على ضرورة حسن التعامل مع الأحداث ، وأهمية الموازنة بين الأطروحات .

(تذكروا) و (يذكروا) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا

مَسَّهُمْ طِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ ﴿ ٣١ ﴾ ﴿ ٣ ﴾

وكما في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا

يَزِيدُهُم إِلَّا نُفُورًا ﴾ ﴿ ٤١ ﴾ ﴿ ٤ ﴾ وجاءت هاتان الصيغتان للتأكيد على أهمية مراجعة النفس ومحاسبتها .

(تتذكرون) كما في قوله تعالى ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي

فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ

رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿ ٨٠ ﴾ ﴿ ٥ ﴾

﴿ ١ ﴾ - [سورة البقرة: الآية ٢٦٩]

﴿ ٢ ﴾ - [سورة الرعد: الآية ١٩]

﴿ ٣ ﴾ - [سورة الأعراف: الآية ٢٠١]

﴿ ٤ ﴾ - [سورة الإسراء: الآية ٤١]

﴿ ٥ ﴾ - [سورة الأنعام: الآية ٨٠]

(يتذكرون) كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ

بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بِصَآئِرٍ لِلنَّاسِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً

لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ (١)

(تذكرون) كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي

هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ

بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ

كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ ﴿٥٢﴾ (٢)

(يذكرون) كما في قوله تعالى : ﴿ وَهَٰذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ

فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣١﴾ (٣) وجاءت هذه المعاني كلها لتؤكد

على ضرورة أن يستجيب الإنسان لأمر الله تعالى ، ليسعد بذلك في الدنيا والآخرة .

وقد رأى الباحث أن بعض أهل العلم صنفوا التذكار إلى نوعين كما فعل أبو حامد الغزالي

— رحمه الله — حيث يقول : " التذكار ضربان : أحدهما : أن يذكر صورة كانت حاضرة الوجود في

قلبه ، لكن غابت بعد الوجود ، والآخر : أن يذكر صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة " (٤)

(١) - [سورة القصص: الآية ٤٣]

(٢) - [سورة الأنعام: الآية ١٥٢]

(٣) - [سورة الأنعام: الآية ١٢٦]

(٤) الغزالي ، الإحياء ، ج ١ ص ٨٧

وهذه المعاني مجتمعة لمعنى ( التذكر ) من خلال سياق الآيات كلها تدل على ما قاله الغزالي — رحمه الله — من أنها استحضار ما في القلب مما كان مضمنا بالفطرة ، وما ذكر الغزالي — رحمه الله — فيما غاب عن القلب بعد وجوده ، فإنه كان مضمنا بالفطرة من قبل ، ولهذا كان النظر في عواقب الأمور ، ومحاسبة النفس ، ووعظها لتستجيب لأمر الله تعالى صوراً مضمنة بالفطرة في قلب كل إنسان .

غير أن ثمة فرق بين التذكر والتفكير ، ذلك : " أن كلا من التفكير والتذكر له فائدة غير فائدة الآخر ، فالتذكر يفيد تكرار القلب على ما علمه وعرفه ، ليرسخ فيه ويثبت ، ولا ينمحي فيذهب أثره من القلب جملة ، والتفكير يفيد تكثير العلم واستجلاب ما ليس حاصلًا عند القلب ، فالتفكير يحصله ، والتذكر يحفظه ، ولهذا قال الحسن البصري — رحمه الله — : " ما زال أهل العلم يعودون بالتذكر على التفكير ، وبالتفكير على التذكر ، ويناطقون القلوب حتى نطقت بالحكمة " (١) وقد

جاء الأمر بالتدبر والتذكر في آية واحدة وهي قوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ

مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٢) مما يدل

على أن بين الأمرين فرق ، وهو ما أوضحه الألويسي — رحمه الله — في تفسير هذه الآية حيث قال في معنى التدبر : " أي أنزلناه ليتفكروا في آياته التي من جملتها هذه الآيات المعربة عن أسرار التكوين والتشريع . . . [ وقال في معنى التذكر ] : أي وليتعض به ذوو العقول الزاكية الخالصة من الشوائب " (٣) فجعل التدبر بمثابة التفكير في الآيات القرآنية ، وجعل التذكر بمثابة الاتعاظ الذي هو ثمرة إعمال الفكر .

التدبر :

وجاء الأمر به في كتاب الله الكريم في أربعة مواطن ، اثنين منها بصيغة ( يتدبرون ) واثنين بصيغة ( يدبروا ) وكلها جاءت لتؤكد على أهمية إعمال العقل في آيات القرآن الكريم ، وجاءت هذه الصيغ على النحو التالي :

(١) القرضاوي ، العقل والعلم في القرآن الكريم ، ص ٥٠

(٢) - [سورة ص: الآية ٢٩]

(٣) الألويسي ، روح المعاني ، ج ١٢ ص ١٨٩

(يتدبرون) قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ

غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ أَفَلَا

يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٢)

(يدبروا) وجاء الأمر بتدبر القرآن بهذه الصيغة في قوله تعالى : ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ

إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٣)

وفي قوله تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ

آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٤) وقد ذكر ابن كثير - رحمه الله - المراد بـ (القول) في

هذه الآية الكريمة بأنه القرآن الكريم . (٥)

ومن خلال النظر في الآيات التي أمر الله فيها بالتدبر ، يتبين أنها اقتضت على الأمر بتدبر آيات الله القرآنية في كتابه الكريم .

وعليه فإن الباحث يرى أن هناك فرقا بين الآيات التي تحض على التفكير والتذكر ، والآيات التي تحض على التدبر ، حيث جاءت آيات التفكير والتذكر أعم وأشمل من آيات التدبر ، لكون الأوليين تشملان آيات الله الكونية والقرآنية ، والثانية تختص بالآيات القرآنية فقط ، ولكل مغزاه من السياق ، وبلاغته المعجزة في التعبير عن المراد ، فسبحان من أنزله .

النظر :

جاء الأمر بالنظر - الذي يراد به إعمال العقل لا مجرد النظر الحسي - في مواطن كثيرة

وبصيغ مختلفة منها :

(١) - [سورة النساء: الآية ٨٢]

(٢) - [سورة محمد: الآية ٢٤]

(٣) - [سورة ص: الآية ٢٩]

(٤) - [سورة المؤمنون: الآية ٦٨]

(٥) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ص ٣١٣

(نظر) بصيغة الماضي ، وجرىء بها لبيان حال النظر المذموم ، والتفكير الضال ، الذي أسلم

الوليد بن المغيرة ليقول في القرآن ما قال ، قال تعالى عنه : ﴿ ثُمَّ نَظَرَ ﴾ (١)

(ننظر) بصيغة المضارع ، وجرىء بها للتثبيت من الأمر قبل اتخاذ أي موقف ، أو إصدار أي

حكم ، قال تعالى على لسان سليمان عليه السلام : ﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ

مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٢)

(فلينظر) بصيغة المضارع المقرون بلام الأمر ، وخص بها أمران :

أ - النظر في أصل خلق الإنسان ، قال تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ

﴿ ﴾ (٣)

ب - فيما يتعلق بكيفية خلق طعامه ، ورحلة إيجاد هذا الطعام ، قال تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ

الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ (٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿ ١٥ ﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا

الْأَرْضَ شَقًّا ﴿ ١٦ ﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿ ١٧ ﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿ ١٨ ﴾

وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿ ١٩ ﴾ وَحَدَائِقِ غُلْبًا ﴿ ٢٠ ﴾ وَفَكِهَةً وَأَبًّا ﴿ ٢١ ﴾ مَتَاعًا

لَكُمْ ﴿ ٢٢ ﴾ وَلَا نَعْمِكُمْ ﴿ ٢٣ ﴾ (٥)

(ينظروا) بصيغة المضارع ، وجاء الحض بها على إعمال العقل في أمرين :

(١) - [سورة المدثر: الآية ٢١]

(٢) - [سورة النمل: الآية ٢٧]

(٣) - [سورة الطارق: الآية ٥]

(٤) - [سورة عبس: الآيات ٢٧-٣٣]



أ - في آيات الله الكونية ، كقوله تعالى : ﴿ أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (١)

ب - في أحوال الأمم العاتية في الدنيا ، وما كانوا عليه من القوة والسلطان ، ثم ما آل إليه أمرهم من ذهاب قوتهم وسلطانهم ، وما أصابهم من العذاب في الدنيا قبل الآخرة ، والآيات في هذا المعنى

كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ

عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا

فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢﴾

﴿ (١)

( انظر ) بصيغة الأمر ، على جهة الإفراد ، وجاء الحض به على إعمال العقل في حفظ الله تعالى للأشياء ، وإلى قدرته على الإحياء ، وآثار رحمته في الأرض ، وكيف يصرف الآيات ، وكيف يفضّل بعض الناس على بعض ، وكيف يفترى الأفاكون على الله ، وكيف يضربون الأمثال على ذلك ، وعواقب مكرهم ، وصددهم عن سبيل الله ، وإلى مصير المنحرفين عن دينه ، وعجز ما يعبد من دونه من

الآلهة المزعومة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَنْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ

يَتَسَنَّهٗ وَأَنْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَىٰ

الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴿٣﴾ (٣) وقوله تعالى : ﴿

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ

(١) - [سورة الأعراف: الآية ١٨٥]

(٢) - [سورة غافر: الآية ٢١]

(٣) - [سورة البقرة: الآية ٢٥٩]

عَقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ

الْأَمْثَلِ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ (٢)

( انظروا ) بصيغة الجمع ، وجاء الحض بها على إعمال العقل في ملكوت السموات والأرض ، وكيف بدأ الخلق ، وكيف ينضج الثمر ، وإلى بيان مصير المنحرفين عن دينه من المكذبين والمفسدين

والجرمين ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) وقوله تعالى : ﴿

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ

عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (٤)

ومن خلال استقراء الآيات التي جاءت تحض على إعمال العقل بصيغة ( نظر ) ومشتقاتها ، يتبين أنها تعالج ظاهرتين مهمتين هما : الظاهرة الكونية ، والظاهرة الاجتماعية ، بغية ترسيخ الإيمان في قلوب الناس من جهة ، وتهذيب سلوكهم من جهة أخرى .

الرؤية العقلية :

وجاءت صيغها بالإفراد والجمع ، في حال المخاطبة والغيبة ، وتفصيل ذلك كما يلي :

( ألم تو ) وهذه في القرآن الكريم صيغة خاصة ، خاطب الله بها نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ،

وهي له ولأمته من بعده ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ

إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي

الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ

(١) - [سورة النمل: الآية ١٤]

(٢) - [سورة الفرقان: الآية ٩]

(٣) - [سورة يونس: الآية ١٠١]

(٤) - [سورة آل عمران: الآية ١٣٧]

فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ  
فَبُهِتَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ (١)

وكان الهدف من هذا الأمر إعمال العقل في أهمية الإفادة من الحجج الدامغة ، عند مقارعة الخصوم من أهل الباطل ، بالحجة والبرهان ، ولو أدى الأمر إلى التنزل — جدلا — مع المخالفين ، حتى تحسم القضية معهم لصالح الحق وحملته ، وهو أسلوب تربوي فعال مؤثر .  
على أن هناك فرقا بين التنزل والتنازل ، فإن المسلم يتنازل مع الخصم بغية حمله — عند المجادلة — على ما هو أهم وأقوى في الحجج والبراهين الملزمة ، ولكنه لا يتنازل عن الحق الذي يحملها مهما كانت المعاذير والمبررات ، على أن يكون ذلك وفق الشروط والضوابط الشرعية .  
(أولم ير ) وجاءت هذه الصيغة تدعو إلى إعمال العقل في قضية الخلق ، لتبطل دعوى الذين

ينكرون البعث بعد الموت ، كما في قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ

نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ (٢)

(أولم يروا ) وجاءت هذه الصيغة تدعو إلى إعمال العقل ، وتقليبه في ملكوت السموات والأرض ، كما في قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا

ظِلَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ (٣)

(يروون ) وجاءت هذه الصيغة تدعو إلى إعمال العقل في آيات الله الكونية أو فيما يؤمن به الآخرون مما لا دليل عليه ، ويكون ذلك أداة الحض (أفلا) ، كما في قوله تعالى : ﴿أَفَلَا

يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ

(١) - [سورة البقرة: الآية ٢٥٨]

(٢) - [سورة يس: الآية ٧٧]

(٣) - [سورة النحل: الآية ٤٨]

﴿ ٤٤ ﴾ (١) وكما في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا

يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ ﴿ ٨١ ﴾ (٢)

والتأمل للآيات التي ورد فيها الحض على إعمال العقل من خلال الرؤية العقلية يرى أنها جلوت للنحض على إعمال العقل في آيات الله الكونية من الخلق والإحياء والإماتة ، وإلى التفكير في هافات أطروحات المشركين الذين يؤمنون بما يتصادم مع العقل ، ولا يستند إلى دليل نقلي أو عقلي .

الاعتبار :

وقد وردت صيغته مرة واحدة ، للتأكيد على أهمية التفكير فيما تقول إليه الأمور سلبا وإيجابا ، ليستفيد الإنسان من هذا المال ، فيقيس حاله على حال غيره ، ومثاله ما ذكره الله تعالى عن يهود بني قريظة ، الذي نقضوا العهد والميثاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما آل إليه حالهم من الخزي والعار ، حينما أخرجوا من المدينة ، مذكرا أهل العقول أن يستفيدوا من هذا الحدث ،

وفي هذا يقول سبحانه ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ

مَانِعْتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا

وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي

الْمُؤْمِنِينَ فَاَعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾ ﴿ ٢ ﴾ (٣)

الادكار :

وجاءت صيغته الوحيدة ( مذكر ) في عدة مواضع من كتاب الله تعالى لتؤكد على أمرين

اثنين :

(١) - [سورة الأنبياء: الآية ٤٤]

(٢) - [سورة طه: الآية ٨٩]

(٣) - [سورة الحشر: الآية ٢]

أ - إعمال العقل في آيات الله القرآنية ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا

الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (١)

ب - إعمال العقل في عواقب الأمور ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا

ءَايَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (٢)

وقد وردت بلفظ ( وادكر ) في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ

بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ (٣) لتدل على التذكير بعد

النسيان .

وخلاصة ما سبق يرى الباحث أن العمليات العقلية في القرآن الكريم بصيغها المختلفة ، قد  
تركزت على إعمال العقل فيما ينفع البشرية مما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة ، وأن هذه العمليات قد  
جاءت في أغلب الآيات مركزة على أهمية التفكير وإعمال العقل في ثلاثة أمور :

أ - في الآيات القرآنية وما فيها من الإعجاز اللغوي والتشريعي .

ب - في الظواهر الكونية المتعلنة بآيات الله في الآفاق والأنفس ، وما فيها من الإعجاز العلمي

، وما يحكمها من سنن .

ج - الظواهر الاجتماعية المتعلقة بحياة الأفراد والأمم ، وما فيها من العبر والعظات ، وما

يحكمها مسيرتها من سنن .

مع مطالبة القرآن الكريم - على وجه التأكيد والإلزام - بمقتضيات هذا التفكير في هذه الأمور  
الثلاثة التي سلف ذكرها ، من تعظيم الله تعالى ، وإفراده بالعبادة ، عن طريق توجيه نشاط الحياة  
كلها لتحقيق الغاية الكبرى التي خلق الله البشر من أجلها ، ألا وهي عبادة الله تعالى بمفهومها الشامل  
، والإفادة مما خلق في الوجود ، من خلال التعرف على السنن الربانية التي تحكم مسيرة الحياة ،  
سواء كانت كونية أو اجتماعية ، مع ترك مساحة كبيرة للعقل يصنف ويحلل ويربط ويكتشف

(١) - [سورة القمر: الآية ١٧]

(٢) - [سورة القمر: الآية ١٥]

(٣) - [سورة يوسف: الآية ٤٥]

ويُدع ، ليستوعب بطرحه كل جديد ، ما دام يدور في فلك الإسلام ، ويصدر عن توجيهاته ، ويلتزم بضوابطه .

### التفكير من خلال فهم سياق الآيات القرآنية :

وأما ما يفهم من سياق الكلام في الدعوة إلى إعمال العقل ، فقد جاء في القرآن الكريم كثيرا جدا ، ومن ذلك ، ما أبطل الله به زعم الأفاكين المضللين ، الذين يقدمون للبشرية ضلالا شركيا لا دليل عليه ، باتخاذ آلهة عاجزة ، يزعمون أنها تصرف الكون ، أو يكون لها تأثير في الحياة ، وكان إبطال هذا الزعم بالدليل العقلي المقنع الملزم ، ومثاله قوله تعالى ﴿ مَا آتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ

وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ

بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١١﴾ عِلْمِ

الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٢﴾ (١) فقد بين المولى

سبحانه في هاتين الآيتين أنه لم يتخذ ولدا ، ولم يكن معه إله يسير الكون أو جزءا منه ، لأن هذا لو حصل ، لكان لكل إله نصيب يتصرف فيه كيف يشاء ، والناس جميعا له عبيد مطيعون ، فإذا كان الناس عبيدا لإلهين اثنين ، وكل إله يؤمر هؤلاء العبيد بما يشاء ، فيكون يكون حالهم إذا رضي عليهم إله فقرر إنزال الغيث ، وغضب عليهم الآخر وقرر منعهم ، وهو معنى قوله تعالى : إِذًا لَّذَهَبَ

كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ويلزم من ذلك أن يختلف الإلاهان في هذه القضية وأن يعلو بعضهم على

بعض ، وسيضطرب الكون على أثر ذلك .

والمشاهد لكل عاقل في الوجود خلق الله فيه هذه الغريزة ، سواء كان مسلما أو كافرا ، أن الكون لم يضطرب في يوم من الأيام ، فدل على أن الذي يسير الكون واحد لا شريك له ، وهو الله رب العالمين ، وفي هذا المعنى يقول ابن كثير — رحمه الله — في تفسير هذه الآية : " أي لو قدر تعدد الآلهة لانفرد كل منهم بما يخلق ، فما كان ينتظم الوجود ، والمشاهد أن الوجود منتظم متسق ، كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط ببعضه ببعض ، في غاية الكمال ، ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ، ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر وخلافه ، فيعلو بعضهم على بعض ، والمتكلمون

(١) - [سورة المؤمنون: الآيات ٩١-٩٢]

ذكروا هذا وعبروا عنه بدليل التمانع ، وهو : لو فرض صانعان فصاعدا ، فأراد واحد تحريك جسم ، وأراد الآخر سكونه ، فإن لم يحصل مراد كل واحد منهما كانا عاجزين ، والواجب لا يكون عاجزا ، ويمتنع اجتماع مراديهما للتضاد ، وما جاء هذا الحال إلا من فرض التعدد ، فيكون محالا ، فأما إن حصل مراد أحدهما دون الآخر ، كان الغالب هو الواجب ، والآخر المغلوب ممكنا ، لأنه لا يليق بصفة الواجب أن يكون مقهورا " (١) فكان هذا الإقناع العقلي في غاية البيان ، والأمثلة على هذا النوع في القرآن الكريم كثيرة جدا ، سواء كان ذلك فيما يتعلق بأمور العقيدة ، وإثبات الوجدانية لله تعالى ، أو في غيرها .

## البعد الثاني : أنواع التفكير العلمي في القرآن الكريم :

### التفكير الغائي :

ويقصد الباحث بهذا النوع من التفكير ربط كل جزئية من نشاط الإنسان على الأرض بالغاية النهائية التي خلق من أجلها ، ألا وهي عبادة الله — تعالى — بمفهومها الشامل ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢) قال الطبري — رحمه الله — في تفسير هذه الآية عن ابن عباس أنه قال في معنى الآية : " ما خلقت الجن والإنس إلا لعبادتنا والتذلل لأمرنا " (٣) وقال القرطبي في تفسيره : " وما خلقت أهل السعادة من الجن والإنس إلا ليوحدون " (٤) يوحدون الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، وهو مقتضى قول المسلم : أشهد ألا إله إلا الله ، ويلحق بتوحيد الله تعالى توحيد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالمتابعة ، وهو مقتضى قول المسلم : أشهد أن محمدا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ومقتضى هذا التوحيد أن يكون نشاط الإنسان على ظهر هذه الأرض موجها لتحقيق هذه الغاية ، ذلك : " أن التوحيد هو أول الدين وآخره ، وباطنه وظاهره ، وهو أول دعوة الرسل وآخرها ، وهو معنى قول لا إله إلا الله ، فإن الإله هو المألوه العبود بالمحبة والخشية والإجلال والتعظيم ، وجميع أنواع العبادة ، ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة ، وأرسلت الرسل ، وأنزلت الكتب ، وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار ، وسعداء أهل الجنة ، وأشقياء أهل النار " (٥)

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ص ٣١٩

(٢) - [سورة الذاريات: الآية ٥٦]

(٣) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ج ٢٧ ص ١٢

(٤) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٧ ص ٥٥

(٥) سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب ، تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٦

إن البشرية تفر — بفطرتها التي خلقها الله تعالى عليها — بأنها مخلوقة لهذه الغاية ، قال تعالى

: ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ

لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا

يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ (١) قال ابن كثير — رحمه الله — في تفسيره عن هذه الفطرة : " يقول تعالى :

فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك ، من الحنيفية ملة إبراهيم ، الذي هداك الله لها ، وكملمها لك غاية الكمال ، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة ، التي فطر الله الخلق عليها ، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده ، وأنه لا إله غيره " (٢)

وبما أن البشرية كلها ، عربها وعجمها ، بيضا وسودها ، أحرارها ومواليها ، رجالها ونساؤها ، كبارها وصغارها مخلوقون لهذه الغاية فإن كل نشاط لهم على ظهر هذه الأرض يجب أن يوجه لتحقيق هذه الغاية .

ولقد سخر الله جل جلاله لهذا الإنسان ما في السموات وما في الأرض كي يحقق هذه

الغاية ، ألا وهي عبادة الله تعالى وشكره ، كما قال تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ

بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٠﴾ خَلَقَ الْاِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ فَاِذَا هُوَ

خَصِيْمٌ مُّبِيْنٌ ﴿٢١﴾ وَالْاَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيْهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا

تَاْكُلُوْنَ ﴿٢٢﴾ وَلَكُمْ فِيْهَا جَمَالٌ حِيْنَ تَرْيْحُوْنَ وَحِيْنَ تَسْرَحُوْنَ ﴿٢٣﴾

وَتَحْمِلُ اَثْقَالَكُمْ اِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُوْنُوْا بِلٰغِيْهِ اِلَّا بِشِقِّ الْاَنْفُسِ اِنَّ

رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيْمٌ ﴿٢٤﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيْرَ لَتَرْكَبُوْهَا

وَزِيْنَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿٢٥﴾ وَعَلَىٰ اللّٰهِ قَصْدُ السَّبِيْلِ وَمِنْهَا جَابِرٌ

وَلَوْ شَاءَ لَهَدٰكُمْ اٰجْمَعِيْنَ ﴿٢٦﴾ هُوَ الَّذِيْ اَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ

(١) - [سورة الروم: الآية ٣٠]

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ١٣ ص ٥٣٣



مَاءٌ لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ  
 الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي  
 ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ  
 وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّكَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً  
 لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي  
 ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿٤﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا  
 مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ  
 مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥﴾ وَالْقَلْبِ  
 فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٦﴾  
 وَعَلَّمَتْ وَيَا لِنَجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٧﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا  
 تَذَكَّرُونَ ﴿٨﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ  
 رَحِيمٌ ﴿٩﴾

والمتأمل في الآية الكريمة يرى أن المولى سبحانه فيها يعدد نعمه على عباده ، ويبين —  
 سبحانه — أنه سخر لهم ما في هذا الكون الفسيح من العوالم العلوية والسفلية ، وقد تخلل الآيات  
 الكريمات الدعوة إلى التفكير والتذكر عن طريق الرؤية الحسية والعقلية التي تتمر الإقرار بأن الله  
 سبحانه هو الخالق المنعم ، وأن الخالق المنعم هو المستحق للعبادة دون سواه .  
 وعليه فإن الناس يتميزون في تفكيرهم الغائي بقدر تمايزهم في إدراك هذه الغاية التي خلق  
 الخلق من أجلها ، يتبين ذلك حين يسأل أحدهم : لماذا خلق الهواء ؟ فإن كان لا يدرك الغاية التي  
 خلق من أجلها ، ولا يدرك أن الكون كله بسمواته وأرضه ومائه وهوائه وكل ما فيه ، خلق ليكون

عونا للإنسان على تحقيق هذه الغاية . فسيكون جوابه قاصرا ، حيث يقول : خلق الهواء من جل أن أتنفس ، وإذا قيل له : لماذا تنفس ؟ لقال : لأعيش ، وهنا يأتي السؤال الأخير : ولماذا تعيش ؟؟؟ وسيقول : لأكل وأشرب وأتمتع ، فينال له : ولماذا تأكل وتشرب وتمتع ؟ قال لأعيش ، وهكذا دواليك ، فيقال له : وكم سنة تتمتع ؟ عشرون سنة ؟ أربعون ؟ ستون ؟ مائة ؟ مائة وخمسون ؟ ثم ماذا ؟ تنتقل إلى عالم العدم ؟ سبحان الله !!! ألم تكن عدما قبل أن تأتي إلى هذه الدنيا ؟ أيعقل أنك كنت عدما ثم جيء بك إلى الدنيا مائة سنة لتأكل وتشرب وتمتع ثم تعود عدما مرة ثانية!!!!؟؟؟ على أن هذا الأكل والشرب والتمتع لا يخلو من تعب وعناء وأمراض وحوادث وكوارث وهموم وأحزان وفنن وقلقل وقتل وتشريد وضيق وضنك ، كما قال سبحانه : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا

الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ (١) .:عنى هل جيء بالإنسان إلى هذه الأرض ليشقى بهذه الصورة — ولو نال كل متع الدنيا — ثم يعود مرة ثانية إلى عالم العدم ؟؟؟ !!! إن هذا عين العبث ، والله — جل شأنه — منزه عن العبث ، قال — سبحانه — ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكُمْ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ النَّارِ ﴿٢٧﴾ (٢) وقال — سبحانه — : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ (٣)

إن العقل الراجح والفطرة السوية يقولان : لا ، لا يعقل أن يكون الإنسان عدما ، ثم يؤتى به إلى الدنيا فترة من الزمن ليشقى ، ثم يعود إلى العدم مرة ثانية .

إنما جيء به إلى الدنيا لغاية عظيمة ، بها قوام سعادته في الدنيا والآخرة يعيش من أجلها فترة من الزمن ، ثم يرحل مرة ثانية إلى ربه ، ليحاسبه عما فعل تجاه ما كلف به في الدنيا ، على أن يبقى نشاطه على الأرض تبعا لتلك الغاية النبيلة ، فيكون عمله كله ، ونشاطه كله محسوبا له في موازين أعماله الصالحة ، يلقي بها ربه يوم القيامة ، ومن أمثلة ذلك ما جاء واضحا في كتاب الله الكريم في قوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا

(١) - [سورة البلد: الآية ٤]

(٢) - [سورة ص: الآية ٢٧]

(٣) - [سورة المؤمنون: الآية ١١٥]

وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلْكَ مَوَازِيرَ فِيهِ

وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١﴾ (١) فقد جاء واضحا

في الآية الكريمة أن الله سخر البحر لمنافع دينية وديوية ، فالمنافع الدنيوية يشترك فيها المؤمن والكافر ألا وهي : أكل طعام البحر ، ولبس حلите ، والتجارة هما ، ثم ينفرد المؤمن بالغاية النهائية من تسخير البحر ، ألا وهو شكر الله تعالى على هذه النعمة العظيمة ، وهذا الشكر ضرب من العبادة التي خلق الخلق من أجلها .

وإذا كان لا يمكن له أن يقرم بهذه الغاية إلا إذا كان حيا ، فإن حياته مرهونة بقدرته على التنفس ، وتنفسه مرهون بوجود الهواء ، إذن فالتفكير الغائي يقول : بأن الهواء خلق ليحقق الإنسان على ظهر هذه الأرض أعظم مهمة مندسة في الحياة ، إنها عبادة الله — تعالى — التي تجعل كل ذرة في الوجود مسخرة للإنسان ليوجه جميع مناشطه على ظهر هذه الأرض لتحقيق هذه الغاية ، امتثالا

لقوله سبحانه : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَيَذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴿٢﴾

(٢) وقل مثل ذلك في بقية مخلوقات الله تعالى في هذا الكون الرحب الفسيح .

ثم لا مانع بعد ذلك أن يتمتع الإنسان بهذه المخلوقات لرخائه ورقبه وتقدمه ، غير أن هذا يأتي تبعا للأمر الأول ، وليس من العقل أبدا أن يحصر الإنسان تفكيره في الأمر الثانوي في حياته متناسيا الأمر الحقيقي الذي خلق من أجله .

إذن فالتفكير الغائي هو ذلك النوع من التفكير الذي يتميز بها المسلم على غيره من الناس ، لكونه حين يفكر في أي قضية — دينية ، أو دنيوية ، علمية ، أو فكرية ، اجتماعية ، أو اقتصادية ، أو سياسية ، أو تعليمية ، أو إعلامية ، أو فكرية ، أو تربوية ، أو غير ذلك — فإنه يربطها بالغاية التي خلق الخلق من أجلها ، فإذا كانت غاية العالم الشرعي والكوني والاجتماعي واحدة ، وإذا كانت غاية الاقتصادي والسياسي والإعلامي والتربوي واحدة ، سارت الحياة بكل مناشطها في طريق واحد ، فلا ازدواجية قاتلة ، ولا تناقض مقيت ، ولا أنانية مفرطة ، وهنا تنضبط الحياة حين يجمع شتاتها فتسير في وجهة واحدة ، هدفها رضى الله — سبحانه — والفوز بجنانه ، فلا تناقض مناشط الإنسان

(١) - [سورة النحل: الآية ١٤]

(٢) - [سورة الأنعام: الآيات ١٦٢-١٦٣]

في هذه الحياة ، فيتقطع إربا لا يدري من يطيع ولا من يرضي ، وهو ما مزق إنسانية الإنسان في مثل هذه الأزمنة التي تعددت فيها الآلهة ، ما بين الشيطان الرجيم ، والمادية المفرطة ، والهوى المضلل ، والشح المطاع ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، والعلم المادي المنقطع عن الله ، والنفس الأمارة بالسوء ، وغير ذلك .

### التفكير التسوي :

ويقصد الباحث بهذا النوع من التفكير : التفكير الذي يستشرف الإنسان من خلاله المستقبل من خلال دراسة الواقع وتحليله على ضوء سنن الله — تعالى — التي تحكم مسيرة الحياة ، وقبل أن يخصص الباحث هؤلاء بالذكر يحسن به أولاً أن يقسم الناس من حيث مواقفهم من الحديث عن المستقبل ، وما يمكن أن يقع فيه من أحداث إلى أربعة أقسام :

**القسم الأول :** قوم أيدهم الله تعالى بالوحي ، وهم أنبيأؤه ورسله ، عليهم الصلاة والسلام ، وقد ختموا بسيدهم أجمعين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ، فقد كشف لأمته أموراً مستقبلية ، وأكد لهم وقوعها ، سواء كان ذلك فيما يتعلق بحفظ الله — تعالى — لدينه ووحيه ، أو فيما يتعلق بنجاة المستضعفين من أصحابه ، وهلاك الجرمين من أعدائه ، وأعداء دينه ، أو فيما يتعلق بانتشار الإسلام ، وبلوغه ما بلغ الليل والنهار ، أو غير ذلك ، مع أن المواطن التي صدرت فيها بشارته لأصحابه كانت لا تدل على تحقق الأمر ، إذ هي مواطن ضعف وقلة في كل شيء ، لولا أنها وعود الله التي لا تتخلف .

فقد كشف لأصحابه عن أمر مستقبلي ما كان يخطر لهم على بال ، ألا وهو دخولهم المسجد الحرام ، وطوافهم بالبيت ، بعد أن أبعدوا عنه ، وحرموا منه سنين طويلة ، وهم في أشد ما يكون الشوق إليه ، بعد أن أخرجوا من ديارهم مبعدين إلى المدينة النبوية ، وبينهم وبين مكة عدو لدود أذاقهم العذاب ألواناً لا تكاد تتحملها الصم الصلاب ، فإذا هو يقول لهم كما أمره الله ﴿

لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّبِّيَا بِالْحَقِّ لِتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ  
اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ

تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ (١) سبحان الله !!! قلة في العدد والعدة ، وتهجير عن الأوطان ، ومطاردة في كل مكان ، ومع ذلك يوعدون بالدخول على أعدائهم

(١) - [سورة الفتح: الآية ٢٧]

فاتحين منتصرين ، من غير خوف ولا وجل ، وتمر السنون بعد السنين ، وتأتي تلك اللحظة التي يتحرك فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة بعد ثمان سنين من إخراجها منها ، ولما اقترب من الحرم جاء الخبر إلى كفار قريش ، فأقسموا ألا يدخلها هو وأصحابه ، مهما كلفهم ذلك من ثمن ، وصدوهم عن البيت ومنعواهم الدخول (١) وكان هذا ابتلاء من الله تعالى للمؤمنين الذين سمعوا الوعد من قبل : (( فقال عمر بن الخطاب [ رضي الله عنه ] : فأتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقلت : أأنت نبي الله حقا ؟ قال : بلى ، قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى ، قلت : فلم نعطي الدنيا في ديننا إذا ؟ قال : إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري ، قلت : أليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت لنطوف به ؟ قال : بلى ، فأخبرتكم أنا نأتيه العام ؟ قال : قلت : لا ، قال : فإنك آتيه ومطوف به )) (٢)

ثم ما تلبث الأيام والليالي أن تمر ، ويدخل في دين الله من دخل من المسلمين في المدينة ، ويهاجر من مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من استطاع الهجرة من الصحابة ، ويسلم من الناس من شاء الله له الهداية ، وتكثر جماعة المؤمنين ، ويدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فاتحا منتصرا ويتحقق وعد الله تعالى : وتتحقق نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في استشراف المستقبل .

ومن أعجب المواقف في استشراف المستقبل ما وقع في غزوة الخندق (٣) فقد كان المسلمون في قلة من ناحية العدد والعنة ، سيما وأن في المقابل عدوا يفوقهم في العدد والعدة ، فقد اجتمعت قوات الحلفاء في غزوة الخندق ، قريش بجيشها الجرار ، وقبائل العرب بقيادة غطفان ، واليهود من داخل المدينة يمهدون السبيل ويدلون على المواقع ، والمنافقون يتحركون في الداخل بالإرجاف والتخذيل وتهويل الحدث وتأكيد الهزيمة في قلوب المؤمنين ، لقد اجتمعت هذه القوى يدا واحدة ، حتى قال بعضهم : " تجمع حول المدينة جيش عرمرم يبلغ عدده عشرة آلاف مقاتل ، جيش ربما يزيد عدده على من في المدينة من النساء والصبيان والشباب والشيوخ " (٤) لقد كان اجتماعهم من أجل مضاعفة العدد والعدة ، بعد أن كانت كل قوة تحارب على حدة ، فما تحقق لها ما تريد من النصر ، فلما حصل التحالف بين هذه القوى ، وهاجموا المدينة ، عندها زلزل المؤمنون زلزالا شديدا حتى وصف الله هجوم هذه الأحلاف على المؤمنين في تلك الأحداث بقوله ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ

(١) انظر تمام القصة في صحيح البخاري ، ص ٥٢٢ وما بعدها .

(٢) البخاري ، صحيح البخاري ص ٥٢٤ حديث رقم ( ٢٧٣٢ )

(٣) تمام القصة في صحيح البخاري ص ٧٧٨ — ٧٧٩ ، وفي البداية والنهاية ، لابن كثير ، ج ٤ ص ٩٢

(٤) البار كפורي ، الرحيق المختوم ، ص ٢٩١

فَوَقِّكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ  
الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١١﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا

زَلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١٢﴾ (١) عندها أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم — بمشورة سلمان

الفرسي — بحفر الخندق ليحول بين المؤمنين وبين هذه الجموع الهادرة الممتلئة غيظا على الإسلام  
وأهله ، وبينما الصحابة يحفرون الخندق عرضت لهم صخرة عظيمة ، ما استطاعوا تحريكها ، فلدوا  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضرها ضربة أضاء منها نور رأى من خلاله قصور الشام والمدائن  
واليمن ، وبشر أصحابه أنه أعطي مفاتيحها . (٢)

سبحانه الله !!! رجل مطارد ، وحفنة من المؤمنين مع الجوع والفقر والفاقة والبرد الشديد ،  
وقلة العدد والعدة ، ومع ذلك ، وفي هذا الموطن بالذات ، يبشر صلى الله عليه وسلم أصحابه بكنوز  
مدائن الشام واليمن وقصور فارس والروم وصنعاء ، إن هذا لا يتفق مع الأحداث لو أننا نفسر  
التأريخ تفسيراً مادياً بحتاً ، وهو ما جعل المنافقين لما سمعوا هذه البشارة يقولون : " كيف يعدنا كنوز  
كسرى وقصور ولا يستطيع أحدنا أن يتبرز " (٣) أي لا يستطيع أن يذهب إلى الخلاء لقضاء حاجته  
، وهو ما بينه المولى سبحانه في كتابه عن هؤلاء المرجفين بقوله سبحانه : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ

الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا

﴿ ١٢ ﴾ (٤) فما الذي حصل لقد تحققت نبوءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذهب ضعف

المؤمنين ، واشتد عودهم ، وقويت شوكتهم ، وسارت فتوحاتهم مشرقة ومغربة حتى دخلوا ممالك  
الفرس والروم ، وبعثت كنوزهم إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في المدينة ، فقال قولته المشهورة :  
" إن قوما أدوا هذه لأمناء فقال له علي بن أبي طالب [ رضي الله عنه ] إنك عفتت فعفت رعيتك ولو  
رتعت لرتعت " (٥)

(١) - [سورة الأحزاب: الآيات ١٠-١١]

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ١٠١

(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٤ ص ١٤٧

(٤) - [سورة الأحزاب: الآية ١٢]

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٧ ص ٦٧

إضافة إلى أن أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام يشتركون في القسم الثاني من هذه التنبؤات ، وهي التنبؤات المبنية على السنن الربانية التي تحكم حركة الحياة ، بل هم القادة في ذلك ، لكونهم الذي علموا الناس مثل هذه التحليلات ، وكيف يسبقهم غيرهم وهم أكمل الخلق قدوة ، وأعظم الناس امتثالا لما يوحيه الله إليهم ، وقد ختموا بسيدهم على الإطلاق محمد صلى الله عليه وسلم .

**القسم الثاني :** قوم يتنبأون بأحداث المستقبل في ظل السنن الربانية التي تحكم مسيرة الحياة ، وهم المسلمون الذي يصدرون في تحليلهم للأحداث من خلال هذه السنن المبنية على أفعال الناس وتصرفاتهم ، سواء كانوا أفرادا أو جماعات أو شعوبا أو دولا .

والباحث يؤكد على أنه لا أحد يملك قدرة على الإبداع المادي من جهة ، واستشراف المستقبل — حتى لكأنه ينظر إليه من وراء ستر رقيق — من جهة أخرى ، إلا المسلم ، الذي يصدر في إبداعه المادي للأشياء ، وتحليله الاجتماعي للأحداث ، وتنبؤاته بمستقبل الأمور ، عن تلك السنن الربانية التي تحكم مسيرة الحياة ، سواء كانت سننا كونية أو اجتماعية ، وقد صنف بعض الباحثين هذه السنن بعد أن استعرض مفاهيمها عن كثير من العلماء والباحثين فجعلها على نوعين : " سنن إلهية تتعلق بالجانب المادي في خلق الله تعالى ، بما في ذلك الإنسان في تكوينه المادي وهي السنن الكونية ، وسنن إلهية تتعلق بالإنسان في وضعه البشري ، وهي على ثلاثة أنواع : سنن إنسانية تتعلق بالإنسان في حالة كونه فردا ، وسنن تاريخية تتعلق بالإنسان في تكتله الجماعي أو الأممي ، وسنن تشريعية تتعلق بما شرعه الله له سواء أكان فردا أو في جماعة أو أمة " (١) .

وقد وردت السنن بأنواعها وتصنيفاتها في كتاب الله تعالى ، وفي سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهي سنن مطردة لها خصائص ثابتة ، لا تتحول ولا تتبدل ، ولعل ما يهم الباحث حول رؤى المستقبل واستشراف مغيباته من السنن ، السنن الاجتماعية التي تجعل الحكم على أحداث المستقبل صحيحا متحقق الوقوع طال الزمان أم قصر ، على أن لهذه السنن جملة من الخصائص يمكن إيجازها فيما يلي :

أولا : أنها سنن لا تتبدل ولا تتحول كما قال تعالى : ﴿ سُنَّةٌ مِّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ

مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ (٢)

(١) وجددي خاشقجي ، تحديد أهداف نظام الإسلام في التربية في ضوء سنن الله ، ص ١٥٦

(٢) - [سورة الإسراء: الآية ٧٧]

ثانيا : أهما سنن لا تجامل أحدا ولا تحابي أحدا ما دامت هي سنن الله تعالى الذي لا يظلم مثقال ذرة ، وليس بينه وبين أحد من خلقه سب ولا نسب إنما هي الطاعة والمعصية ، كما قال سبحانه : ﴿

قَالَ أَهْبِطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٧٢﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٧٤﴾ ﴿١﴾

ثالثا : أهما سنن لا تتخلف أبدا في تحقق وقوعها متى ما وقع من الناس ما يبرر وقوعها ، لكونها سنن الله الذي لا يخلف وعده ، كما قال سبحانه ﴿

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧٤﴾ ﴿٢﴾

ومن هذه السنن التي تحكم مسيرة الحياة ، وتتصرف في أحداثها ، وتقلب موازينها :

\* سنة تغيير ما بالأنفس سلبا أو إيجابا ، فأما التغيير من السلب إلى الإيجاب فقد بينه المولى

— سبحانه في قوله : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ

مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ

اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١٧٦﴾ ﴿٣﴾ وأما

التغيير من الإيجاب إلى السلب فقد بينه المولى — سبحانه — في قوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ

يَكْ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ

سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ ﴿٤﴾

﴿١﴾ - [سورة طه: الآيات ١٢٣-١٢٤]

﴿٢﴾ - [سورة الروم: الآية ٦]

﴿٣﴾ - [سورة الرعد: الآية ١١]

﴿٤﴾ - [سورة الأنفال: الآية ٥٣]



والتأمل في الآيتين الكريمتين يرى أن مستقبل الناس بيد الله تعالى ، فهو الذي يغير ويبدل بناء على هذه السنة التي وضعها سبحانه ، فإذا غير الناس واقعهم المستقيم ، إلى واقع منحرف لا يرضاه الله تعالى لعباده ، غير الله عليهم تلك الحال ، فأبدل سعادهم تعاسة ، واجتماعهم فرقة ، وأمنهم خوفا ، ورغدهم قحطا وعذابا .

ومن خلال تأمل الإنسان في هذه السنن الربانية ، يخرج من ذلك بنتائج منها :

- أ — عدل الله — تعالى — في معاملة عباده ، فهو لا يغير ما بهم حتى يغيروا ما بأنفسهم .
- ب — تكريم الله تعالى للإنسان بأن جعل له حرية الاختيار فيما يقوم به من عمل ، بعد أن جعل له عينين ، ولسانا وشفقتين ، وهداه التجدين ، وجعله مسؤولا عما يفعله ، ويترتب عليه قدر الله تعالى له ، وبهذا : " تتبين فاعلية الإنسان في مصير نفسه وفي مصير الأحداث من حوله ، فيبدو عنصرا إيجابيا في صياغة هذا المصير — بإذن الله وقدره الذي يجري من خلال حركته وعمله ونيته وسلوكه ، وتنتفي عنه تلك السلبية الذليلة التي تفرضها عليه المذاهب المادية ، التي تصوره عنصرا سلبيا إزاء الحتميات الجبارة حتمية الاقتصاد ، وحتمية التاريخ ، وحتمية التطور " (١)
- ج — تثبيت الإنسان على الخير ، عن طريق تهديده بتحقيق سنة الله تعالى في حياته إن هو غير واقع المستقيم الذي هو عليه .

- د — حفز الإنسان على العمل نحو تغيير الواقع إن لم يكن على الطريق المستقيم الذي رضيه لله لعباده شرعة ومنهاجا .

ومن هنا يتبين أن تغيير واقع الناس في أي جانب من جوانب حياتهم مرهون بالتغيير الفردي والجماعي ، والملاحظ يرى أن البدء في التغيير يكون من طرف الإنسان ، فهو الذي بيده حرية التغيير وإرادتها ، فإذا ملك الفرد أو المجتمع إرادة التغيير وأعد لها عدتها ، وسلك فيها المسالك الشرعية ، تحقق له موعود الله الذي لا يخلف ، وإن هو أعرض عن إرادة التغيير — بعد أن وفر الله تعالى له أسبابها — جرت عليه مقادير الله — تعالى — وتحققت فيه هذه السنة .

\* ومن هذه السنن سنة تدمير الله تعالى للقرى إذا فسق فيها المترفون ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا

أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ

فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ (٢) وخاصة حين لا يوجد من ينكر عليهم فسقهم وانحرافهم ، وهو

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٣ ص ١٥٣٦

(٢) - [سورة الإسراء: الآية ١٦]

ما وقع لقوم فرعون حين كثر منهم الفساد فتحقق فيهم وعد الله تعالى ، بقوله : ﴿ وَفِرْعَوْنَ ﴾

ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٤﴾ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبَلَدِ ﴿١٥﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٦﴾

فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ ﴿١٨﴾ ﴿١﴾

\* ومن هذه السنن سنة نصر الله لأوليائه حين يخرجون من ديارهم بغير حق ، مع التزامهم بدينهم ، واستقامتهم على أمرهم قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ

لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢١﴾ ﴿٢﴾ فإن سنة الله

الجارية ، أنه متى وقع إخراج المؤمنين من ديارهم بغير حق ، وقع عذاب الله تعالى للمخرجين ، وهو ما

ذكره الله سبحانه بقوله : ﴿ وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢١﴾ ﴿٣﴾ وقد تحقق

ذلك فإن الذين اخرجوا رسول الله من مكة ما لبثوا بعده إلا بضع سنين ثم قتلهم الله في بدر شر قتله .

\* ومن هذه السنن ، سنة رد كيد المعتدين حين يتحقق في المؤمنين الصبر والتقوى ، كما قال تعالى : ﴿

إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ

تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

﴿٤﴾ ﴿٥﴾

﴿١﴾ - [سورة الفجر: الآيات ١٠-١٤]

﴿٢﴾ - [سورة الإسراء: الآية ٧٦]

﴿٣﴾ - [سورة الإسراء: الآية ٧٦]

﴿٤﴾ - [سورة آل عمران: الآية ١٢٠]

\* ومن هذه السنن ، سنة الهلاك والدمار حين تقع المعاصي والمخالفات ، كما قال تعالى : ﴿ أَوْلَمَّا

أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ  
أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ (١) .

\* ومن هذه السنن ، سنة خذلان الكفار في القتال أمام المجاهدين الصابرين من المؤمنين ، كما قال تعالى

: ﴿ وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا  
نَصِيرًا ﴿١١٢﴾ (٢) وهو ما أكده ابن كثير - رحمه الله - بقوله : " هذه سنة الله وعادته في خلقه ،

ما تقابل الكفر والإيمان في موطن فيصل إلا نصر الله الإيمان على الكفر ورفع الحق ووضع الباطل " (٣)

\* ومن هذه السنن ، هلاك المستهزئين بدين الله تعالى ، الذين سلك الله الإجرام في قلوبهم ، كما قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ ﴿١﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا  
كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٣﴾ لَا  
يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴿٤﴾ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿٥﴾ (٤)

• ومن هذه السنن ، أن الله لا يسدد المفسدين في الأرض ، ولا يصلح لهم عملا ، كما قال سبحانه :

﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَابِطٌ لَهُ ﴿١﴾ وَإِنَّ اللَّهَ

لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢﴾ (٥) وأنه - سبحانه - يرد كيد الخائنين في

نخورهم ولا يهدي لهم مسلكا ، كما قال سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ

(١) - [سورة آل عمران: الآية ١٦٥]

(٢) - [سورة الفتح: الآية ٢٢]

(٣) - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ص ٢٢٦

(٤) - [سورة الحجر: الآيات ١٠-١٣]

(٥) - [سورة يونس: الآية ٨١]

بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ (١) وأنه سبحانه للكافرين

بالمِرصاد ، يضعف كيدهم ويوهنه كما قال سبحانه : ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ

الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ (٢) ويتحقق ذلك كله حين يقوم المسلمون بواجبهم تجاه دينهم .

• ومن هذه السنن سنة استدراج الله تعالى للعصاة الجاحدين ، كما قال سبحانه : ﴿فَلَمَّا نَسُوا

مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا

أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ (٣) وإن الإنسان هنا ليعجب !!!

كيف ينسون دينه ، نسيان رفض ورد واستخفاف ، فيفتح عليهم أبواب كل شيء من صنوف النعم والخيرات الدنيوية ؟ !!! ثم هل الأمة اليوم بكل مؤسساتها تدرك هذه الحقيقة ، في هذه السنة الربانية ، وهي ترى أعدائها قد فتح عليهم من الدنيا ما فتح ، مع كفرهم وجحودهم وصددهم عن سبيله ، ومعاداتهم لأوليائه ، ونشرهم للفساد في الأرض .

إن الفتح هذا ينقسم إلى قسمين : فتح رضا وفتح استدراج (٤) فأما فتح الرضا فللمؤمنين الصادقين ،

وأما فتح الاستدراج فللعصاة المعاندين ، كما قال تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا

أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ (٥) .

وفي ضوء هذه السنن وغيرها ، يمكن للإنسان أن يستشرف مستقبل الأفراد والمجتمعات والشعوب والأمم في ضوء ما يفعلون على ظهر هذه الأرض ، وكأنه ينظر إلى ما سيحل بهم ، وما سيكون في مستقبل الأمر من وراء ستر رقيق ، وفي هذا من الدروس التربوية للأمة ما لا يمكن حصره ، سواء

(١) - [سورة يوسف: الآية ٥٢]

(٢) - [سورة الأنفال: الآية ١٨]

(٣) - [سورة الأنعام: الآية ٤٤]

(٤) محمد قطب ، رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر ، ص ٦٠

(٥) - [سورة الأنعام: الآية ٤٤]

كان ذلك على مستوى الأفراد أو الجماعات أو الأمم والشعوب ، في مواطن السلم أو مواطن الحرب

**القسم الثالث :** قوم يتنبأون بأحداث المستقبل من خلال دراسات علمية يقاس فيها الحاضر على الغائب ، قد تصيب وقد تخطيء وليس عند أصحابها من الجزم ما يجعلهم على ثقة بما تصير إليه الأحداث ، ما دامت دراساتهم تقوم وفق التفسير المادي للأحداث الذي يتخلف في كثير من الأحيان ، لكون دراساتهم تجري على أفراد وبمجموعات ليسوا خاضعين لقانون الثبات والاطراد ، لكون المجتمعات التي يجرون عليها دراساتهم ليست مواد جامدة يصدق فيها التنبؤ كما يصدق في الدراسات العلمية المادية الجامدة التي تتسم بالثبات والجمود ، وهو ما أكده بعضهم حين تحدث عن صاحب العقل الكامل في تنبؤاته بأنه : " يتخذ من تجاربه الماضية مصباحا يكشف على ضوءه بضع خطوات من مجرى الحوادث المقبلة ، جاعلا الشاهد من هذه مقياسا للغائب من تلك ، ثم يصدر فيها حكمه محاطا بكل تحفظ وحذر " (١) وهذا النوع من التنبؤات يشترك فيها المسلم والكافر ، غير أن المسلم يضبطها بضوابط الشرع ، ويتأملها وفق أقدار الله تعالى وسننه في الحياة ، والكافر يتأملها وفق التفسير المادي لحركة التاريخ ، وقد يصيب ، وقد يخطيء ، وهو إلى الخطأ أكثر منه إلى الصواب ، خاصة حين يتعلق الأمر بأقدار الله تعالى ، التي لا تخضع لمادية التاريخ ، من خلال رؤية الكفار الذين لا يؤمنون بالله وأقداره .

**القسم الرابع :** قوم يتنبأون بالمستقبل من خلال التنجيم والعرافة والكهانة ، وهؤلاء لا يهمهم الأمر صدقوا فيما يقولون أم كذبوا ، وقد يصيبون وكثيرا ما يخطئون ، وقد وصفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأن الواحد منهم يسمع الكلمة الواحدة فيزيد عليها مائة كذبة ثم ينشرها بين الناس ليأكل أموالهم بالباطل .

### التفكير الناقد :

وهو ذلك النوع من التفكير الذي يكشف خطأ معلومة ما ، أو تناقضها مع غيرها من خلال الأدلة والبراهين العقلية والعقلية .

وقيل هو : " عملية ترتبط بذات الفرد المفكر ، وتعتمد على التمعن في تحليل الموضوع أو المشكلة مما يتطلب مهارات هذا النوع من التفكير بالوضوح والدقة وصحة الفكرة والعمق معايير تطبق على التفكير المنضبط " (٢)

(١) محمد دراز ، النبأ العظيم ، ص ٤٤

(٢) حسن مختار ، دور المعلم في تنمية قدرة التفكير الناقد لدى الطالب ، ص ٤٨

وقد اشتمل القرآن الكريم على هذا النوع من التفكير في مواطن متعددة ، منها عند مجادلة المشركين ، في تفنيد معتقدهم ، أو تقرير تناقضاتهم ، أو تبين فساد أحكامهم .

ففي بيان ضلال معتقدات المشركين وبطلانها — كجانب واحد من جوانب حمل الناس على العقيدة الصحيحة — جاءت الآيات في كتاب الله الكريم أكثر من أن تحصر ، وأشهر من تذكر تبين أن المشركين الذي يعبدون مع الله غيره لا يملكون — في هذه القضية — مثقال ذرة من عقل ، لأنهم يساوون بين الخالق والمخلوق ، وبين السيد والعبد ، وبين الذي يملك كل شيء والذي لا يملك مثقال ذرة ، إنهم يعبدون آلهة عاجزة لا تسع ولا تبصر ولا تملك موتا ولا حياة ولا نشورا ، ولهذا قال

سبحانه للناس : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ

الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ

وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٢﴾ (١) وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

عِبَادٌ أَمْثَالِكُمْ فادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧٤﴾

(٢) وقال إبراهيم عليه السلام لأبيه : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا

يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ (٣)

وها هم المشركون الضالون يؤمنون بأن الله تعالى يخلق من العدم كما قال سبحانه عنهم في كتابه

الكريم : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾

(٤) وينكرون قدرة الله على إعادة الخلق مرة ثانية كما قال عنهم سبحانه : ﴿ وَإِنْ تَعَجَبَ

فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَعْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ

(١) - [سورة الحج: الآية ٧٢]

(٢) - [سورة الأعراف: الآية ١٩٤]

(٣) - [سورة مريم: الآية ٤٢]

(٤) - [سورة الزخرف: الآية ٨٧]

كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَعْلَىٰ فَبِعِزَّتِكَ الْأَعْلَىٰ فَبِعِزَّتِكَ وَأُولَئِكَ الْأَعْلَىٰ فَبِعِزَّتِكَ وَأُولَئِكَ الْأَعْلَىٰ

هُم فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٦﴾ ﴿١﴾ سبحان الله ! أوليست الإعادة أسهل من الابتداء في حق الناس

؟ !!! فإذا سلمنا بها في حق الله تعالى — تنزلاً مع الخصم — أفلا تكون سهلة ؟ !!! عجب أمرهم !!! تجعلونها في حق الناس سهلة ، وفي حق الله صعبة مستحيلة ؟ فإذا سلمنا لكم بأنها في حق الله مستحيلة ، فكيف تجعلون الصعب — وهو الخلق ابتداءً — ممكناً ، والسهل — وهو إعادة الخلق — مستحيلاً ؟ !!! أي عقول هذه التي تنكر بهذه الطريقة ؟ !!! ولهذا قال سبحانه مفنداً هذا المعتقد

الباطل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ

الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٧﴾ ﴿٢﴾

وقال عن الوليد بن المغيرة : ﴿ أَوْلَمَّ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ

خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي

الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ

خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴿٣﴾ نعم إن الذي بدأ قادر على أن يعيد ، وهذا متقرر في عرف كل عاقل

إلا عند الذين يعطلون عقولهم عن العمل ، ولهذا جاء وصفهم في كتاب الله الكريم واضحاً في قوله

سبحانه : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا

كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٨٠﴾ ﴿٤﴾

وفي أحكامهم الجائرة التي لا يقرها نقل ولا عقل يقول سبحانه عنهم : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا

ذَرَأَ مِنْ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا

﴿١﴾ - [سورة الرعد: الآية ٥]

﴿٢﴾ - [سورة الروم: الآية ٢٧]

﴿٣﴾ - [سورة يس: الآيات ٧٧-٧٩]

﴿٤﴾ - [سورة الفرقان: الآية ٤٤]

لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ

لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٦٦﴾ (١) قال

الشوكاني - رحمه الله - في تفسيره : " هذا بيان نوع آخر من أنواع كفرهم وجهلهم وتأثيرهم لآلهتهم على الله سبحانه ، أي جعلوا لله سبحانه مما خلق من حرثهم ونتاج دواهم نصيبا ، ولآلهتهم نصيبا من ذلك يصفونه في سدنتها والقائمين بخدمتها ، فإذا ذهب ما لآلهتهم بإنفاقه في ذلك عوضوا عنه ما جعلوه لله ، وقالوا : الله غني عن ذلك " (٢) وهذا من أعجب العجائب الذي يدل على منتهى البلادة في التفكير ، إذ ما دام أنكم أيها المشركون تعترفون بأن الله تعالى غني عن هذا النصيب الذي صرفتموه لآلهتكم ، فلماذا فرضتموه لله أولا ؟ !!! .

كما أن التفكير الناقد يمكن أن يتوجه إلى الذات ، فيقوم الإنسان بحاسبة نفسه ، والتفكير في أعماله وأقواله ونقدها على جهة اعموم ، وفي مواطن المصائب والشدائد على جهة الخصوص ، ومن شأن هذا أن يقضي على التفكير التبريري الذي يكرس الخطأ ، ويحجب صاحبه عن المعالجة السديدة الواعية لنقصه وقصوره ، وهو ما جاء واضحا في قول الحق جل ذكره : ﴿ أَوْلَمَّا

أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدَ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ

أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٧﴾ (٣)

: " والقرآن الكريم - في جميع توجيهااته - يقرر النقد الذاتي قاعدة أساسية في جميع النواقص

والأخطاء الفردية أو الاجتماعية " (٤)

إن هذه الآيات وغيرها في كتاب الله تعالى واضحة في كونها تربي المسلم على التفكير الناقد الذي يربط بين الأحوال والأحكام والقضايا ليخرج من خلال ذلك بحكم صحيح وموقف مهتد ، متفق مع الفطرة والعقل حين تكون القضايا شرعية متعلقة بالحلال والحرام ، أو متفقة مع العقل حين تكون القضايا مادية يسوغ فيها الاجتهاد البشري المجرد .

(١) - [سورة الأنعام: الآية ١٣٦]

(٢) الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٢ ص ١٦٥

(٣) - [سورة آل عمران: الآية ١٦٥]

(٤) ماجد الكيلاني ، أهداف التربية الإسلامية ، ص ٦٤



## التفكير الشمولي :

وهو ذلك النوع من التفكير الذي يتعلق بدراسة ظاهرة من الظواهر أو موقف من المواقف دراسة تستوفي جميع الجوانب والأبعاد المادية والمعنوية ، القريبة والبعيدة ، الواضحة والخفية ، وما يرتبط بها زمانا ومكانا .

وقد أكد القرآن الكريم على أهمية الشمول عند تناول القضايا حتى يكون الموقف المتخذ صحيحا ، ونهى عن إصدار حكم أو اتخاذ موقف من خلال نظرة جزئية ، وعاب من يفعل ذلك وعد ذلك سبيلا إلى الانحراف العقدي والفكري ، وقد جاء ذلك واضحا في قول الحق جل ذكره عن المشركين : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ (١) فهذه الآية الكريمة تؤكد على مبدأ الإحاطة التي لم يرها المشركون أهمية عند مناقشة أعظم قضية في الوجود وهي الإيمان بالله تعالى ، وتصديق وحيه الذي بعث به خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم .

كما أن التفكير العلمي الشمولي مندرج تحت آيات كثيرة في كتاب الله الكريم هي قواعد عامة لضبط هذا النوع من التفكير ، ومنها ألا يتكلم الإنسان في قضية لا يملك فيها علم صحيح كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ

أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ (٢) وعاب على أهل الظنون والأوهام والتخرصات

ما يقولون مما لا علم لهم به كما قال سبحانه عن قوم إبراهيم وهو يجادلهم على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام : ﴿ هَآأَنْتُمْ هَآؤُلَآءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ

تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ (٣)

(٣)

(١) - [سورة يونس: الآية ٣٩]

(٢) - [سورة الإسراء: الآية ٣٦]

(٣) - [سورة آل عمران: الآية ٦٦]

وقد ربط بعض المفكرين بين التفكير الشامل وبين الرسوخ في العلم ، والازدهار العلمي حيث العمق في دراسة القضايا والإحاطة بها ، ودراسة ما يعجب وما لا يعجب ، وربط أيضا بين التفكير الجزئي القاصر وبين الأخذ بظاهر العلم ، وبين فترات الجمود والتقليد ، ودراسة ما يعجب فقط (١)

### التفكير المقارن :

ويقصد به : ذلك النوع من التفكير الذي يعرض أمرين متقابلين متضادين عرضا مجملا أو مفصلا ليستتر العقل والوجدان في التمييز بينهما ومن ثم تقرير حق الاختيار وفق الحرية التي أتاحها الله للإنسان ورتب عليها مسئولية اختياره ، وقد جاء هذا النوع من التفكير واضحا في جوانب متعددة وردت فيها المقارنة بين متقابلات منها :

المقارنة بين الدنيا والآخرة : ومن خلال تتبع الآيات التي وردت في المقارنة بينهما وجد

الباحث أنها حوالي ثلاثون موضعا ، كلها تفضل الدنيا على الآخرة ، ومنها قوله تعالى : ﴿ بَلْ

تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ (٢) ومنها قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

أثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٢٨﴾ (٣) ومنها قوله تعالى : ﴿ زَيْنَ

لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ

مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ

(١) ماجد الكيلاني ، أهداف التربية الإسلامية ، ص ٦٧

(٢) - [سورة الأعلى: الآيات ١٦-١٧]

(٣) - [سورة التوبة: الآية ٣٨]

## مَتَعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمآبِ ﴿١٤﴾ (١) إلى غير ذلك

من الآيات .

كما أن المتأمل للآيات التي ورد فيها ذكر الدنيا يجد بعدها ذكر الآخرة إما تصريحاً وإما تلميحاً ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى قضية مهمة جدا ، ألا وهي : أنه لا ينتزع حب الدنيا من القلب إلا إذا ذكر ما هو أعظم منها ، وما من شك أن العاقل حين يوازن بين ما في الدنيا وما في الآخرة من النعيم كجزئية من جزئيات المقارنة لا يختار الحقير على العظيم ، ولا الفاني على الباقي ، ولا القليل على الكثير ، ولا نوع ما في دنيا من النعيم على نوع ما في الآخرة ، وهو ما أكده ابن عباس رضي

الله عنهما بقوله : " ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء (٢) "

ومن تلك المقارنات : المقارنة بين حزب الرحمن وحزب الشيطان ، والمؤمنين والكافرين ، والمسلمين

والمجرمين (٣) وكذلك المقارنة بين مصير الفريقين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .

والمقارنة أسلوب تربيوي مؤثر حين يجعل النفس البشرية بكل تفاعلاتها حرة في اختيارها ، بعد وصف

الموقفين أو تحديد مصير الفريقين .

### التفكير المنطقي :

ويقصد به الباحث ذلك النوع من التفكير الذي يرتب فيه العقل الأفكار أو الموضوعات أو القضايا أو الأحداث ترتيباً علمياً منطقياً بحيث يبدأ فيها بالأول فالأول ، ويبين الشيء فيها على الشيء ، ويستدل فيها بأمر على أمر .

وثمره ذلك النوع من التفكير وفق هذه المنهجية هو الوصول إلى نتائج علمية صحيحة مقنعة ، لا يجادل فيها إلا مكابر .

وقد أكدت منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم على هذا النوع من التفكير ، وخاصة في تقرير مسائل العقيدة ، وغرسها في النفوس ، أو من خلال تصحيح عقائد المشركين ، أو فضح دعاوهم التي لا تبني على منطق علمي مقبول .

(١) - [سورة آل عمران: الآية ١٤]

(٢) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ج ١ ص ١٧٤ ولم يجده الباحث في كتب السنة .

(٣) يقصد الباحث بالمجرمين : الكفار المستهزئين بالله ورسوله والمؤمنين كما وصفهم الله بذلك في آخر سورة المطففين .

ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك ادعاء اليهود والنصارى أن إبراهيم عليه السلام تابع لهم ، وقد حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، كما قال تعالى عنهم : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١) نعم إن الذي يدعي هذا الادعاء ، ويفكر بهذا التفكير لا يعقل ، لأن إبراهيم عليه السلام كان قد عاش في فترة لم تنزل فيها التوراة والإنجيل على اليهود والنصارى ، فكيف نسبوه إليهم ؟ !!! كيف نسبوه إليهم وهو عاش قبلهم بعدة قرون ؟ !!! هل السابق ينتسب للاحق ؟ أو أن اللاحق أب وسلف للسابق ؟ في أي منطلق هذا ؟ !!! وأي دين أو ثقافة في الأرض تؤمن بهذا ؟ !!! إن من يؤمن بذلك يوصف بأنه غير عاقل ، وأنه غير منطقي في تفكيره ، وأن الذي يصدقه في دعواه هذه لجاهل أحق خفيف الدماغ .

### الفكر الإبداعي :

وهو ذلك النوع من التفكير الذي يحمل صاحبه على الإتيان بفكرة جديدة ، نظرية كانت أو تطبيقية ، مما يتعلق بأمر الدنيا أو الآخرة ، خاصة في الوسائل والأساليب .  
ويكفي لدعم هذا النوع من التفكير والحض عليه ، أن القرآن الكريم قد أشاد بأولي الألباب في مواطن كثيرة ، وعاب الذين يعطلون قدراتهم العقلية عن العمل ، وكافأ على الصواب في الاجتهاد بأجرين ، وعلى الخطأ حين يقع بأجر واحد .  
ولقد كان لعلماء المسلمين قصب السبق في مثل هذا النوع من التفكير استجابة لأمر ربهم في كتابه الكريم ، فلقد : " لوحظ أن علماء المسلمين قدموا إسهاماتهم الإبداعية التي تتميز بالأصالة قبل أن يتم إخضاع الظاهرة الإبداعية في التفكير والإنتاج للدراسة العلمية في العصر الحديث . . . فجاء الإسهام الإبداعي لعلماء المسلمين استجابة لدعوة الله لهم إلى التفكير والتأمل " (٢)  
إن ديننا يكافئ المجتهد حتى وإن وقع منه الخطأ في المسألة التي هو بصدد الاجتهاد فيها ، هو دين يجعل للتفكير الإبداعي في منهجيته نصيباً مفروضاً ، كما أن القرآن الكريم قد اشتمل على ما يثير التفكير الإبداعي حين دعا إلى النظر في بدء الخلق كما قال تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ

(١) - [سورة آل عمران: الآية ٦٥]

(٢) عبدالله الصافي ، التفكير الإبداعي بين النظرية والتطبيق ، ص ٢٠

فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴿٢﴾

بل إن المتأمل للقرآن الكريم يجد مجالا للإبداع حتى في العلوم الطبيعية ، من خلال إعمال العقل في آيات الله الكونية ، ومن أمثلة ذلك قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى <sup>ط</sup> يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَالِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَالِكُمْ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١١﴾ ﴿١٢﴾

فقد ذكر المولى سبحانه بأنه فلق الحب والنوى ، الذي يراد بهما النبات ، ثم ذكر في الآية الثانية أنه فلق الإصباح ، الذي يراد به الضوء ، وقد استخدم للأمرين — الضوء والنبات — لفظ واحد وهو ( الفلق ) فهل هناك علاقة بين الضوء والنبات ، وهل البحث في ذلك يمكن أن يحقق للبشرية خيرا تنتفع منه ، ثم تقوم التجارب والأبحاث ، ليكتشف العلم الحديث عملية البناء الضوئي في علم الأحياء .

أوليس في هذا دربة على الإبداع ، وتعويذا على الابتكار ، ودعوة إلى إعمال العقل كما أمر الله تعالى ، إن المتأمل في كتاب الله الكريم وفي سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، بعد إدامة النظر وطول التفكير يفتح للباحث المسلم في سائر العلوم والفنون آفاقا رحبة من الإبداع ، خاصة إذا واكب التدبر في كتاب الله الكريم إخلاصا لله تعالى .

### البعد الثالث : احوال التفكير العلمي في القرآن الكريم :

جاء التفكير العلمي في القرآن الكريم على حالتين : التفكير الجماعي ، والتفكير الفردي ،

وقد جاء هذا التصنيف جليا في قول الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَأَحِدَةٍ <sup>ط</sup> أَنْ

تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَى وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ

(١) - [سورة النكوت: الآية ٢٠]

(٢) - [سورة الأنعام: الآيات ٩٥-٩٦]

جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ (١) فقد

ذكر ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية قوله : " قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك

مجنون ﴿ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ ﴾ أي إنما أمركم وأذركم بواحدة ، وهي : ﴿ أَنْ

تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِيَ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ

جِنَّةٍ ﴾ أي : تقوموا قياما خالصا لله ، من غير هوى ولا عصبية ، فيسأل بعضكم بعضا : هل

بمحمد من جنون ؟ فينصح بعضكم بعضا ، ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ أي : ينظر الرجل

لنفسه في أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه ويتفكر في

ذلك " (٢) إذن فالقرآن الكريم يؤكد على ألا ينفرد الإنسان برأيه في المواقف التي يحتاج فيها إلى

المشورة ، وهو في هذا الموطن يدعو الكفار المكذبين أن يتقبلوا في معالجة ما هم فيه من أمر رسول الله

صلى الله عليه وسلم إلى الانفراد بالنفس ، والتفكير العميق في حال هذا النبي الكريم ، وفي كلامه

ودعوته ومطالبه التي عرضها عليهم ، ثم لا يقتصر الإنسان على نفسه ، بل يجمع إلى رأيه رأي

الآخرين فيشاورهم ويحاورهم ، ويأخذ معهم ويعطي حتى يصل إلى نتيجة مرضية لا أثر فيها للأهواء

ولا العصبية التي كثيرا ما تصرف أصحابها عن الحق بعد بيانه .

ولعل ما ذكره الله تعالى في كتابه الكريم بقوله : ﴿ مِثْلِيَ وَفُرَادَىٰ ﴾ هو ما

يطلق عليه التربويون اليوم - ( العقل المفرد والعقل الجمعي ) وقد بدأ القرآن الكريم بالعقل الجمعي

لأهميته ، وهو خلاصة رأي الجماعة ولبه ، وقد جاء : " في القرآن الكريم والسنة الشريفة توجيهات

وتطبيقات متكررة ، هدفها تدريب الإنسان على التفكير الجماعي ، الذي يربط مصير الفرد بالجماعة

، ومصير الجماعة بالفرد ، ويجعل تبادل الرعاية بين الطرفين صفة لازمة للمجتمع الراقي " (٣)

(١) - [سورة سبأ: الآية ٤٦]

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ص ٦٦١

(٣) ماجد الكيلاني ، أهداف التربية الإسلامية ، ص ٧١

والباحث يرى أن الحالة الأولى التي يتطلبها التفكير يمكن أن يقوم بها (الأفراد) كل حسب ما وهبه الله من ملكات ، وما يسر له من قدرات وإمكانات ، والثانية يمكن أن تقوم بها (الجماعة) وهي المتمثلة اليوم في مراكز البحث العلمي المتخصصة في مختلف جوانب المعرفة .

تلك هي أحوال التفكير العلي في القرآن الكريم ، ولا يمكن أن يكون الإنسان على غير هاتين الحالتين ، وهو يعمل عقله في أي أمر من الأمور ، فهو إما أن يفكر فيه بمفرده ، وإما أن يكون مع غيره ، يستشيرهم ، ويحاوهم ، ويتبادل معهم الآراء ، بغية الوصول إلى نتيجة مثمرة ، تتكاتف الأفهام في تحديدها ، وتجتمع العقول على بيان مواطن الصواب والخطأ فيها ، والإنسان لا يلام بعد المشورة ، بل إن طمأنينة النفس متحققة عند الإقدام على عمل هو ثمرة فكر جماعي واع مدروس .

### البعد الرابع : ميادين التنكير العلمي في القرآن الكريم \*

من خلال محاولة الباحث تتبع ما جاء في القرآن الكريم من الدعوة إلى إعمال العقل تبين أن القرآن الكريم دعا إلى إعمال العقل في خمسة ميادين رئيسة ، هي :

أولاً : ميدان الآفاق :

ويقصد الباحث بالآفاق ، ما نص الله — عز وجل — عليه في القرآن الكريم بقوله :

سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ  
الْحَقُّ أَوَّلَمَّ يَكْفِرْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ (١)

وقد نقل الشوكاني — رحمه الله — في تفسيره ، في بيان معنى (الآفاق) جملة من كلام بعض أئمة السلف فقال : " قال ابن زيد : في الآفاق : آيات السماء . . . وقال قتادة والضحاك : في الآفاق : وقائع الله في الأمم ، . . . وقال عطاء : في الآفاق : يعني أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والأمطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والأشجار والجبال والبحار وغير ذلك " (٢) وزاد ابن كثير — رحمه الله — على معنى الآفاق قوله : " من

الفتوحات ، وظهور الإسلام على الأنفاليم وسائر الأديان " (٣) .

(١) - [سورة فصلت: الآية ٥٣]

(٢) الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٣ ص ٥٢٣

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ص ١٢٣

وقد ذكر الرازي — رحمه الله — قولين في تفسير الآفاق ، قال في أحدهما : " أن المراد بآيات الآفاق الآيات الفلكية والكوكبية وآيات الليل والنهار وآيات الأضواء والإضلال والظلمات وآيات عالم العناصر الأربعة وآيات المواليذ الثلاثة " (١)

والآيات التي جاءت في القرآن الكريم تدعو الإنسان لأن يعمل عقله في آيات الآفاق

كثيرة جدا ، منها قوله تعالى ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ

دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢)

ومنها قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ

بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ (٣)

وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (٤)

تَبْصِرَةً وَذِكْرًا لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ (٥)

والتأمل يرى أن هذه الآيات التي يؤمر فيها الإنسان بأن يتأمل آيات الله في الآفاق ، تارة تحتم بيان الحكمة من ذلك ، كما في الآية السابقة ، فقد بين الله — سبحانه — الحكمة من خلق السماء وما فيها من الزينة ، والأرض وما فيها من الرواسي والنبات الأزواج ، فقال بعد ذلك :

تَبْصِرَةً وَذِكْرًا لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ .

وهذا هو أسلوب القرآن الكريم ، غالبا ما يقرن الخلق بالحكمة ، وليس الأمر مقتصرًا على آيات الله في الآفاق ، بل حتى في قضايا التشريع ، فإن من أساليب القرآن الكريم : " في التعبير عن

الحكم ، أنه — في الغالب — يقرنه بعلة الحكم ، حتى يكون ذلك أدعى إلى الامتثال والإذعان " (٦)

(١) الرازي ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ج ٢٧ ص ١٤٠

(٢) - [سورة لقمان: الآية ١١]

(٣) - [سورة ق: الآيات ٦-٨]

(٤) شعبان إسماعيل ، أصول الفقه الميسر ، ج ١ ص ١٤٩



وتارة أخرى لا تذكر الحكمة من ذلك ، سواء كان ذلك في آيات الآفاق والأنفس أو حتى في قضايا التشريع ، ولعل السبب في ذلك — كما يراه الباحث — يعود إلى جملة أمور ، منها:

١— تشويق القارئ للقرآن الكريم ، وتشجيعه على متابعة القرآن ، حين تتنوع به نواتم الآيات فلا تكون على وتيرة واحدة .

٢— قياس الحكم على غيره ، مما يكون شبيها به ، إن كان الأمر في قضايا التشريع .

٣— قياس الحكمة على غيرها ، مما يكون شبيها بها ، إن كان الأمر في قضايا الخلق والإيجاد .

٤— تربية العقلية الإسلامية ، عن طريق تعويدها على أن تربط بين الأحداث ومسبباتها ، وبين العلة والحكم .

٥— للابتلاء والاختبار ، الذي يميز صدق إيمان العبد وقوة يقينه .

ثانيا : ميدان الأنفس :

والمراد بالأنفس ما نص الله — عز وجل — عليه في القرآن الكريم بقوله : ﴿

سُنُّرِهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ  
الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ (١) وقد

نقل الشوكاني — رحمه الله — في تفسيره ، في بيان معنى الأنفس جملة من كلام المفسرين فقال :  
قال ابن زيد . . . وفي أنفسهم : حوادث الأرض ، وقال مجاهد : وفي أنفسهم : فتح مكة . . .  
وقال قتادة والضحاك : وفي أنفسهم : يوم بدر . . . وقال عطاء : وفي أنفسهم : من لطيف الصنعة  
وبديع الحكمة " (٢)

وقال الرازي — رحمه الله — في تفسيره : " المراد منها الدلائل المأخوذة من كيفية تكون

الأجنة في ظلمات الأرحام ، وحوادث الأعضاء العجيبة ، والتركيبات الغريبة " (٣)

(١) - [سورة فصلت: الآية ٥٣]

(٢) الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٤ ص ٥٢٣

(٣) الرازي ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ج ٢٧ ص ١٤٩

وقد أمر الله في كتابه الكريم في آيات كثيرة بالنظر في هذا التكوين العجيب الذي خلق عليه

الإنسان ، مقرونا ببيان الحكمة من ذلك تارة كما في قوله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ

لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ (١) وتارة ترد الآية مجردة عن ذكر

الحكمة ، كما سبق بيان العلة في ذلك ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا

تُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ (٣)

وإن المتأمل لكتب التفسير يرى أنها تناولت الحديث عن آيات الله في الآفاق والأنفس بنساء على ما كان يقع من علم للناس في الفترة التي عاش فيها المفسر ، أو الفترة التي سبقته ، غير أن فهم الأمة لآيات الآفاق والأنفس ، لا بد أن يتسع ليشمل كل علم صحيح يتوصل إليه البشر عن طريق الاكتشاف والاختراع ، من خلال ما أتاح الله تعالى للإنسان من قدرات وإمكانات ، لم تتوفر لمن كان قبله ، ليكون ذلك من قبيل المعرفة التراكمية التي يدلي فيها كل مبدع بدلوه ، ومن أمثلة ذلك

قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ

وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ (٤) فقد بينت الآية الكريمة أن ظاهرة

الزوجية موجودة في نبات الأرض ، وفي النفس الإنسانية ، وفيما لا يعلمه الإنسان .  
والذي لا يعمله الإنسان يمكن أن يراد به أمران :

الأول : ما لا يعلمه الإنسان في الزمن الذي عاش فيه ، فهذا هو العلم يكتشف ظاهرة الزوجية حتى في الجماد ، في زمن لم تكن الزوجية الجسادية فيه معروفة من قبل ، ولعل ذلك ما أشار إليه المولى

(١) - [سورة نوح: الآيات ١٣-١٤]

(٢) - [سورة النازيات: الآية ٢١]

(٣) - [سورة الشمس: الآية ٧]

(٤) - [سورة يس: الآية ٣٦]

سبحانه بقوله : **وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ** " ليدل على أن هذه الحقيقة أكبر من علم الناس

ومعارفهم في ذلك الزمان " (١) .

الثاني : ما لا يعلمه الإنسان البتة ، ولا يمكن للعقل البشري أن يصل إليه مهما أوتي من قدرة ،

ليتحقق في هذا قوله تعالى ﴿ **وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ .

غير أن ثمة وقفة لا بد منها ، ألا وهي اتهام بعض من كتب في التربية علماء التفسير القدامى بأن نظرهم تجاه مظاهر الكون وما فيه ، من موجودات كانت سطحية أفرزتها خيرات محدودة ، صبها العربي القديم في كلماته وألفاظه ، وهو ما أشار إليه بعض الكتاب بقوله : " وفي كتب المفسرين لا يوحى شرح الآيات التي توجه إلى علاقة التسخير بضرورة جد المسلم وعمله على اكتشاف القوانين التي تنظم مظاهر الكون والموجودات القائمة فيه ، وإنما تقف عند المعاني السطحية التي أفرزتها الخيرات المحدودة ، التي صبها ذلك العربي القديم في كلماته وألفاظه ، والتي تدور حول الترويض الذي تراه النظرة السطحية لترويض الخيل والجمال ، وما إلى ذلك ، بينما تتوجه الأوامر الإلهية بالإنسان

للبحث عن معنى التسخير وأبعاده في آفاق السموات والأرض وجميع مظاهر الكون الفسيح " (٢)

وللباحث مع هذا الاتهام الخطير بعض الوقفات :

أولاً : يجب أن يعلم أن علماء التفسير — رحمهم الله — الذين انتهجوا ما كان عليه النبي صلى الله عليه وأصحابه من منهجية في التعامل مع كتاب الله تعالى ليسوا بمتخصصين في العلوم الطبيعية حتى يطالبوا بما هم فيه غير متخصصين ، ويكفي أنهم شحذوا الهمم بالدعوة إلى أهمية أعمال العقل فيما ينفع العبد في أمور دينه ودنياه ، ليبقى كشف هذه القوانين للمتخصصين في هذا الجانب من المعرفة ، وهو ما تحقق بفضل الله تعالى ، فقد برز في أمتنا أعلام في هذا التخصص : " نبغوا وتفوقوا في مجال العلوم الطبيعية ، بل منهم من يفوق علماء الغرب شهرة وأثراً في تقدم العلوم ، بالرغم أن مؤلفاتهم لم يحقق منها إلا النزر اليسير ، ولا يزال معظمها بكرًا ينتظر من يتناوله بالدراسة العلمية المفصلة ، وما وصل إلينا من هذا التراث يؤكد سبق المسلمين الأوائل إلى الكثير من الآراء والنظريات العلمية التي ينسب معظمها إلى علماء الغرب وحدهم ٠٠٠ فإذا ذكرت الجاذبية تردد اسم ( نيوتن ) ٠٠٠ وأغفلوا ما قاله ( الهمداني ) من أن الأرض كحجر المغناطيس تجذب قواه

(١) القرضاوي ، العقل والعلم في القرآن الكريم ، ص ٢٩٠

(٢) ماجد الكيلاني ، فلسفة التربية الإسلامية ، ص ١٣٦

الحديد من كل جانب ، وما قاله ( الخازن ) من أن هناك علاقة بين السرعة والمسافة والثقل ٠٠٠ وإذا ذكرت الدورة الدموية قالوا إن مكتشفها هو السير ( وليم هارفي ) وتعمدوا إغفال ما قاله ( ابن النفيس ) من أن الدم ينتقل من القلب إلى الرئة ليحدد الهواء ، ولم يقل الأكسجين لأنه لم يكن قد اكتشف بعد ٠٠٠ وفي مجال الرياضيات قدم ( الخوارزمي ) علما جديدا هو علم الجبر ، وتوصل عمر الخيام إلى حل معادلة الدرجة الثانية ، وأوجد غياث الدين الكاشي قانونا لمجموع الأعداد الطبيعية المرفوعة إلى القوة الرابعة ، واعترف علماء التاريخ الرياضي بأن هذا القانون لعب دورا جوهريا في تطور علم الأعداد ، وينصف بعضهم الحقيقة عندما يرجع الفضل للكاشي في ابتكار نظرية ذات الحدين ، وتطوير خواص معاملاتها ٠٠٠ وفي الفيزياء ربط ( ابن الرزيان ) في كتابه ( التحصيل ) بين الحركة والزمن ٠٠٠ كما عبر ( ابن ملكا البغدادي ) عن مضمون قانون الفعل ورد الفعل قبل ( نيوتن ) بعدة قرون ٠٠٠ وفي الفلك والأرصاد وضع علماء الحضارة الإسلامية أصول ونظريات وعلوم حديثة عن الظواهر الفلكية المختلفة والظواهر الجوية ، وكانت للنظريات والأرصاد التي وضعوها أكبر الأثر في النتائج التي جمعها ( تيكو براهي ) ٠٠٠ ثم تطور علم الميكانيكا الكلاسيكية إلى الميكانيكا النسبية والميكانيكا السماوية وتقدم أبحاث الفضاء التي يزدهر بها عالمنا المعاصر ، وفي ظل تقدم علم الفلك والأرصاد انتعشت الملاحة البحرية فوضع أحمد بن ماجد كتاب ( الفوائد في أصول علم البحر والقواعد ) ٠٠٠ وتؤكد البحوث الحديثة أن أوروبا تعرف للملاحة الحضارة الإسلامية سبقهم إلى ارتياد البحار والمحيطات ومهارتهم في قيادة السفن وتفادي العواصف والأعاصير والتنبؤ بحدوثها ، ولهذا ظلت الملاحة في البحرين الأبيض والأحمر وفي المحيطين الهندي والهادي اختصاصا عربيا حتى مطلع العصور الحديثة ٠٠٠ أما الكيمياء فيجمع المؤرخون على أنها تحولت في عصر النهضة الإسلامية من الصنعة الخرافية إلى العلم التجريبي [ بفضل الله تعالى ثم ] بفضل الكثيرين من أمثال جابر ابن حيان [ وغيره ] ٠٠٠ ومن يتتبع إنجازات الحضارة الإسلامية في مجال العلوم الطبيعية سيجد أنهم فطنوا إلى سر تقدم المعرفة بعثورهم على المنهج العلمي التجريبي الذي اصطنعوه أساسا للبحث والتفكير العلمي ، فكان هذا أعظم هدية قدمتها الحضارة الإسلامية لتاريخ البشرية كلها " (١)

ثانيا : ليس بصحيح أن علماء التفسير — رحمهم الله — الذين سبق وصفهم ، قد خلعت كتبهم من الدعوة إلى البحث عن معني التسخير وأبعاده في جميع مظاهر الكون ، فهذا عطاء بن أبي رباح — رحمه الله — وهو من كبار التابعين يدعو إلى التفكير في خلق الآفاق والأنفس ، كما نقل عنه

(١) أحمد فؤاد باشا ، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية ، ص ٩٣-٩٩

الإمام الشوكاني أنه قال في قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي

أَنْفُسِهِمْ ﴾ (١) قال : وقال عطاء : في الآفاق : يعني أقطار السموات والأرض من الشمس

والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والأمطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والأشجار

والجبال والبحار وغير ذلك ٠٠٠ وفي أنفسهم : من لطيف الصنعة وبديع الحكمة " (٢) وفي هذا

دعوة للمتخصصين أن يعملوا عقولهم في لطيف صنع الله ، وبديع حكمته في الخلق والإيجاد ، سواء كان فيما يتعلق بآيات الله في الآفاق أو الأنفس .

وها هو الألوسي المتوفى سنة ثنتين وأربعين وثلاثمائة وألف يقول : " وقد أحببت أن أجمع ما ورد في هذا الباب من الآيات المنتشرة في سور القرآن على ترتيب سورها وأخص منها المشتملة على

الأجرام العلوية والسفلية ، وأذكر في تفسيرها ما ذكره جهابذة المفسرين " (٣)

ثالثا : إن ما يتعلق بالاكشاف والاختراع حول آيات الله في الآفاق والأنفس إنما هو من قبيل المعرفة التراكمية التي هي قاسم مشترك بين الأمم والشعوب كل يبدئ فيها بما يتوصل إليه فهمه ، وما يقع بين يديه من إمكانات علمية ، وقدرات مادية ، وكل يفهم منها على قدر ما في بيئته من موارد : " وتاريخ العلوم كتاريخ الحضارة البشرية بأكملها ، يمر في دورات متلاحقة ، وينتقل من أمة

إلى أخرى ، ليصبح في النهاية تراثا مشتركا للإنسانية كلها " (٤)

إن الأمة لو رضيت بهذا الإتهام لعلمائها في تلك العصور الغابرة ، لرضيت الإتهام لعلمائها ومفكرها المعاصرين ، وذلك حين تتقدم الحياة ، وتتوسع أساليب المعرفة ، فيكتشف في الفترة القادمة ما لم يكن معروفا اليوم ، وعندها يقال : لقد كان أولئك محصورو الأفهام في زاوية من التسخير هزيلة إذا قيست بفتوحات جديدة على البشرية لم تحظر على بال الأولين ، يعني المعاصرين اليوم .

إن التربية الإسلامية تسعى إلى تحقيق الدعوة إلى العناية باكتشاف القوانين الكونية في نفوس المتعلمين عن طريق توسيع مداركهم تجاه العلوم الطبيعية المتعلقة بآيات الله في الآفاق والأنفس ، على أن يدور ذلك كله في الإطار الذي حدده الإسلام ، فلا يتناقض مع عقيدته وأحكامه ، مع الاعتقاد

(١) - [سورة فصلت: الآية ٥٣]

(٢) الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٤ ص ٥٢٣

(٣) محمود شكري الألوسي ، ما دل عليه القرآن ، ص ٦

(٤) أحمد فؤاد باشا ، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية ، ص ٩١

الحازم الذي لا يخالطه شك ، أنه لا يعارض العقل الصحيح مع النقل الصريح في منهج الإسلام ، وهو ما أكده شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله بقوله — : " ما علم بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة ، بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط " (١) وهو ما أكده الإمام العلامة ابن عثيمين — رحمه الله — حين قال في رسالة له حول الوصول إلى القمر : " فلا يمكن أن يقع في كلامه [ أي في كلام الله تعالى ] الصادر عن علمه والبالغ في الصدق والبيان غايته ، لا يمكن أن يقع في كلام هذا شأنه ما يخالف الواقع المحسوس أبداً ، ولا يقع في المحسوس ما يخالف صريحه أبداً " (٢) لأن هذا الاعتقاد : " يفيد في عمران الحياة وازدهار الحضارات ، فتنعم البشرية بهدي الله وشرعه ، ولأهل السنة اليد الطولى ، والقدح المعلى في تقدم المعارف العقلية ، والعلوم التطبيقية ، إذ ليس هناك ما يحجزهم دونها ، كما حدث في الدولة المسيحية في عصور الظلام ، حين انتدح عندهم التعارض بين نصوص الإنجيل ومعطيات العقل ، حتى تعرض المشتغلون بالعلوم التطبيقية والمعارف العقلية إلى أشد أنواع التكتيل من قبل الكنيسة ، حتى كان الانعتاق من سلطانها ، وبداية ظهور الاتجاه العلماني " (٣) الأمر الذي أخرج علماء متخصصين في العلوم الطبيعية ليس لهم ضابط من دين أو خلق ، إلا ما تمليه المصلحة ، بالمعيار العقلي البشري المخرد المملوء بالشهوات .

نعم ٠٠ إن القرآن الكريم : " قد تضمن إشارات علمية ، بل حقائق علمية ، تعتبر من باب الإعجاز ، لأنها فوق مستوى العصر الذي أنزل فيه القرآن ٠٠٠ من هذه الحقائق التي سجلها القرآن ، وسبق بها العلم الحديث : أن الماء أصل الحياة ٠٠٠ ومن هذه الحقائق : ظاهرة الزواج أو الزوجية في الكون كله ٠٠٠ ومن هذه الحقائق ما ذكره القرآن في أطوار خلق الجنين " (٤) وبما أن هذه حقائق علمية لا تقبل النقص فإن القرآن الكريم قد بينها ، ودعا العقل إلى دراستها ، ومعرفة قوانينها ، مع الاسترشاد بالهدي الرباني في التعامل معها لتكون ثمرة نافعة .

غير أن ثمة جملة من الأمور لا بد من مراعاتها عند الحديث عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم تكمن في الآتي :

(١) ابن تيمية ، درء تعارض العقل والنقل ، ج ١ ص ١٤٧

(٢) محمد بن عثيمين ، رسائل في العقيدة ، ص ١٢٢

(٣) عثمان بن علي حسن ، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد ، ج ٢ ص ٧٤٤

(٤) القرضاوي ، العقل والعلم في القرآن الكريم ، ص ٢٨٩—٢٩٠

١- لا يجوز لي أعناق الآيات، لتتناسب - تكلفا - مع بعض الحقائق العلمية ، فضلا عن النظريات ، فإن القرآن الكريم ليس كتاب حقائق علمية بحت ، إنما هو كتاب هداية للعالمين ، كما قال سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾

(١)

وكقوله - سبحانه - ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾

﴿٢﴾

إضافة إلى أن بعض الحقائق العلمية قد تتغير بتغير الاكتشافات ، وتزايد وسائل العلم ، وأدوات المعرفة ، فإذا تطرق الاحتمال إلى النظرية أو الحقيقة العلمية ، ونحن قد حملنا كتاب الله عليها ، فسيطرق الاحتمال إلى القرآن الكريم ولا شك ، وهو ما نفاه الله عنه بقوله سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ

الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ .

وقد ذكر القرضاوي أمثلة تدل على شدة التعسف في تحميل الآيات ما لا تحتمل ، منها :

قول بعضهم في قوله تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ

مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا

وَنِسَاءً ﴿٣﴾ " ففسر النفس الواردة بـ ( الألكترون ) في ( الذرة ) وزوجها الذي خلق منها

بـ ( البروتون ) ! [ ثم قال القرضاوي ] وهو اعتساف لا تدل عليه الألفاظ ، ولا السياق ، بل

(١) - [سورة البقرة: الآية ٢]

(٢) - [سورة الإسراء: الآية ٩]

(٣) - [سورة النساء: الآية ١]

السياق يرفضه تماما ، بدليل قوله في تمة الآية : **وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً**

﴿١﴾

٢- لا يجوز الجمود على فهم آية من كتاب الله الكريم ، ما دام مدلولها يمكن أن يتسع ليشمل كل جديد يظهر في حياة الناس ، ذلك أن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه .

٣- ما قاله بعض أهل العلم من أنه : " لا يجوز أن يكون الفهم الجديد للآية مبطلا للأفهام السابقة ، بحيث لا ينبغي أن تنتهم الأمة كلها منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم ، بل ربما الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه بأنهم لم يكونوا يفهمون الآية ، وأن كل ما ورد عنهم في تفسيرها باطل ، وأن المعنى الوحيد الصحيح هو ما فهمه الكاتب أو المفسر الجديد ، وإنما اللائق أن يكون هذا المعنى

إضافة جديدة ، تضم إلى ما سبق ، ولا تبطله " ﴿٢﴾

لقد حذر كثير من الباحثين من خطورة تحميل آيات القرآن الكريم ما لا تحتل بغية توافقها مع الأطروحات العلمية في العلوم الطبيعية ، مؤكدين على : " أن الإلحاح على صوغ المفاهيم الإسلامية ونصوص الشريعة في قوالب النظريات العلمية المعاصرة ، له خطره على الإسلام ذاته في المدى البعيد لحركة الحرب ضد الإسلام " ﴿٣﴾

ثم ذكر نماذج على ذلك مما فعله النصارى في أوروبا يوم حملوا كتبهم المقدسة على التفسيرات العصرية بغية تحسين صورة هذه الكتب ، فدرسوا النظريات العلمية في العلوم الطبيعية على أنها وحي مقدس ، فلما جدت نظريات أخرى جديدة تناقض مع الأولى فقدت كتبهم قداستها ، وفقدت الدراسات الإنجيلية احترامها ، وأصبح الدين النصراني مظهرا للتخلف وأقيمت المعارض المتنوعة لنشر الإلحاد والسخرية بالدين وأهله " ﴿٤﴾ .

ثالثا : ميدان العقيدة :

وفي هذا الميدان يتبين أن للقرآن الكريم جانبين وهو يقرر القضايا العقدية ، الجانب الأول :

في عرضه للعقيدة الإسلامية الصحيحة عرضا مقنعا يتفق مع الفطرة والعقل ، من خلال إعمال العقل في حكمة الله تعالى في الخلق والتشريع .

﴿١﴾ القرضاوي ، العقل والعلم في القرآن الكريم ، ص ٢٩٣ ولم يذكر المؤلف بعد نقده لهذه المقولة اسم صاحبها .

﴿٢﴾ القرضاوي ، العقل والعلم في القرآن الكريم ، ص ٢٩٣-٢٩٤

﴿٣﴾ عبدالمتعال الجبري ، شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن الكريم ، ص ١٢

﴿٤﴾ المرجع السابق ص ١٢ بتصرف .



والجانب الثاني : في إبطاله للعقائد الإلحادية والشركية التي لا يتفق طرح أصحابها مع الفطرة والعقل ، من خلال نقض الإلحاد وبيان فساد تصورات الملاحدة ، أو من خلال إظهار عجز الشركاء في أن يخلقوا أصغر موجود في الكون ، أو يبدعوا تشريعا يسعد به الإنسان ، وغالبا ما يقترون ذلك بأسلوب الحوار المقنع المثير .

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أن أدلته في تقرير مسائل العقيدة : " تسير في خطين متوازيين ٠٠٠ خط مثبت كل كمال لله تعالى ، كالخلق والنعف والضرر والتأثير وغير ذلك ، وخط ناقض للشرك ، من خلال عجز الشركاء عن الخلق ، أو النفع والضرر ، أو التأثير في هذا الكون بأي صورة من الصور ، أو غير ذلك من أنواع الشرك مع الله " (١)

ففي الجانب الأول يعرض القرآن الكريم قضايا العقيدة الصحيحة ، من أجل غرسها في نفوس الناس ، عن طريق التعريف بالله تعالى في ربوبيته ، وألوهيته ، وأسمائه ، وصفاته ، وبيان قدرته على الخلق والإيجاد ، وعظيم أمره في الصنع والإتقان ، ومنتهى حكمته في البيان والتشريع ، وغالبا ما يرتبط التنبيه على قضايا العقيدة بآيات الله في الآفاق والأنفس ، لتكون المحصلة النهائية ، أن الذي يملك الخلق وحده ، هو الذي يملك الأمر وحده ، وأن الذي يملك الأمر وحده هو المستحق للعبادة دون سواه ، وفي هذا المعنى يقول سبحانه : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ

رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ (٢)

وفي الجانب الثاني : يحاور القرآن الكريم أهل العقائد الباطلة محاورة عقلية جد مقنعة ، ليؤكد لهم أن ما يؤمنون به من عقائد فاسدة ، إنما كان مبناها على الهوى ، لا على الإيمان الواعي ، الذي يتفق مع المنطق العقلي المقنع ، وفي هذا يقول الله - سبحانه - ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ

لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ (٣) قال القرطبي في تفسيره : " من كان

قادرا على خلق الأشياء المتقدمة الذكر ، كان بالعبادة أحق ممن هو مخلوق لا يضر ولا ينفع " (٤)

(١) عبدالكريم عبيدات ، الدلالة العقلية في القرآن الكريم ، ص ٢٦٧

(٢) - [سورة الأعراف: الآية ٥٤]

(٣) - [سورة النحل: الآية ١٧]

(٤) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٠ ص ٩٣

والذي يعمن النظر في الآية الكريمة — التي اشدت فيها التكبير على الكافرين — يرى أنها جاءت بعد أن عدد الله تعالى نعمه على عباده ، المتمثلة في خلق السموات والأرض ، وما جعل فيها من صنوف الخيرات ، إضافة إلى خلق الإنسان وما فيه من العجائب ، والأنعام وما فيها من المنافع ، والبحر وما فيه من المصالح ، ثم عقب على هذا بالمقارنة — في استحقاق العبادة — بين من يخلق هذا كله ، وينعم به على عباده ، وبين المخلوق الحقير الذي لا يملك ضرا ولا نفعا ، ولا يملك موتا ولا حياة ولا نشورا : " وهو تعقيب يبيح في أوانه ، والنفس متهيئة للإقرار بمضمونه : ﴿ أَفَمَنْ

يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

فهل هناك إلا جواب واحد : لا ، وكلا ، أفيجوز أن يسوي إنسان في حسه وتقديره ٠٠ بين من يخلق ذلك الخلق كله ، ومن لا يخلق لا كبيرا ولا صغيرا " (١)

والتأمل في الآية السابقة التي تؤكد على توحيد الربوبية ، المتضمن لتوحيد الألوهية ، يجد أنها قد اشتملت على مقدمة ونتيجة ، فالمقدمة يقر بها المؤمن والكافر ، والبار والفاجر ، لأنها مقدمة مسلم بها عند الجميع ، وهي : أنه لا يمكن أن يستقر في حس كل عاقل أن يساوي بين من يخلق كل شيء في الوجود ، وبين من لا يخلق منه مثال ذرة ، والنتيجة : أن هؤلاء المشركين الذين وقعت منهم المساواة قد عطلوا عقولهم عن العمل ، فقادتهم أهواؤهم إلى منطق أعوج مرفوض ، لا تقره الفطر السوية ، ولا العقول الراحجة ، حيث ساووا بين القوي والعاجز ، وبين المالك والمملوك ، وبين الله الخالق وبين الإنسان المخلوق ، وكان من مقتضى هذه المساواة الفاسدة أكبر جريمة في تاريخ الإنسان ، ألا وهي الشرك بالله تعالى ، ولهذا اشدت نكير القرآن الكريم على المشركين بصيغة الاستفهام الإنكاري التوبيخي في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ : " فلا يحتاج الأمر إلى أكثر

من التذکر ، فيتضح الأمر ويتجلى اليقين " (٢)

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٤ ص ٢١٠٤

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٤ ص ٢١٦٤

وقد كبت القرآن الكريم من يشرك مع الله غيره ، من هؤلاء الشركاء العاجزين ، فقال سبحانه على لسان إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، وهو يجادل المشركين من قومه : ﴿ أَفِ لَكُمْ

وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١)

ولما كانوا قد عطلوا عقلوهم عن العمل ، وآمنوا بما لا يتفق مع الفطرة السوية ، والعقل الراجح ، كانت عاقبة أمرهم خسرا ، فقد تبين لهم — في أرض الواقع — عجز هؤلاء الشركاء في الدنيا عن أن يجلبوا لهم خيرا ، أو يدفعوا عنهم ضرا ، ومع ذلك جعلوهم أندادا يعبدونهم من دون الله ، أو يشركونهم في عبادة الله ، فكان الجزاء في الآخرة من جنس العمل حيث تخلف الشركاء المزعومون عن مرافقة هؤلاء الأتباع في عراصات القيامة ، ووقفوا بين يدي الله تعالى موقف الذل فقال لهم

سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ

وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ

شُفَعَاءَ كُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ

بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (٢)

ومن أساليب إبطال حجج المشركين فيما يعتقدونه ويؤمنون به ، من خلال المنطق العقلي المقنع

، القائم على الحجة والبرهان ما جاء في قوله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ

تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ

بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٣) فقد حاج أهل الكتاب في إبراهيم ، فادعى

النصارى أن إبراهيم نصراني ، وادعى اليهود أن إبراهيم يهودي ، يقول الطبري — رحمه الله — في

(١) - [سورة الأنبياء: الآية ٦٧]

(٢) - [سورة الأنعام: الآية ٩٤]

(٣) - [سورة آل عمران: الآية ٦٥]

تفسيره : " وكان حجاجهم فيه ادعاء كل فريق من أهل هذين الكتابين أنه كان منهم وأنه كان يدين دين أهل نحلته ، فعابهم الله عز وجل بادعائهم ذلك ودل على مناقضتهم ودعواهم " (١) فكان إبطال القرآن الكريم لهذه المزاعم في غاية الإقناع العلمي العقلي ، فقد بين الله — جل جلاله — أن إبراهيم عليه السلام عاش في فترة لم تعرف الدنيا فيها التوراة والإنجيل ، وإنما جاءتا بعد إبراهيم — عليه السلام — بدهور طويلة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ

إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ <sup>ع</sup> ﴾ فكيف ينسب السابق إلى اللاحق ؟ والمتقدم إلى المتأخر ؟ !!! وإن الباحث يرى أن من يفعل ذلك ، إنما مثله فيما قال ، كمثّل رجل قيل له : كم معك من الأولاد ؟ فقال ثلاثة ، أحدهم : وُلد قبل أن أتزوج ، والآخران وُلدا بعد زواجي !!! ، وما من شك أن هذا منطوق من لا يعقل ، ولهذا كان ختام الآية في هذا الشأن ختاماً عجيباً ، حين اشتمد نكير الله — سبحانه — على اليهود والنصارى بقوله : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ قال الطبري — رحمه الله — : " يعني أفلا تفقهون خطأ قيلكم إن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً ، وقد علمتم أن اليهودية والنصرانية حدثت من بعد مهلكه بحين " (٢)

#### رابعاً : ميدان التشريع :

ومن الميادين التي أمر العقل فيها بأن يعمل ، ميدان التشريع ، وهو ما شرعه الله تعالى لعباده من العبادات وسائر الأحكام ، والتي غالباً ما يقرها المولى — سبحانه — ببيان الحكمة من التشريع ، ليظهر للناس عظمة الله تعالى ، ورحمته بعباده ، ولتحقق ثقة الأمة المسلمة بشريعتها الربانية التي عجزت القوانين الوضعية والنظم البشرية أن تحقق للناس عشر معشارها ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى

: ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٣)

﴿ (٣) قال القرطبي — رحمه الله — في تفسير هذه الآية في معنى : الكتاب : " يعني القرآن ... والمراد بالذكر هنا الشرف ، أي فيه شرفكم ... وقيل : فيه ذكركم أي : ذكر أمر دينكم ،

(١) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ج ٣ ص ٣٠٥

(٢) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ج ٣ ص ٣٠٦

(٣) - [سورة الأنبياء: الآية ١٠]

وأحكام شرعكم ، وما تصيرون إليه من ثواب وعقاب ، أفلا تعقلون هذه الأشياء التي ذكرناها " (١)

ويقصد بأمر الدين ، وأحكام الشرع في كلام الإمام القرطبي — رحمه الله — هو كل ما أنزله الله تعالى على عباده من أمور العقيدة والعبادة والأخلاق والسلوك والمعاملات ، وما يتعلق بجوانب الحياة كلها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية والتربوية والتعليمية والإعلامية وغيرها .

نعم ٠٠ إن القرآن الكريم هو الذكر الذي يرتفع بالبشرية في جوانب حياتها المختلفة إلى أعلى مستويات المثل ، وأرقى درجات القيم ، وهو ما يتميز به المسلمون على غيرهم من أمم الأرض كلها ، يقول صاحب الظلال : " ولقد كان به [ أي بالقرآن ] ذكر العرب ومجدهم حين حملوا رسالته ، فشرقوا بها وغربوا ، فلم يكن لهم قبله ذكر ، ولم يكن معهم ما يعطونه للبشرية فتعرفه لهم ، وتذكرهم به ٠٠٠ وما يملك العرب من زاد يقدمونه للبشرية سوى هذا الزاد ، وما يملكون من فكرة يقدمونها للبشرية سوى هذه الفكرة ٠٠٠ إن البشرية لم تعرفهم إلا بكتابهم وعقديتهم وسلوكهم المستمد من ذلك الكتاب وهذه العقيدة ، لم تعرفهم لأنهم عرب فحسب ، فذلك لا يساوي شيئاً في تاريخ البشرية ، ولا مدلول له في معجم الحضارة ، إنما عرفتهم لأنهم يحملون حضارة الإسلام ومثله وفكرته ، وهذا أمر له مدلوله في تاريخ البشرية ومعجم الحضارة " (٢)

لقد جاء الأمر بإعمال العقل عندما يحتم المولى سبحانه الآية ببيان الحكمة من التشريع ، لتنقاد القلوب لله تعالى في استسلام وخضوع وتذلل ، لعلمها أن الله تعالى أعلم بمصالح العباد من أنفسهم ، وهو — سبحانه — أرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿

كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾

فلقد دعا المولى — سبحانه — في هذه الآية الكريمة إلى أهمية إعمال العقل في آياته القرآنية التشريعية التي يبينها لعباده ، وبالنظر فيما سبق هذه الآية من أحكام شرعية ، يتبين أنها كانت حول تشريع المولى سبحانه أمور الزواج والطلاق ، وما للأزواج والزوجات من الحقوق والواجبات في الحالين ، في تشريع محكم دقيق ، يضمن للبشرية في حياتها الأسرية سعادة الدنيا والآخرة ، ثم كان

(١) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١١ ص ٢٧٣

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٤ ص ٢٣٧٠

(٣) - [سورة البقرة: الآية ٢٤٢]

ختم الآية بالدعوة إلى إعمال العقل عن طريق بيان الحكمة من التشريع بقوله سبحانه : ﴿

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

ومن الدعوة إلى إعمال العقل في هذا الميدان ، ما جاء بصيغة مشتقات الفعل الماضي ( ذكر ) كما

جاء في ختام قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي

الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١)

والتأمل في هذه الآية الكريمة يرى أن الله سبحانه قد جمع فيها أصول الأخلاق التي عليها قوام سعادة الدنيا والآخرة ، وهو ما أكده ابن كثير — رحمه الله — في تفسيره حين قال : " وقال سعيد : عن

قتادة قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ ليس من خلق حسن كان

أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به ، وليس من خلق سيء كانوا يتعبرونه بينهم إلا

نهي الله عنه وقدم فيه " (٢) وقال الرازي — رحمه الله — : " جمع [ المولى سبحانه ] في هذه الآية مل

يتصل بالتكليف فرضا ونفلا ، وما يتصل بالأخلاق والآداب عموما وخصوصا " (٣) وقال في موطن

آخر : " فقد نبه [ في الآية السابقة ] على كل ما يحتاج إليه المسافرون من عالم الدنيا إلى عرصة

القيامة " (٤) ثم ختم الآية بقوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ وغير هذا في كتاب الله

الكريم كثير كثير .

(١) - [سورة النحل: الآية ٩٠]

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ص ٧١٩-٧٢٠

(٣) الرازي ، التفسير الكبير ، ج ٢٠ ص ١٠٢

(٤) الرازي ، التفسير الكبير ، ج ٢٠ ص ١٠٧

فإذا حصل إعمال العقل وتعرف على الحكمة من التشريع انقادت القلوب لله تعالى ، وأذعنت لحكمه ، وخضعت لشرعه ، ولهذا كان أسلوب القرآن الكريم : " في التعبير عن الحكم ، أنه — في الغالب — يقرنه بعلة الحكم ، حتى يكون ذلك أدعى إلى الامتثال والإذعان " (١)

#### خامسا : ميدان الاجتماع البشري :

ويقصد الباحث بالاجتماع البشري ، أحوال الأمم في أي عصر ومصر ، إذ ما من عصر ولا مصر في تاريخ البشرية الطويل إلا كان فيه اجتماع للبشر على أرض واحدة ، تحكمهم فيها ديانات ، وعادات ، وأعراف ، وتقاليد ، وأمور ، وأحوال ، في جوانب حياتهم المختلفة ، والقرآن الكريم كثيرا ما يؤكد — عند ذكر الأمم السابقة — على موقفهم من أنبياء الله تعالى ، الذين أرسلهم الله تعالى لهداية البشرية إلى الخير ، وما نتج عن هذه المواقف في غالب الأمر من العذاب والتدمير بصوره المختلفة ، فمنهم من أرسل الله عليه حاصبا ، ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسف الله به وبداره الأرض ، ومنهم من أغرقه الله ، إلى غير ذلك ، قال تعالى : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا

بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٣﴾

(٢) وكان هذا كله بقصد قياس الحال على الحال ، لتحقيق العبرة والعظة سلبا وإيجابا ، ويكون ذلك بإعمال العقل في مصير الأمم السابقة ، لأن سنن الله تعالى في عباده لا تتغير ولا تتبدل ، كما قال سبحانه : ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ

اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ (٣) قال القرطبي — رحمه الله — في تفسير هذه الآية : " أي أجرى الله العذاب على الكفار ، ويجعل ذلك سنة فيهم ، فهو

(١) شعبان إسحاقيل ، أصول الفقه الميسر ، ج ١ ص ١٤٩

(٢) - [سورة العنكبوت: الآية ٤٠]

(٣) - [سورة فاطر: الآية ٤٣]

يعذب بمثله من استحقه ، لا يقدر أحد على أن يدلل ذلك ، ولا أن يحول العذاب عن نفسه إلى غيره

" (١)

والتأمل للآيات القرآنية التي ورد فيها الحث على السير في الأرض ، والاطلاع على أحوال الماضين ، يجد أنها غالبا ما تأتي بصيغة الفعل الماضي ( نظر ) ومشتقاته ، والمراد بالنظر هنا هو النظر العقلي ، الذي يعمل من خلاله العقل في الربط بين الأسباب والنتائج ، بحثا عن العبرة والعظة ، لإقامة الحياة على المنهج الذي يريده الله سبحانه ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ

قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ (٢) قال الطبري — رحمه الله — في تفسيره في معنى الآية : " قد خلت من

قبلكم سنن مضت وسلفت مني فيمن كان قبلكم يا معشر أصحاب محمد وأهل الإيمان به من نحو قوم عاد وثمود وقوم هود وقوم لوط وغيرهم من سلاف الأمم قبلكم ، سنن يعني : مثلات سير بها فيهم وفيمن كذبوا به من أنبيائهم الذين أرسلوا إليهم ، يأمهالي أهل التكذيب هم ، واستدراجي إياهم ، حتى بلغ الكتاب فيهم أجله الذي أجلته لإدالة أنبيائهم وأهل الإيمان بهم عليهم ، ثم أحللت بهم عقوبي ، وأنزلت بساحتهم نعمتي ، فتركتم لمن بعدهم أمثالا وعيرا " (٣)

وفوق أن القرآن الكريم يدعو إلى أخذ العبرة والعظة من أحوال الماضين ، فهو مع ذلك يقود العقل في دربة عملية على التفكير العلمي ليربط بين الأسباب والنتائج ، وهو هدف مهم تسعى التربية الإسلامية عبر مؤسساتها النظامية وغير النظامية إلى تحقيقه في المتعلمين .

**الميادين التي نهى العقل عن التفكير فيها :**

نهى المولى سبحانه العقل البشري عن التفكير في عدد من الميادين ، لعدم قدرته على ذلك ، مما يستنفد وقته وجهده دون أدنى فائدة ، ويمكن حصر الميادين التي نهى المولى سبحانه في كتابه الكريم وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم عن التفكير فيها فيما يلي :

**أولا : ما اختص الله تعالى به من علم الغيب ، وهي على قسمين :**

(١) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٤ ص ٣٦٠

(٢) - [سورة آل عمران: الآية ١٣٧]

(٣) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ج ٤ ص ٩٩



القسم الأول : ما كان من أمور الغيب ، لكن الله تعالى أطلع عليها من ارتضى من رسله ، فإذا علمها الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ونقلوها للناس خرجت عن دائرة الغيب ، وأصبحت في دائرة عالم الشهادة ، قال الله تعالى في محكم التنزيل : ﴿ عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ

عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۖ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۖ ﴾ (١)

القسم الثاني : ما اختص الله تعالى بعلمه ، فلم يظهر على غيبه أحدا ، لا ملكا مقربا ، ولا

نبيا مرسلا ، كما قال سبحانه في محكم التنزيل : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ

﴿ ٦٥ ﴾

ومما أن الباحث قد بين فيما سبق منزلة العقل من الدين كما جاءت في كتاب الله الكريم ، إلا أن الإسلام يعترف للعقل بمحدودية قدراته ، فليس العقل بقادر على أن يدرك كل شيء ، في الوجود ، فضلا عما وراء ذلك من أمور الغيب ، ذلك أن العقل كأبي جارحة من جوارح الإنسان ، مثله كمثل العين ، أو الأذن ، ومن المعلوم أن الإنسان ليس بقادر على أن يرى بعينه كل شيء في الوجود ، وليس بقادر على أن يسمع بأذنه كل شيء مما هو موجود ، فكيف بما وراء ذلك مما يقع في دائرة الغيب ، الذي لا يعلمه إلا الله تعالى .

ولهذا كان من رحمة الله — تعالى — بهذا الإنسان أن حدد له الميادين التي يعمل فيها ، وأمره بأن يستخدم عقله فيما يمكن له أن يعمل فيه ، وحرّم عليه أن يخوض فيما لا طائل له من وراءه ، بل لا يقدر عليه أصلا ، لأن الذي يعجز عن إدراك أشياء كثيرة في عالمه المحسوس ، عاجز — من باب أولى — أن يدرك ما يقع خارج دائرة الحس من أمور الغيب ، وقد شهد بعجز الإنسان وقصوره ، ، وجهله بحقيقة نفسه ، وقلة علمه وإدراكه ، المتصفون من البشر ، حتى الكفار منهم ، بله من نور الله قلبه من المسلمين ، حتى أن العالم الفرنسي إلكسيس كاريل يؤلف كتابا عن الإنسان

(١) - [سورة الجن: الآيات ٢٦-٢٧]

(٢) - [سورة النمل: الآية ٦٥]

يسميه ( الإنسان ذلك المجهول ) يقول في بعض فقراته : " فإننا استطعنا أن نفهم جوانب معينة فقط من أنفسنا ، إننا لا نفهم الإنسان ككل ، إننا نعرفه على أنه مكون من أجزاء مختلفة ، وحتى هذه الأجزاء ابتدعتها وسائلنا (١) ، فكل واحد منا مكون من موكب من الأشباح ، تسير في وسطها حقيقة مجهولة ، وواقع الأمر أن جهلنا مطبق ، فأغلب الأسئلة التي يلقيها على أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشري تظل بلا جواب ، لأن هناك مناطق غير محدودة في ديانا الباطنية ما زالت غير معروفة . . . . إننا ما زلنا بعيدين جدا عن معرفة ماهية العلاقات الموجودة بن الهيكل العظمي والعضلات والأعضاء ووجوه النشاط العقلي والروحي " (٢) ولو حصل — جدلا — أن شيئا من هذه العلاقات قد اكتشف مع تقدم العلم والمعرفة المادية الطبية ، فإن العلم ما يزال جاهلا بمناطق شاسعة من هذا العالم العجيب الذي يشكل هذا الإنسان بكل أجهزته ومكوناته .

وإن الغفلة عن معرفة قدرات الإنسان العقلية ومحدوديتها — كجزء من نشاط الإنسان على الأرض — هي التي جرأت أقواما من البشر ، من الكفار الملاحدة ، أو حتى ممن ينتسبون إلى الإسلام ، إلى أن يفتحوا الباب — للإنسان — على مصراعيه ، يقول في أي قضية ما يشاء ، متى يشاء ، كيفما يشاء ، وكأنهم بهذا يؤكدون على أن الإنسان قد وسع كل شيء علما ، وأنه قد أحصى كل شيء عددا ، الأمر الذي دعاهم إلى تأليه عقله ، وجعله المعيار الوحيد الذي تحاكم من خلاله العقائد ، والعبادات ، والقيم ، والأخلاق ، والسلوكيات ، وغيرها ، فما وافق العقل منهما قبل ، وما لا فلا ، حتى خرجت على الأمة تراكيب فكرية ملحدة جعلت شعار طرحها : " لقد آن الأوان أن ترفع الوصاية عن الأرض باسم السماء ، فقلد بلغت البشرية سن الرشد ، وأن لها أن تباشر شؤونها بنفسها

" (٣)

وليس هذا بغريب أن يصدر هذا الرأي عن من يتسبب إلى الإسلام ، إذا أدركنا أن وراء مثل هذا الانحراف الخطير عقل أوروبي يوناني كافر ، كان من طرقة في تضليل المسلمين : " إخضاع الدين والأخلاق والقيم لحكم العقل ، باعتبار أنه شب عن الطوق ، فلم يعد يحتاج إلى الله ، وتقديم إنتاج المادية الأوروبية شاهدا على قدرات العقل البشري غير المحدودة ، والالتزام بالمنهج المادي الصرف ،

(١) أي كسفتها وسائلهم لا أمّا أوجدتها من العدم فإن هذا في غير مقدور البشر مهما أوتوا من علم وقوة ، وإنما هو من خصائص الله وحده .

(٢) إلكسيس كاريل ، الإنسان ذلك المجهول ، ص ١٧-١٨

(٣) جمال سلطان ، ثقافة الضرار ، ص ٥٥ بتصرف .

الذي لا يؤمن بالغيب ، ولا بالرسول ، ولا بالوحي ، ويقف بالبشرية عند حد الإيمان بالمحسوس "

(١)

وعليه فإن من أمور الغيب التي هي العقل عن التفكير فيها ما يلي :

أ - الذات الإلهية : لأن الله سبحانه أعظم من أن تحيط به عقول البشر ومفاهيمهم ، ولهذا روى البيهقي - رحمه الله - في الشعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (( تفكروا في آلاء

الله ولا تفكروا في الله )) وفي رواية : (( تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله )) (٢) قال

السخاوي - رحمه الله - عن هذه الأحاديث برواياتها : "أسانيدها ضعيفة لكن اجتماعها يكسب

قوة ، والمعنى صحيح " (٣) وقد حسن الألباني - رحمه الله - في صحيح الجامع الصغير وزيادته

هاتين الروايتين (٤) وقال في السلسلة الصحيحة : " وبالجملة فالحديث بمجموع طرقه حسن عندي "

(٥)

ب - مفاتيح الغيب : قال الله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا

يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۗ ﴾ (٦) والمراد بمفاتيح الغيب في الآية الكريمة هي : قيام الساعة ، ونزول

الغيث ، وما في بطون الحوامل ، وما تكسبه النفوس في مستقبل أمرها ، ومكان وفاتها ، فإن هذه

كلها من الأمور التي اختص الله تعالى بعلمها ، وقد جاءت كلها في قول الله تعالى : ﴿ لَنْ يَلْبَسَ

عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي

(١) عابد السفياني ، الثبات والشمول في الشريعة ، ص ١٥

(٢) البيهقي ، شعب الإيمان ، ج ١ ص ١٣٦

(٣) السخاوي ، المقاصد الحسنة ، ص ١٥٩

(٤) الألباني ، صحيح الجامع الصغير وزيادته ، ج ١ ص ٥٧٢ ، حديث رقم (٢٩٧٥) و (٢٩٧٦) .

(٥) الألباني ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ج ٤ ص ٣٩٧ حديث رقم (١٧٨٨) .

(٦) - [سورة الأنعام: الآية ٥٩]

نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ عَدًّا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ (١) يقول ابن كثير — رحمه الله — في تفسيره : " وقد وردت السنة بتسمية

هذه الخمس مفاتيح الغيب " (٢) ويقصد ابن كثير — رحمه الله — بالسنة في هذا الموضع من كلامه

ما رواه البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : (( مفاتيح الغيب خمس ، ثم قرأ : إن الله عنده علم الساعة )) (٣) وحول

هذه الآية الكريمة التي تدل على اختصاص رب العالمين سبحانه بأمر الغيب ، يقول الشنقيطي —

رحمه الله — في تفسيره : " وهذه الآية الكريمة تدل على أن الغيب لا يعلمه إلا الله ، وهو كذلك لأن

الخلق لا يعلمون إلا ما علمهم خالقهم جل وعلا " (٤) ولقد أبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في

الجواب حينما سأله رجلان من الأعراب عن قيام الساعة فقال لأحدهما كما روى ذلك البخاري في

صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (( إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال كيف

إضاعتها ؟ قال : إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة )) (٥) فلم يجبه صلى الله عليه وسلم

عن موعد حدوثها ، لكون ذلك مما استأثر الله بعلمه ، بل وجهه إلى خطر مسلكي في الحياة ،

بصورة التهديد الذي ينذر بقرب قيام الساعة ، ألا وهو ضياع الأمانة ، حين يتولى أمور المسلمين —

في العام منها والخاص — من ليس أهلاً لذلك ، وقال صلى الله عليه وسلم للآخر كما روى ذلك

الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس رضي الله عنه (( وماذا أعددت لها )) (٦) فوجهه رسول الله

صلى الله عليه وسلم إلى ما ينفعه من الاستعداد المبكر لمثل هذا الحدث المهول ، ولم يخض معه فيما

لا تتحقق له من ورائه فائدة ، ولا يمكن أن يدركه عقله البشري المجرّد .

(١) - [سورة لقمان: الآية ٣٤]

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ص ٥٦٠

(٣) البخاري ، صحيح البخاري ، ص ٩٣٢ حديث رقم (٤٧٧٨)

(٤) الشنقيطي ، أضواء البيان ، ج ٢ ص ١٧٤

(٥) البخاري ، صحيح البخاري ، ص ٣٦ حديث رقم (٥٩)

(٦) البخاري ، صحيح البخاري ، ص ٧٠٤ حديث رقم (٣٦٨٨)

ج - الروح : وهي مما اختص الله تعالى بعلمه ، فلا يعرف حقيقتها إلا الله تعالى ، ولم يطلع

عليها أحدا من خلقه ، وقد حسم القرآن الكريم الحديث عنها بقول الله تعالى : ﴿

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ

الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ (١) قال القرطبي - رحمه الله - في تفسيره : " يقول تعالى

ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويسألك الكفار بالله من أهل الكتاب عن الروح ما هي ؟ قل

لهم : الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم أنتم وجميع الناس من العلم إلا قليلا " (٢) وإن كان بعض

المفسرين قد ذكر أن المراد بالروح هو : جبريل عليه السلام ، إلا أن سياق الآية لا يدل على ذلك ،

وهو ما أكده الجمل - رحمه الله - في تفسيره حيث يقول عن هذا المخلوق : " أي أنه مما استأثر الله

بعلمه وهو الأصح " (٣) فليس لأحد أن يعرفها ، أو يحاول توضيح حقيقتها ، ما دام أن الخالق

سبحانه قد بين أنها من أمره الذي لم يطلع عليه أحدا من خلقه ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل .

لقد سأل اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة الروح ، فكان الجواب في

كتاب الله تعالى حاسما ، عبر منهجية نافعة ، تراعي حاجات الإنسان وقدراته ، ولهذا كان : " المنهج

الذي سار عليه القرآن - وهو المنهج الأقوم - أن يجيب الناس عما هم في حاجة إليه ، وما يستطيع

إدراكهم البشري بلوغه ومعرفته ، فلا يبدد الطاقة العقلية التي وهبها الله لهم فيما لا ينتج ولا يثمر ،

وفي غير مجالها الذي تملك وسائله وتحيط به . . . . . وليس في هذا حجر على العقل البشري أن يعمل ،

ولكن فيه توجيه لهذا العقل البشري أن يعمل في حدوده وفي مجاله الذي يدركه ن فلا جدوى من

الخطب في التيه " (٤)

(١) - [سورة الإسراء: الآية ٨٥]

(٢) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ج ١٥ ص ١٥٥

(٣) الجمل ، الفتوحات الإلهية ، ج ٢ ص ٦٤٥

(٤) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٤ ص ٢٢٤٩

ثانيا : عند ورود النص من القرآن والسنة : والنهي عن هذا واضح في كتاب الله تعالى ،

قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ

وَرَسُولِهِ <sup>ط</sup> وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ (١)

غير أن ثمة طوائف تنتسب إلى الإسلام خالفت صريح هذه الآية في القرآن الكريم ، فقدمت بين يدي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عقلا بشريا قاصرا ، وفهما آدميا ناقصا ، فسارت في ركاب الانحراف ، لكونها قدست العقل ، وجعلته حاكما على الوحي ، المتمثل في نصوص الكتاب والسنة الصحيحة ، فصار العقل — عندهم — أصلا ، والوحي تبعا ، فما وافق العقل من الوحي قبل ، وما لا فلا .

وليس أدل على فساد هذا الاعتقاد مما حدث في غزوة أحد ، فقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم عبدالله بن جبير ونفرا من أصحابه على ( جبل الرماة ) وقبل بداية المعركة أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يروحوا الجبل ، فهذه مهمتهم في خطة الحرب ، وهذا دورهم الوحيد في المعركة ، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم لقائدهم عبدالله بن جبير : " انضح الخيل عنا بالنبل ،

لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا فائتت مكانك ، لا تؤتينا من قبلك " (٢) وقد روى

البخاري في صحيحه من حديث البراء رضي الله عنه قال : (( أجلس النبي صلى الله عليه وسلم جيشا من الرماة وأمر عليهم عبدالله وقال : لا تبرحوا ، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم

ظهروا علينا فلا تعينونا )) (٣) زاد ابن حجر — رحمه الله — (( لا تبرحوا وإن رأيتمونا تحطفنا

الطير )) (٤) وهذا نصوص من النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المسألة ، وحين درات رحى المعركة

، وحمي وطيسها ، كتب الله النصر للمسلمين في بداية المعركة ، وفر الكفار في كل اتجاه ، وتعقبتهم جيوش المسلمين حتى لم يبق في ساحة المعركة إلا الشهداء من الصحابة ، والموتى من الكفار ، وعندها قام المسلمون يجمعون الغنائم ، فإذا ببعض الصحابة الموكلون بالحراسة على جبل الرماة ،

(١) - [سورة الحجرات: الآية ١]

(٢) ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، ج ٢ ص ٦٥-٦٦

(٣) البخاري ، صحيح البخاري ، ص ٧٦٨ — ٧٦٩ حديث رقم (٤٠٤٣)

(٤) ابن حجر ، فتح الباري ، ج ٧ ص ٣٥٠

يقدمون العقل على النقل — باجتهاد منهم رضي الله عنهم أجمعين — وذلك حين رأوا فرار الكفار ، وكثرة الغنائم ، وفي هذا الموطن دار الحوار بين العقل والنقل ، فالنقل يقول : لا ترحوا الجبل ولو تحطفتنا الطير ، والعقل يقول : لقد انتهت المعركة ، وفر الكفار ، ولم يبق إلا الغنائم ، وما البقاء على الجبل إلا ضرب من الحمق ، ونوع من الجمود في الفهم ، فما الذي حصل ؟ قدم العقل على النقل ، ونزل بعض الصحابة من الجبل لجمع الغنائم ، وبقي عبدالله بن جبير ومن معه ، متمسكين بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم في النص الصحيح ، فإذا بخالد بن الوليد يأتي بكتيبتة من خلف الجبل فيقتل عبدالله بن جبير ومن معه ، ويقتحم الساحة على الصحابة وهم يجمعون الغنائم ، فتدور الدائرة على المسلمين ، ويتنادى الكفار للرجوع إلى المعركة ، ويصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إصابات بالغة في وجهه حتى سالت الدماء ، وقد روى الإمام مسلم — رحمه الله — في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت ربايعيته يوم أحد ، وشج رأسه ، فجعل يسلك الدم عنه

ويقول : (( كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا ربايعيته وهو يدعوهم إلى الله )) (١) ويقتل من

الصحابة سبعون ، ويهزم المسلمون ، والسبب — بعد قدر الله تعالى — يعود إلى تقدم العقل على النقل ، وهو ما بينه الله تعالى في كتابه الكريم حين قال : ﴿ أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً ۗ

قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ

اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ﴿١٦٥﴾ (٢) قال القرطبي — رحمه الله — في أحد تفسيرات

قوله تعالى : قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ : " يعني مخالفة الرماة " (٣) .

ولهذا قال ابن القيم — رحمه الله — إذا تعارض النقل وهذه العقول أخذ بالنقل الصحيح ،

ورمي بهذه العقول تحت الأقدام ، وحطت حيث حطها الله وأصحابها " (٤)

(١) مسلم ، صحيح مسلم ، ص ٧٤٥ حديث رقم ( ١٧٩١ )

(٢) - [سورة آل عمران: الآية ١٦٥]

(٣) القرطبي ، الجامع لحكام القرآن ، ج ٤ ص ٢٦٥

(٤) ابن القيم ، الصواعق المرسله ، ص ٨٢ — ٨٣

وعليه فإذا ورد النقل الصحيح لم يكن للعقل أن يتقدم عليه ، لما في ذلك من المخالفة الصريحة لقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ

وَرَسُولِهِ <sup>ط</sup> وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ (١)

ثالثا : عند ذكر القرون الغابرة في حياة البشرية : التي لم تعرف البشرية عن تاريخها شيئا ، فإن علمها مما لا يعمله الله سبحانه ، وهو ما أجاب به نبي الله موسى عليه السلام حين سأله فرعون

عن القرون الأولى كما قال سبحانه : ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

(٢) فقال كما حكى الله تعالى عنه ﴿ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا

يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَىٰ ﴿٥٢﴾ (٣) فمن يستطيع من الناس — مهما بلغ علمه — أن

يخبر عن حياة من سبقنا من الأمم ، مما لم يقص خبرها علينا في كتاب الله تعالى أو فيما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بغريب أن يضل الغرب الكافر في حديثه عن الأمم السابقة ، فيعطي للناس تصورات ليس عليها قبس من نور ، أو إثارة من علم ، بل هي من باب الخرافات والأساطير ، ذلك : " أن علم الماضي السحيق — علم القرون الأولى قبل التأريخ — مما لم يقم عندها دليل صحيح عليه ، لا من أثر يشهد ، ولا من خبر يروى ، هو من هذا الوادي الذي نكل العلم فيه إلى الله ، ولا نقفو ما ليس لنا به علم ، ولا نقحم أنفسنا فيما لا تسعفنا وسائلنا وآلياتنا المختلفة في

كشف اللثام عنه " (٤) وإذا تجرأ الباحثون على اقتحام هذه العصور بتصور ليس عليه إثارة من علم

فإن آثار هذه التصورات الخاطئة تنعكس على جوانب التربية المختلفة في وصف منطلقاتها الأولى فيجعل الشرك أصلا والتوحيد طارئا عليه ، وتصبح التربية من خلال هذا التصور الخاطيء هي فن تعديل السلوك ، بمعنى أن الإنسان ولد بسلوك منحرف ، وأن مهمة التربية هي تعديل هذا السلوك وتقويمه ، أو أن الإنسان ولد صفحة بيضاء نقية ، فإن معنى ذلك أن الإنسان يولد صفحة بيضاء ليس فيها خير ولا شر ، وهو ما قاله ( جون لوك ) و (جان جاك روسو) وهو طرح غير مقبول في التربية

(١) - [سورة الحجرات: الآية ١]

(٢) - [سورة طه: الآية ٥١]

(٣) - [سورة طه: الآية ٥٢]

(٤) (القرضاوي ، العقل والعلم في القرآن الكريم ، ص ١٨٤)



الإسلامية ، التي تستقي حقائقها التربوية من كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، التي تؤكد على أن الإنسان يولد على الفطرة التي فطره الله عليها وهي التوحيد ، إلى غير ذلك من الغنوكاسات التربوية الخطيرة التي تورثها التصورات الخاطفة عن تاريخ البشرية الغابر .

أما الاستدلال على أحوال من سبقنا عن طريق المعالم التي ورثوها ، والآثار التي تركوها ، فهو من باب السير في الأرض ، والنظر — المتمر — في أحوال من قد سبق ، وهو ما يؤكد ربنا سبحانه في مواضع كثيرة من كتابه الكريم ، وهي بمثابة القرائن ، غير أنها لا تعطي حقائق مطلقة عن تلك العصور الخالية .

**رابعاً : ما أسماء الفقهاء بـ ( العبادات التوقفية ) : أو القضايا التي يكون الحكم فيها ( تعبدية ) محض لا مجال للعقل في مناقشته ، أو معرفة الحكمة منه ، وهو ما يؤكد صدق العبودية لله تعالى ، وصدق الخضوع له ، إذ لو كانت كل قضية يعرف العبد حكمتها ، لما كان هناك مجالاً لصدق العبودية ، وكمال الحب والذل والانقياد .**

وفيما عدا هذه الميادين فإن العقل مطالب — على سبيل التعبد لله رب العالمين — أن يعمل على أوسع نطاق ، ليكون هناك توازن مثالي في تفكير المسلم بين العمل المثمر وبين الطاقة المعطاة ، فلا يقعد به الجمود والكسل ، ولا تبدد طاقاته في غير ما فائده ، وهذه صورة رائعة للإسلام في استثمار الحياة الدنيا في كل ما هو نافع مفيد ، خاصة مع قصر عمر الدنيا ، وسرعة زوالها .

### **البعد الخامس : ضوابط التفكير العلمي في القرآن الكريم \***

من خلال التأمل في كتاب الله تعالى يلاحظ عناية القرآن الكريم بالتفكير المنضبط في جانبه الأخلاقي والعلمي ، ذلك أن الانضباط الخلقى في مسألة التفكير لا يكفي ، فلا يقبل من مسلم أن يكون أميناً في نقله للمعلومة من غير أن يستكمل أجزاءها ، كما أن الانضباط العلمي في مسألة التفكير لا يكفي ، فلا يقبل من مسلم أبداً أن يعرض قضية علمية — ولو استكمل كل أجزاءها — ما دامت تخدش الحياء ، أو تتعارض مع الفضيلة ، أو تفتح باب شر ، أو تعبت بكرامة إنسان ، أو ما إلى ذلك .

إنه لا بد من الضابطين الخلقى والعلمي ، وعليه فقد قسم الباحث ضوابط التفكير من خلال ما جاء في القرآن الكريم إلى قسمين ، الضوابط الخلقية والضوابط العلمية ، وتفصيل ذلك كما يلي :

الضوابط الخلقية ، ومنها :

الموضوعية :

يقصد الباحث بالموضوعية هنا : تخلي الإنسان عن عواطفه وانفعالاته وموروثاته التي لا يقوم عليها دليل نقلي أو عقلي تجاه مسألة من المسائل يحتاج فيها إلى أخذ قرار ، أو إصدار حكم ، شريطة أن تكون القضية موضع الطرح مما تختلف فيها الأفهام ويقبل فيها النقاش ، وهي على هذا : " معيار أساسي من معايير البحث يقوم على الصدق والعلم والأمانة ، والبعد عن الأهواء الشخصية " (١)

فالإنسان عندما يكون بصدد التعامل مع فكرة أو معلومة أو شخص أو قضية أو موقف أو جماعة أو شعب أو ما إلى ذلك ، فإن الموضوعية هنا يجب أن تكون سمتة في مواطن المودة والشنآن ، على أن الموضوعية في مثل هذه المواطن مطلب عزيز جدا ، يصعب تحققه في هذين الوطنين ، وإن لم يكن مستحيلا ، ذلك أن الكثير من الناس — عند محبته لفكرة أو شخص أو مجتمع — يعمد إلى إخفاء العيوب وإظهار المزايا ، أو يكون العكس في مواطن الشنآن ، فيبرز العيوب ، ويتناسى الحسنات ، لكون ذلك مرتبط بقصور الإنسان وضعفه وتعصبه وحرصه على كسب المواقف ، وقد جاء هذا واضحا في قول الجاهلي الأول :

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد (٢)

فها هي العواطف القبلية تطغى على هذا الشاعر الجاهلي ، فيجعلها معيار غوايته ورشده ، فالحق عنده ما قالته قبيلته وإن كان باطلا ، والباطل ما قررتة وإن كان حقا ، وهي صورة تتنافى مع الموضوعية التي تجعل المعيار الحقيقي في القبول والرفض هو الصواب بغض النظر عن قوله .

وقد تسرب هذا الداء الجاهلي إلى نفوس بعض المسلمين ، فجعلوا معايير الحكم على الأفكار والأشخاص والمواقف أهواء بشرية مرتبطة في كثير من الأحيان بضعف الإنسان وقصوره ، وتتجلى هذه الصورة واضحة فيما ذكره بعض أهل العلم عن بعض أتباع المذاهب الفقهية الإسلامية الأربعة الذين تعصبوا لأئمتهم بصورة غير مقبولة ، وخاصة عند معارضة الدليل ، فقد قال حنبلتهم (٣) :

أنا حنبلي ما حييت وإن أمت فوصيتي بعدي بأن تتحنبلوا

وقال شافعيهم :

وإني حياتي شافعي وإن أمت فوصيتي بعدي بأن تتشفعوا

(١) عبدالرحمن صالح ، الموضوعية في العلوم التربوية ، ص ٦

(٢) الجوهري ، الصحاح ، ج ٦ ص ٢٤٥٠

(٣) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٨ ص ٥٠٦ — ٥٠٧

وقال مالكيهم :

ومالك المرتضى لا شك أفضلهم إمام دار الهدى والوحي والسنن

وقال حنفيهم :

فلعنة ربنا أعداد رمل على من رد قول أبي حنيفة

عصبية من غير مبرر ، وتفضيل من غير برهان ، ولعائن بغير حق ، وهو ما يورث الضغائن في الصدور ، ويجعل المسلم يصرف وجهه عن الحق المؤيد بالدليل إلى الآراء التي ربما كان الدليل على خلافها .

وليست هذه هي أخلاق صاحب التفكير العلمي المنضبط الذي يقيس الأمور بميزان الشرع المطهر ، الذي بلغ في عدله صورة لا يمكن أن يرقى إليها تشريع أحد من البشر على الإطلاق . وقد علق بعض المحققين على هذه الأقوال فقال : " فانظر ما يقوله تابع الإمام من الأئمة في حق إمامه ! والحق الذي يجب أن يكون عليه المسلم أو يوالي الجميع ، ويشيد بفضلهم ، ولا يعتقد العصمة فيهم ، ولا يتخذ من تقليده لواحد منهم وسيلة للتعصب ، أو الإفراط في الحب الذي ينحرف به عن الصواب " (١)

وبما أن الإسلام قد دعا إلى التجرد والموضوعية ، وأكد على ذلك ، وبين مخاطر ترك هذا الخلق النبيل ، فقد هيا الإنسان ليكون أرضاً خصبة لمثل هذا الخلق ، وأوجد من الوسائل ما يعين على غرسه في أعماق النفس البشرية ، لتثمر نبتة رائعة يفوح عبقها عند التعامل مع الأفكار أو الأشخاص . وقد أثبتت الأحداث أنه لا يمكن أن يتحقق هذا الخلق الإسلامي النبيل في واقع الحياة إلا حين يتلقى الإنسان تربية راقية تزرع في سويداء قلبه الإيمان بالله ومراقبته في السر والعلن .

وقد تجلّى هذا الخلق الإسلامي النبيل في حال المودة في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا

مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ  
وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ

(١) شعيب الأرنؤوط ومحمد العرقسوسي ، حاشية سير أعلام النبلاء ، ج ١٨ ص ٥٠٧

كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيَعْهَدِ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴿١﴾

والتأمل في سورة الروم يلحظ الموضوعية التي جاءت بها أخلاق القرآن الكريم ، ويتبين ذلك في قوله تعالى : ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ

غَافِلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴿٢﴾﴾ فيها هو الكافر يعيش في الأرض وهو أبغض مخلوق إلى الله سبحانه ،

لكونه اتخذ الكفر الذي لا يستقيم مع الفطرة ولا العقل منهجاً له في الحياة ، ومع ذلك يصفه المولى — سبحانه — هو وأمثاله ، بأنهم يعلمون ويغفلون ، فهم عالمون بأمور دنياهم مع دناءتها وقصر أيامها ، وسرعة زوالها ، غافلون عن أمور آخرتهم مع بقائها وخلودها وديمومتها .

إن هذا كله من أجل تربية المسلم على أن يكون متجرداً موضوعياً عندما يتناول أي فكرة يناقشها ويحللها ، دون أن يتدخل في تشويبهها بانفعالاته وشهواته ولو خالفت هواه ، وحالت دون مبتغاه ، وقد ذكر بعض أهل العلم أن يهودياً قال لإبراهيم بن أدهم : " يا إبراهيم هل لحيثك أظهر أم ذيل كلي؟ فقال العالم الرباني المتجرد الموضوعي تجاه هذا الخلق اليهودي الدنيء بكل أدب وروية وهدوء واتزان : يا هذا إن كتب الله أبي من أهل النار فذيل كلبك أظهر من لحيي ، وإن كتب الله أبي من أهل الجنة فلحيي أظهر من ذيل كلبك ، فأسلم اليهودي " ﴿٣﴾ مع التأكيد — عند تناول هذه القضية على أمر بالغ الأهمية — ألا وهو : أن تكون المعايير عند تقويم الأفكار أو الأشخاص أو المواقف معايير ربانية ، لا مجال فيها للتشنجات ، وردود الأفعال ، ولا مكان فيها للحفظ البشري ، والأهواء الأرضية ، فإذا بان المعيار الشرعي في مسألة من المسائل ، وتمسك بها صاحبها ، وعض عليها بالنواجذ ، فلا يمكن أن يقال عنه : إنه غير متجرد أو موضوعي ، لأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتخلى الإنسان عن معتقده مهما كانت المبررات ، خاصة إذا كانت المعتقدات وما يستلزمها من المبادئ والقيم وسائر التصرفات هي ما رضى الله للبشرية كلها شرعة ومنهاجا ، لأنه إن لم يكن الأمر كذلك وإلا تحولت مبادئ وقيم أصحاب الرسالة العالمية إلى أخذ وعطاء ، وقبول ورد ، تحت مزاعم الموضوعية والتجرد ، وهو أمر يتردد ذكره على ألسنة الغرب الكافر ودعاته تحت مظلة هذه

﴿١﴾ - [سورة الأنعام: الآية ١٥٢]

﴿٢﴾ - [سورة الروم: الآية ٧]

﴿٣﴾

المصطلحات الرنانة ، فقد : " أصبح الكثير منهم يعرف الموضوعية بأنها تجرد الباحث من كل اعتبار قيمي وعقدي " (١)

وأى موضوعية هذه التي يريد دعاة الإلحاد أن يتحلى بها صاحبها على حساب قيمه الربانية الفاضلة ، وعقيدته الإسلامية الصحيحة ، الموافقة للفطرة والعقل والواقع ؟ !!!  
كيف يكون الإنسان موضوعيا وهو يكفر بالحقائق المطلقة المتعلقة بالخالق والمخلوق ، والدينا والآخرة ؟ !!!

وكيف يتجرد الإنسان عن معاييره الإلهية التي بلغت في الكمال منتهاها ، وحقت من الواقعية أقصاها ، عند الحكم على الأشياء سواء كانت مادية أو معنوية ؟ !!!

نعم إن المسلم قيل أن يتحدث عن التجرد والموضوعية لا بد أن ينطلق من قاعدة ﴿ إِنَّ

الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (٢) وأن كل شيء في الوجود خاضع لما سنة الله تعالى وشرعه ، وأن الحياة كلها — بكل مناشطها — يجب أن توجه فيما يحقق العبودية — مفهوما شاملا — لله رب العالمين ، وهو مقتضى الاستخلاف في الأرض ، على مراد الله سبحانه وتعالى ، ما دام هو العلم بما يصلح عباده وما يصلح لهم .

التثبت قبل إصدار الحكم ، أو اتخاذ القرار :

عد بعض المفكرين التثبت من ثوابت الموضوعية ، وذكر أن القرآن الكريم : " قد ركز على هذا الجانب حتى لا يقع المسلم في سلسلة من الأخطاء نتيجة الفهم الخاطيء " (٣) لأن المخاطرة في التخلي عن هذا الخلق الإسلامي النبيل مرتبط بعاقبة وخيمة سماها القرآن الكريم ( الندم ) وما له من تأثيرات سلبية على نشاط الإنسان في جوانب حياته كلها ، النفسية والاجتماعية والتربوية والسلوكية ، وغيرها ، ومن هنا جاء الأمر صريحا بالتثبت في كتاب الله الكريم في قاعدة عامة ، يقول فيها جل جلاله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن

تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (٤) وقد تجلّى هذا الخلق الإسلامي النبيل في حياة أنبياء الله ورسله ، وتجلّى في أحكام شريعة الله الخالدة ، وأصبح

(١) حمدان الصوفي ، الموضوعية في العلوم الطبيعية ، ص ١

(٢) - [سورة آل عمران: الآية ١٩]

(٣) عبدالكريم بكار ، فصول في التفكير الموضوعي ، ص ٥١

(٤) - [سورة الحجرات: الآية ٦]

صفة ملازمة للمؤمنين من عباد الله ، وقد تنوعت الأساليب التي تؤكد على هذا الخلق في القرآن الكريم تارة في معرض الأمر ، كما في قوله تعالى : فتبينوا ، وتارة في معرض النهي ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾

﴿ ١٤ ﴾ (١) وتارة في معرض القصص ، كما في قصة نبي الله سليمان عليه السلام مع الهدهد حين تفقد الطير فلم يجده ، فلم يعمد إلى إنزال العقوبة به قبل أن يتبين أمره ، بل قال — كما حكى الله عنه — : ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَنٍ ﴾

### مُتَبِّينٌ ﴿ ١٥ ﴾ (٢)

كما أن أحكام الشريعة الإسلامية تقوم في كثير من قضاياها على التثبيت ، فهذه أركان الإسلام لا تقوم إلا على التثبيت فالصلاة والصيام والحج ، كلها قائمة على هذا المبدأ العظيم في أوقاتها دخولاً وخروجاً ، وهذه الحدود الشرعية كرجم الزاني المحصن ، لا تقوم حتى يبلغ التثبيت من الأمر متناهياً بشهادة أربعة ، أنهم رأوا الزاني يمارس الفعل صراحة ، كما هو مبسوط في كتب الفقه ، أو يقر أربعاً بما فعل .

والميدان التربوي في حاجة ماسة إلى مثل هذا المبدأ الإسلامي النبيل ، حتى لا يندم المسلم على اتخاذ قرار في غير مكانه ، أو إصدار حكم من غير بينه ، مما يفوت على المسلم من جراء ذلك مصالح دينية ودينية كثيرة .

### الصدق في النقل :

الصدق خلق إسلامي رفيع ، يعكس ما في أعماق النفس المؤمنة من صفاء وحسن نية ، ونقاء طوية ، إذ لا يكون المؤمن إلا صادقاً ، وقد جاءت الآيات والأحاديث التي لا تكاد تحصر في التأكيد على هذا المبدأ العظيم ، تارة بصيغة الأمر كما في قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ﴾

ءَامِنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿ ١٦ ﴾ (٣) قال تعالى في وصف

الصادقين ، وتارة بصيغة المدح كما في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ

(١) - [سورة الحج: الآية ٢٤]

(٢) - [سورة النمل: الآية ٢١]

(٣) - [سورة التوبة: الآية ١١٩]

بِهِ أَوْلِيكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ (١) وتارة بالتحذير من الكذب ولعن صاحبه كما

في قوله تعالى : ألا لعنة الله على الكاذبين ، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .  
حتى في أحلك المواقف ، وأصعب القرارات ، يؤكد الإسلام على هذه الفضيلة ، ما عدا  
المواطن التي يستثنى فيها الكذب ، وليس هذا موطن بسطها ، أو حتى موطن بسط الحديث عن  
الصدق في صورته العامة ، إنما البسط هنا للصدق في النقل ، فإن صاحب التفكير العلمي المنضبط  
حين ينقل عن الآخرين كلاما مسموعا أو مكتوبا فإنه يتحلى بهذه الفضيلة ، وهو ما أكدت عليه  
منهجية البحث العلمي المتميزة عند المسلمين ، التي تقول : " إذا كنت ناقلا فالصحة وإذا كنت مدعيا  
فالدليل " (٢)

إن الصدق في النقل منهج علمي تبنى عليه الأحكام ، وتتخذ من خلاله المواقف ، وهو جزء  
من التثبت الذي سبق الحديث عنه ، ولهذا : " جعل الإسلام توثيق الأخبار مطلبا شرعيا ، ودليلا من  
أدلة العالم الصادق " (٣)

وفي منهجية تحقيق النصوص عند علماء المسلمين ما يبرهن على أن الصدق في النقل كلنت  
سمة لا تكاد تفارق الباحث المسلم عندما يحقق النصوص ، ويتعامل مع الأسفار ، فعلى سبيل المثال  
فيما يتعلق بتحقيق متن الكتاب : " معناه أن يؤدي الكتاب أداء صادقا كما وضعه مؤلفه كما وكيفا  
بقدر الإمكان . . . ليس تحقيق المتن تحسينا أو تصحيحا ، وإنما هو أمانة الأداء التي تقتضيها أمانة  
التاريخ فإن متن الكتاب حكم على المؤلف وحكم على عصره وبيئته ، وهي اعتبارات تاريخية لها  
حرماتها كما أن ذلك الضرب من التصرف عدوانا على حق المؤلف الذي له وحده حق التبديل  
والتغيير ، وإذا كان المحقق موسوما بصفة الجرأة فأجدر به أن يتنحى عن مثل هذا العمل وليدعه لغيره  
من هو موسوم بالإشفاق والحذر ، إن التحقيق نتاج خلقي لا يقوى عليه إلا من وهب خلقتين  
شديتين الأمانة والصبر وهما ما هما " (٤)

إن الصدق في النقل مطلب شرعي ملح لكونه يعبر عن أفكار القائل أو الكاتب ومواقفه  
وأحكامه ودينه وخلقه ، وعليه فإن بعض الباحثين قد يتحسس من نقل معلومات خاطئة ، فيعتمد إلى

(١) - [سورة الزمر: الآية ٣٢]

(٢) حلمي صابر ، منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام ، ص ١٦

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧

(٤) عبدالسلام هارون ، تحقيق النصوص ونشرها ، ص ٤٦ - ٤٨

تصحيحها ، ثم ينقلها دون أن يشير إلى ذلك ، مع إشارته إلى المرجع الذي نقل منه ، وفي هذا تلبس على القاريء ، لكونه يظن أن المرجع الذي نقل منه الباحث مرجع صحيح نافع ليس به أخطاء علمية ، أو فكرية ، أو منهجية ، فيضلل القاريء ، ويقع في تحسين صورة الكتاب ، وربما أسهم في نشر أخطأ ذلك الكتاب وروج لها .

إنما المنهجية العلمية الواعية تقتضي نقل المعلومة الخاطئة كما هي ليعرف الناس مكانة الكتاب وقيمتها العلمية وما فيه من الصواب والخطأ ، والحق والباطل ، مع الإشارة إلى الخطأ وبيان الصواب وفق المنهجية العلمية التي يسير عليها الباحث في التوثيق .

#### الأمانة العلمية :

أكد الإسلام على هذا الخلق الإسلامي النبيل على جهة العموم ، في قاعدة عظيمة القدر ، حليلة النفع ، ألا وهي حفظ حقوق الآخرين ، سواء كانت مادية أو معنوية ، ومن ذلك حفظ حقوق الآخرين العلمية والفكرية ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا

تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (١) فقد نهى القرآن الكريم عن بخس الناس أشياءهم سواء كانت مادية أم معنوية ، والإسلام في منهجيته العلمية في التفكير يعد الفكرة المقتبسة ، أو النص المنقول حق للغير ، لا يجوز لأي أحد الاعتداء عليه أو نسبته إليه ، والباحث يرى أن الخيانة في نقل النصوص أو الأفكار دون نسبة الفضل إلى أهلها ، نوع من الفساد في الأرض الذي ختمت به الآية الكريمة ، لما يورثه ذلك من الظلم والعدوان والشحناء والبغضاء والكذب والتضليل ، ليكون الإنسان — والحال ما ذكر — من الذين قال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها وعن أبيها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (( المتشيع بما لم يعط كلابس ثوبي زور )) (٢)

إن الأمانة العلمية من أكد الأمور في حق المسلم سواء كان عالماً ، أم طالب علم ، أم باحثاً ، في أي ميدان من ميادين المعرفة ، ولا يستقيم حال الباحث المسلم في أي فرع من فروع المعرفة وهو غير أمين في تعامله مع نفسه ومع الآخرين ، ولهذا أكد أهل العلم على الباحث المسلم أن يكون أميناً في تعامله مع النصوص أو الأفكار التي يستفيد منها من الآخرين ، فقالوا : " إذا نقل الإنسان فكرة عن الغير ، أو استفاد علماً من الغير لا بد أن يثبت هذه الفكرة لصاحبها . . . وإذا استشهد الباحث

(١) - [سورة الشعراء: الآية ١٨٣]

(٢) البخاري ، صحيح البخاري ، ص ١٠٣٣ حديث رقم (٥٢١٩) .



بكلام عن الغير توجب عليه أن يوثق هذا النقل ، فيذكر اسم المؤلف أو القائل ، والكتاب الذي نقل عنه ورقم الصفحة والجزء ، ودار الطباعة والنشر ، حتى يتضح المنقول ، ويسهل الرجوع إلى مصدره لأي قارئ" (١) وإلا كان غاشيا لأمانته العلمية ، موصوفا بالسرقه والخيانة ، لأن : " من أمانة العلم أن ينسب القول لمن قاله ، والفكرة لصاحبها ، ولا يستفيد من الغير ثم يسند الفضل إلى نفسه ، فإن هذا لون من السرقة ، وضرب من الغش والتزوير " (٢) .

إن منهج تحقيق النصوص ونشرها قد ضرب في الأمانة العلمية — عند المسلمين — أروع الأمثال ، فقد ذكر بعض المعنيين بتحقيق النصوص مثالا لذلك ، فقال : " ووجدت ابن اسحاق — رحمه الله — في السيرة يلقب أسماء بنت أبي بكر بذات النطاق ، وعهدي وعهد الناس بها أنها ذات النطاقين ، فهمت — ولم أفعل — أن أجعلها : ذات النطاقين ، ولكني لم ألبث أن وجدت ابن هشام يعقب على ذلك بقوله : وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول : ذات النطاقين . . . فلم يبدل ابن هشام ذات النطاق أمانة منه وحفاظا على النص مع شهرة اللقب الثاني " (٣) وليس هذا من باب الرضى بالمغالطات العلمية ، وتشويه الحقائق ، فإن ذلك سببا في محو العلم ، وغياب الحقائق العلمية عن الناس ، ولكن الحل لمثل هذا يكمن في : " أن المحقق إن فطن إلى شيء من ذلك نبه عليه في الحاشية ، أو في آخر الكتاب ، وبين وجه الصواب فيه ، وبذلك يحقق الأمانة ، ويؤدي واجب العلم " (٤) بل إن الباحث العلمي العاقل المنصف حين يقرأ كتابا ويلحظ فيه خطأ ولو كان متأكدا منه ، فإنه يبقى الخطأ كما هو ، ويشير في تعليقه على الخطأ في طرف الكتاب أو حاشيته ، بعبارة تشير إلى أدب طالب العلم ، فيقول : لعل الصواب كذا ، لأنه قد يتبادر إلى الذهن أنه خطأ وهو ليس كذلك ، فإذا هو لم يجزم بالخطأ ، ويفتري على الآخرين وهو المخطيء لا غيره .

#### • عدم استعلاء الرأي الآخر عند الجدل .

من الأخلاق الإسلامية النبيلة التي تميز صاحب التفكير العلمي المنضبط حرصه على هداية الآخرين إلى الصواب ، واتخاذهم من هذا التفكير وسيلة لتصحيح الأفكار ، وبناء الأحكام ، وخاصة في

(١) حلمي صابر ، منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام ، ص ١٤٧

(٢) يوسف الفرضاوي ، الرسول والعلم ، ص ٦٣

(٣) عبدالسلام هارون ، تحقيق النصوص ونشرها ، ص ٤٧

(٤) عبدالسلام هارون ، تحقيق النصوص ونشرها ، ص ٤٨

مواطن النقاشات التي كثيرا ما تحتد فيها الأنفس ، وتتصارع فيها الحجج والبراهين ، كل يريد أن يثبت وجوده ، ويدلل على مصداقيته ، حتى وإن كان بين المتحاورين أو الفريقين أو الطائفتين بعد المشركين ، والمسلم في هذا الموطن حريص على ألا يستثير خصمه بسوء لفظ ، أو سوء فعل ، فهو مشيد بما عند خصمه من الخير ، متلطفا معه في العبارات ، متجنبيا للأمر التي تثير حفيظته ، فلا يجرحه بكلام لا يجبه ، ولا يبرزه بقول لا يرتضيه ، لعلمه أن الشيطان يحضر مثل هذه المواقف ، فيصد الناس عن الخير حين يثور الغضب في نفوسهم ، ولربما أنكر أحدهم الحقيقة في ساحة الجدل عنادا

واستكبارا ، وقد جاء مصداق ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا

مُبينًا ﴿٥٣﴾ (١)

ووصف سبحانه عباده المؤمنين بأنهم مهديون إلى أطيب القول فقال : ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ

مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴾ ﴿٢٤﴾ (٢)

ولعظم هذا المسلك التربوي الإسلامي النبيل أوصى الله الله نبيه موسى وهارون عليهما السلام أن يتطلفا عند دعوة فرعون إلى الله ، مع علمه سبحانه أن فرعون لن يستجيب ، ولكنه المبدأ العظيم في

حسن التعامل مع الناس مهما كان عنادهم ، قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿

أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ

أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾ (٣)

إن الباحث المسلم وهو يجادل الآخرين ، لا يستعديهم على الحق ، لأن الحق مقصودة ، ولعلمه أن كسب القلوب خير من كسب المواقف ، فكم من موقف فرح فيه المجادل بالانتصار كان سببا في

(١) - [سورة الإسراء: الآية ٥٣]

(٢) - [سورة الحج: الآية ٢٤]

(٣) - [سورة طه: الآيتان ٤٣-٤٤]

صد خصمه عن الحق ، وقد كان ذاب الإمام الشافعي — رحمه الله — محبة أن يصيب خصمه الحق عند المناقشة ، فكان يقول : " ما نظرت أحدا فأحببت أن يخطيء " (١)

### عدم هتك أستار الخصوم عند مجادلتهم •

هذا خلق إسلامي قرآني نبيل ، له علاقة بحسن التعامل مع الخصوم ، وهو الترفق بهم ، وعدم كشف مكونات أخبارهم إن كانت القرائن تدل على قربهم من الخير ، ليرك لهم خط للرجعة إلى الحادة ، وفرصة للتوبة ومراجعة النفس ، ولأن ذلك قد يكون سببا في مجاهرهم بما هم عليه من السوء ، وقد جاء التأكيد على هذا الخلق الإسلامي النبيل في قوله تعالى عن المنافقين : ﴿

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ  
لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ  
تُردُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

﴿٢﴾ إن الله سبحانه — وهو العالم بما يصلح الإنسان وما يصلح له — لم يقل لنبية صلى الله عليه وسلم : قل لهم : قد نبأنا الله بكل أخباركم ، لأنه لو قال لهم ذلك ، وأيقنوا أن أخبارهم — في الكيد لدين الله ، والمكر بعباد الله المؤمنين — قد افترضت فلم يعد منه شيء مستتر ، لكشروا عن أنياب الحقد ، وأظهروا العداوة التي كانوا يخفونها من قبل ، ولكن الله سبحانه أمره أن يقول لهم : قد نبأنا الله من أخباركم ، فنحن لا نعرف من أخباركم إلا النزر اليسير ، وهو ما يحملهم على الاستغفار والتوبة ، ومراجعة النفس ومحاسبتها ، أو على أقل تقدير أن يتورأ الإنسان منهم ، خشية من افتراس أمره ، وهذه مصلحة شرعية كبيرة ، فإن المحاولة في اجتذاب الخلق إلى الخير إن لم تتحقق ، فلا أقل من أن يحيد صاحبها فلا يكون عدوا محاربا معلنا عدواته •

ومثله في التعامل حتى مع الأهل والأبناء والقراة وسائر المسلمين ، فقد ذكر الله تعالى عن نبية صلى الله عليه وسلم أنه قال لبعض نسائه : ﴿ وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا

(١) الرازي ، آداب الشافعي ومناقبه ، ص ٣٢٦

(٢) - [سورة التوبة: الآية ٩٤]

نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ (١) فلم

يعرفه بكل شيء ، رغبة في أن تستر نساؤه عما تبقى من السر المكنون ، وهو موقف تربوي نبيل يترك خطأ للرجعة ومحاسبة النفس .

التركيز على الصفات أكثر من التعرض للأسماء :

وهذا خلق إسلامي قرآني نبيل ، يؤكد على ذكر الصفات عند وقوع الانحراف أكثر من التعرض للأسماء ، لأن ذكر الاسم يشهر بصاحبه ، فإذا اشتهر أمره ، لربما جرأه ذلك على المضي في الشر ، بل لربما زاد شره ، وتطاول عناده ، وازداد في غيه وعدوانه ، لكنه حين يؤكد على ذكر الصفة ، فإن الذي تحدته نفسه بفعل شر ما ، فإنه يتوارى خشية من أن ينزل الناس عليه ذلك الوصف ، والمتأمل في القرآن كله ، وخاصة في سورة الفاضحة ( سورة التوبة ) كما وصفها ابن عباس رضي الله عنه (٢) وقد كان الحديث فيها مستفيضا عن المنافقين ومع ذلك لم تذكر واحدا منهم باسمه ، لأن ذكر الأسماء يحصر الفساد في أعداد قليلة من الناس ، ينقطع خيرهم بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقطاع خير الوحي ، ومن يخبر الأمة بالمنافقين بعد انقطاع الوحي ؟ ولكن القرآن الكريم ركز على الصفات ولم يذكر الأسماء ، ركز على الصفات لكونها تفضح أحوال المنافقين في كل عصر ومصر حتى تقوم الساعة ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر تلجئ الكثير منهم إلى أن يتوارى ويحتفي عن الأنظار بشروبه وآثامه ، ولربما كان ذلك سببا في توبة الواحد منهم ومراجعتة لنفسه ما دام أن خبره لم يظهر للناس .

إنه خط رجعة يتركه القرآن الكريم لأهل الشر أن يراجعوا حساباتهم ، ويصححوا مسالكهم ، دون أن يفضح أمرهم بذكر أسمائهم فيزداد شرهم ، ويتطاول عنادهم .

غير أن الكافر الصرف يمكن أن يذكر باسمه ، ما دام كافرا يظهر كفره ، ولهذا جاء القرآن الكريم

بتوبيخ أبي لهب ، وبيان أمره ، كما قال تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ ﴾

(٣) وهي قاعدة مستثناة في ذكر الأسماء ، فإن المنافقين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلنوا كفرهم ، كما أعلنه أبو لهب .

(١) - [سورة التحريم: الآية ٣]

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٨ ص ٦١

(٣) - [سورة المسد: الآية ١]

إن المسألة تعني كسب القلوب قبل كسب المواقف ، وما كسب المواقف إلا ثمرة من ثمرات كسب القلوب ، وصاحب التفكير العلمي يحرص على ألا يبعد خصمه عن نقطه اللقاء ، أو يوسع بينهما فجوة الحوار ، أو يزيد من تعصب خصمه وعناده حتى وإن استبان له الحق ، وفي نفس الوقت يحمل صاحبه على أن يحذر من الانحراف حين يؤكد على الحديث عن الصفة ، ليكون الخصم بين ترك الفعل من جهة ، وبين عدم التشهير به من جهة أخرى ، وهذا ما يحمله على أن يؤوب ويراجع حساباته ، أو يتوارى بشره وانحرافه ، وهذا مقصد شرعي نبيل يحمل عليه حس التفكير العلمي الواعي الذي يعرف صاحبه كيف يتعامل مع النفوس على اختلاف مشاربها من خلال توجيهات القرآن الكريم .

ثانيا : الضوابط العلمية ، ومنها :

### عدم قبول أي فكرة إلا بدليلها :

يؤكد القرآن الكريم في منهجيته العلمية على أهمية التثبت من صدق المعلومة التي تبني عليها المواقف ، وصدق المعلومة لا يمكن التحقق منه إلا بالدليل ، والدليل إما أن يكون نقليا أو عقليا ، والمراد بالدليل النقلي ما جاء في كتاب الله أو في سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، والدليل العقلي ما كان من المسلمات العقلية التي لا مجال لإنكارها ، مثل أن الواحد مع الواحد يكونان اثنين وهكذا ، خاصة إذا كانت هذه المسلمات هي مما يمكن للعقل أن يدركه ، أما ما كان خارج قدرات العقل البشري فلا مجال لإعمال العقل فيه بحكم قصوره عن ذلك وعدم قدرته .

وقد جاءت المطالبة بالدليل على صدق ما يدلي به الإنسان ، خاصة في المواطن التي يحتاج فيها إلى الدليل ، وذلك في مواطن كثيرة من كتاب الله تعالى منها :

أ - العلم ، أو آثاره : كما في قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ

شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ

كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ

مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا

تَخْرُصُونَ ﴿٤٨﴾ (١) وعلى هذا ختمت الآية الكريمة ببيان أن هؤلاء في شركهم لا

(١) - [سورة الأنعام: الآية ١٤٨]

يملكون دليلا نقليا ولا عقليا على دعواهم ، إنما هي الظنون والتخرصات ، كما قال سبحانه  
 : **إِنَّ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ** . قال الطبري - رحمه  
 الله - في تفسيره حول دعواهم هذه القائمة على الظنون والتخرصات أي : " إلا تقولون  
 الباطل على الله ظنا بغير يقين علم ولا برهان واضح " (١) وقوله تعالى : ما لهم به من علم

وكما في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي  
 مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَتُنُونِي  
 بِكِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ**

﴿ ٤ ﴾ (٢) قال الطبري - رحمه الله - في معنى الأثارة : " بقية من علم يوصل بها إلى علم  
 صحة ما تقولون من ذلك إن كنتم صادقين في دعواكم لها ما تدعون فإن الدعوى إذا لم  
 يكن معها حجة لم تغن عن المدعي شيئا " (٣) وقال ابن كثير - رحمه الله في تفسيره ، في  
 معنى الأثارة : " أي دليل بين على هذا المسلك الذي سلكنموه . . . فلا دليل لكم نقليا ولا  
 عقليا على ذلك " (٤)

ب - الكتاب : كما في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ  
 اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ  
 أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ  
 صَادِقِينَ** ﴾ (٥) قال القرطبي - رحمه الله - في تفسيره ، بعد أن ذكر جملة

(١) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ج ٨ ص ٧٩

(٢) - [سورة الأحقاف: الآية ٤]

(٣) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ج ٢٦ ص ٤

(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ص ١٨٢

(٥) - [سورة الأحقاف: الآية ٤]

من الأقوال في معنى الكتاب والأثارة : " فيه بيان مسالك الأدلة بأسرها ، فأولها المعقول ، وهو قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١) وهو احتجاج بدليل العقل في أن الجماد لا يصح أن يدعى من دون الله فإنه لا يضر ولا ينفع ، ثم قال : أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ هَذَا فِيهِ أَدْلَةُ السَّمْعِ ، أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ (٢)

لقد تردد طلب الدليل على صدق دعواهم — إن كانوا صادقين — بين طلب الكتاب ، وطلب الأثارة من العلم ، وذلك في آية واحدة ، مما يدل على أن المراد بالكتاب : الدليل النقلية ، والأثارة من العلم : الدليل العقلي : " فإذا كان قولهم مبناه على النقل والخير فأين الكتاب ؟ وإذا كان قولهم مبناه على العقل فإين البرهان ؟ فهو عز وجل قد طالبهم بتقديم البرهان النقلية أو البرهان العقلي . . . وما دامت دعواهم خالية من نقل صريح وعقل صحيح ، إذن فهي دعوى ساقطة ، ليس لها سند ولا دليل " (٣)

ج — البرهان ، كما في قوله تعالى : ﴿ أَمْ نَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعْلَاهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٤) قال ابن كثير — رحمه الله — في

(١) - [سورة الأحقاف: الآية ٤]

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٦ ص ١٨٢-١٨٣

(٣) حلمي صابر ، منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام ، ص ١٢٩-١٣٠

(٤) - [سورة النمل: الآية ٦٤]

تفسيره أي: " صحة ما تدعونه من عبادة آلهة أخرى ( إن كنتم صادقين ) في ذلك ، وقد علم أنه لا حجة لهم ولا برهان " (١)

د - السلطان ، فقد ذكر المولى - سبحانه - أن أصحاب الكهف أنكروا على قومهم شركهم بالله تعالى شركا لا يقوم على دليل عقلي ولا نقلي ، كما حكى الله عنهم ذلك بقوله : ﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطٰنٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا

﴿ ١٥ ﴾ قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره : " أي هلا أقاموا على صحة ما ذهبوا إليه

دليلا واضحا صحيحا " (٢) وقد جعل بعض المفكرين مدار سورة الكهف على ثلاثة محاور هي : محور تصحيح العقيدة ، ومحور تصحيح منهج النظر والفكر ، ومحور تصحيح القيم. يميزان العقيدة ، وقال عن محور تصحيح منهج النظر والفكر : " أما تصحيح منهج الفكر والنظر فيتجلى في استنكار دعاوى المشركين الذي يقولون ما ليس لهم به علم ، والذين لا يأتون على ما يقولون ببرهان " (٣) ولهذا وصف الله ادعاءهم في ختام الآية بالكذب

والافتراء ، وهو من أظلم الظلم في مثل هذا الوطن ، فقال سبحانه : فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ

افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا .

هـ الحجة ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرٰهِيْمَ

عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجٰتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿ ٨٣ ﴾

﴿ ٥ ﴾ قال القرطبي - رحمه الله - في تفسيره : " إشارة إلى جميع احتجاجاته حتى خاصهم

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ص ٤٦١

(٢) - [سورة الكهف: الآية ١٥]

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ص ٩٧

(٤) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٤ ص ٢٢٥٧

(٥) - [سورة الأنعام: الآية ٨٣]



وغلِبهم بالحجة " (١) وقد كانت حججه عليه السلام على قومه مترددة بين الحجج العقلية والنقلية حتى خصمهم وغلِبهم ، فما كان منهم إلا أن عمدوا إلى أساليب المهزومين المتمثلة بالإيذاء اللفظي والجسدي .

و - الآية : كما قال تعالى : ﴿ سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَّ ءَاتَيْنَاهُمْ مِّنْ ءَايَةٍ بَيْنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٢)

قال ابن كثير - رحمه الله - في معنى الآية البينة : " أي حجة قاطعة على صدقه فيما جاءهم به " (٣)

ز - البينة : ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٤)

قال ابن كثير - رحمه الله - في بيان معنى البينات بأنها : " البراهين والحجج القاطعة على نبوتك ورسالتك من الله إليهم " (٥)

ح - البصيرة : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَآئِرٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ (٦)

(١) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٧ ص ٣٠

(٢) - [سورة البقرة: الآية ٢١١]

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ص ٣١٠

(٤) - [سورة المائدة: الآية ١١٠]

(٥) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ص ١٥٠

(٦) - [سورة الأنعام: الآية ١٠٤]

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير معنى البصائر: "هي البينات والحجج التي اشتمل عليها القرآن الكريم وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم" (١)  
إن المطالبة بالدليل هي المحك الحقيقي التي يحكم به على صدق الدعاوى من كذبها ، ولولا الدليل لقال من شاء ما شاء ، ولهذا قال الأول :

والدعاوى ما لم يقيسوا عليها ————— بينات أصحابها أدياء (٢)

وعليه فقد كان أهل التفكير العلمي المنضبط من المسلمين يؤكدون بالقاعدة البحثية الرائعة على أهمية النقل الصحيح وإقامة الدليل على الدعاوى بقولهم: "إذا كنت ناقلاً فالصحة ، وإذا كنت مدعياً فالدليل" (٣) وهو ما يضبط مسيرة العلم والمعرفة ، ويوصل بإذن الله إلى نتائج صحيحة ، وخاصة في المواطن التي تحتاج إلى إيراد الدليل سواء كان نقلياً أم عقلياً .  
**عدم خوض الإنسان في قضية لا يحسنها :**

وهذا ضابط علمي قرآني لصاحب التفكير العلمي الذي يعرف ذاته ويعرف قدراته وإمكاناته ، فلا يتحدث في قضية لا يحسن الحديث فيها ، ولا يقتحم مسألة ليس هو بمختص فيها ، ولا حرج عليه أن يمد يده للآخرين في القضية التي يود مناقشتها ليصدر عن أهل التخصص فيما يريد ، فيسلم من العواقب الوخيمة التي تجرّها الجرأة في اقتحام المسائل التي لا يحسن الفرد الحديث فيها ، وقد سمي القرآن الكريم ذلك خوضاً لكونه يوقع في الخطأ ، ويورث الخلل في الحكم ، والتخبط في النتيجة ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ

يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۗ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ

الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ (٤) وليس بعيب على الإنسان إذا لم يحسن الحديث أو الكلام في مسألة أن يقول لا أعلم: "فإن قول الرجل فيما لا يعلم : لا أعلم ، نصف العلم "

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ص ٢٠٦

(٢)

(٣) حلمي صابر ، منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام ، ١٦

(٤) - [سورة الأنعام: الآية ٦٨]

(١) وقد أكد ذلك ابن جماعة — رحمه الله — فيما نقله عن حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : " إذا أخطأ العالم لا أدري أصيبت مقاتله ، وأكد على أنه يجب على العالم أن يورث لأصحابه لا أدري ، وقد امتثلها الشافعي رحمه الله حين سئل عن المتعة أكان فيها طلاق أو ميراث أو نفقة تجب أو شهادة فقال : والله ما ندري (٢) وقد ذكر بعض أهل العلم أن أبا عمر الزاهد كان في مجلس أبي العباس ثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة ، المتوفى سنة ٢٩١هـ وأنه سئل عن شيء فقال لا أدري ، فقال السائل : أتقول لا أدري وإليك تضرب أكباد الإبل ، وإليك الرحلة من كل بلد !؟ فقال له أبو العباس : لو كان لأملك بعدد ما لا أدري بعير لاستغنت (٣)

لقد كانوا ينجشون الله ويتقونه في علومهم ، فإذا لم يقدر الإنسان منهم على الفتوى في مسألة ، فإنه يقول : لا أدري ، وقد ذكر بعض أهل العلم أن هذا ديدن الإمام مالك ، فقد نقل عنه بعضهم فقال : " لو كتبنا عن مالك : لا أدري لمألنا الألواح " (٤) وكان بعضهم إذا سئل عن قضية قال لا أحسنها ، ومن هؤلاء الإمام العلامة القاسم بن محمد — رحمه الله — فقد : " جاءه رجل فسأله عن شيء فقال القاسم : لا أحسنه فجعل الرجل يقول : إني دفعت إليك لا أعرف غيرك ، فقال القاسم : لا تنظر إلى طول لحيتي وكثرة الناس حولي ، والله ما أحسنه ، فقال شيخ من قريش جالس إلى جنبه : يا ابن أخي ! إلزمها فوالله ما رأيتك في مجلس أنبل منك اليوم ، فقال القاسم : والله لأن يقطع لساني أحب إلي من أن أتكلم بما لا علم لي به " (٥)

وقد نظم ابن دريد في هذا بيتا جميلا قال فيه :

ومن كان يهوى أن يرى متصدرا ويكره ( لا أدري ) أصيبت مقاتله (٦)

(١) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، ص ٣١٢

(٢) ابن جماعة ، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ، ص ٧٨—٧٩ بتصرف يسير .

(٣) وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٣٧

(٤) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، ص ٣١١

(٥) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، ص ٣١٠

(٦) أحمد الأميري ، التفكير السديد طريقك إلى النجاح ، ص

وهذا البيت تأوله صاحبه من كلام لابن عباس رضي الله عنهما أنه كما يقول: "إذا أخطا العالم لا أدري أصيبت مقاتله" (١)

إن هذا الضابط العلمي في التفكير يؤكد القرآن الكريم في قاعدة عامة تؤكد على ألا يقف الإنسان ما لا يعلم كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا

﴿٢﴾ قال القرطبي - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: "أي لا تتبع ما لا تعلم ولا يعينك ، وقال قتادة : لا تقل رأيت وأنت لم تر ، وسمعت وأنت لم تسمع ، وعلمت وأنت لم تعلم ، وقاله ابن عباس رضي الله عنهما " (٣) ولو أن الناس التزموا هذا الضابط العلمي لانضبطت أحوالهم في المواطن العلمية وغيرها ، ولكي يصبح هذا الضابط العلمي سمة المسلم في كل شأن من شؤون حياته جاء التهيب من المولى - سبحانه - بسؤال الإنسان في عرصات القيامة عن سمعه وبصره وما حواه فؤاده ، مبتدئاً بالسمع والبصر باعتبارهما منافذ المعرفة إلى القلب ، محتتماً بالفؤاد باعتباره مستودع هذه المعارف كلها .

#### العناية بالمصطلحات وفهم اللغة التخصصية التي يتحدث بها الآخرون :

هذه من أهم مستلزمات منهجية التفكير العلمي التي أكد عليها القرآن الكريم ، فإن العناية بالمصطلحات أمراً بالغ الشأن ما دامت اللغة : "ظاهرة اجتماعية تخضع لكل ما تخضع له الظواهر الاجتماعية ، وهي تمر في كل أطوارها بعين المراحل التي يمر بها الكائن الحي" (٤) ذلك أن اللفظ حين يقال تكتنفه ظروف وملابسات وبيئات وأفكار ومواقف وتخصصات ، وهي التي تحدد المراد منه في غالب الأمر ، فإذا أخذ مجرداً أوقع صاحبه في الخلل والتخبط ، وأرداه في مغبة سوء الفهم ، وأسلمه إلى نتائج لا تتفق مع المنهجية العلمية في التفكير ، التي هي جزء لا يتجزأ من شخصية الباحث العلمي المسلم .

(١) ابن جماعة ، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ، ص ٧٨

(٢) - [سورة الإسراء: الآية ٣٦]

(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٠ ، ص ٢٥٧

(٤) عبدالكريم بكار ، فصول في التفكير الموضوعي ، ص ٢٦٠

وذلك لأن المتحدث قد يقصد بكلامه شيئا لا يعبر عن واقع الحال أو المقال أو كليهما ، وقد جاء هذا الأمر جليا في قول الله تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ

عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ (١) فقد ذكر الواحدي — رحمه الله — : أن الآية نزلت في

أعراب بني أسد بني خزيمه قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في سنة جدبة وأظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين في السر ، وأفسدوا طرق المدينة بالعدرات ، وأغلبوا أسعارها ، وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان ، فأعطنا من الصدقة ، وجعلوا يمينون عليه ، فأنزل الله تعالى

فيهم هذه الآية " (٢) كانوا منافقين أظهروا الإيمان بالله تعالى وأبطنوا الكفر ، فصحح المولى

سبحانه فهمهم للإيمان بتصحيح هذا المصطلح ، فإن الإيمان شيء والإسلام شيء آخر ، وخاصة حين يجتمعان ، بمعنى أن لكل واحد منهما معناه الخاص به ، ونتيجة لعدم علم هؤلاء الأعراب بحقيقة مصطلحي الإسلام والإيمان وقعوا فيما وقعوا فيه من ادعاء الإيمان قبل أن يدخل في قلوبهم ، وقد حرر بعض أهل العلم مسألة شهادة القرآن لهم بالإسلام ونفسي الإيمان عنهم في نفس الوقت ، بأن إسلامهم كان ظاهرا ، وفي هذا يقول الشنقيطي — رحمه الله في تفسيره — : " فانقياد الجوارح في الظاهر بالعمل ، واللسان بالإقرار يكتفى به شرعا ،

وإن كان القلب منظويا على الكفر " (٣)

فهاهم الأعراب يعبرون بمصطلح الإيمان عن حالهم ومقالمهم ، وهو لا يعبر عن ذلك ، إنما الذي يعبر عن ذلك — في الظاهر فقط — هو الإسلام ، لكون كل مصطلح له دلالة التي يعبر عنها .

ثم إن العناية بالمصطلحات جزء من ضابط خلقي علمي يوسم به الباحث المسلم ، ألا وهو التثبت قبل إصدار الأحكام : وفهم اللغة التي يتحدث بها الآخرون ، ذلك أن الناس لهم من

(١) - [سورة الحجرات: الآية ١٤]

(٢) الواحدي ، أسباب الغرور ، ص ٢٢٢-٢٢٣

(٣) الشنقيطي ، أضواء البيان ، ج ٧ ص ٦٣٧

ألفاظهم مرادات حي ينطقون بها : " فالذي في اللسان والنطق إنما هو الألفاظ ، وأما المعاني فهي في الضمائر " (١) وليس من منهجية التفكير العلمي التي جاء بها القرآن الكريم أن يهاجموا أو تصدر عليهم الأحكام قبل التثبت من مصطلحاتهم التي يتفوهون بها ، لكون اللسان والنطق ما هو إلا مغراف لما في ضمير المتحدث .

كما أن المتخصصين في جوانب المعرفة المختلفة لهم مصطلحاتهم الخاصة بهم عندما يتحدثون ، ومعرفة هذه المصطلحات أمر مهم حين الإفادة منهم أو حتى حين مجادلهم لبيان مواطن الصواب أو الخطأ فيما يطرحون وليس بغريب أن : " تلعب المصطلحات دورا أساسيا ومحوريا في أشكال الإبداعات الفكرية كافة ، وما يتصل بها من محاورات ومطارحات ، وكلما اتسعت الرؤية ، وتشعبت منافذ الحديث ، وتعقدت القضايا ، ازداد خطورة المصطلحات ، إذ أنها إذا جاز التعبير سلاح ذو حدين ، حيث يمكن لها أن تجلي الحقائق ، وتحتزل المعاني ببراعة لتركزها في الذهن ، وتضبط قواعد الحوار الفكري وآدابه ، كما أنها من جانب آخر يمكنها أن تزيد الإشكاليات تعقيدا ، وأن تكون عاملا من عوامل تغييب الرؤية واضطراب قواعد الحوار الفكري وآدابه " (٢)

بل إن من مخاطرها — في زمن الصراع العقدي والفكري والثقافي بين الأمم اليوم — أنها يمكن أن تراحم المصطلحات الأصيلة للأمة المسلمة في شتى مناحي حياتها ، لتحاول ترحيلها من الساحة العلمية والثقافية الإسلامية شيئا فشيئا ، تمهيدا لترحيل ما تعبر عنه من معتقد أو فكر أو خلق إسلامي أصيل ، وهو ما يبينه أحد الباحثين بقوله : " هناك معركة يمكن أن تكون الأخطر في مجال الصراع الحضاري ، هي معركة المصطلحات ، حيث تقذف مجتمعاتنا يوميا عن طريق وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية بكثير من المصطلحات السياسية والفكرية والجغرافية . . . البديلة لما ألفنا وعرفنا إلى درجة الإغراق لتخرجنا عن مواقعنا الفكرية ، وتستلب شخصيتنا الحضارية ، وتطارده مصطلحاتنا ، وتحدد لها المعاني التي تريدها ، حتى أصبح الكثير منا يخاف من طرحها ، أو من مجرد الانتساب إليها ، كمصطلح السلفية ومصطلح التراث " (٣)

(١) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص ٥٧٧

(٢) جمال سلطان ، دفاع عن ثقافتنا ، ص ٢٤

(٣) عمر عبيد حسنة ، نحو إعادة ترتيب العقل المسلم ، ص ١٦٣

ولعل من الأمثلة على ذلك ما قاله أفلاطون : إن معنى الحياة أن تتعلم الموت (١) ذلك أن تعلم الموت عند أفلاطون لا يعني الموت الحقيقي عند المسلمين ، وإنما يعني تهميش الجسد باعتباره قيد للإنسان من سباحته في عالم المثاليات الروحانية باعتباره مخلد إلى الأرض ، رافض التحليق في روحانية السماء ، وبغض النظر عن صواب فكرة أفلاطون من خطئها إلا أن فهم المراد من كلام المتحدث أمر له أهميته البالغة في منهجية التفكير العلمي التي أكد عليها القرآن الكريم .

كما أن المصطلحات باب خطير يلج منه المغرضون عندما يريدون تمرير ألعوياتهم على دهمك الناس ، فيستخدمون عند طرحهم تعميمات خطيرة ، يريدون منها شيئا ، والناس تفهم منها شيئا آخر : " كل هذه الملابس جعلت إمكانات التلاعب بالألفاظ ، واتخاذها وسيلة للتضليل بدل أن تكون وسيلة للإبانة والتوضيح واسعة جدا ، وأدى ذلك إلى نزاعات وخصومات كثيرة ، بل ربما قامت فرق ومذاهب تنحو منحنا خاصا في فهم النصوص ، وتحمل الألفاظ من المعاني ما تأباه طاقاتها المعترف بها عند جماهير اللاغين بها ، ويمكن أن نستخلص من كل هذا أن اللغة تعد مرتعا خصبا للخروج عن الموضوعية من خلال تحريف الدلالة ، أو تجاهل ظروف النص التي قيل فيها " (٢) وقد سمي بعض المفكرين هذا التلاعب وهذا التضليل بـ ( لعبة المصطلحات ) (٣)

غير أن الباحث العلمي المسلم يدرك أثر الكلمة ، وخطورة اللفظ ، فهو يملك الكلمة قبل أن يخرجها ، فإذا خرجت من فيه خرجت من ملكه وأصبحت حقا مشاعا في آذان الآخرين بغض النظر عن صوابها من خطئها ، ومن حق المستمع للكلمة أن تحدد له بوضوح ، وأن يجلي له معناها حتى لا يختلط فهمه ويضل فكره : " لكون اللغة ليست أداة للتوصيل فحسب ، وإنما هي أداة لتشكيل الفكر أيضا ، إنها شكل ومضمون في آن واحد ، وهي مع هذا وذاك مرآة حقيقة للفكر والوجدان والتكرين التراثي والتاريخي والرمزي للأمة " (٤) كما أن المصطلح : " يتأثر

(١) سليم دولة ، ما الفلسفة ما الثقافة ، ص ١٣

(٢) عبدالكريم بكار ، فصول في التفكير الموضوعي ، ص ٢٦١

(٣) جمال سلطان ، دفاع عن ثقافتنا ، ص ٢٤

(٤) عبدالكريم بكار ، فصول في التفكير الموضوعي ، ص ٢٦٦

بالمصدر الذي اشتقت منه وبالموضوع الذي وردت فيه وبالسياق اللغوي الذي أتت فيه ، وبالبيئة

التي نشأت فيها أو تنتمي إليها (١)

غير أن بعض المفكرين يؤكد على قضيتين مهمتين حول التعامل مع الكلمة من حيث دقة تحديدها من جهة ، وضرورة إجمالها لتوسيع مدلولها من جهة أخرى ، فقد أكد بعضهم على أن تكون الكلمة دقيقة ، واضحة المعنى عندما يكون الحديث في القضايا العقديّة أو الفقهيّة أو العلميّة حتى لا تختلط المفاهيم وتتعدد التساؤلات فيكون ضررها أكثر من نفعها ، ولكن حين يكون الحديث في المجالات الحضارية والأدبية ، فإنه يعتمد إلى الكلمة الموحية التي لا تسجن المعنى فتضيف إلى الفهم

فهما متنوعا مفتوحا . (٢) إلا أن الباحث يستدرك على ذلك أمرا بالغ الأهمية ، ألا وهو حين

يكون مراد المستخدم للكلمة - في أي فرع من فروع المعرفة وخاصة النظرية منها - بث عموم فكرية منحرفة ، أو جر الناس إلى أبواب الشهوات والشبهات ، فإنه يطالب بالتحديد الدقيق لمعاني ألفاظه ، خوفا من التورط في لعبة المصطلحات التي ذكرت آنفا ، ولذلك دلالات وقرائن ، يعرفها الخذاق من الناس ، وإذا كان الإسلام قد نهى عن بيع السلاح في أوقات الفتن خشية من أن يستخدمه المسلمون ضد أنفسهم ، فإن منهجية التفكير العلمي في الإسلام تحرم بيع الكلمة العامة الفضفاضة المضللة في زمن الفتن العقديّة والفكرية .

وقد ذكر بعض المفكرين نماذج للمصطلحات التي تحمل صفة العمومية في دلالاتها والضبابية في مقصود أصحابها إلى أجل مسمى أو معلوم ، كمصطلح ( التمييز ) بين الدين والدولة ، بديل مصطلح ( الفصل ) وكمصطلح ( الثابت والمتغير ) دون تحديده في ميدان العقيدة والعبادة والقيم

والآداب ، وكمصطلح ( التنوير ) أو ( الاستنارة ) بدل التغريب ، وهلم جرا (٣) .

والتأمل لمثل هذه المصطلحات البديلة يجدها عائمة عامة فضفاضة ، سهلة التسرب إلى النفوس دون أن تحدث ردود فعل غاضبة مستنكرة ، فـ ( التمييز ) لفظ عام ، ووقعه على النفس أخف ، من مصطلح ( الفصل ) الذي يعد واضحا جليا في عزل الدين عن حكم جوانب الحياة ، ومصطلح ( الثابت والمتغير ) ورد ولم يحدد ميدانه ، أو يتضح المراد منه ، ومصطلح ( التنوير ) ألطف من مصطلح ( التغريب ) فالأول يشعر بالنور ، ومغادرة الظلمة ، والاستمتاع بالنهار العلمي والثقافي والفكري ، والثاني يشعر بالذيلية والتبعية للغرب الكافر ، ومسح عقول أبناء الأمة عن طريق المكر الكبار الذي يتولى كبره المستشرقون من أعداء الأمة ، والمستغربون من أبنائها العاقين .

(١) محمد جميل عياط ، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية ، ص ١٧

(٢) عبدالكريم بكار ، فصول في التفكير الموضوعي ، ص ٢٦٤-٢٦٥ بتصرف .

(٣) جمال سلطان ، ثقافة الضرار ، ص ٣٥-٣٦



## أهمية التناسب بين المجال المعرفي والمنهج العلمي المستخدم :

وهذا ضابط علمي قرآني كبير ، يؤكد على أهمية المنهج العلمي في البحث عن الحقيقة ، وضرورة تناسبه مع المجال المعرفي الذي يبحث فيه ، وهو ما أكده بعض الباحثين بقوله : " ليس هناك علم أو تقدم علمي إلا عن طريق البحث ، وتقدم البحث العلمي يعتمد على المنهج ، يدور معه وجودا وعلما ، صدقا وزيفا " (١) فإذا كان المجال المعرفي الذي يتناوله الإنسان بالبحث والدراسة هي الماديات القابلة للثبات والجمود ، فلا يصح أن يكون المنهج العلمي المستخدم للبحث فيها هو الإيمان بالغيب ، بل لا بد فيها من التجربة المشاهدة بالعين ، إذ لو أن إنسانا حدث آخر بألة فيها من مواصفات الصنع والإبداع ما فيها ، وقال لآخر : آمن بالغيب وابتعها بمبلغ كذا ، لما قبل هذا عاقل ، لأن العاقل في مثل هذا الموطن يؤمن بالمنهج التجريبي ليرى مواصفات السلعة وما فيها من دقيق الصنع وعجيب الابتكار بعينه ، ليقرر بعد ذلك موقفه منه .

وإذا كان المجال المعرفي الذي يبحث فيه هو الغيب ، سواء كان ميدانه الذات الإلهية ، أو الدار الآخرة ، أو الأمم الغابرة الضاربة في أعماق الزمن ، فلا يصح أن يكون المنهج العلمي المستخدم للبحث فيها هو التجريب ، لأن هذا سيورث إنكارا للغيب الحق ، وسيجرأ العقل البشري القاصر على أن يصف المعرفة الإلهية — التي هي أرقى المعارف على الإطلاق ، والتي لا تخضع للتجربة — بأنها معرفة ساذجة ، وأن البحث فيها إضاعة للوقت ، وهو نوع من العبث الذي لا طائل من ورائه ، لكونها تبحث في الغيبات التي لا برهان عليها (٢) وهو ما جعل بعض التابعين للغرب الناقلين عنهم من غير منهجية علمية واعية يخرجون المعرفة الغيبية من نطاق المعرفة ، كما فعل بعضهم حين ذكر أنواع المعرفة فجعلها ثلاثة في مراحل متتالية من حياة البشر ، وهي : المعرفة الحسية ثم الفلسفية التأملية ، وأخيرا المعرفة العلمية التجريبية (٣) فها هو يجعل بداية المعرفة حسية ترى ظواهر الكون رؤية سطحية مجردة ، ثم أعقبها فترة في حياة البشر أصبحت فلسفية تأملية تحاول تفسير الظواهر الطبيعية في الكون ، ولكن على غير أسس علمية ، ثم تختتم البشرية حياتها المعاصرة بالمعرفة العلمية التجريبية التي تخضع للملاحظة والقياس والتجريب ، وهي في نظرهم أصدق المعارف ، وتكمن خطورة الأمر

(١) أحمد بدر ، أصول البحث العلمي ومناهجه ، ص ١٣

(٢) ماجد عرسان الكيلاني ، فلسفة التربية الإسلامية ، ص ٣٩

(٣) أحمد بدر ، أصول البحث العلمي ومناهجه ، ص ١٣ بتصرف .

حين يكون الحديث عن أنواع المعارف هذه في مؤلفات يجعلها أصحابها أصولاً في البحث ،  
ويصفون هذا البحث بأنه علمي ، له مناهجه وأدواته ، والحقيقة أن إخراج المعرفة الغيبية —  
وهي معرفة فطرية في الإنسان — من هذا التصنيف تشكك كل باحث منصف في علمية  
هذه الأبحاث ومناهجها .

وحين قال الآخر : " إن ما كان له مدلول في الطبيعة فهو قابل للبحث والحكم عليه  
بالصواب ، أو الخطأ ، وأما ما ليس له مدلول في الطبيعة الحسية فهو خداع وهراء ، ولا  
ينبغي أن نضيع وقتنا في البحث فيه " (١)

لقد حكم الماركسيون العامل الاقتصادي في حركة التاريخ الإنساني ، وحكم الفرويديون  
الغريزة الجنسية في سلوك الإنسان وحصرها كل سلوك يقوم به الإنسان على الأرض في دافع  
واحد هو الدافع الجنسي الذي أسموه بـ ( الليبدو ) فضلوا ضلالاً مبيناً فيما توصلوا إليه من  
نتائج لا تستقيم مع الفطرة ، ولا تتفق مع العقل السوي الراجح ، وحكم الإشراقيون ممن  
يزعمون — زورا وهتانا — الانتساب إلى الإسلام المنهج الروحي في عالم المادة فخرجوا  
بعقيدة الحلول والاتحاد ، ووحدة الوجود ، والفيض الإلهي ، وحكم المتكلمون المتأخرون  
المنطق الأرسطي في علم الألوهية فأنحرفت عقائدهم حين جعلوا الله تعالى جزءاً مندرجاً تحت  
كل ، وحكم المعتزلة العقل رجعلوه مهيمناً على النص فردوا نصوصاً صحيحة صريحة في  
كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . (٢) وهكذا تخرج النتائج مشوهة مضللة ،  
تقدم للناس باسم المنهجية العلمية ، وتحت مصطلحات براءة ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من  
قبله العذاب .

ولأهمية هذا التناسب بين المجال المعرفي وبين المنهج العلمي المستخدم جاء مثال ذلك جليلاً في  
قول الله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا ۚ  
أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ (٣) فقد خرج  
المشركون على الناس بمجال معرفي مفاده : أن الملائكة إناث ، وفي موطن آخر يقولون بأنهم

(١) ، توفيق الطويل ، أسس الفلسفة ، ص ١٠٣

(٢) حلمي صابر ، منهجية البحث العلمي في الإسلام وضوابطه ، ص ٢١ — ٢٢ بتصرف .

(٣) - [سورة الزخرف: الآية ١٩]

بنات الله كما حكى الله ذلك عنهم بقوله : ﴿ أُمَّ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ

﴾ (١) فجاء البيان راتعا جليا في قول الحق جل ذكره أشهدوا خلقهم ومعنى ذلك ،

أن هذا المجال المعرفي الذي يزعم أن الملائكة إناث وأنهم بنات الله يحتاج إثباته إلى منهج علمي دقيق يوصل إلى نتيجة علمية دقيقة ، ولا يمكن أن يكون هناك منهج علمي غير المشاهدة ، ليدور الأمر بين واحد من أمرين :

إما أن هؤلاء المشركين كانوا مع الله — تعالى الله عن ذلك — ورأوا خلق الملائكة بعيونهم فنقلوه للناس ، وهنا يجب على البشرية أن تدعن لهذا الطرح القائم على منهج علمي صحيح

وإما أنهم لم يكونوا مع الله — تعالى — ولكنهم رأوا الملائكة بعد ذلك .

وإذا سئلوا : أكنتم مع الله يوم خلق الملائكة وشاهدتم بأنفسكم الخلق ؟ وإما أنكم لم تكونوا مع الله تعالى ولكنكم رأيتم الملائكة بعد ذلك ، فأى الأمرين تحقق لكم ؟ .

وسيكون الجواب قولا واحدا : لا ، لم تكن مع الله يوم خلق الملائكة ، ولم نر الملائكة بعد ذلك ؟ أجل فكيف أصدرتم أحكامكم بأن الملائكة إناث وأنهم بنات الله ؟ إن هذا منطق لا يؤيده علم ولا عقل ، ولكنها الظنون والأوهام والتخرصات ، وليس في الدنيا عاقل يجعل من الظنون والأوهام والتخرصات منهجا له مؤملا أن يصل إلى الحقيقة المتعلقة بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره : " وهكذا يصبح لكل نوع من المعرفة منهج يلائمه ، بحيث تتولد المعرفة الصحيحة من تطبيق المنهج المناسب لكل مجال من مجالات المعرفة ، وعدم مراعاة التناسب بين المنهج والموضوع يؤدي إلى فساد كبير في مجال العلم " (٢) .

### أهمية التناسب بين المجال المعرفي وبين طاقات العقل وقدراته :

وهذا ضابط علمي قرآني كبير يؤكد على أن العقل ليس بقادر على أن يستوعب كل شيء ، فما هو إلا جارحة كبقية الجوارح ، مثله كمثل العين والأذن ، فالأذن لا تسمع مما هو في دائرة الحس كل شيء ، فكيف بما هو وراء ذلك من أمور الغيب ، والعين لا ترى كل شيء

(١) - [سورة الطور: الآية ٣٩]

(٢) حلمي صابر ، منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام ، ص ٢٠

مما هو في دائرة الحس ، حتى لو أنها حجبت بقطعة قماش لم تميز ما ورائه ، فكيف تدرك ما وراء الحس من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله ، وهكذا .

ولهذا بين المولى سبحانه لعباده أن ذاته العلية وأن الروح والساعة والملائكة والجن ونزول الغيث وعلم ما الأرحام ، وما يتعلق بكسب الناس ، وما يتعلق بآجال الأمم والأفراد زمانا ومكانا مما لا يطيق العقل البشري البحث فيه ، وقد جاءت الآيات في هذا المعنى كثيرة ، فقد ورد في الحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((

**تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله** )) (١) وجاء في جواب السؤال عن الروح قوله

تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا

أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ (٢) وجاء في جواب السؤال عن الساعة :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي

لَا يُجَلِّيهَا لَوَقْتَهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا

تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا

عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ (٣) وجاء في معرض

ذكر الملائكة : ﴿ أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ ﴾ (٤) وجاء في معرض ذكر الجن : ﴿ يَلْبَسُونَ

ءَادَمَ لَا يَفْتَنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ

يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَهُمَا إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ

وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ

(١) البيهقي ، شعب الإيمان ، ج ١ ص ١٣٦ ، سبق تخريجه ص

(٢) - [سورة الإسراء: الآية ٨٥]

(٣) - [سورة الأعراف: الآية ١٨٧]

(٤) - [سورة الزخرف: الآية ١٩]

لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴿١﴾ وجاء في معرض الحديث عن المغيبات الخمس : ﴿ إِنَّ اللَّهَ  
عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا  
تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ  
تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٨﴾ ﴿٢﴾

وإذا علم هذا ، فإن على كل مسلم أن يزعم العقل بزمام الدين ، وألا يبدد قدرات العقل  
وطاقاته فيما لا يتحقق له من ورائه فائدة ، بل عليه أن يبحث فيما حدده له خالقه ، وعليه  
أن يركز بحثه في حدود طاقاته وقدراته ، وفق الضوابط الشرعية التي نص عليها كتاب الله  
وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ليسلم من الزلل ، ولتتفع مما يبحث فيه في أمور دينه ودنياه

#### عدم التعميم عند إصدار الأحكام :

وهذا ضابط علمي قرآني كبير يقصر الأمر عند وقوعه على صاحبه ، دون أن يتحمل  
الإنسان جريرة غيره ، أو يزوج به في أمر لم يفعله ، وقد أكد القرآن الكريم على أن الإنسان  
لا يتحمل أخطاء الآخرين لا في الدنيا ولا في الآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ

وَأَزِيرُهُ وِزْرًا أُخْرَىٰ ۗ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ  
شَيْءٌ وَلَا وَكَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴿٣٤﴾ ﴿٣﴾ على أن يكون ما يتعلق بذلك من أمور الدنيا مما

لا يتحمل الإنسان فيه جريرة غيره ، فليس زلة عالم مثلاً بغير على اتهام الآخرين ، وليس  
انحراف المسلم في مسألة من المسائل بدليل على انحراف المسلمين جميعهم ، لكن هناك أموراً  
يؤخذ الإنسان فيها بجريرة غير إذا كان هو المتسبب فيها ، فإذا دل إنسان مجرماً وخطط له  
على ارتكاب جريمة ما فإنه يؤخذ بذلك ، وإن لم يفعل .

لقد جاءت منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم تؤكد النهي عن تعميم الأحكام حتى مع  
الكفار المعاندين فضلاً عما هو أدنى إلى الخير من المسلمين ، ولهذا استثنى رب العالمين

﴿١﴾ - [سورة الأعراف: الآية ٢٧]

﴿٢﴾ - [سورة لقمان: الآية ٣٤]

﴿٣﴾ - [سورة فاطر: الآية ١٨]

سبحانه من أهل الكتاب طوائف تحمل الهدى في الأرض ممن شرح الله صدره للإسلام وتابع  
 خاتم أنبياء ورسله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، فقد بين المولى سبحانه حال أهل  
 الكتاب في كتابه الكريم فقال : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ  
 تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ  
 ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ  
 وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١)

ثم قال المولى سبحانه : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ  
 يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ (٢)

وقال عن إيمانهم وكفرهم بالقرآن الكريم : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ  
 لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ (٣) فلم يعمم الحكم  
 على الجميع ، وحين فضح الله أمر المنافقين في سورة التوبة لم يعمم عليهم الأحكام ، بل  
 ورد كثيرا ومنهم ، ومنهم ، ومنهم .

#### الإحاطة بالقضية عند مناقشتها :

وهذا ضابط علمي قرآني كبير يشكل عقلية الباحث المسلم الذي يؤكد على أهمية منهج  
 الإحاطة والشمول عندما يكون الإنسان بصدد إصدار حكم ، أو مناقشة فكرة ، أو اتخاذ  
 قرار ، أو بحث قضية ، ويعد صاحبه صاحب تفكير شمولي : " والمقصود بالتفكير الشامل هو  
 ذلك الأسلوب من التفكير الذي يتناول الظاهرة من جميع جوانبها ويتحرى جميع أجزاءها

(١) - [سورة آل عمران: الآية ١١٠]

(٢) - [سورة آل عمران: الآية ١١٣]

(٣) - [سورة يونس: الآية ٤٠]

وما يتعلق بها " (١) : " وهي صفة التوجه في النظر المعرفي إلى جميع مادة المعرفة ، واستجماع

المعطيات للقضية المعينة التي يقصد العقل إلى كشف الحق فيها " (٢)

إن اتخاذ قرار أو موقف أو حكم على شخص أو فكرة أو جماعة أو بلد من خلال نظرة جزئية لكان قراره وموقفه وحكمه ظالم وغير عادل ، وكيف يقع منه ذلك وقد أمره المولى سبحانه في كتابه الكريم بالعدل مع أعدائه ، فضلا عن إخوانه وبني دينه ، فقال سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۗ

وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ؕ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ

لِلتَّقْوَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾

إن الباحث المسلم يترفع عن عقلية البعد الواحد التي : " تؤكد على عنصر واحد من ظاهرة

ذات عناصر متعددة إدراكا وتعاملا وإيرازا " (٤) وقد شنع القرآن الكريم على الذين

يتخذون مواقف أو يصدرون أحكاما قبل أن يحيطوا بالقضية التي هم بصدد معالجتها ، قال

تعالى عن أصحاب عقلية البعد الواحد من المكذبين : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ

يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ۖ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ۚ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن

قَبْلِهِمْ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ (٥) وقد

سماه ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره الجاهلين والسفهاء . (٦) لأن هذا هو الوصف

الذي يليق بمن يكذب بقضية لم يقف على أبعادها ، ولم يحط بجزئياتها .

(١) ماجد الكيلاني ، أهداف التربية الإسلامية ، ص ٦٦

(٢) عبدالمجيد النجار ، دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين ، ص ٢٨٢

(٣) - [سورة المائدة: الآية ٨]

(٤) عبدالكريم بكار ، فصول في التفكير الموضوعي ، ص ٢١٢

(٥) - [سورة يونس: الآية ٣٩]

(٦) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ص ٥١٥

## تلقي المعرفة من مصادرها الصحيحة :

وهذا ضابط علمي قرآني كبير يؤكد على أن يتلقى الباحث المسلم المعرفة من مصادرها الصحيحة سواء كانت هذه المصادر هي كتاب الله تعالى أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، أو من كلام البشر على اختلاف العلوم والتخصصات والمعارف ، فإن لكل معرفة شرعية — على اختلاف فروعها — مصادرها التي تؤخذ منها ، ولكل معرفة مادية بشرية — على اختلاف فروعها — مصادرها التي تؤخذ منها ، وقد أكد القرآن الكريم على سؤال المتخصصين في أي فرع من فروع المعرفة شرعية كانت أو غير شرعية ، فقال سبحانه : ﴿

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ

الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ (١) وهو تأكيد على تلقي المعرفة من

مصادرها الصحيحة ، ذلك أن الذي يطلب الطب عند المهندسين لا يفلح ، والذي يطلب هداية القلوب وصلاحتها — في جانبها التركوي لا المادي — عند الأطباء لا يفلح ، وهكذا دواليك ، ولما كانت المعرفة الشرعية التربوية المتعلقة بهداية الإنسان وتركيبته مصدرها كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم أكد المولى سبحانه على ألا نقدم على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة كلاماً أحد كائناً من كان فقال سبحانه : ﴿

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ ﴿١٠﴾ (٢) قال الطبري — رحمه الله — في تفسيره : " يقول لا تعجلوا بقضاء أمر في

حروبكم أو دينكم قبل أن ينضي الله لكم فيه ورسوله فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله

محكي عن العرب فلان يقدم بين يدي إمامه بمعنى يعجل بالأمر والنهي دونه " (٣)

وقال صاحب الظلال — رحمه الله — : " يا أيها الذين آمنوا لا تقترحوا على الله ورسوله لا

في خاصة أنفسكم ولا في أمور الحياة من حولكم ولا تقولوا في أمر قبل قول الله فيه على

لسان رسوله ولا تقضوا في أمر لا ترجعون فيه إلى قول الله وقول رسوله [ صلى الله عليه

(١) - [سورة الأنبياء: الآية ٧]

(٢) - [سورة الحجرات: الآية ١]

(٣) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ج ٢ ص ١١٦



وسلم] ٠٠٠ وكذلك تأدب المؤمنون مع ربهم ومع رسولهم [ صلى الله عليه وسلم ] فما عاد مقترح منهم يقترح على الله ورسوله [ صلى الله عليه وسلم ] وما عاد واحد منهم يدلي برأيه لم يطلب منه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدلي به ، وما عاد احد منهم يقضي برأيه في حكم أو أمر إلا أن يرجع قبل ذلك إلى قول الله أو قول الرسول " (١) [ صلى الله عليه وسلم ]

وإذا كانت المعرفة مادية كان العودة إلى المتخصصين فيها تلق للمعرفة من مصادرها الصحيحة ، ويوم يفرط الناس في هذا الضابط القرآني الكبير يوصفون بأنهم لا يكلمون منهجية في التفكير واعية ، وهو ما يقودهم إلى التخبط والانحراف فيما يتوصلون إليه من نتائج .

لقد أصبح تلقي المعلومة من غير مصادرها الصحيحة سمة لبعض من الناس سواء كان ذلك في أمور دينهم أو دنياهم ، فنرى أحدهم يبني معتقده أو عبادته بآية لم يأخذ فهمها من علماء الأمة الربانيين الموثوقين في دينهم وأماتهم ، أو بحديث لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو من خلال الرؤى أو المنامات أو التجارب أو الكشوفات الإلهية ، أو غير ذلك ، وترى الآخر يفسر الأحداث ، ويصدر الأحكام ، ويتخذ المواقف من خلال وسيلة إعلامية مسيرة ، أو تصريح مصلحي تقف وراءه أهداف ضيقة موجهة ، وهذا كله يتنافى مع أبسط قواعد منهجية التفكير العلمي ، التي تؤكد على تلقي المعرفة من مصادرها الصحيحة ، ولعل من أبرز سمات هذه المنهجية عند أهل القرآن قضية ( الإسناد في تلقي الرواية ) التي تضبط مسيرة تلقي المعرفة الشرعية والتاريخية من مصادرها في تحر كبير ودقة متناهية ، قام بوضع منهجيتها علماء الأمة الأعلام في مختلف العلوم والفنون : " ليس في كتب الحديث والتاريخ فحسب ، بل حتى في كتب الأدب والأخبار والأشعار ووضعوا لذلك الاصطلاحات الدقيقة ٠٠٠ ولا شك أن المرء لا يستطيع أن يخضع كل المعلومات التي يحتاج إليها إلى هذه المعيار الصارم ، ولكنه — على الأقل — يترث في قبولها وتصديقها ويصنفها بحسب أهميتها " (٢) وهذا ما يورث للمسلم — سواء كان باحثا أو غير باحث — الوعي عند العمل الذي يترتب عليه بناء معتقد أو عبادة ، أو إصدار حكم ، أو تفسير حدث ، أو

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٦ ص ٣٣٣٨

(٢) أحمد الأميري ، التفكير السديد طريقك إلى النجاح ، ص ٤٣

اتخاذ موقف ، وهو ما يضيف على الحياة بكل أبعادها راحة بال ، وطمأنينة ضمير ، ورغد عيش ، سواء كان ذلك على مستوى الأفراد أو المجتمعات .

**الانفتاح على خبرات الآخرين والإفادة منهم في كل ما هو نافع مفيد :**

يندرج هذا الضابط القرآني الكبير تحت قول الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا

رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا

تَعْلَمُونَ ﴾ (١) وأهل الذكر هم أهل التخصص في أي جانب من جوانب

المعرفة ، حتى ولو كانوا أعداء ما دامت معارفهم المادية نافعة يمكن الاستفادة منها ، ويكون ذلك عن طريق الوقوف على حضاراتهم وعلومهم ومعارفهم وما يتعلق ببيئاتهم الاجتماعي والمادي ، وكيف يمكن الاستفادة من علومهم ومعارفهم التي تعد من قبيل المعرفة التراكمية ، وقد أطلق بعض المعاصرين من الباحثين على ذلك الانفتاح العقلي ، ويقصد به : " البعد عن التزمّت والجمود والتعصب وتحرير الذهن من الأفكار المسبقة وإعطاء النفس الحرية التامة في

البحث والدراسة واكتشاف الحقائق " (٢)

إن الإسلام يؤكد على أصحابه أن يلتقطوا الحكمة من كل فم ينطق بها ما دامت حكمة ، وليس من المنهجية العلمية الإسلامية في التفكير أن يرفض الباحث المسلم حكمة من فم لا يؤمن بالله ، بل إن الباحث المسلم الواعي يجني الثمار ويبقي العود للنار ، وقد أكد هذه المنهجية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقر أبا هريرة في تعلمه من الشيطان أن آية الكرسي حرز من الشيطان ، وأن من قرأها حين يأوي إلى فراشه لن يزال عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة : (( أما إنه قد

صدقك وهو كذوب )) (٣)

(١) - [سورة الأنبياء: الآية ٧]

(٢) نايف الشريف ، التربية الإسلامية وقضية التفكير العلمي ، ص ٧٥

(٣) البخاري ، صحيح البخاري ، ص ٤٣٤ ، حديث رقم ( ٢٣١١ )

وتعلم نبي الله سليمان عليه السلام من الهدهد حين قال له كما حكى الله عنه ذلك بقوله :  
﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ مَحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ

سَبَأَ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ (١)

وتعلم نبي الله موسى عليه السلام من نبي الله الخضر عليه السلام وهو أقل منه شهرة ومترلة  
وتعلم ابن آدم وهو بشر من الغراب كيف يوارى سوءة أخيه كما قال سبحانه : ﴿

فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سُوءَةَ  
أَخِيهِ قَالَ يَتُوبِلْتِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي  
سُوءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٢٣﴾ (٢)

بل إن المولى سبحانه يقرر كلام بلقيس قبل إسلامها مع نبي الله سليمان عليه  
السلام وهي مشركة لا تؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، وذلك حين وصفت الملوك  
بفسادهم للقري إذا هم دخلوها ، فقالت كما حكى الله ذلك عنها بقوله تعالى : ﴿

قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ  
أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣١﴾ (٣) فقال الله سبحانه في

آخر الآية : ﴿ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ فقد أقرها سبحانه على كلامها ،  
وصدقها في حكمها ، وجعله وصفا لا يفارق الملوك إذا دخلوا القري ، مع أنها  
مشركة كافرة في تلك الفترة ، ولكنها المنهجية العلمية الواعية التي تلتقط الصواب من  
كل أحد ما دام صوابا ، وتربي عليها أتباعها ، بغض النظر عن دينه وجنسه ولونه .

(١) - [سورة النمل: الآية ٢٢]

(٢) - [سورة المائدة: الآية ٣١]

(٣) - [سورة النمل: الآية ٣٤]

وهذا الديلمي يسوق سنده إلى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول : " خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت " (١)

إن المتبع للقرآن الكريم ، والسنة النبوية والمطهرة ، وتاريخ البشرية الطويل ، لن يجد أحدا تطاول على الله تعالى ولا على أنبيائه ورسله وعباده المؤمنين كما تطاول بنو إسرائيل ، فهم الذين قالوا : الله فقير ونحن أغنياء ، وقالوا : يد الله مغلولة ، وقالوا : عزيز ابن الله ، وقالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ، وهم الذين قتلوا زكريا عليه السلام ، وابنه يحيى عليه السلام ، وهم الذين أتهموا مريم العذراء عليها السلام ، وهم الذين أكلوا الربا وقد نهوا عنه ، وهم الذين يسعون في الأرض فسادا ، وهم الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها ، ومع هذا كله يقول صلى الله عليه وسلم في منهجية عالمية ربانية متفتحة على الحكمة في أي زمان ومكان كما روى ذلك الصحابي الجليل عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **(( بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار ))** (٢) سبحان الله !!! بعد هذا كله يقول صلى الله عليه وسلم : وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، إنه درس تربوي كبير في تلقي الحكمة من كل أحد مهما تكن درجة انحرافه. ما دام ينطق بالحكمة سواء كانت دينية أو دنيوية .

على أن التحديث عن بني إسرائيل محصور في جانبين اثنين من ثلاثة ، الجانب الأول : ما كان صحيحا ثابتا ذكره ربنا سبحانه في كتابه الكريم ، أو بينه رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته الشريفة ، والجانب الثاني : ما لم يقد دليل على صحته ، غير أن عند المسلمين من الشواهد ما يؤكده ، سواء كانت هذه الشواهد نقلية أم عقلية ، فإنه ينقل للعبارة والعظمة ، وأما الجانب الثالث : فهو ما كان من الكذب الصراح على الله تعالى وعلى أنبيائه وملائكته وكتبه وغير ذلك ، فلا يجزئ لسلم أن ينقله إلا من باب إثبات جرأة بني إسرائيل على الله وعلى ملائكته وكتبه وأنبيائه وعباده المؤمنين .

### التنازل عند الحوار - جدلا - مع الخصم :

وهذا ضابط علمي قرآني كبير ، يتأكد في مواطن الحوار بغية الوصول إلى نتيجة مقنعة في هداية المعاندين للحق ، وهو ضابط يتعلق بمدارة نفسيات المجادلين ، والرفق بهم ، والتلطف معهم ، وأخذهم إلى الحق خطوة خطوة ، وعدم مفارقتهم من أول نقطة خلاف ، شريطة أن يكون ذلك في مقدمات تقود إلى ما بعدها من الإقناع والإلزام ، وقد تجلى هذا الضابط

(١) الديلمي ، الفردوس بمأثور الخطاب ، ج ٢ ص ١٦٨

(٢) البخاري ، صحيح البخاري ، ص ٦٦٦ حديث رقم ٣٤٦١

في قوله تعالى على لسان خليل الرحمن نبي الله إبراهيم عليه السلام حين جادله النمرود بن كنعان في ربه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ (١)

فها هو نبي الله إبراهيم عليه السلام لم يكذبه من أول لحظة يتأكد فيها كذبه حين ادعى أنه قادر على الإحياء والإماتة بحجة تافهة ساذجة ، ولكن إبراهيم الخليل عليه السلام تنزل معه في النقاش ، فلم يجه إلى فريته ويعترض على كذبه وبهتانه ، وكأنه يقول له : ما دمت قادر على الإحياء والإماتة ، فإن الذي يقدر على ذلك ، يقدر على أن يأتي بالشمس من المغرب — كما أتى الله سبحانه بها من المشرق — فهل أنت قادر على ذلك ؟ فبهت الذي كفر بعد أن انتشى عتوا وفرحا ظانا أنه قد انتصر في الخطوة الأولى من النقاش ، وهو ما علم أنها كانت سببا في كونه قد أسقط في يده فولى مدبرا ولم يعقب .

وجادل عليه السلام قومه وتنزل معهم في الخطاب في تقرير توحيد الله تعالى وأنه المستحق للعبادة دون سواه ، ومع ذلك لم يؤمنوا وقد جاءت قصة هذا التنزل عجيبة ، في خطوات مرحلية بدأت بذكر ألوهيته للكوكب ثم القمر ثم الشمس ، فلما أثبت لقومه عجزها في الأقول من خلال المشاهدة تبرا منهم ومما يعبدون من دون الله ، قال الله تعالى : ﴿

وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلِكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٢٦٠﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٢٦١﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ

(١) - [سورة البقرة: الآية ٢٥٨]

بَاذِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي  
لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَاذِعَةً  
قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ  
مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ (١) وقال عليه  
السلام لقومه في موطن آخر: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ  
﴿٧٩﴾ (٢) مع أنه عليه السلام على الهدى وهم الغارقون في الضلال المبين لكنه التنزل في

الخطاب مع الخصم وفق تلك المقدمات بغية الوصول معهم إلى الحق لعلهم يهتدون .  
وقد جادل القرآن الكريم كفار قريش في قسمتهم الضيزى التي قسموها بينهم وبين ربهم ،  
فجعلوا البنين لهم ، والبنات لله ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، مع أن أحدهم إذا بشر  
بالأنثى اسود وجهه من الغيظ ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ  
وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا  
بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا  
يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ (٣) إنهم يعترفون بأن الله هو الخالق وأنهم مخلوقون له كما قال  
سبحانه : ﴿وَلِئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ

(١) - [سورة الأنعام: الآيات ٧٥-٧٩]

(٢) - [سورة سبأ: الآية ٢٤]

(٣) - [سورة التحل: الآيات ٥٨-٥٩]

يُؤَفِّكُونَ ﴿٨٧﴾ (١) ومع ذلك يحرصون أنفسهم وهم المخلوقون بالبنين ، ويجعلون لله

ما يعيرون به ويخجلون من نسبته إليهم ، فقال سبحانه لهم : ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ

وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٨٨﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٨٩﴾ (٢) وكأن معنى الآية :

لو سلمنا لكم بالقسمة ، أف يكون لله ما تخجلون من نسبته إليكم وهو الخالق ؟ ولكم الذكر والبنون الشهود وأنتم المخلوفون ؟ ألا ساء ما تحكمون .

(١) - [سورة الزخرف: الآية ٨٧]

(٢) - [سورة النجم: الآيات ٢١-٢٢]

## خاتمة الفصل :

بعد هذا العرض لأبعاد التفكير العلمي تبين أنها جاءت على خمسة أبعاد ، وهو ما وسع الباحث استنباطه من كتاب الله الكريم ، حيث جاءت هذه الأبعاد على النحو التالي :

أولا : عمليات التفكير العلمي حيث وردت في القرآن الكريم بألفاظ ومعان مختلفة ، يحددها سياق الكلام الذي وردت فيه ، على أن لكل لفظ مغزاه التربوي لمن تأمله .

ثانيا : أنواع التفكير العلمي ، وقد حاول الباحث جهده أن يستنبط هذه الأنواع فوقف منها على سبعة أنواع هي : التفكير الغائي ، الذي يربط كل قول أو فعل فردي أو جماعي ظاهر أو باطن بالغاية النهائية من الوجود ، ألا وهي عبادة الله تعالى بمفهومها الشامل ، ثم عرض الباحث للتفكير التنبؤي الذي يخرج بصاحبه عن اللحظة الآنية فيستشرف المستقبل من خلال معطيات الماضي والحاضر ، مع العناية بعرض القضايا في تطورها التاريخي ، وتحليلها في ضوء سنن الله التي تحكم مسيرة الحياة ، ثم عرض الباحث للتكفير الناقد الذي يفحص كل ما هو قابل للفحص والنقد والتمحيص من الأفكار والأطروحات ، ثم عرض للتفكير الشمولي الذي يؤكد على الإحاطة بالقضية عند مناقشتها ، وجمع المعلومات حولها قبل الحكم عليها لتكون الأحكام والنتائج علمية صحيحة ، ثم عرض الباحث للتفكير المقارن الذي يوازن بين الأشياء أو الأضداد ليتحدد على ضوء ذلك الحكم أو الاختيار ، ثم عرض الباحث للتفكير المنطقي الذي يربط الأفكار ويسلسل الأحداث في منهجية علمية بغية الوصول إلى نتائج صحيحة خالية من الأخطاء والقصور ، وأخيرا ، ختم الباحث بعرض للتفكير الإبداعي الذي يدعو المسلم للإبداع من خلال إعمال الذهن فيما بين يديه من معطيات الوحي بالدعوة إلى التفكير ، أو الإشارة إلى ما هو بصدد الإبداع فيه وإن لم تأت في القرآن الكريم مقصودة لذاها ، إنما جاء ذكرها لأمر آخر هو الأصل في العرض ، كالإشارة إلى الداء في جناح الذباب مع أن ورود الذباب في القرآن الكريم كانت لبيان عجز الآلهة التي يعبدونها المشركون من دون الله تعالى ، ثم عرج الباحث على أحوال التفكير وجعلها في قسمين تفكير : جماعي وفردي ، ليكون الإنسان وهو يفكر بين الإنفرادية التي يصفو فيها الذهن تارة ، بعيدا عن المشغلات والصوارف ، وبين التفكير الجماعي الذي يسترشد فيه المسلم برأي غيره فيضم إلى عقله عقول الآخرين .

ثم ذكر الباحث ميادين التفكير العلمي ، وجعلها على قسمين : ميادين أمر العقل أن يتفكر فيها ووعد على ذلك الأجر والثوبة ، وميادين هي العقل أن يتفكر وحرم عليه ذلك بعدم قدرته على ذلك ، ولما يورثه التفكير فيها من التخبط والضياع ، ثم ختم الباحث هذا الفصل بضوابط التفكير العلمي ، وجعلها في قسمين : ضوابط علمية وضوابط خلقية مع أن أحدهما لا ينفك على الآخر ، ولكن ذلك كان من باب التسهيل والتيسير .

ولم تأت الدعوة إلى التفكير مجردة عن الهدف والأساليب ، بل كانت لأهداف سامية ، وبأساليب راقية ، وهو ما يحاول الباحث بيانه في الفصل التالي من الدراسة بإذن الله تعالى .



## الفصل الثالث

أهداف منهجية التفكير العلمي وإساليبها في القرآن الكريم

أولاً : الأهداف المتعلقة بالمظهر الشعري وإساليبها

ثانياً : الأهداف المتعلقة بالمظهر الكوني وإساليبها

ثالثاً : الأهداف المتعلقة بالمظهر الاجتماعي وإساليبها

## مدخل للفصل :

من المسلمات عند كل أحد ، أن أي عمل ليس له هدف يسعى العامل إلى تحقيقه ، سواء كان هذا العامل فردا أو هيئة أو مجتمعا أو أمة ، فهو عبث لا يقوم به عاقل في الأرض أبدا ، كمدأن الهدف حين يحدد فإن من الأهمية بمكان أن يوجد له من الأساليب ما يعين على تحقيقه .

وعلى هذا حدد الباحث في دراسته هذه أهداف منهجية التفكير العلمي وأساليبها في القرآن الكريم ، على أن الباحث في هذا المقام لا يفرق بين مصطلحي الأهداف والغايات ، فهما في مراده شيء واحد ، وهما هنا من المترادفات التي يعبر بعضهما عن بعض ، وينوب أحدهما عن الآخر ، خاصة حين يفترقان ، فإن بينهما عموم وخصوص .

وهو ما جاء واضحا في أهداف منهجية التفكير العلمي وأساليبها في القرآن الكريم ، فإن الدعوة إلى التفكير العلمي — عن طريق إعمال العقل — لم تأت مجردة عن الهدف ، لأن هذا يعد عبثا ، والله تعالى قد نزه نفسه عن العبث ، إن التفكير العلمي في منظور الإسلام ليس عملا عقليا مجردا ، أو تأملا ينقطع صاحبه في برج عاجي ، يصنع خيالات مجردة ، أو أوهام مثالية ، إنما جاءت الدعوة إلى التفكير العلمي في القرآن الكريم لغاية نبيلة ، تشتمل على تحقيق مطالب الدنيا والآخرة ، في توازن مثالي كبير ، وعلى هذا جعل الباحث أهداف التفكير العلمي في القرآن الكريم على ثلاثة تصنيفات :

التصنيف الأول : أهداف متعلقة بالمظهر الشعائري ، المتمثل في بيان عظمة الله تعالى ، وعظمة ما أنزله لعباده من تشريع محكم ، وما يستتبع ذلك من قبول وانقياد ، في عبودية مطلقة تجمع بين الحب والخضوع .

التصنيف الثاني : أهداف متعلقة بالمظهر الكوني ، يعمل من خلالها المسلم مستعينا بعلاقة التسخير لتبين له عظمة الله تعالى من جهة ، وليسهم في خدمة البشرية بما يتكره مما يسهم في تقدم الإنسان ورفاهيته من جهة أخرى .

التصنيف الثالث : أهداف متعلقة بالمظهر الاجتماعي ، كالسير في الأرض لأخذ العبرة والعظة ، والتعرف على سنن الله التي تحكم مسيرة الحياة الاجتماعية ، والتخطيط للحاضر ، واستشراف المستقبل ، والإفادة من خبرات الآخرين ، وتحديد المعايير الدقيقة التي تحكم شبكة العلاقات الإنسلنية ، ليعمل المسلم من خلالها مهتديا بعلاقة العدل والإحسان التي جعلها المولى سبحانه معيارا للتعامل بين الناس من خلال نصوص الوحي في الكتاب والسنة .

وكل هدف من هذه الأهداف يتفرع منه جزئيات كثيرة ، وكل جزئية من هذه الجزئيات مع كلياتها تتحقق من خلال أساليب تربوية رائعة اشتمل عليها كتاب الله الكريم ، كالربط بين الأحداث والأحكام والأفكار ، والعناية بالمقدمات قبل استعراض النتائج ، والقصة وضرب المثال ،

والاستدلال بالظاهر على الباطن ، والجلي على الخفي ، والعظيم على الحقير ، ودلالات اللزوم ، والأولى ، والوقوف على الأسباب ، واكتشاف القوانين ، وغيرها ، وكل هذه الأساليب يقوم فيها العقل بالتحليل والتركيب والتقويم والتصنيف والاستنباط والاستدلال والاستقراء ، وهذه الأعمال كلها من صور إثارة التفكير العلمي التي أكد عليها القرآن وحث عليها أتباعه .  
وفيما يلي عرض لهذه الأهداف بأساليبها من خلال توجيهات القرآن الكريم .

### اهداف منهجية للتفكير العلمي واساليبها في القرآن الكريم :

ليس التفكير العلمي — الذي أكد عليه الإسلام — عملية رياضية عقلية مجردة عن الهدف ، ولا هو هدف في حد ذاته ، وإنما هو وسيلة إلى غاية ، فإذا قسمت الأهداف إلى قسمين : " الأهداف الغايات ، والأهداف الوسائل " (١) كان التفكير العلمي الذي جاء به القرآن الكريم مدرجا ضمن الأهداف الوسائل التي تقود إلى غايات نهائية لعملية التفكير ، ألا وهي عبودية الله تعالى بمفهومها الشامل .

ذلك أن الفطر قد ركز فيها الإيمان بالله تعالى ، كما قال سبحانه : ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ

لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

قال القرطبي — رحمه الله — في تفسيره حول معنى الفطرة : " قال ابن زيد : هي الإسلام

مذ خلقهم الله من آدم جميعا يقرون بذلك " (٣)

وقد ذكر ابن تيمية — رحمه الله — أن الهداية نوعان — وهما أصل سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة — إحداهما : الفطرة التي فطر عليها الإنسان ، وثانيهما : الوحي الذي جعل الله فيه الهداية العامة التي هدى الله تعالى بها الناس ، بما جعل فيهم بالفطرة من المعرفة وأسباب العلم ، فأنزل إليهم الكتب وأرسل لهم الرسل (٤) .

(١) ماجد الكيلاني ، أهداف التربية الإسلامية ، ص ١١

(٢) - [سورة الروم: الآية ٣٠]

(٣) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ج ٢١ ص ٤٠

(٤) ابن تيمية ، دقائق التفسير ، ج ٢ ص ٤٠٥ ، بتصرف .

فالفطرة هي الإسلام ، وشرائع الله الحقّة التي أنزلها على أنبيائه ورسله — وختمها بكتابه ( العهد الأخير ) \* وجعله مهيمنا عليها ، وناسخا لها — قد جاءت لتنمية هذه الفطرة ورعايتها .

وفي هذا المعنى يقول ابن القيم — رحمه الله : " وجاءت الرسل وأنزلت الكتب لتقرير ما استودع سبحانه في الفطر والعقول من ذلك وتكميله وتفضيله وزيادته حسنا إلى حسنه ، فاتفقت شريعته وفطرته وتطابقا وتوافقا ، وظهر أهما من مشكاة واحدة ، فعبدوه وأحبوه ومجدوه وحمدوه بدواعي الفطر ، ودواعي الشرع ، ودواعي العقل ، فاجتمعت لهم الدواعي ونادتهم من كل جهة " (١)

ثم إن أهل العقول السوية — المستضيئة بنور الوحي — حين يعملون عقولهم يتبين لهم أن هذا الوجود كله بمن فيه ، وما فيه ، مخلوق لله تعالى ، وأنه عابد له ، وساجد لمرضاته ، كما قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (٢)

على أن هذا السجود يتردد بين الطوع ، وهو سجود الإنسان العاقل ، وبين الكره ، وهو سجود بقية المخلوقات غير الإنسان ، وهي كما يقول الألوسي — رحمه الله — : " عبارة عن التذلل لله تعالى وعبادته وهو عام في الإنسان والحيوان والجماد وذلك ضربان سجود باختيار يكون للإنسان ، وبه يستحق الثواب ، وسجود بتسخير يكون للإنسان وغيره من الحيوانات والنباتات (٣) ومنه قوله

\* يقصد به الباحث القرآن الكريم ، لكونه آخر الكتب عهدا بالتنزيل من رب العالمين ، فإذا اعتقد اليهود بأن التوراة هي العهد القديم ، واعتقد النصارى بأن الإنجيل هو العهد الجديد ، فإن المسلمين يعتقدون بأن القرآن الكريم هو العهد الأخير الذي نسخ الله به الكتب السماوية كلها ، وقد وصف ابن عباس رضي الله عنه القرآن الكريم بأنه : " أحدث الكتب عهدا بربه " كما ورد في جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ، ص ٢٩٧ ، بتصحيح الزهيري .

(١) ابن القيم ، بدائع التفسير ، ج ٣ ص ٣٩٢

(٢) - [سورة الحج: الآية ١٨]

(٣) الألوسي ، ما دل عليه القرآن ج ١ ص ١٠٤

تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا  
وَضَلَالًا لَهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴾ (١)

على أن بعض المفسرين قصر الطوع على المؤمنين ، والكره على الكافرين ، وفي هذا المعنى يقول الطبري — رحمه الله — في تفسيره : " يقول أسلم لله طائعا من كان إسلامه منهم له طائعا وذلك كالملائكة والأنبياء والمرسلين فإنهم أسلموا لله طائعين وكرها من كان منهم كارها ، واختلف أهل التأويل في معنى إسلام الكاره وصفته ، فقال بعضهم إسلامه إقراره بأن الله خالقه وربيه ، وإن أشرك معه في العبادة غيره " (٢) وقيل في الطوع : طوع المؤمنين ، وفي الكره : كره الكافرين ، وهو ما أكده ابن كثير — رحمه الله — في تفسيره حين قال : " ولهذا يسجد له كل شيء طوعا من المؤمنين ، وكرها من المشركين " (٣)

وقد يجتمع الطوع والكره في الكافر فقط ، فإن الكافر صدق بتوحيد الربوبية ، وكفر بتوحيد الألوهية ، فكان طوعه من جهة إقراره بوحداية الله تعالى ، وكان كرهه من جهة أنه جعل لله ندا وهو الذي خلقه .

لقد بين المولى — جلت قدرته — أنه يسجد له من في السموات ومن في الأرض ، وهذا عموم يشمل كل مخلوق في السموات والأرض ، ثم خص — سبحانه — بعض مخلوقاته بالذكر بعد العموم ، فذكر منها الشمس والقمر والنجوم ، وهي جزء من السماء ، ثم ذكر الجبال والشجر والدواب ، والناس ، وهي جزء من الأرض ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أهمية لفت أنظار الناس إلى البيئة التي تحيط بهم ، وقدرتهم على التأمل فيها دون أن يحول بينهم وبينها أي حائل ، فالكبير والصغير والغني والفقير والعربي والعجمي والذكر والأنثى ، كلهم يرونها بأعينهم من غير تفريق . وبعد هذا العموم الذي يبين سجود هذه المخلوقات كلها لله تعالى كما جاء في الآية الكريمة السابقة يخص المولى — سبحانه — الإنس والجن بالذكر ، ويفردهم من بين سائر مخلوقاته فيقول سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٤) مع أنهم داخلون

(١) - [سورة الرعد: الآية ١٥]

(٢) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ج ٣ ص ٣٢٦

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ص ٦٢٥

(٤) - [سورة الذاريات: الآية ٥٦]

في الآية السابقة التي ذكر فيها سجود الجماد والنبات والدواب ، إلا أن الله — سبحانه — قد  
اختصهم بالذكر في هذه الآية ، لكونهم المكلفون بالسجود دون غيرهم .

ثم إن الإنسان أعلى منزلة من الجن ، وأشرف قدرا منه ، وهو أشرف مخلوق في هذا  
الوجود كله ، فقد خلقه الله في أحسن تقويم ، كما قال سبحانه : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ

فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ (١) وجعل له عينين ، ولسانا وشفيتين ، وهده النجدتين ، كما

قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩

وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ (٢) وسخر له ما في الوجود كله ، كما قال سبحانه : ﴿

اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ ۖ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ

فَضْلِهِ ۖ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٢﴾ (٣) وسخر لكم ما في السموات وما في

الأرض جميعا منه إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون ۝١٣﴾ (٤) وبين

— سبحانه — أن هذا الخلق وهذا التسخير إنما هو ابتلاء من الله تعالى لهذا الإنسان يتميز به المسلم  
من الكافر ، ويتمحص به المؤمن من المنافق ، ويتبين به الصادق من الكاذب ، ، ، كما قال سبحانه :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا

﴿ ٢﴾ ﴿ ٤﴾

(١) - [سورة التين: الآية ٤]

(٢) - [سورة البلد: الآيات ٨-١٠]

(٣) - [سورة الجاثية: الآيات ١٢-١٣]

(٤) - [سورة الإنسان: الآية ٢]

وكما قال سبحانه : ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا  
وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ  
صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ (١)

وبين سبحانه أنه يتلي بالخير ، ويتلي بالشر ، فقال سبحانه : ﴿ وَنَبَلَّوْكُمْ

بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِنَّا تُرْجِعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (٢)

فمن ثبت في مواطن الابتلاء ، وصدق في إيمانه بالله تعالى ، وأدى مهمته كما يريد الله

تعالى ، أسعده الله في الدنيا والآخرة ، كما قال سبحانه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ  
أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ  
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (٣)

ومن أعرض عن ذكر الله ، ونسي آياته بعد إذ تليت عليه ، وأسرف ولم يؤمن بآيات ربه ،

شقي في الدنيا والآخرة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ  
مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ  
حَشَرْتَنِيْ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيْرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ كَذٰلِكَ أَتٰكَ ءَايٰتُنَا  
فَنَسِيْتَهَا وَكَذٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ  
وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيٰتِ رَبِّهٖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾ (٤)

(١) - [سورة العنكبوت: الآيات ٢-٣]

(٢) - [سورة الأنبياء: الآية ٣٥]

(٣) - [سورة النحل: الآية ٩٧]

(٤) - [سورة طه: الآيات ١٢٤-١٢٧]

وبما أن الإنسان — وهو أشرف مخلوق في هذا الوجود كله — مخلوق لأداء هذه العبادة —  
 بمفهومها الشامل — وأنه مفطور عليها ، فقد جعل الباحث أهداف التفكير العلمي في القرآن الكريم  
 مرتبطة بهذه العبادة في مظاهرها الثلاثة : الشعائري ، والكويني ، والاجتماعي ، لتعطي في مجموعها  
 تكاملا ربانيا في تربية المسلم تربية إيمانية ربانية عالمية خالدة تبدأ بتعظيم الله تعالى من خلال ما ترى  
 من آثار خلقه وشرعه ، وتنتهي بامتثال أمره في الدقيق والجليل مما رضيه لعباده شرعة ومنهاجا في  
 أمور حياتهم كلها .

وعليه ، تكون أهداف التفكير العلمي في القرآن الكريم على ثلاثة أقسام تمثل في مجموعها  
 الغاية العظمى من الخلق والإيجاد ، على أن لكل هدف من هذه الأهداف أساليبه العلمية التي يتحقق  
 من خلالها .

### أوبة : الأهداف المتعلقة بالمظهر الشعائري وأساليبها :

يقصد الباحث بالمظهر الشعائري ، ذلك الجانب من العبادة الذي يتعلق بإقامة الشعائر  
 التعبدية ، بدءا بقول لا إله إلا الله ، وما يستلزم الإيمان بها من صيانة العقيدة في جميع جوانبها ،  
 وتصحيح ما يعتريها من خلل ، وانتهاء بأدق جوانب السلوك الإسلامي كإمطة الأذى عن الطريق .  
 وإذا كان الذي لا يعبد الله تعالى في هذه الحياة — وهو الذي خلقه — يكون في درجة أقل  
 من درجة الأنعام ، فإن التفكير الذي لا يلتفت إلى هذه الجوانب العبادية في حياة الإنسان يكرس  
 بهيميته ، ويعمق حيوانيته إلى أقصاها ، مهما كان مبدعا في جوانب حياته المادية ، ولهذا كان وصف  
 المولى — سبحانه — للكفرة الفجرة من العباد الأشقياء بأنهم أحط منزلة من البهائم التي تعيش  
 لشهواتها فقط ، فقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ  
 وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ  
 ءَأْذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ  
 الْعَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ (١)

فها هو الخالق العليم ، البارئ الحكيم ، القادر العظيم ، يبين في كتابه الكريم ، أنه قد ذرأ  
 لجهنم كثيرا من خلقه سواء كانوا من الجن أم الإنس ، والسبب واضح في الآية الكريمة ، وهو أنهم

(١) - [سورة الأعراف: الآية ١٧٩]



ملكوا قلوبا معطلة عن الفقه المتعلق بعبادته سبحانه ، وملكوا أبصارا معطلة عن إدراك المهمة التي خلقوا من أجلها ، وملكوا آذانا مصمومة عن سماع الغاية التي خلقوا لها .  
ولهذا وصفهم خالقهم سبحانه بأنهم كالأنعام ، بل هم أضل ، ثم علل الحكمة من هذا

الوصف ، فقال سبحانه : ﴿ **أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** ﴾

وعن أي شيء هم غافلون ؟ عن أمور الدنيا بكل متعتها وزخرفها وزينتها ؟ لا ، إنهم هم عالمون ، وفي مناحيها مبدعون ، كما شهد بذلك ربهم سبحانه حين قال : ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ (١) ولكنهم عن الآخرة غافلون ، كما قال سبحانه : ﴿ **وَهُمْ**

**عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** ﴾ (٢) فكانت الغفلة عن الآخرة ، وعن العمل لها في الدنيا بإقامة الشعائر التعبدية سببا في وصفهم بالبهيمية والحيوانية .

والإيمان بالشعائر التعبدية — سواء كانت هذه الشعائر في جوانب العقيدة أو العبادة أو السلوك أو المعاملة أو الأخلاق — لا يكاد ينفك عن الدعوة إلى التفكير في عظمة الخالق ، وحكمة تشريعه .

فإن المتتبع للقرآن الكريم يجد عشرات المواضع التي تدعو إلى النظر في عظمة الخلق ، وحكمة التشريع ، بغية تحقيق هذه الغاية ، وذلك بأساليب متنوعة ، من خلال استخدام مشتقات الفعل الماضي ( نظر ) و ( فكر ) و ( تدبر ) و ( تذكر ) و ( عقل ) و ( بصر ) و ( اعتبر ) وقد سبق للباحث استعراضها حين الحديث عن العمليات العقلية في القرآن الكريم .

وقد أكد القرآن الكريم على أن تكون أول قضية يجب أن يتجه إليها التفكير الإنساني هي هذه الغاية التي خلق الخلق من أجلها ، وما يأتي بعدها فهو تبع لها ، وخدام لقضاياها ، فإذا أدرك الإنسان بعقله كل هدف دوئها وغفل عنها ، أو تغافل ، فهو غير علمي في تفكيره ، ما دامت شهواته تغلب على منطقته العقلي ، وهو على هذا الحال أشبه بالحيوان الذي لا يفكر إلا في إشباع غرائزه المادية فحسب ، وصدق الله العظيم إذ يقول : **وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ**

**كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ** ﴾ (٣)

(١) - [سورة الروم: الآية ٧]

(٢) - [سورة الروم: الآية ٧]

(٣) - [سورة محمد: الآية ١٢]

## التفكير في أمر العقيدة

وعليه ، يكون الإنسان العاقل ، صاحب التفكير العلمي المنضبط دائم التفكير والعمل في شعائر الله التعبدية التي أمر بإقامتها في هذه الحياة ، فيتجه أولاً إلى عقيدته فيسهم في بنائها وتثبيتها في القلب ، ومتابعة حمايتها من أن تجتالها شياطين الإنس والجن ، سواء كان ذلك في الأقوال ، أو الأفعال ، أو أعمال القلب .

والسبب في البدء بالعقيدة لأنها هي التي عليها مدار الأعمال كلها ، فقبول العمل متوقف على صحة المعتقد ، ورده وحبوطه متوقف على فسادها ، وقد جاء هذا جلياً في قول الحق جل ذكره لخير خلقه ، وصفوة أنبيائه ، وخاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١)

قال الطبري — رحمه الله — في تفسيره : " وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على طريق التغليظ على الأمة وبيان أن النبي صلى الله عليه وسلم على شرف منزلته لو أشرك لحبط عمله فكيف أنتم ، لكنه لا يشرك لفضل مرتبته " (٢)

إذن فالشعائر التعبدية تبدأ بالعقيدة ، وتنتهي بأدق أنواع السلوك ، وهدفها الأكبر تصديق ما أخبر الله تعالى به عن نفسه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، والإيمان بهل إيماناً يعتقد القلب ، وينطق به اللسان ، وتعمل به الجوارح ، وهي الغاية العظمى التي من أجلها خلق الله الوجود كله بما فيه ومن فيه .

ولتحقيق هذه الغاية جاءت منهجية القرآن الكريم ببعض الأساليب التربوية الفاعلة المؤثرة

ومنها :

### الربط بين الغاية العظمى من الخلق وبين تفكير أولي الألباب :

حيث يستخدم القرآن الكريم أسلوب الربط بين الغاية العظمى من الخلق — وهي عبادة الله تعالى بمفهومها الشامل — وبين التفكير السوي الناضح الذي يصف القرآن الكريم صاحبه بأنه من

أولي الألباب ، وهذا واضح في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

(١) - [سورة الزمر: الآية ٦٥]

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ٤٨

وَاحْتَلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِآيَاتٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿١٤﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ  
 اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِيلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٥﴾

﴿١﴾

فالتفكر في خلق الله تعالى — بكل وسيلة مباحة ممكنة — يعد ضرباً من العبادة ، سواء  
 كانت هذه الوسيلة هي الحس المجرد ، أو كانت مخترعاً علمياً مشروعاً ، وكلما كانت الوسيلة أقدر  
 على إظهار عظمة الله تعالى ، كلما كانت أعظم أثراً ، وكان مبدعها أكثر أجراً ، شريطة أن يكون  
 مسلماً يؤمن بالله واليوم الآخر ، وفي هذا دعوة إلى الإبداع المادي ، النبيل في غاياته ووسائله .

وإذا كان التفكير في خلق الله تعالى ضرب من العبادة ، فإن قسيمه في الآية الكريمة السابقة  
 هو ذكر الله تعالى على كل حال ، ولا يفعل هاتين القضيتين في واقع الحياة — ذكر الله تعالى  
 والتفكر في خلقه — إلا أولو الأبواب كما صرحت بذلك الآية الكريمة .

كما أن القرآن الكريم يربط بين التفكير العلمي السوي الناضج ، وبين معالجة هذه الغاية  
 وتقريرها في النفوس من خلال منهجية علمية في التفكير يجدها المتأمل في القرآن الكريم عند مناقشة  
 قضايا العقيدة ، وذلك في جانبين اثنتين هما :

**الجانب الأول :** غرس العقيدة في النفوس عن طريق التذكير بتوحيد الربوبية الذي يقر به  
 المشركون ، بأسلوب علمي يثير التفكير ليوصل قارئه وسامعه إلى حقيقة لا تقبل الشك أبداً ، وهي  
 أن الله تعالى هو الخالق لا شريك له ، وهو المتصرف في أمور الكون كله ، ويكمن هذا الأسلوب في  
**العناية بالمقدمات قبل ذكر النتائج :** شريطة أن تكون المقدمات صحيحة منطقية لا تقبل الخطأ أبداً  
 ، لأن المقدمة الخاطئة يتولد منها نتيجة خاطئة ولا شك .

وفي هذا المعنى يقول الله جل جلاله : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ

الْخَالِقُونَ ﴿١٥﴾ أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿١٦﴾ ﴿١﴾

﴿١﴾ - [سورة آل عمران: الآيات ١٩٠-١٩١]

﴿٢﴾ - [سورة الطور: الآيات ٣٥-٣٦]

فقد اشتملت الآيتين الكريمتين على ثلاث مقدمات ونتيجة لتقرير أن المشرك بالله تعالى لا يملك عقلا سويا ، لكونه يتعاطى شركا مرفوضا في عالم الفطرة والعقل والواقع .  
 فها هو المشرك كائن حي موجود في عالم الحس بهذا الخلق العجيب المتناهي في الدقة ، يتمتع بكامل أجهزته المدهشة في التكوين ، فهل خلق من غير شيء ؟ يعني هل وجد صدفة هكذا بدون خالق عظيم ، بلغ خلقه في الإبداع متناهيا ؟ وهذه هي المقدمة الأولى ، والجواب فيها بالنفي القاطع أن يكون الإنسان وجد صدفة من غير خالق ، وهو أمر لا يقره في الأرض عاقل أنى كان مشربه .

أم أن هذا المشرك هو الذي خلق نفسه ؟ وهذه هي المقدمة الثانية ، والجواب فيها بالنفي القاطع أن يكون الإنسان قد خلق نفسه ، وهو أمر لا يقول به عاقل في الأرض أنى كان مشربه .  
 ثم يكون الانتقال إلى ما هو أعظم من خلق الإنسان ، وهو خلق السموات والأرض كما

قال تعالى : ﴿ لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥٧)

فهل خلق هذا المشرك السموات والأرض مع كبرهما وضخامتتهما ، وعجزه عن خلق نفسه ، واعترافه بذلك ؟ وهذه هي المقدمة الثالثة ، وسيكون الجواب الذي يتفق مع الفطرة والعقل ، ويشهد به الواقع ، بالنفي التام أن يكون الإنسان قد حقق من هذا شيئا .  
 والنتيجة المترتبة على هذه المقدمات أن المشركين لا يوقنون ، وهي نتيجة علمية منطقية ، فإن الذي يقر بأنه كائن موجود ، وهو في نفس الوقت لم يخلق صدفة ، ولم يخلق نفسه ، فضلا عما هو أعظم منها كالسموات والأرض ، ويرفض أن يؤمن بخالق يستحق التذلل والانقياد والطاعة فليس من الموقنين ، وهو ما قرره المولى سبحانه بأسلوب علمي آخر وهو : المقارنة بين أمرين : بين وجود مخلوق لا يملك من أمره شيئا ، وبين خالق يملك كل شيء ، ومثاله في قوله تعالى : ﴿ قُلِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ ءَآلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٥٨) أَمْنَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ دَاتَ بِهِجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ

(١) - [سورة غافر: الآية ٥٧]

تُنَبِّتُوا شَجَرَهَا ۗ أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦﴾ أَمَّنْ جَعَلَ  
 الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ  
 الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ أَمَّنْ  
 يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ  
 أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٨﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ  
 وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ ۚ  
 تَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ (١)

فها هي المقارنة بين الخالق العظيم وبين الشركاء المخلوقون ، من الذي يخلق ؟ ومن الذي  
 ينزل الغيث ؟ ومن الذي يخرج النبات ؟ هل هذه الآلهة المزعومة تفعل ذلك ؟ أجل فكيف تعبد من  
 دون الله ؟ والجواب كما قرره رب العالمين : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ أي : " يعدلون  
 به غير ، وهو أظلم الظلم " (١) .

ثم من الذي ذلل الأرض وجعل فيها الرواسي ، وسير فيها الأنهار ، وفرق بين الماعين الحلو  
 والمالح بحاجز غريب يثير الدهشة مرآد ؟ أليس ذلك هو الله سبحانه ؟ !!!  
 فكيف يعبد غيره ، وهو الذي يفعل هذا وحده لا شريك له ؟ والجواب يكمن في أن  
 الكثرة من هؤلاء لا يعلمون ، فأى فرق بين غمر جاهل ، ومشرك لا يقبل الحق وقد علمه .  
 ومن الذي يدعى عند حدوث الكوارث والنكبات وحدث الفواجع ، هؤلاء المشركون  
 يتذكرون في مواطن الشدائد آهتهم ، أم أنهم يرمون بها عرض الحائط وتتعلق قلوبهم بالله ؟  
 فكيف يصر هؤلاء على التعلق بالعاجز الذي لا ينفع نفسه فضلا عن غيره ؟ ويتركون في  
 مواطن الرخاء من تتعلق قلوبهم به عند حدوث النكبات والفواجع والكوارث ؟ غير أنه قلة التذكر  
 وإعمال العقل .

(١) - [سورة النمل: الآيات ٥٩-٦٣]

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٣ ص ٢٢٢

ومن يسير المسافرين في ظلمات البر والبحر؟ ويرسل الرياح مبشرات بالغيث؟ وكان العاقل يسمع إجابة هؤلاء المشركين يقولون: لا أحد مع الله في هذا كله، فتكون خاتمة هذا المقارنات مؤكدة على نتيجة هذه المقارنات كلها: ﴿تَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

أجل فإنه يتعين أن يكون لهذا الكون خالق، عظيم، عليم، حكيم، مدبر، وهنا تتحرك الفطر السوية لتؤمن أن الله وحده هو الخالق لا شريك له، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فلإن الخالق الذي لا شريك له، يجب أن يكون هو المعبود بحق وحده لا شريك له .

الجانب الثاني: بيان ضلال المشركين وفساد معتقداتهم، لكونهم يتعاطون شركا لا يتفق مع الفطرة ولا العقل، وكثيرا ما يركز القرآن الكريم على أمرين متعلقين بتصحيح العقيدة، ويعرضهما في منهجية علمية مقنعة

: أحدهما : توحيد الألوهية :

فإن المشركين يقرون بتوحيد الربوبية، وينكرون توحيد الألوهية، مع ما بين التوحيديين من تلازم كبير، لا يفصل بينهما إلا مغفل ساذج .

ومن أساليب القرآن الكريم في تصحيح انحرافات المشركين في توحيد الألوهية، بمنهجية علمية منطقية: الربط بين أمرين لا يمكن الفصل بينهما الميتة: والربط بين القضايا والأحداث والأفكار وغيرها صورة من صور العمليات العقلية العليا، التي توصل إلى نتائج منطقية سليمة وهو ما جاء واضحا في كتاب الله الكريم، حيث ربط المولى سبحانه في كثير من الآيات بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ

الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ (١) وقوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ

أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ

الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ (٢)

(١) - [سورة البقرة: الآية ٢١]

(٢) - [سورة الأعراف: الآية ٥٤]

فما دام أن الله هو الخالق وحده ، فيجب أن يكون هو الأمر وحده ، ويجب أن يكون هو المستحق للعبادة دون سواه ، لأنه — والحال ما ذكر — أعلم بمصالح خلقه ، وهل هناك عاقل في الدنيا يقر بأن الله خالقه ، وأنه مفطور على العبادة لخالقه ، وأن هذه الفطرة كثيرا ما تتحرك في مواطن الشدائد ، ثم يصرف العبادة لغير الله تعالى ، وكيف يليق بعاقل أن يجعل الله خالقا ، ويتلقى هديه في الحياة ممن لم يخلقه ، وبالتالي يعجز عن إبعاده في الدنيا والآخرة .

إنها قضية منطقية تؤكد على أن العبادة لا تكون إلا للخالق وحده ، لأنه الذي يملك أمر مخلوقه ، هو في نفس الوقت العالم بما يصلحه ويصلح له .

أوليس البشر يقولون بأن الصانع أعلم بالمصنوع من حيث معرفة خصائصه وأسراره ، فكيف يقال هذا في حق الصانع من البشر ، ولا يقال هذا في حق خالق الكون كله بعوالمه العلوية والسفلية ؟ !!!

#### وثانيهما : قضية البعث بعد الموت للجزاء والحساب .

فإن المشركين يؤمنون بأن الله تعالى هو الذي خلقهم من العدم كما قال تعالى عنهم :

وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِهِمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ (١) وهم في

نفس الوقت يكفرون بأن الله قادر على إعادتهم يوم القيامة .

فأنكر القرآن الكريم عليهم هذا التناقض الساذج بأسلوب علمي يثير التفكير ويكمن في :

الاستدلال بأمر ظاهر على أمر خفي : كالاستدلال على إعادة خلق الناس يوم القيامة

بابتداء خلقهم أول مرة ، وقد جاء هذا واضحا في قوله تعالى : ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا

قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ

مَتَى هُوَ قَوْلُ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٨٨﴾ (٢)

فهاهم المشركون يتساءلون على جهة الإنكار بقولهم ﴿ مَنْ يُعِيدُنَا ﴾ أي بعد أن

نكون عظاما نخرة في قبورنا ، فكان الجواب العلمي في قوله تعالى : ﴿ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ

(١) - [سورة الزخرف: الآية ٨٧]

(٢) - [سورة الإسراء: الآية ٥١]

أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿ فَإِنَّ الَّذِي فَطَرَ ابْتِدَاءًا مِنَ الْعَدَمِ ، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُعِيدَ شَيْئًا مَوْجُودًا ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ  
يَكُونَ هَذَا الْإِنْكَارَ لِقَضِيَّةِ الْبَعْثِ مِنْطِقَ عَاقِلٍ فِي الدُّنْيَا أَبَدًا .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ

أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴿ (١)

فَإِذَا كَانَتْ إِعَادَةُ فِعْلِ الشَّيْءِ مَهْمًا كَانَتْ صَعُوبَتُهُ فِي حَقِّ الْآدَمِيِّ سَهْلَةً مَيَسَّرَةً ، فَهِيَ فِي  
حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ بَابِ أَوْلَى .

وَمَا عَدَا ذَلِكَ مِنْ قَضَايَا الْإِيمَانِ لَمْ يَرْكُزِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَلَيْهَا كَثِيرًا ، لَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَقْرُونَ  
بِكَثِيرٍ مِنْ أُمُورِهَا ، فَهَمَّ يَعْتَرِفُونَ بِتَوْحِيدِ الرَّبُّوبِيَّةِ كَمَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَلَئِنْ

سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿ (٢) وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿

وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ (٣) وَيَقْرُونَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ كَمَا حَكَى اللَّهُ

تَعَالَى ذَلِكَ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا

وَلَا آبَاءُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ

تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تُخْرِصُونَ ﴿ (٤) وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ

مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ

(١) - [سورة الروم: الآية ٢٧]

(٢) - [سورة الزخرف: الآية ٨٧]

(٣) - [سورة لقمان: الآية ٢٥]

(٤) - [سورة الأنعام: الآية ١٤٨]



يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيَّةِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيَّةَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرِ الْأَمْرَ

فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١﴾ (١) ويقولون بالملك كما حكي الله تعالى

عنهم ذلك بقوله : وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا

الْمَلَكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا

﴿٢﴾ (٢) ويقولون بالكتب السماوية السابقة ، ويسمون أصحابها أهل كتاب ، وقد اعترضوا على

القرآن أنه لم ينزل دفعة واحدة كما هو الحال في الكتب السابقة ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ

الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ

بِهِم فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۖ ﴾ (٣) ومع ذلك كله فقد سماهم الله كفارا مشركين

، لأن مجرد الإيمان ببعض الكتاب ورفض البعض الآخر لا ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة ، بل لا بد

من أخذ الدين كله كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ

كَافَّةً ﴾ (٤) قال السعدي — رحمه الله — في تفسيره : " هذا أمر من الله تعالى للمؤمنين أن

يدخلوا في السلم كافة أي في شرائع الدين ، ولا يتركوا منها شيئا ، وألا يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه ،

إن وافق الأمر المشروع هواه فعله ، وإن خالفه تركه ، بل الواجب أن يكون الهوى تبعا للدين ، وأن

يفعل كل ما يقدر عليه من أفعال الخير ، وما يعجز عنه يلتزمه وينويه فيدركه بنيته " (٥) وإلا فهو

الإيمان ببعض الكتاب والكفر بالبعض الآخر ، وقد بين المولى سبحانه أن ثمرة ذلك هي الخزي في

الحياة الدنيا ، والعذاب الشديد في الآخرة .

(١) - [سورة يونس: الآية ٣١]

(٢) - [سورة الفرقان: الآية ٢١]

(٣) - [سورة الفرقان: الآية ٣٢]

(٤) - [سورة البقرة: الآية ٢٠٨]

(٥) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٧٧

ومن خلال معالجة القرآن الكريم لقضيّتي : الألوهية والبعث يتبين أن المشركين يناطحون الفطرة ويكفرون الحق من جهة ، ويفتقدون أدنى مظاهر التفكير العلمي من جهة أخرى ، فأما مناطحتهم للفطرة وكفراهم للحق ، فإن الخالق سبحانه قد فطر البشرية على الإسلام ، كما صح عنه صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (( ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه )) (١) وفي روايه مسلم (( أو يمجسانه )) (٢) أي يجعلانه مشركا بالله على أي ملة شركية ضالة ، وإذا تنكروا لهذه الفطرة في أوقات الرخاء فضحتهم أوقات الشدائد .

وأما فقدانهم لأدنى مقومات التفكير العلمي ، فكيف يعبد الإنسان مخلوقا مثله ، أو أقل منه ، وكيف يطلب جلب النفع ، أو دفع الضر من إله عاجز عن نفع نفسه ، فضلا عن غيره ، سواء كان هذا المخلوق بشرا أم حجرا أم شجرا .

وفي هذا المعنى يقول سبحانه وهو يلفت أنظار المشركين إلى عجز هذه الآلهة التي يعبدونها

\_\_\_\_\_ من دون الله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ ۗ

فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ

بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ

أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ

﴿١٦٥﴾ ﴿١٦٦﴾

والتأمل في الآية الكريمة يجدها تؤكد على عجز هذه الآلهة أن تجيب من دعاها ، لكونها لا تملك أرجلا تمشي بها ، ولا أيد تبطش بها ، ولا أعينا تبصر بها ، ولا آذانا تسمع بها ، فكيف تستجيب ؟ وكيف تنفع أو تضر وهي على هذه الشاكلة ؟ !!!

كما أن الملائكة والأنبياء عليهم السلام لا يملكون نفع العباد حتى يأذن الله بذلك ، ومن هذا النفع : الشفاعة ، فإنهم لا يشفعون لأحد إلا بإذن الله تعالى للملك أو الرسول ، ورضاه عن

(١) البخاري ، صحيح البخاري ، ص ٢٦٣ حديث رقم (١٣٥٨)

(٢) مسلم ، صحيح مسلم ، ص ١٠٦٦ حديث رقم (٢٦٥٨)

(٣) - [سورة الأعراف: الآيات ١٩٤-١٩٥]

المشفوع له ، لكونه — سبحانه — هو الذي يملك كل شيء ، ولا يقع في الكون شيء إلا بعلمه  
ومشيئته ، قال تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُعْنِي شَفَاعَتُهُمْ

شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ (١)

كما أن من الأساليب التي ينتهجها القرآن الكريم لإثارة التفكير : الحوار والمناظرة ، وقد  
كان هذا الأسلوب الفعال في إثارة القدرات العقلية واضحة في محاوره الأنبياء لأقوامهم في منهجية  
علمية قائمة على الدليل النقلي والعقلي ، ومن ذلك محاوره إبراهيم عليه السلام لقومه الذي يعبدون  
الشمس والقمر والكواكب من دون الله تعالى ، وقد وردت تلك المحاور في قوله تعالى : ﴿ وَلَا

قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِذْ أَرَّأْتَهُ اتَّخَذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَأَيْتَكَ وَقَوْمَكَ فِي  
ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ  
هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ  
بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي  
لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ  
هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَلْقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا  
تُشْرِكُونَ ﴾ (٢)

وحيث خصموه في تحطيم أصنامهم أنكر أن يكون هو الذي فعل ذلك ، وأشار إلى صنمهم  
الأكبر على أنه الذي حطمها ، وأمرهم بسؤاله ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ  
رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٧٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ

(١) - [سورة النجم: الآية ٢٦]

(٢) - [سورة الأنعام: الآيات ٧٤-٧٨]

التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٦﴾ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا  
 عَابِدِينَ ﴿٥٧﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٨﴾  
 قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٩﴾ قَالَ بَلْ رُبُّكُمْ رَبُّ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ  
 الشَّاهِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ  
 ﴿٦١﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾  
 قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِءَالِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ قَالُوا سَمِعْنَا  
 فَتَىٰ يَدُورُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٤﴾ قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ  
 النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦٥﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِءَالِهَتِنَا  
 يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٦﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا  
 يَنْطِقُونَ ﴿٦٧﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٨﴾  
 ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٩﴾ قَالَ  
 أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٧٠﴾  
 أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا  
 حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧٢﴾ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي

بَرَدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١١﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ  
الْأَخْسَرِينَ ﴿١٢﴾ ﴿١﴾

وقال لهم في موطن آخر : ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ وَاللَّهُ

خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴿٢﴾

أي كيف تعبد صنما صنعه بيديك ، وهل يعقل أن يكون الصانع عبدا ، والمصنوع إلهاً ، إن  
هذا أمر لا يقر به من يملك أدنى ذرة من عقل .

وهو ما قالته أم سليم بنت ملحان رضي الله عنها لأبي طلحة حين قال لها : يا أم سليم إني  
فيك لراغب ، أتقبليني زوجا ؟ فقالت — رضي الله عنه — : (( والله ما مثلك يا أبا طلحة يرد  
ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة ، ولا يحل لي أن أتزوجك ، وإن تسلم فذاك مهري ، وما  
أسألك غيره ، فأسلم فكان ذاك مهرها )) ﴿٢﴾

لقد حاورته — رضي الله عنها — قبل إسلامه من خلال منهجية علمية منضبطة ، قائمة  
على خطوات علمية منطقية جد مقنعة ، فلما رأت منه أخذا وعطاءً ، ودار الحوار بينهما قالت له :  
" أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم التي تعبدونها ينحتها عبد آل فلان ؟ !!! وأنكم لو أشعلتم فيها نلرا  
لاحترقت ؟ !!! قال فانصرف وفي قلبه ذلك " ﴿٣﴾

لقد تأولت — رضي الله عنها القرآن الكريم ، واستفادت من منهجيته العلمية في التفكير  
طريقة الإقناع ، حين ذكرت له أن الصنم الذي يعبده خشبة أو حجرة منحوتة باليد ، ومعنى منحوتة  
: أي أنها ضربت بالفأس ونشرت بالمنشار ، فهي لعبة بين يدي هذا الناحت يفعل فيها كيفما يشاء  
، ثم إن الأعجب من ذلك في كلامها أنها قالت : ينحتها عبد آل فلان ، وقد اختارت هذا المصطلح  
لتعبر له عن حقارة هذا الإله الذي صنعه أيدي عبد أسود حقير ، وكأنها تقول له : يا أبا طلحة هل  
ترضى أن يأكل العبد معك من قصعة واحدة ؟ وسيقول : لا ، لأنهم كانوا يحتقرون العبيد في الجاهلية

(١) - [سورة الأنبياء: الآيات ٦٦-٧٠]

(٢) - [سورة الصافات: الآيات ٩٥-٩٦]

(٣) النسائي ، سنن النسائي ، ج ٦ ص ١١٤ والحديث صححه الألباني في صحيح سنن النسائي ج ٢ ص ٧٠٣ حديث رقم )

( ٣١٣٣ )

(٤) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٢ ص ٣١٠ - ٣١١

، فلا يرضى أن يجالسه العبد على طعام أبدا ، ولا يرضى من العبد أن يصنع له طعاما لحقارته وحقارة يديه عندهم ، وكأن المعنى : يا أبا طلحة لا ترضى من العبد أن يصنع لك طعاما ، وترضاه أن يصنع لك ربا تعبه ، وترجو منه جلب النفع ودفع الضر ، ثم إن هذا الإله لو أشعلت فيه نار أمامك الآن لا حترق ، فأين العقل يا أبا طلحة ؟ !!! فانصرف الرجل وفي قلبه من كلامها شيء ، وعاد بعد التفكير الذي أثارته هذه المنهجية الواعية — بعد هداية الله تعالى — وهو يشهد ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كما أن من الأساليب المهمة عند الحوار : **تحديد معيار دقيق يحكمم إليه عند النقاش** ، ويرجع إليه عند الاختلاف ، وهو أسلوب من أساليب التفكير العلمي المنضبط ، وحين تجعل المعايير شخصية ذات ميول بشرية ، وأهواء إنسانية ، تسهم في تشتيت الحديث ، وتفريق النفوس ، بل تزيد من الفجوة بين المتحاورين ، فتتعدد من خلال ذلك وجهات النظر حسب تعدد أهواء الناس وآرائهم ، وبالتالي لا يمكن الوصول إلى نتيجة سليمة والحال ما ذكر .

وفي كلا الجانبين يعالج القرآن الكريم قضايا العقيدة بمنهجية علمية في التفكير يمكن وصفها بأنها قد بلغت غاية البيان والإقناع ، لكون غرس المعتقد الصحيح من جانب ، وبيان فساد ما يعتقدوه المشركون من جانب آخر ، له مستلزماته الإيمانية التي يحققها المسلم في حياته عن محبة وطواعية واقتناع .

### التفكير في تشريعه المحكم لحفظ الضرورات الخمس :

وهي الكليات الخمس التي بها قوام سعادة الدنيا والآخرة ، وعليها مدار الخير كله في عاجل الأمر وآجله ، ألا وهي : الدين والنفس والعرض والعقل والمال .  
ففي حفظه للدين : بين المولى — سبحانه — أن الإنسان مفلح على الإيمان بالله تعالى ، وأن سعاداته على ظهر هذه الأرض مرهونة بحسن تدينه واستقامته ، فأمر — سبحانه — بإقامة شعائر الدين عن طريق فعل الأمر واجتناب النهي ، وفق طاقة الإنسان وقدراته ، وجعل القيام به بين حدين : أدنى وأعلى ، فالحد الأدنى هو حد الاستطاعة ، وهو ما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا

أَسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِنَفْسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ

نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ (١)

(١) - [سورة التغابن: الآية ١٦]

والحد الأعلى هو حد تحقيق أقصى درجات التقوى ، وهو ما جاء في قوله تعالى : ﴿

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ

مُسْلِمُونَ ﴿١٢﴾ ﴿١﴾

والناس يتنافسون بين هذين الحدين ، على ألا ينزل المسلم عن الحد الأدنى فيكون مفرطاً في أمانته ، مستحقاً العقوبة من ربه سبحانه ، ولا يتعدى — مهما بلغت همته — ما شرع الله تعالى له ، وكل ذلك بعد أن بين المولى — سبحانه — للإنسان كل شيء ، سواء كان هذا البيان في القرآن الكريم ، أو في السنة النبوية المطهرة ، أو في هدي الخلفاء الراشدين فإذا تنكب الإنسان الطريق وقد رسم له ، فترك الأمر ، ووقع في النهي ، وتجاوز الحدود — سواء كانت هذه التجاوزات في حق الله تعالى ، أو في حقوق الآدميين — فقد استوجب العقوبة الدنيوية التي شرعها الله تعالى لضمان حماية الدين ، وهي مبسوسة في كتب الفقهاء .

على أن القرآن الكريم لا يوقع العقوبة كأسلوب علاجي — لما يقع فيه العبد من تجاوزات — ، إلا بعد أن يقوم بالأسلوب الوقائي عن طريق ترغيب الناس في الخير بكل أسلوب تربوي مؤثر ، وترهيبهم من كل ما يوردهم موارد الهلاك في الدنيا والآخرة ، بكل أسلوب تربوي مؤثر ، وهو ما أكده بعض الباحثين بقوله : " ولخطورة المعصية وشؤم آثارها على مستقبل حياة الإنسان فرداً كان أو جماعة ، فقد تدخلت عناية الله بهذا الإنسان ، فرسمت له طريق الخير ودعته إليه ، وخطت له طريق الشر وحذرته مغبة الوقوع فيه ، وسلكت في ذلك منهجين عظيمين تميزت بهما التربية الإسلامية ، يكمن أحدهما في : التربية الوقائية ، وذلك بأخذ الاحتياطات والتدابير الشرعية التي تقي من الوقوع في الخطأ ، وتمنع من الترددي في المحذور ، ويكمن الآخر في : التربية العلاجية ، التي تأتي عقب الوقوع في الخطأ ، والسقوط في هوة المحذور " (١) والمتأمل لكثير من القواعد الفقهية ، التي هي ثمرة استقراء النصوص الشرعية في الكتاب والسنة ، يرى مدى ارتباطها بالتربية الوقائية ، كقاعدة ( درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة ) وقاعدة ( الدفع أسهل من الرفع ) وقاعدة ( ارتكاب أخف الضررين ) وغيرها : " ومن يتمعن في النهج التربوي الإسلامي يجد أن التركيز إنما ينصب على البناء الوقائي للفرد

(١) - [سورة آل عمران: الآية ١٠٢]

(٢) خليل الحدري ، التربية الوقائية في الإسلام ، ص ٢٣

والمجتمع ، وعلى تقوية المناعة المكتسبة لدى الناس تداركا للأمر ، وتحوطا منها ، واتقاء لشرها قبل وقوعها " (١)

فإذا تجاوز الإنسان الحدود وقد بينت له ، كان لا بد من إيقافه عند حده صيانة لمحارم الدين ، وحفاظا على شعائره ، وتكون صيانة الدين ، وحماية محارمه مترددة بين عقوبة مقدرة شرعا من الخالق سبحانه ، منصوص عليها في القرآن الكريم ، أو السنة النبوية المطهرة ، وبين عقوبة غير مقدرة شرعا ، متروكة للحاكم يقررها وفق مقاصد الشريعة الإسلامية السمحة ، وتسمى بـ ( العقوبات التعزيرية ) .

بل وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين حين لا يحكم فيهم بشرع الله ، ويظهر لهم الكفر البواح الذي عندهم من الله فيه برهان ، وقدروا على الخروج عليه أن يخرجوا ، فقد روى الصحابي الجليل عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه فقال فيما أخذ علينا : (( أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان )) (٢) زاد بعض أهل العلم وتحققت القدرة على الخروج (٣) .

وفي حفظ النفس : بين الإسلام حرمة النفس المعصومة ، وأن دم المسلم على أخيه المسلم حرام ، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (( لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه )) (٤) وقد روى معمر بن راشد أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : (( أشهد أنك بيت الله وأن الله

عظم حرمتك وأن حرمة المسلم أعظم من حرمتك )) (٥) وتوعد قاتل النفس المؤمنة بغير حق

(١) فتحي يكن ، التربية الوقائية في الإسلام ، ص ٣٩

(٢) البخاري ، صحيح البخاري ص ١٣٥٠ حديث رقم (٧٠٥٦) ومسلم ، صحيح مسلم ، ص ٧٦٩ حديث رقم (١٧٠٩)

(٣) محمد بن صالح العثيمين ، حاشية كتاب : التحذير من فتنة التكفير للألباني ، ص ٧٤

(٤) مسلم ، صحيح مسلم ، ص ١٠٣٥ حديث رقم (٢٥٦٤)

(٥) معمر بن راشد ، الجامع ، ج ١١ ص ١٧٨



بمخمس عقوبات ، عظيمة ، وهي : جهنم ، والخلود فيها ، وغضب الله ، ولعنته ، والعذاب العظيم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا

فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿١٣٦﴾ ﴿١﴾

واستثنى من القتل ما كان بحق كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ

اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ ﴿٢﴾ والحق في الآية الكريمة هو الذي ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه أبو

هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( لا يجل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والشب الزاني والمفارق لدينه التارك للجماعة )) ﴿٣﴾

لقد كانت مشرعية الحدود والتعازير رحمة من الله تعالى بعباده ، لأن فيها الحياة الحقيقية لمن

يروم الأمن والاستقرار ، وقد أكد المولى سبحانه هذه الحقيقة بقوله : ﴿ وَلَكُمْ فِي

الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴿٤﴾

وإن الإنسان ليتساءل كيف يكون في إزهاق الأرواح وتقطيع الأطراف حياة ، إن هذا لو

كان كلام بشر لعد متناقضا ، ولكنه كلام الله الذي يقول في صدر سورة البقرة : ﴿ ذَلِكَ

الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٧٦﴾ ﴿٥﴾ فليس فيه ريب ولا تناقض ولا

نقص ولا شك ، وفي ذلك يقول السعدي - رحمه الله - في تفسير هذه الآية حول ثمرات القصاص

: " أي تنحقن بذلك الدماء وتنقمع به الأشقياء ، لأن من عرف أنه مقتول إذا قتل ، لا يكاد يصدر

منه القتل ، وإذا روي القاتل مقتولا اندعر بذلك غيره وانزجر ، فلو كانت عقوبة القاتل غير القتل لم

يحصل انكفاف الشر الذي يحصل بالقتل ، وهكذا سائر الحدود الشرعية ، فيها من النكابة والانزجار

(١) - [سورة النساء: الآية ٩٣]

(٢) - [سورة الإسراء: الآية ٣٣]

(٣) البخاري ، صحيح البخاري ، ص ١٣١١ حديث رقم (٦٨٧٨)

(٤) - [سورة البقرة: الآية ١٧٩]

(٥) - [سورة البقرة: الآية ٢]

ما يدل على حكمة الحكيم الغفار ، ونكر ( الحياة ) لإفادة التعظيم والتكثير ، ولما كان هذا الحكم لا يعرف حقيقته إلا أهل العقول الكاملة والألباب الثقيلة خصهم بالخطاب دون غيرهم ، وهذا يدل على ان الله تعالى يحب من عباده أن يعملوا أفكارهم وعقولهم في تدبر ما في أحكامه من الحكم والمصالح الدالة على كماله ، وكمال حكمته وحمده وعدله ورحمته الواسعة " (١)

وإن كل عاقل في الدنيا يؤمن بأن العضو من الجسد إذا دخلته آفة سارية ، متعددة الضرر — لا يمكن علاجها — شهد بأن أسلم طريقة لحفظ الجسد هي بتره لئلا يتعدى خطره ، ويتفاقم ضرره ، وإلا تلف بذلك الجسد كله ، فسبحان من شرع القصاص وجعل فيه حياة يدرك آثارها أولو الألباب ، وهم العقلاء المتجردون من الناس .

وفي حفظ الأعراض : بين الإسلام حرمة عرض المسلم ، كما صح عنه صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه )) (٢)

فحرم الزنا والقذف ، وقال في تحريم الزنا : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَّ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً

وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (٣) وقال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا

ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿١٦﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا

فَأُولَٰئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٨﴾

(٤) وقال في عقوبة الزناة في الدنيا : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٦٧

(٢) مسلم ، صحيح مسلم ، ص ١٠٣٤ — ١٠٣٥ حديث رقم (٢٥٦٣)

(٣) - [سورة الإسراء: الآية ٣٢]

(٤) - [سورة الفرقان: الآيات ٦٨-٧٠]

مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ (١)

ونفّر من الزنا بأسلوب تربيوي مؤثر ، فقال سبحانه : ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا

زَانِيَةً أَوْ مَشْرُكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى

الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ (٢)

وتوعّد الزاني المحصن بأشد العقوبات ، ألا وهي الرمي بالحجارة حتى الموت ، وقد وردت  
هذه العقوبة في القرآن الكريم منسوخة اللفظ محكمة المعنى (( الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما

البتة نكالا من الله والله عليم حكيم )) (٣) .

وحرم كل سبب يفضي إلى إثارة الغرائز ، فأمر بغض البصر ، وحرم التبرج والسفور ،  
ونهى عن الاختلاط ، وحرم الدخول على المغيبات \* ومنع سفر المرأة بغير محرم ، ونهاها عن لين  
القول عند الحديث ، وأمرها بالحجاب ، وغير ذلك .

وقال في تحريم القذف : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا

بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا

وَأُولَئِكَ هُمُ الْفٰلسِقُونَ ﴿٤﴾ (٤) فجعل عقوبة القذف ثمانين جلدة ، وجاء بمنهجية جد

رائعة في تلقي الشائعات وكيفية التعامل معها في عشر آيات من سورة النور (٥) .

(١) - [سورة النور: الآية ٢]

(٢) - [سورة النور: الآية ٣]

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٥٧٤ والحديث في سنن النسائي ج ٤ ص ٢٧١ حديث رقم (٧١٤٨)

\* النساء الأجنبية في بيوتهن

(٤) - [سورة النور: الآية ٤]

(٥) من الآية ١١ - الآية ٢٠

وفي حفظ العقل : جعل دية النفس كاملة ، حتى قال ابن قدامة — رحمه الله — لا نعلم

في هذا خلافا . . . فكان بإيجاب الدية أحق من بقية الحواس " (١)

وحرم كل ما يفسده من المسكرات والمخدرات والمفترات ، وكان تحريمه للخمر — على سنة التدرج — أمرا في غاية الحكمة والإحسان ، لكون الناس كانوا يعتادون شربها ، وهي جزء لا يتجزأ من مجالسهم ومنتدياتهم في غالب الأمر ، ولكونها أم الخبائث جاء الأمر قاطعا بتحريمها في المرحلة الثالثة ، بعد أن هيات النفوس في المرحلتين السابقتين ، فقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩١﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (٢)

وهي المسلم أن يبدد طاقاته العقلية فيما لا فائدة فيه من قول أو فعل ، وحدد له الميادين التي يمكن أن يستثمر فيها قدراته العقلية ، ونهاه عن بعضها ، ووعد بالأجر حين يفكر في قضية ويهم بفعلها وإن لم يتمكن من ذلك ، بل ووعد بالأجر كذلك حين يفكر في قضية غير مقبولة في شرع الله ثم يعرض عنها ابتغاء وجه الله ، وخوفا من سخطه وعقابه ، إلى غير ذلك مما شرعه الله سبحانه لحفظ العقل ، وصيانة قدراته .

وفي حفظ المال : حرم الإسلام مال المسلم على المسلم بأي صورة من صور الاعتداء ،

وأمر بقطع يد السارق ، إذا توفرت شروط السرقة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣) وحرم الربا كما قال سبحانه : ﴿ وَأَحْلَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۗ

(١) ابن قدامة ، المغني ، ج ٨ ص ٣٧

(٢) - [سورة المائدة: الآيتان ٩٠-٩١]

(٣) - [سورة المائدة: الآية ٣٨]

﴿ (١) وحرّم كثيرا من البيوع التي تقوم على الجهالة والغرر ، وحرّم الاحتكار والغش والخيانة ، وأكل أموال الناس بالباطل كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٧٨) ﴿ (٢) ﴾

ومن الأساليب التي ينتهجها القرآن الكريم لإثارة التفكير في علمية دقيقة : دعوته إلى أخذ العبرة والعظة من لم يقبل هداية الله تعالى ، ولم يرفع بها رأسا ، كيف شقي في حياته الدنيوية بلألوان من الشقاء ، وكان ختامها معاجلة الله تعالى لأصحابها بالعذاب ، إذ بعد أن بين سبحانه ما فعل بقوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا ، قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوًّا أَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ (٤) ﴿ (٣) قال ابن كثير في تفسيره عن هذه القرية : " يعني قرية قوم لوط

وهي سدوم " (٤) وقال سبحانه مخاطبا الذين لا يأخذون العبر والعظات من الآخرين مستكبرا عليهم بلادهم التي لا تربط بين الفعل وأثره : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴾ (١٢٧) ﴿

وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١٢٨) ﴿ (٥) ﴾

كما أن من الأساليب التربوية المثيرة للتفكير في صورته العلمية الدقيقة : دعوته إلى المقارنة التي تتخذ أشكالا متعددة ، سواء كانت مقارنة بين آلهة ، أو تشريعات ، أو أخلاق ، أو بين أفراد ، أو أحزاب ، أو أمم ، أو معتقدات ، أو أفكار ، أو وعود ، أو ما إلى

(١) - [سورة البقرة: الآية ٢٧٥]

(٢) - [سورة البقرة: الآية ١٨٨]

(٣) - [سورة الفرقان: الآية ٤٠]

(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ص ٣٩٧

(٥) - [سورة الصافات: الآيات ١٣٧-١٣٨]

ذلك ، ولهذا قال سبحانه وهو يقارن بين ألوهيته وألوهية غيره : ﴿ ءَآلَهُ خَيْرٌ أَمَّا

يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴿١﴾

وقال تعالى عن تشريعه المحكم في كتابه الكريم مقارنا بينه وبين تشريع الجاهلية : ﴿

أَفْحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٩﴾

﴿٢﴾

وقال تعالى عن وعوده وتحقيق وقوعها وبين وعود غيره : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا

قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴿٥٩﴾

﴿٣﴾

وقال سبحانه وهو يقارن بين مشركي العرب وبين غيرهم من كفار الأمم السابقة : ﴿

أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَعِّعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا

مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴿٤﴾

وبما أن المقارنة أسلوب يؤكد عليه القرآن الكريم ، فإن الباحث في هذا المقام يقارن بين

المجتمعات التي يحكم الحياة فيها شرع الله تعالى الكامل الشامل الواقعي المرن المتوازن ، وبين ما يعيشه

العالم اليوم بعد أن حرب قوانينه الوضعية الوضعية ، وأعرض عن ربه وقد تبينت له آياته في الآفاق

والأنفس .

فقد سبق بيان عظمة هذا الدين في تشريعه المحكم المتعلق بالضروريات الخمس ، وبين حال

الأديان المحرفة والوضعية من هذه الضروريات التي لا يستقيم أمر مجتمع من المجتمعات إلا بالمحافظة

عليها .

﴿١﴾ - [سورة النمل: الآية ٥٩]

﴿٢﴾ - [سورة المائدة: الآية ٥٠]

﴿٣﴾ - [سورة إبراهيم: الآية ٢٢]

﴿٤﴾ - [سورة الدخان: الآية ٣٧]

إن العالم الذي لا يؤمن بالله تعالى يجني ثمار العلقم في الدين والنفس والعرض والعقل والمثل ، بعد أن تجرأت قوانينه وأنظمتها ، بتقنين الفساد على اختلاف صورته وأشكاله : " ففقتت التبذل والانحراف باسم الحضارة ، وفتنت الظلم والتعسف والسيطرة باسم السلام ، وفتنت الإباحية الجنسية العارمة باسم الحرية ، وفتنت التبرج والسفور والفجور باسم السياحة ، وفتنت التمييز العنصري باسم المساواة ، وأخرجت المرأة من بيتها — لتفقد أنوثتها وإنسانيتها — باسم الحرص على المجتمع " (١) وباسم التنمية والبناء ، وتحت شعارات إثبات الوجود ، وطالبت بإلغاء مصطلحي ( الرجل ) و ( المرأة ) لتساوي الحقوق ، وتنتزع قوامه الرجال ، وتستقل المرأة بكامل تصرفاتها ، فلا إيمان بالقوامه التي شرعها الله في كتابه الكريم ، ولا إيمان بنقصان عقل المرأة ودينها الذي بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا إيمان بالفروق المادية بين الجنسين كما هو المنطق العقلي عند الناس جميعا ، ولا إيمان بما يستلزم ذلك من فروق في الوظائف والأعمال .

وفيما يلي عرض موجز لنتائج هذا التقنين المزري للفساد في زمن انتشار الجامعات ومراكز البحث العلمي ، وفي زمن الانفجار العربي ، وتدفق المعلومات ، التي لم تغن عن أصحابها شيئا ، يوم أعرضوا عن هداية الله ، وهي صورة من صور المقارنة التي تثير مكامن التفكير لتصبح النتيجة واضحة لكل عاقل .

**ففيما يتعلق بالدين :** عاش العالم الذي لا يؤمن بالله تعالى بين أديان سماوية محرفة ، ضاع صحيحها في بحار التحريف والتشويه والتبديل والتغيير والتزوير ، إضافة إلى أنها قد نسخت بالإسلام ، ولم تعد على — فرض صحتها وسلامتها من التحريف والتبديل — مهياً لتكون أديانا عالمية للبشرية كلها ، فقد نزلت لقوم دون قوم ، وفي زاوية من الأرض دون أخرى ، وبين أديان وثنية ما أنزل الله بها من سلطان ، وضعها بشر منتكسو الفطر ، فكان قصورها في تلبية مطالب الإنسان على قدر ضعف الإنسان وقصوره ، ولم تلب هذه الأديان غريزة التدين في النفوس ، بل زادت الإنسان حيرة إلى حيرته ، وشقاء إلى شقائه ، وفراغا إلى فراغه ، وهو ما عبر عنه بعض الباحثين بقوله : " لقد تشابهت تلك الفلسفات والعقائد الأخرى في صفة واحدة وهي الفصل التام بين مرحلتين الدنيا والآخرة ، ولكنها اختلفت بعد ذلك اختلافا كبيرا حول أي المرحلتين يتم فيها بقاء النوع البشري ورفيقه ، ففي حين تتوجه بعضها إلى حنة الآخرة عبر ضباب معتم متخبط من المعرفة والسلوك والقيم

(١) خليل الحديري ، التربية الوقائية في الإسلام ، ص ٨١

، فإن البعض الآخر قد رفض استمرار السير في هذا الضباب المعتم المضطرب ، وآثر الإقامة في جنة  
على الأرض خلال الحياة الدنيا " (١) فماذا كانت النتيجة ؟

أهدرت طاقات العقل ، ومسخت كرامة الإنسان ، فعبد حجرة تلقى ، وشجرة تقطع ،  
وبقرة تذبح ، وشمسا تغيب ، وقمرًا يتوارى ، وإنسانًا يموت ، ونظامًا متناقضًا ، ودرهما يفنى ، ودنيا  
تزول .

لقد اضطرب العالم اضطرابًا نفسيًا مريعًا ، نتيجة لاضطرابه في دينه ، وأثر هذا الاضطراب  
على سائر جوانب الحياة ، سواء كانت فردية أو اجتماعية ، وانتشرت الأمراض النفسية بصورة مخيفة  
، وازدادت فيه المصحات النفسية ، وكثر الانتحار ، وأصبح العالم يعيش فراغًا روحيا مهولا ، أثمر  
إلحادًا لا تقره فطر سوية ، ولا عقول واعية ، حتى قال أبناء القردة والخنازير المشؤومون على العالم  
كله : " حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض ، لن نبيح قيام دين غير ديننا . . . ولهذا السبب  
يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان ، ولو كانت النتيجة لهذا هي إثم ملحدين " (٢) وقد عبر عن  
الكفر والفسق والإلحاد ارتفاع معدلات الجرائم في العالم ، وانتشار تعاطي الخمر والمخدرات  
والمفترقات ، واضطراب أمور الحياة في كل جانب .

وفيما يتعلق بالنفس : أصبح العالم يعيش حالة من فوضى الاعتداءات الجسدية العارمة ،  
سواء كان ذلك من خلال اعتداء الإنسان على نفسه بالانتحار ، أو من خلال اعتداء بعض الناس  
على بعض ، على مستوى الأفراد ، وعلى مستوى الشعوب ، وتسابقت الدول في تصنيع السلاح  
للقتل والتخريب والتدمير ، وفرض الهيمنة ، وسخرت ميادين البحث العلمي لذلك .

وفيما يتعلق بالعرض : أفل نجم المروءة في النفوس ، وكادت الغيرة أن تموت ، وسهل بيع  
العرض ، ولم تعد المسألة مجرد فاحشة يرتكبها الإنسان على صورة فردية مهما تعددت ، بل قننت  
الفواحش ، وصيغت الأنظمة لحمايتها ، وأصبحت جزءًا من الدساتير الدولية في بعض الأقطار ،  
وانتشر الشذوذ الجنسي ، وزوج الرجل بالرجل ، والمرأة بالمرأة ، ودعي إلى نكاح المحارم ، وأصبح  
العفاف شذوذًا ، والشذوذ وضعًا طبيعيًا ، وقامت المنظمات المشبوهة لنشر الفساد في الأرض ،  
وعقدت المؤتمرات الدولية لتفتيت الأسرة ، وتمزيق أوصالها ، ومسح الحياء في جنباتها .

(١) ماجد الكيلاني ، فلسفة التربية الإسلامية ، ص ٢٥

(٢) بروتوكولات حكماء صهيون ، ص ٢٢٨ — ٢٢٩



وكل هذا يحدث في زمن الانفجار المعرفي ، والثورة المعلوماتية ، وتحت شعارات حضارية ، فرضتها — كما يزعم الأفاكون — المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وأحدثها العولمة والشوملة والنظام العالمي الجديد .

وفيما يتعلق بالعقل : أصبح عند بعض الناس إلهاء يعبد ، ومشروعاً يطاع ، وافتن به الملاحدة ، وزعموا أنهم بتربيتهم وحسن توجيهه قادرون على الاستغناء به عن الله تعالى . هذا من جانب ومن جانب آخرها هي آثار الخمر تفتك بالحياة ، وتدمر الأفراد والمجتمعات ، وها هو العالم اليوم ينادي بمنعها ، بعد أن ذاق مرارة تقنينها ، وبث الدعاية لها ، وهو ما أكده بعض الباحثين بقوله : " لقد بقيت بعض البلاد تحت سلطان الخمر حتى أثبت العلم المادي — أخيراً — أن الخمر مفسدة عظيمة ، وأنها تهدم الصحة ، وتضيع المال ، وتضعف النسل ، والعقل ، وتضر بالإنتاج ضرراً بليغاً ، هنالك بدأت الدعوة لتحريم الخمر تظهر وتشتد ، وتؤلف لها الجماعات ، وتجمع لها الأموال ، وتنشر الصحف ، وقد نجحت الدعوة لتحريم الخمر نجاحاً ملحوظاً ، فلا يكاد يوجد اليوم بلد ليس فيه جماعات تدعو لتحريم الخمر ، وتجد كل تعضيد ومساعدة من المفكرين والمصلحين ، بحيث يمكن أن يقال : إن الدعوة إلى تحريم الخمر أصبحت اليوم عامة ٠٠٠ وإذا كان العالم غير الإسلامي قد أصبح الآن يفكر في تحريم الخمر ، كما أصبحت النفوس مهياًة لقبول التحريم ، فمعنى ذلك أن الشريعة الإسلامية — بما قررت من تحريم الخمر — دعت الناس أن يتقدموا عصرهم بأكثر من ثلاثة عشر قرناً " (١)

وفيما يتعلق بالمال : ها هي الغاية تبرر الوسيلة ، وهاهو الفقر يجتاح شعوباً تموت من الجوع ، لا تجد كسرة الخبز ، في حين ترمي بعض الدول بالحبوب في البحار بملايين الأطنان ، حفاظاً على اقتصادها ، وها هو الربا يسيطر أجنحته على الحياة ، وها هو الاقتصاد العالمي الربوي يمتص خيرات الشعوب المغلوب على أمرها ، وها هو المال يستغل أسوأ استغلالاً للتحكم في مصير الشعوب ، يتولى كبر هذا الاستغلال صندوق النقد الدولي ، الذي يصل به الحال لأن يمارس — عن طريق المال — تدخله في الشؤون الداخلية للبلدان التي يعقد معها سياسة الإقراض ، إلى درجة الولاية والعزل . وبعد هذا كله يتبين لذي عينين عظمة الخالق سبحانه فيما شرع لعباده من المحافظة على هذه الكليات الخمس في تشريع محكم دقيق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

(١) عبدالقادر عودة ، التشريع الجنائي في الإسلام ، ص ٥١ غير أن النجاح العالمي الذي ذكره الكاتب حول تحريم الخمر لم يخل من مبالغة ، فأين نجاح تحريم الخمر في بلدان العالم ، وكثير منها يصنع علناً ، ويصدره علناً ، ويبيعه علناً ، ويشربه علناً .

## التفكير في تشريعه المحكم لبعض العبادات :

كما أن من الأمور التي تتضح من خلالها عظمة الله تعالى ، تشريعه — سبحانه — لأركان الإسلام الخمسة وسيفتصر الباحث على ذكر ثلاثة منها وهي : الصلاة والزكاة والصيام ، وما فيها من المنافع الدينية والدينية للفرد والمجتمع .

ففي تشريع الصلاة والزكاة يقول سبحانه : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ

دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥٠﴾ (١)

فالصلاة نور وبرهان ، وطمأنينة في النفوس ، وسبب في تحصيل الصبر على المكاره ، وهي

صلة بين العبد وربه ، تنهى عن الفحشاء والمنكر ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ

الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ (٢) كما أنها سبب في استحلاب الرزق

من الله تعالى تفضلا منه وكرما .

وهي مدرسة في النظافة والتطهر ، فلا تقبل إلا حين يكون الإنسان طاهرا في جسده وثوبه

ومكانه ، والمسلم حين يجيئها يطالب بأخذ زيتته كما أمره ربه بقوله سبحانه : ﴿ يَبْنِيءَ آدَمَ

خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا

يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ (٣) قال ابن كثير — رحمه الله — : " ولهذه الآية وما ورد في معناها

من السنة يستحب التحمل عند الصلاة " (٤)

وهي في ذات الوقت مدرسة في تنظيم العلاقات الاجتماعية بين الناس ، ففيها تأتلف

القلوب عن طريق الاجتماع في مكان واحد ، وراء إمام واحد ، والمسلمون يسمعون فيها كلاما

واحدا ، ويرددون كلاما واحدا ، ويؤدون حركات واحدة ، قد دل اتئلاف ظاهرهم على اتئلاف

(١) - [سورة البينة: الآية ٥]

(٢) - [سورة العنكبوت: الآية ٤٥]

(٣) - [سورة الأعراف: الآية ٣١]

(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ص ٢٦٧

باطنهم ، كما صح عنه صلى الله عليه وسلم من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال :  
 (( كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول استوتوا ولا تختلفوا  
 فتختلف قلوبكم ليلني منكم أولو الأحلام والنهي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم )) (١) فدل  
 ظاهر الحديث على أن اختلاف الظاهر وعدم تسوية الصفوف دلالة على اختلاف القلوب ، وعليه ،  
 يدل مفهوم الحديث على أن تسوية الصفوف دلالة على اتئلاف الظاهر ، واتئلاف الظاهر دلالة على  
 اتئلاف الباطن ، وفي هذا يقول المناوي - رحمه الله - في شرحه للحديث : " المراد بأن تقوموا على  
 سمت واحد لأن التسوية للصفوف من شأن الملائكة ولأن تقدم البعض ربما أوغر صدور الباقين  
 وشوش خشوعهم كما أشار إليه بقوله ولا تختلفوا أي لا يتقدم بعضكم على بعض في الصفوف  
 فتختلف قلوبكم وفي رواية صدوركم " (٢) وقال السيوطي - رحمه الله - في شرحه للحديث :  
 إن بين القلب والأعضاء تعلق عجيب وتأثير غريب ، بحيث يسري مخالفة كل إلى الآخر ، ألا ترى أن  
 تريد الظاهر يؤثر في الباطن وبالعكس " (٣)

وهي مظهر من مظاهر العدل والمساواة ، فالفقير إلى جوار الغني ، والسيد إلى جوار المسود ،  
 لا يدخل هذا في الصلاة قبل هذا ، ولا يخرج هذا من الصلاة قبل هذا ، ولا يلتفت هذا إلى جهة ،  
 وذاك إلى أخرى ، وليس للغني كلام يقوله دون الفقير ، ولا للكبير طريقة يؤديها دون الحقير .  
 وهي مدرسة في النظام القائم على دقة الحركة ومتابعتها ، واستقامة الصفوف ومحاذاتها ،  
 وروعة المتابعة ، وحسن أدائها .  
 وهي مدرسة في احترام الوقت بدقة متناهية ، عند دخول وقتها ، وعند خروجه ، وعند  
 بدئها بتكبيرة الإحرام ، وعند انتهائها بالتسليمتين .  
 وهي مدرسة في الأتوية والشعور بالقربي ، مقرونة بالرحمة والإحسان ، فالمصلي فيها  
 حينما يدعو ربه لا يقول : اهدي الصراط المستقيم ، بل يدعو لنفسه وإخوانه في حال الوقوف بقوله

كما أمره ربه : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (٤)

(١) مسلم ، صحيح مسلم ، ص ١٨٥ حديث رقم ( ٤٣٢ )

(٢) المناوي ، فيض القدير ج ١ ص ٥٠٣

(٣) السيوطي ، شرح سنن ابن ماجه ، ج ١ ص ٦٩

(٤) - [سورة الفاتحة: الآية ٦]

ويدعو لنفسه وإخوانه في حال الجلوس بقوله عند قراءة التحيات : السلام علينا وعلى عبادالله الصالحين ، وإذا ختم صلاته سلم على نفسه وعلى إخوانه يسرة ويمنة فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، السلام عليكم ورحمة الله .

كما أنها مظهر من مظاهر النشاط الجسمي ، وإن كان هذا أمرا ثانويا ، إلا أنه لا مانع من ذكره ، مقرونا ببعض الأبحاث الطبية من باب الاستئناس وزيادة التأكيد : " فمن فوائد الصلاة الصحية هذه الحركات التي تشترك فيها جميع أعضاء الجسم من الرأس واليدين والرجلين والفقرات ومفاصل الجسم أثناء القيام والركوع والسجود والاعتدال إذ في كل حركة من هذه الحركات فائدة صحية " (١)

ومما يرتبط بالصلاة عند ذكرها دائما في القرآن الكريم ذكر الزكاة ، فكثيرا ما يأتي ذكر الركنين - الصلاة والزكاة - في موضع واحد كقوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا

الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ ﴾ (٢) لكون الأول ينظم الحياة الاجتماعية ،

والثاني ينظم الحياة الاقتصادية ، إذا أدي كل منهما كما يريد الله سبحانه .  
وتظهر عظمة المولى - سبحانه - من خلال التفكير في مشروعية الزكاة ، وما تحققه للفرد والمجتمع من الآثار العظيمة .

فالزكاة مدرسة في الاستجابة لأمر الله تعالى ، وتقلص أمره على هوى النفس وحظوظها الدنيوية ، يبارك من خلالها المال ، وتطهر بها النفس من شحها وتعلقها بالدنيا .  
وهي مدرسة اقتصادية رفيعة المستوى ، في تحسين سبل العيش ، كل يأخذ نصيبه راضيا شاكرا ، من غير جشع ولا طمع .

وهي مدرسة في حسن توزيع الموارد المالية على جميع الناس في البلد الواحد إذا كان فيه أصناف ممن يستحقون الزكاة .

وهي مدرسة عظيمة في استقرار الحياة الاجتماعية ، وما تحدثه من المحبة والألفة بين الفقراء والأغنياء ، وما يترتب على ذلك من استقرار الحالات النفسية بين أفراد المجتمع فلا خوف من الفقر ، ولا حسد لأحد ممن أنعم الله عليه ، بل إن الفقير يفرح حين يرزق الغني ، لعلمه أن في زيادة رزق الغني زيادة في مصرف الزكاة للفقير .

(١) محي الدين عبدالحميد ، عاج نفسك بالصلاة ، ص ٦٨

(٢) - [سورة البقرة: الآية ٤٣]

وهي مدرسة جد رائعة في تحقيق الأمن الفردي والجماعي ، ذلك أن الفقير حين يعلم بأن رزق الله سيأتيه من الغني ، لا يحمله هذا على الاعتداء بأي صورة من صوره ، ولا يحمله على بيع نفسه ، أو ولده ، أو عرضه ، ولا يحمله على الغش والخيانة ، أو البحث عن المال من غير طريقه المشروعة .

وفي تشريع الصيام يقول سبحانه بعد أن ذكر مشروعية صيام شهر رمضان : ﴿ وَآن

تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) قال الطبري — رحمه الله — في تفسيره : " يعني تعالى ذكره بقوله وأن تصوموا ما كتب عليكم من شهر رمضان فهو خير لكم من أن تظفروه وتفتدوا " (٢)

والصيام لمن تأمل الحكمة من مشروعيته يوقف المسلم على عظمة الله سبحانه ، فهو مدرسة في تقوى الله عظمة ، فإن المؤمن الصادق — وإن كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب — لو عرضت عليه الدنيا وما فيها على أن يفطر في نهار رمضان على كسرة خبز ، أو جرعة ماء ، ما قبل هذا أبداً ، لأن ذلك مما جعله المولى — سبحانه — سبباً في تحصيل التقوى ، كما قال سبحانه : ﴿ يَأْتِيهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٣) فهو مدرسة في التربية الذاتية وضبط السلوك ، لها

أثرها العجيب في تشكيل شخصية المسلم .

وهو مدرسة في الصبر عظمة ، فإن الجوع والعطش من أشق الأمور على النفس البشرية ، ومع ذلك يمتنع الإنسان عن طعامه وشرابه ، ومع مرور أيام الصيام يصبح الأمر طبيعياً في تعويد هذه النفس على الصبر .

وهو مدرسة في الشعور بالرحمة ، وذلك حين يتذكر الإنسان المسلم يجوعه فترة قصيرة من

الزمن إخواناً له في الدين يعايشون الجوع دائماً .

(١) - [سورة البقرة: الآية ١٨٤]

(٢) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ج ٢ ص ١٤٣

(٣) - [سورة البقرة: الآية ١٨٣]

وهو مدرسة في الذل والانكسار لله تعالى ، إضافة إلى قمع النفس الجموح ، فإن النفس إذا

رُوضت تروضت ، وإذا تُركت تمادت ، وفيها يقول بعضهم (١) :

والنفس كالطفل إن تركه شب على حب الرضاع وإن تطفمه ينفطم

فاصرف هواها وحاذر أن وتوليّه إن الهوى ما تولى يصم أو يصم

كم حسنت لذة للمرء قاتلــــــــــــة من حيث لم يدر أن السم في الدسم

وهو مدرسة في ضبط الوقت والعناية به ، فإن أهل كل بلد — حسب اختلاف المطلاع —

يمسكون و يفطرون في وقت واحد ، وغالبا ما يكون ذلك عند سماع الأذان ، فإذا كان أهل مكة

مثلا متهيئين للإفطار وهم بالملايين ، فإن أحدهم لا يمد يده للطعام مع شدة حاجته إليه ، فإذا نطق

المؤذن بأول حرف من الأذان أفطر الملايين في ثانية واحدة ، وإن كانت المشكلة أن كثيرا من هؤلاء

لا يلتزمون بذلك عند أذان الفجر ، وليس العيب في الإسلام إنما العيب فيمن يجعل الإسلام على هواه

، يمسك متى ما شاء ، ويفطر إذا كان الأمر يوافق هواه ، لكن الحديث هنا عن المسلم الصادق الذي

رباه الصيام على ضبط الوقت عند صيامه وإفطاره ، فأى دين يضبط سلوك الناس في أوقاتهم إلى هذا

الحد ، إنما مدرسة للعناية بالوقت في كل حين ، وعند كل عمل ، فسبحان من شرعه !!! .

وهو مدرسة في المساواة ، فليس هناك غني يفطر قبل الفقير ، ولا فقير يمسك قبل الغني ،

إنما عبادة واحدة ، لرب واحد ، في وقت واحد ، المقبول عند الله فيها من أخلص وتابع .

وهو مدرسة في الصحة الجسمية لكونه : " يساعد في تخفيف العبء على أعضاء الجسم مثل

القلب والمعدة والأمعاء والكبد ، حيث تستريح هذه الأعضاء خلال أوقات الصيام ، وتساعد هذه

الراحة على وقاية الأعراض من الأمراض ٠٠٠ ويساعد في تخليص الجسم من المواد الضارة والسموم

، فحسب الإنسان يتعامل طوال شهور السنة مع آلاف من المواد الكيميائية الغريبة على الجسم ، والتي

تصل إلى أعضاء الجسم المختلفة " (٢)

وإذا كان الإمام الطبري — رحمه الله تعالى — قد فسر الآية تفسيراً قارن فيه بين الصيام في

رمضان وبين القضاء في غيره من الشهور في تلك الفترة ، فهو حق في أن الصيام خير من الفطر

والفدية ، ولكن مدلول الآية الكريمة يمكن أن يتسع ليشمل كل معرفة تؤكد على أن الصيام خير ،

ومن هذا الخير : الخير المادي الذي يعود على المسلم من جراء الصيام ، كما أكدت على ذلك

الأبحاث الطبية ، ذلك : " أن الذي يتوقف عند الصيام هي عمليات الهضم والامتصاص وليست

(١) محمد بن سعيد البوصيري ، مجموع مهمات ابن تون ، ص ٨١

(٢) عز الدين الدنشاري وعبدالله البكري ، الدواء وصحة المجتمع ، ص ٤٢

عمليات التغذية ، فخلايا الجسم تعمل بصورة طبيعية وتحصل على جميع احتياجاتها اللازمة لها من هذا المخزون بعد تحلله ، والذي يعتبر هضمًا داخل الخلية ، فيتحول الجليوكوجين إلى سكر الجلوكوز ، والدهم والبروتينات إلى أحماض دهنية ، وأحماض أمينية ، بفعل شبكة معقدة من الأنزيمات والتفاعلات الكيميائية الحيوية الدقيقة ، والتي يقف الإنسان أمامها مشدوها معترفاً بجلال الله وعلمه وعظيم قدرته وإحكام صنعه " (١)

ولو أن الإنسان تأمل الحكمة من الإفطار على الرطب ، والسحور على التمر ، كما ورد بذلك النص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما في ذلك من نفع للبدن في الحالين لوقف على صورة من صور الإعجاز العلمي الذي يشهد بعظمة الإسلام في تشريعه لهذه العبادة العظيمة .  
**التفكير في وعده تعالى بحفظ دينه وإظهاره على الدين كله :**

ومن الأمور التي تدل على عظمة الله تعالى من خلال ما ورد في آياته القرآنية تكفله — سبحانه — بحفظ دينه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ

## لِحَافِظُونَ ﴿١﴾ ﴿٢﴾

فها هو واقع الحياة على مدار أكثر من ألف وأربعمائة سنة والإسلام يزداد شوخه ، ويتسع انتشاره ، قد حفظت مصادره الأساسية من التحريف والتبديل والتغيير وكلما رام متحلل أن يحلكي هذه المصادر أصبح أضحوكة في أعين الناس ، وهل يطلق على مسيلمة على مدار السنين إلا ( الكذاب ) .

إن المحاولات التي تتخذ من مكر الليل والنهار مكرًا كَبَّارًا لإطفاء نور هذا الدين ، وصد الأمة عنه ، وإثارة الشبهات ضد بعض أحكامه وتشريعاته لم تطمسه من الوجود ، ولم ترحله عن الساحة ، لأن الله قد وعد بإتمام نوه ولو كره المجرمون من الكفار والمنافقين ، بل إنه ليزداد رسوخًا في النفوس ، وعظمة في القلوب ، وسوف يبلغ ما بلغ الليل والنهار ، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم من حديث تميم الداري — رضي الله عنه — أنه قال : (( ليلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر )) وكان تميم الداري يقول قد عرفت ذلك في أهل بيتي لقد أصاب

(١) عبد الجواد الصاوي ، الصيام معجزة علمية ، ص ١٩٩

(٢) - [سورة الحجر: الآية ٩]

من أسلم منهم الخير والشرف والعز ولقد أصاب من كان منهم كافرا الذل والصغار والجزية )) (١)  
قال الحاكم — رحمه الله — في مستدركه : " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه "  
(٢)

وسوف يقتصر الباحث على ذكر مثال واحد ، يتبين من خلاله عظمة الله تعالى في تحقيقه  
لوعده بحفظ دينه حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

فهذه سورة المسد : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ  
مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةٌ  
الْحَطْبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾ ﴾ (٣)

فقد نزلت هذه السورة وأبو لهب حي يمشي على الأرض ، وتسامع الناس بتزولها من  
المؤمنين والكافرين ، فمن كان منهم يعتقد بأن القرآن كلام الله — وإن لم يسلم — أخبر أبا لهب بأن  
الله أنزل فيه قرآنا ، ومن كان منهم يصف القرآن بالشعر ، أخبر أبا لهب بأن محمدا قد هجاه ، وعلى  
كل حال ، نزلت في أبي لهب آيات تنلى إلى قيام الساعة وهو حي يسمعها تتردد في أذنيه ، وقد كان  
من أشد الناس عداء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوته ، ومع ذلك فقد واتت أبا لهب فرصة لا  
تعوض لضرب الإسلام ، وضرب القرآن ، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يقوم للإسلام  
ولا للقرآن ولا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قائمة .

لقد كان نزول سورة المسد وأبو لهب حي يمشي على الأرض فرصة كبيرة لبيان أن القرآن  
ليس كلام الله ، فيتفرق الناس من حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويكفر من سبق له أن  
أسلم ، ويصر على معتقد آبائه واجداده من لم يسلم منهم .

ويكون ذلك بأن يخرج أبو لهب إلى الحرم ثم ينادي بأعلى صوته : أيها الناس : أما قال  
محمد أبي أموت كافرا وأني أدخل النار أنا وزوجتي ، فهذا أنا أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله  
، وتسلم زوجته معه إسلاما ظاهريا كما فعل عبدالله بن أبي بن سلول رأس المنافقين ، وهو كافر في  
الباطن .

(١) أحمد ابن حنبل ، المسند ، ج ٤ ص ١٠٣

(٢) الحاكم ، المستدرک ، ج ٤ ص ٤٧٧

(٣) — [سورة المسد: الآيات ١-٥]



إنه لو فعل ذلك لشك الناس في مصداق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما جاء به من الوحي ، ولكن الله أعمى بصيرته عن هذا ، وأعمى بصائر من حوله من الأعوان والأتباع والحاشية والمستشارين ، فلم يخطر هذا ببال أحد منهم البتة ، لأن الله سبحانه قد تكفل بحفظ دينه ، وأنى لموتور كهذا أن يفعل ذلك وهو دابة من دواب الأرض ، ناصيته بيد الله — سبحانه — الذي وعد بإظهار دينه ونصرة أوليائه ، كما قال سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ

بِالْهُدَىٰ وَدِينٍ آٰلِحَقِّ لِيُظْهِرَهُد عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ (١)

التفكير في تشريعه المحكم في قضايا المرأة :

جعل المولى — سبحانه — النساء شقائق الرجال في التكليف الشرعية ، وخاطب النوعين

في آياته القرآنية في مواضع كثيرة ، منها قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ

وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ

وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ

وَالْمُتَّصِدِقِينَ وَالْمُتَّصِدِقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ

فُرُوجَهُمَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ

لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ (٢) واستثنى بعض الأمور الخاصة بالنساء ، بحكم

طبيعة خلقهن ، وميز الرجال على النساء ، فقال سبحانه على لسان زوجة نبي الله عمران عليه السلام

: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا

وَضَعْتُ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا

(١) - [سورة التوبة: الآية ٣٣]

(٢) - [سورة الأحزاب: الآية ٣٥]

بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٦٦﴾ (١) وهذا أمر يشهد به الناس جميعا بحكم طبيعة الخلق ، واختلاف التكوين ، وجعل القوامه في يد الرجل ، فقال سبحانه : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (٢) وأمر — سبحانه — المرأة أن يكون قرارها في بيتها ، وهو الأصل ، فقال سبحانه لنساء نبيه صلى الله عليه وسلم ونساء المؤمنين : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (٣)

ونهى المرأة المسلمة عن الانتلاط بالرجال ، وأمرها بالحجاب الشرعي الذي يستر جميع بدنها عن الرجال ، وحذرنا من التبرج والسفور ، وتابعتها بالتوجيه والتربية داخل أروقة مترها لتكون ملكة على عرشها — تطيع زوجها ، وتربي أولادها ، وتدير بيتها ، فهي راعية في بيت زوجها ، ومسئولة عن رعيته ، فإذا أرادت الخروج التزمت آداب الإسلام فكانت بعيدة عن أن تفتن أو تُفتن .

فكانت المرأة المسلمة — والحال ما ذكر — نموذجاً للبناء الإيماني والخلقي والقيمي والعلمي لأجيال الأمة ، وكان تاريخها مشرقاً في البناء والتربية ، وكانت بحق مدرسة ربانية — خرجت أجيالاً ما عرف التاريخ لهم مثيلاً ، ولا يزال رحم هذه الأمة المسلمة في نسائها ولودها ودودا ما دام أن مصادر التربية في الإسلام تعمل عملها في واقع الحياة عن إخلاص لله تعالى ، ومتابعة لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

وبنظرة في واقع المرأة التي م ترض بالله ربا ، ولا بالإسلام ديناً ، ولا بمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ، يجد المتأمل عظمة هذا الدين في تربيته للمرأة المسلمة ، من خلال مصادره الأساسية ، القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة .

(١) - [سورة آل عمران: الآية ٣٦]

(٢) - [سورة النساء: الآية ٣٤]

(٣) - [سورة الأحزاب: الآية ٣٣]

إن نظرة القرآن الكريم للمرأة نظرة تتفق مع الفطرة السليمة ، ومع العقل السوي الراجح ، وهو ما أكدته نصوص الكتاب والسنة ، وفتاوى علماء الأمة الربانيين في كل عصر ومصر ، بل هو ما أكدته بعض من استيقظت فطرهم من الكفار ، نتيجة لما رأوه في مجتمعاتهم من انهيار الأخلاق ، وانحطاط القيم ، وضياح الأسر ، وانتشار الفساد ، يوم نوطحت الفطرة ، وغُلبت الشهوة ، وعُبد الهوى ، ونحيت شريعة الله — التي رضيها لعباده — عن واقع الحياة .

ولأن ذكر الضد تتميز به الأشياء ، فهذه جملة من الإحصائيات المتعلقة بحال المرأة الغربية ، يوم لم تؤمن بالقرآن الكريم وبسنة سيد المرسلين بوجه حياتها نحو أنبل الأخلاق ، وأعظم القيم ، فكانت مصدر شقاء في تلك المجتمعات ، فقد : " أصبح من المتعارف عليه عند المجتمعات الغربية أن الفتى أو الفتاة التي لا عشيق لها ولم تدخل حتى سن الثامنة عشرة تجربة جنسية تعتبر شاذة في نظر القوم وعلى الطبيب أن يتساءل عن سر هذا الشذوذ " (١)

كما ذكر بعض الباحثين : " أن التعليمات صدرت إلى جميع مدارس نيويورك بإنشاء غرفة ولادة في كل مدرسة ، وقد بلغ عدد الطالبات الحوامل دون زواج في مدارس نيويورك وحدها ٢٤٨٧ حاملا في عام ١٩٦٩ م . ٠٠٠ ولم تنج الجامعات من برائن هذه الاعتداءات ، ففي استفتاء في جامعة كاليفورنيا في بركلي عام ١٩٧٧ م ظهر أن خمس الطالبات قد تعرضن لنوع من الاعتداء الجنسي من الأساتذة والمشرفين على الدراسات العليا " (٢) هذا مع وجود وسائل منع الحمل .

وقد نشرت بعض وسائل الإعلام : " أن عدد اللواتي يلدن سفاحا في سن المراهقة في الولايات المتحدة ستمائة ألف فتاة سنويا ، بينهم أكثر من عشرة آلاف فتاة دون سن الرابعة عشرة ، وأن إجمالي عدد اللائي يلدن سفاحا في سن المراهقة وغيرها أكثر من مليون امرأة سنويا وذلك في الولايات المتحدة فقط " (٣)

وإذا كان هذا في أواخر الستينات وأوائل السبعينات ، وأوائل الثمانينات ، فما هو حال البشرية اليوم من حيث مراعاتها للقيم والأخلاق ؟ .

عبرت عن هذا الحال جملة من المؤتمرات العالمية التي شهدتها مناطق مختلفة من العالم تؤكد على أن فقاما من البشرية الذين لا يؤمنون بالله لم يزالوا في غيهم سادرين ، مع كل ما أصابهم من الكوارث الصحية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية والأمنية من جراء إباحيتها وفجورها ، وقد

(١) عبدالرحمن النحلاوي ، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة ، ص ٩

(٢) محمد الناصر وخولة درويش ، المرأة بين الجاهلية والإسلام ، ص ٣٥١

(٣) عابد السفياني ، حكم الزنا في القانون وعلاقته بمبادئ حقوق الإنسان ، ص ١١٤

اتضح هذه المهجمة الشرسة على النيم والأخلاق والعباف في الأرض ، من خلال هذه المؤتمرات سواء كانت خاصة بالمرأة ، أو عامة في جوانب الحياة ، لكنها جعلت للمرأة من طرحها المنحرف نصيبا مفروضا ، وهذه المؤتمرات هي : المؤتمر العالمي الأول للمرأة تحت شعار ( رفع التمييز ضد المرأة ) في مكسيكو سيتي عام ١٩٧٥ م ، ثم مؤتمر كوبنهاجن عام ١٩٨٠ م ، ثم مؤتمر نيروبي عام ١٩٨٥ م مؤتمر ( قمة الأرض ) في البرازيل عام ١٩٩٢ م ، ثم المؤتمر ( العالمي لحقوق الإنسان ) في النمسا عام ١٩٩٣ م ، ثم المؤتمر ( العالمي للحد من الكوارث الطبيعية ) في اليابان ، عام ١٩٩٤ م ، ثم مؤتمر ( القمة العالمية للتنمية الاجتماعية ) في الدانمارك عام ١٩٩٥ م ، ثم المؤتمر ( العالمي الرابع للمرأة ) في الصين عام ١٩٩٥ م ، ثم مؤتمر ( السكان والتنمية ) في القاهرة عام ١٤١٥ هـ (١) .

وإذا كان مؤتمر القاهرة في مادته الخامسة والعشرين قد أكد على أن : " الشريعة الإسلامية هي المرجع الوحيد لتفسير أو توضيح أي مادة من مواد هذه الوثيقة " (٢) إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه : لماذا تقام هذه المؤتمرات في هذه البلاد ، التي تعلن أن دينها هو الإسلام كمصر وتركيا وغيرها ؟ يجب عن هذا السؤال أحد الباحثين بقوله : " ولعل الملمح الأول هو تحول انعقادها إلى عواصم بلاد المسلمين في القاهرة وإستانبول ، وطرحها الكثير من المفاهيم ، التي كانت تبدو مستغربة ومنكرة ، ألا أن هذه المؤتمرات تمارس شيئا فشيئا عملية التطبيع والقبول لمفاهيمها وطروحاتها ، ذلك أن مجرد الطرح في المرة الأولى يعتبر مكتسبا ثقافيا على الرغم من الادعاء بأنه غير ملزم للدول المشاركة بهدف تمريره ، ورصد ردود الفعل ، ومن ثم دراسة ردود الفعل هذه بدقة ، ورسم طريقة للتعامل معها للانتقال إلى المرحلة التالية ، وهكذا يقدم الشر تدريجيا ، ويحتل كل يوم موقعا في الذهنية الإسلامية المستهدفة ، ويروج له من قبل المسكونين بالحضارة والثقافة الغربية في العالم الإسلامي " (٣) .

" وهذه المؤتمرات على تنوع طروحاتها ، وتعدد أساليبها ، ترمي إلى ابتداع أنماط وأشكال جديدة من الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، تحطم الحواجز الأخلاقية ، وتعارض القيم الدينية ، وتنشر الإباحية باسم الحرية ، وتشجع على التحلل باسم التحرر " (٤)

(١) الحسيني جاد ، وثيقة مؤتمر السكان والتنمية -- رؤية شرعية ، ص ١٢

(٢) عابد السفياني ، حكم الزنا في القانون وعلاقته بمبادئ حقوق الإنسان ، ص ١٢٨

(٣) عمر عبيد حسنه ، مقدمة كتاب وثيقة السكان والتنمية ، ص ١٧

(٤) الحسيني جاد ، وثيقة مؤتمر السكان والتنمية -- رؤية شرعية ، ص ١٢

سبحان الله !!! مؤتمرات عالمية يجتمع لها رواد الفكر والثقافة والمعرفة في الأرض ليقرروا من خلال هذه المؤتمرات نكاح الرجل بالرجل ، والمرأة بالمرأة (١) وفتح الباب على مصراعية للإباحية الجنسية ، في زمن تنتشر فيه الجامعات، ومراكز البحث العلمي في العالم ثم تطرح مثل هذه الأطروحات على مرأى ومسمع من العالم ، بل وتصاغ فقراتها في بنود رسمية ملزمة ترعاها الأمم المتحدة ، وبيارك خطواتها النظام العالمي الجديد .

فإذا أول المحترقين بناها ، الخاسرين في مضمارها ، هم الذين أنتجوها للعالم : " وقد أقم نكسون هوليدو بتدمير المجتمع الأمريكي من خلال ما تنتجه من مادة إعلامية تدعو للإباحية الجنسية ، واجتمع كليتون مع ٤٠٠ سينمائي من هوليدو والتمس منهم الرحمة بالمجتمع الأمريكي عن طريق الكف عن إنتاج الأفلام الجنسية الإباحية " (٢)

ولعل هذه الاتهامات لهوليدو ، وطلب الرحمة منها بالمجتمع الأمريكي إنما هو من باب الاستهلاك اللفظي المخادع ، وإلا فقد تسامح كثير من الناس في مشارق أرض الله ومغارها — عبر وسائل الإعلام — بمجاهرة بعض هؤلاء المخادعين بالخianات الزوجية واتخاذ الصديقات ، وهم يتربعون على عروش دولهم ، ليضربوا لمجتمعاتهم في الحياة والفساد الخلقي والأسري والاجتماعي نماذج مخذولة .

إن الوقوف على مثل هذه الإحصاءات والتصريحات تحقيق لأسلوب قرآني يؤكد على أهمية السير في الأرض والنظر في أحوال أهلها لأخذ العبرة والعظة ، قال تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي

## الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١﴾ ﴿٣﴾

إنها العقوبات العاجلة من الذي يملك الوجود كله للمجرمين الذين أعرضوا عن الحق ، وليت بيني قومنا يستفيقون ، فلا يدسوا رؤوسهم في التراب ، والعالم من حولهم يئن من وطأة الفساد ، يوم أعرض عن شريعة الله .

### التفكير في ذكر بعض المغيبات ووقوعها :

ومما تتجلى به عظمة الخالق — سبحانه — إخباره عن بعض المغيبات التي لم يحن وقتها ، ثم يأتي وقوعها مطابقا لما أخبر به سبحانه ، في أسلوب يثير التفكير ، من خلال الربط بين الأحداث ،

(١) سفر الحوالي ، العلمانية ، ٤٤٢

(٢) الحسيني جاد ، مؤتمر السكان والتنمية ، ص : ٦٠

(٣) - [سورة النمل: الآية ٦٩]

لاستخلاص النتيجة الصحيحة ، ومن ذلك ما أخبر الله تعالى عباده المؤمنين من انتصار الفرس على الروم في أدنى الأرض ، وإخباره أن الروم سيعاودون الكرة ويتصرفون خلال بضع سنين ، وعندها يفرح المؤمنون من عباد الله في المدينة النبوية ، لأن انتصار الروم على الفرس إيدانا بانتصار المؤمنين على أعدائهم الذي حاربوهم في دينهم ، وصدوهم عن الإيمان بالله تعالى ، قال تعالى : ﴿الْم

﴿١﴾ غَلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَقْرَأُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ ﴿١﴾

يقول الواحدي — رحمه الله — : " قال المفسرون : بعث كسرى جيشا إلى الروم واستعمل عليهم رجلا يسمى شهريران ، فسار إلى الروم بأهل فارس ، وظهر عليه فقتلهم ، وخرّب مدائنهم ، وقطع زيتونهم ، وكان قيصر بعث رجلا يدعى ( يحنس ) فالتقى مع شهريران بأذرعات وبصرى — وهي أدنى الشام إلى أرض العرب — فغلبت فارس الروم ، وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة ، فشق عليهم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن يظهر الأميون من أهل الجوس على أهل الكتاب من الروم ، وفرح كفار مكة ، وشتوا ، فلقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ، ونحن أميون ، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم ، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم ، فأنزل الله تعالى : ﴿الْم

﴿١﴾ غَلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴿٣﴾ ٠٠٠ ولما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب المؤمنون بظهور الروم على فارس " ﴿١﴾

وعليه ، فقد كان راهن أبو بكر الصديق رضي الله عنه كفار مكة — بعد فرحهم باتصال فارس على الروم — على أن الروم سيهزمون فارس ، وكان ذلك قبل تحريم الرهان ، فطلبوا منه تحديد مدة ينتهي إليها أجل النصر : " وقالوا لأبي بكر كم تجعل ؟ البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين ، فسم بيننا وبينك وسطا تنتهي إليه ، قال : فسموا بينهم ست سنين ، قال : فمضت ست السنين قبل أن يظهروا ، فأخذ المشركون رهن أبي بكر ، فلما دخلت السنة السابعة ظهر الروم على فارس ،

(١) - [سورة الروم: الآيات ١-٤]

(٢) الواحدي ، أسباب النزول ، ص ١٩٤ — ١٩٥

عاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين ، قال : لأن الله قال : ﴿ فِي بَضْعِ سِنِينَ ﴾

فأسلم عند ذلك ناس كثير " (١) وقد عزاه ابن كثير إلى الترمذي ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

لقد اشتملت الآيات الكريمات في مطلع سورة الروم على عدة قضايا :  
أولها : خبر هزيمة الروم في أطراف بلاد العرب على أيدي الفرس ، وقد تحقق ذلك كما أخبر الله تعالى به .

وثانيها : وعد الله تعالى وإخباره بانتصار الروم على الفرس ، وقد تحقق ذلك كما أخبر الله تعالى به .

ثالثها : تحديد مدة النصر فيما لا يزيد عن تسع سنين ، ولم تتجاوز المدة التي انتصر فيها الروم على الفرس تسع سنين ، وهي معنى البضع في لغة العرب .  
رابعها : عدم التحديد الدقيق بالساعة واليوم والشهر والسنة ، مع أن الله سبحانه يعلم كل هذا .

خامسها : الربط بين انتصار الروم على الفرس ، وبين انتصار المؤمنين على الكافرين في معركة بدر الكبرى .  
وفي القضية الأولى والثانية تحقق وعد الله تعالى ، وهي دلالة على عظمته سبحانه في وقوع ما أخبر به من قبل .

وفي القضية الثالثة ، ترك الأمر فيها مفتوحا بدون تحديد دقيق لما لهذا الأمر من أثر نفسي كبير يكمن في انتظار مدة وقوعه ، ثم إن الأخبار ستتناقل إلى الروم وفارس في ذلك فلا يكون للأمر كبير فائدة .

وقد ذكر الرازي — رحمه الله — العلة في عدم تحديد الموعد بدقة ، فقال : " الأمور التي تقع في البلاد النائية تكون معلومة الوقوع بحيث لا يمكن إنكارها ، لكن وقتها يمكن الاختلاف فيه ، فالمعاند كان يمكن أن يرجف بوقوع الواقعة قبل الوقوع ليحصل الخلف في كلامه " (٢)

وفي القضية الرابعة : ربط بين حدثين إذا وقع أحدهما وقع الآخر ، وهو ما تحقق بالفعل ، فقد انتصر الصحابة في معركة بدر ، في اليوم الذي انتصر فيه الروم على الفرس . (٣)

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ص ٥٢٠

(٢) الرازي ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ج ٢٥ ص ٩٧

وفي هذا القضايا أخبار ووعود وتنبآت ، والربط بينها يكشف النتائج ، ويثبت الأقدام ، فقد تلقى المؤمنون من ربه سبحانه ، أنه حين يتحقق نصر الروم على الفرس ، فسوف ينتصرون على كفار قريش في معركة بدر ، وهي دلالة واضحة على أن القرآن الكريم يصدق بعضه بعضا ، ويستدل من خلال توجيهاته على أن ما وعد الله به ولم يتحقق وقوعه بعد ، سوف يتحقق إن عاجلا أو آجلا ، شريطة أن تقوم الأمة المسلمة بالأسباب التي أمرت أن تأخذ بها .

وفي هذا كله تدريب للعقل المسلم على الربط بين الأحداث ، فإن الذي ربط بين انتصار الصحابة في معركة بدر على كفار قريش بانتصار الروم على الفرس ، في الوقت الذي مضى من حياة البشر ، هو القادر على تحقيق وعده ووعيده في مستقبل الأمر ، وكل هذه ارتباطات عقلية يصل إليها صاحب التفكير السليم ، المتدبر لكتاب الله تعالى ، المتأمل في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته .

### **ثانيا : الأهداف المتمثلة بالمظهر الكوني وإساليها :**

يقصد الباحث بالمظهر الكوني في القرآن الكريم ، تلك الآيات التي أنزلها الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم ، المتعلقة بذكر الحقائق الكونية المثبوتة في هذا الوجود بعوالمه العلوية والسفلية ، والتي سيقت من أجل الاستدلال بها على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى ، أنزله سبحانه هداية للمتقين ، ونورا للسالكين ، ومنهجا للسائرين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربه إلى صراط العزيز الحميد ، مع اشتغالها على فوائد علمية وحقائق كونية هي صورة من صور إعجاز القرآن الكريم في كل زمان ومكان .

وقبل أن يستعرض الباحث أهداف التفكير العلمي في القرآن الكريم المتعلقة بالمظهر الكوني — مقرونا ببعض أوجه الإعجاز العلمي التي نطق بها العلم الحديث ، ليدلل بها على عظمة الله تعالى ، وما يستتبع هذه العظمة من إيمان عميق يستسلم صاحبه لهذا الخالق العظيم استسلاما كاملا ، وينقاد له انقيادا كاملا ، من غير حرج ولا ممانعة ، عن محبة وقناعة واختيار — يحسن به أن يبين موقف الناس من قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم .

فقد وقف المسلمون من قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم مواقف متباينة ، حددها بعض من تحدث عن الإعجاز العلمي في ثلاثة مواقف (١) :

(١) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ج ٢١ ص ١٦

(٢) محمد هيتو ، المعجزة القرآنية ، ص ١٥١ وما بعدها بتصرف .



**الموقف الأول :** فئة رفضت الانفتاح على العلوم الحديثة بحقائقها اليقينية ، وجمدت على معارف قديمة خاطئة ، وأبت تفسير القرآن في ضوء هذه المعارف الحديثة ، فأحدثت ثغرات خطيرة بين ما أرادته وبين الحقائق الثابتة .

وقد وصفت هذه الفئة بأنها ذات أفق ضيق ، ومعارف قاصرة ، وجمود على لون واحد من ألوان دلالات الألفاظ الواسعة ، وأن معارفها القديمة معارف خاطئة ، لا تتفق مع المنطق العلمي القائم على الملاحظة والتجريب .

**الموقف الثاني :** فئة مفتونة بالنهضة العلمية الحديثة ، قامت تفسر القرآن الكريم من خلال هذه المسلك العلمي بتعسف واضح ، فخرجت بالقرآن الكريم عن معانيه اللغوية ومدلولاته الشرعية ، يطاردون النظريات العلمية ليحملوا القرآن الكريم عليها ، مما أوقعهم في تناقضات غريبة ، إذ كلما بان عوار نظرية وهم قد حملوا عليها كتاب الله تعالى ، عمدوا من جديد إلى لي أعناق الآيات لتبرير ما فعلوه في المرة الأولى ، باحثين عن مدلول جديد لهم في الآية الكريمة ، من غير ضابط لغوي أو شرعي .

**الموقف الثالث :** هو موقف جماهير علماء الأمة ، الذي توسطوا بين الإفراط والتفريط ، فلا هم جامدون ولا متهورون ، يعمدون إلى المعارف الحديثة اليقينية ليفسروها في نطاق الشرع القويم ، واللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، وكلما بدا تناقض بين نص شرعي في الكتاب أو السنة ، وبين نظرية علمية رائجة ، اتمموا العقل البشري ، وقدموا عليه الحق الحقيقي في القرآن الكريم ، أو السنة النبوية المطهرة ، ولم يجعلوا الوحي تبعاً لأهواء البشر وشهواتهم .

غير أن الباحث يرى أن نيز المخالفين للرأي في هذه القضية أو في غيرها ، ووصفهم بالعطن ، والجمود ، وضيق الأفق ، والاعتماد على معارف خاطئة ، مع ما عندهم من الخير والغيرة ، أمر لا يجب أن يقر ، أو يكون منهجاً لنقد المخالف عند الباحث المسلم ، بل يجب أن نعالج أي خلل عقدي ، أو علمي ، أو فكري ، أو سلوكي في ضوء الأدب الإسلامي الرفيع مقروناً بالمنطق العلمي ، بعيداً عن التحقير ، والازدراء ، والسخرية ، فكم صدت مثل هذه الأساليب كثيراً من المسلمين عن الحق ، وأورثت فتنة إنكار الحق ، والتعالي عليه مهما كان واضحاً ، وما من شك أننا يجب أن نحمد لهذه الطوائف كلها نواياها الطيبة في إثبات روعة القرآن الكريم ، ونصحح الخلل في ضوء أدب البحث العلمي الإسلامي ، ولن تغير اجتهادات الناس مهما كان خللها من الحق شيئاً ، ولكن التحقير والسخرية والتنايز بالألقاب قد تصد عن الحق ، وتقطع أو اصر الألفة والمودة ، وتورث الضغينة والشنآن ، فتدع الديار بلاقع .

وعليه ، فإن المتأمل للآيات الكونية التي وردت في القرآن الكريم يجد أنها قد اشتملت على منهجية علمية تثير التفكير في هذا الوجود كله عن فيه وما فيه ، وتدعو العقل إلى التأمل والنظر في

بدايات وجود الأشياء ، وفي مكوناتها ، والبحث عن العلاقات التي تحكم أجزاءها ، وعن تلك الروابط المتينة بين المظاهر الكونية ، والتي يؤثر بعضها في بعض ، فتكوّن سنا كونية تقوم عليها حركة الكون في تناسق عجيب ، واطراد كبير ، يقود إلى مكتشفات ومخترعات تيسر بها سبل المعيشة ، ويتحقق من خلالها إعمار الأرض ، وحسن الخلافة فيها .

أما أهداف التفكير العلمي في القرآن الكريم المتعلقة بالمظهر الكوني فتكمن في جملة من الأمور ، يرى الباحث أن من أهمها :

### التفكير في عظمة الله تعالى وقدرته

فإن عظمة تكوين المخلوق، تدل على عظمة الخالق ، وهو ما شهد به العلم الحديث الذي وقف — من خلال ما في يديه من إمكانات — على آيات الله تعالى في الآفاق والأنفس ، ليتحقق

على أثر ذلك وعد الله تعالى في قوله : ﴿ سُنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ

حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

شَهِيدٌ ﴿١﴾

ليساند هذا الأمر ما سبقه من بيان عظمة الخالق سبحانه في آياته القرآنية المشتملة على الإعجاز اللغوي والتشريعي ، فتجلى عظمة الله تعالى فيما اشتمل عليه كلامه من إعجاز لغوي وتشريعي وعلمي ، تمهيدا لما يعقب هذه الخطوة من ضرورة الإيمان بهذا الخالق العظيم سبحانه وتعالى .

ولتبيين عظمة الله تعالى من خلال إعمال العقل في الآيات الكونية سوف يورد الباحث لمحة عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، مقرونا ببعض الحقائق العلمية التي تبناها العلم الحديث ، مع الوساطة التي تحتم على الباحث أن يتبعها في مناقشة مثل هذه الحقائق ، ومن ثم قبولها أو ردها .

وقد سبق أن بين الباحث أن الإعجاز العلمي يمكن أن يكون قاسما مشتركا بين الناس جميعا على اختلاف تصنيفاتهم وعلومهم وثقافتهم ، وليس المراد من الحديث عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم : " إقناع العرب فحسب ، وإنما [ المراد ] إقناع العالم بأسره ، من عربي وغيره ، فإن هذا القرآن أنزل للبشر جميعا ، وتحدى [ الله ] به البشر جميعا في كل زمان ومكان " (١)

(١) - [سورة فصلت: الآية ٥٣]

(٢) محمد هيتو ، المعجزة القرآنية ، ص ١٤٨

## الإعجاز العلمي في الآيات الكونية :

يقصد الباحث بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم : استنباط حقيقة علمية — متعلقة بظاهرة من ظواهر الوجود — سبقت إشارة القرآن الكريم إليها قبل معطيات العلم الحديث على جهة الإجمال ، على أنها حقيقة لا تقبل الشك ، لتثبت أن القرآن الكريم كلام الله تعالى . وقد عرفه أحد المتخصصين بقوله : " هو الحقيقة الكونية التي يؤول إليها معنى الآية أو

الحديث ويشاهد الناس مصداقها في الكون ، فيستقر عندها التفسير ، ويعلم بها التأويل " (١)

وفي الآيات الكونية الماثورة في كتاب الله الكريم تتبين عظمته سبحانه في أنه الذي يحيي ويميت ، وله اختلاف الليل والنهار ، وهو الذي سخر الشمس والقمر والنجوم ، وهو الذي يرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته ، وهو الذي يمسك السموات أن تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكهما أحد من بعده ، وهو الذي يمسك الطير في جو السماء صافات ويقبضن ، وغيرها كثير .

وجماع هذه الأمور كلها في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسْوَىٰ ۖ وَالَّذِي

قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۖ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ۖ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ۖ

﴿ ٢ ﴾ فهذه خمسة أمور كونية اشتملت عليها الآيات تدل على عظمة الخالق سبحانه وهي :

الخلق ، والتسوية ، والتقدير ، والهداية ، والإحياء ، والإماتة . وهي أمور تشمل كل شيء خلقه الله فسواه فعده ، في أي صورة ما شاء ركب ، بدءاً من الدورة وانتهاءً بالجرة ، أو ما هو أضخم منها .

وتتحلى عظمة الله تعالى فيما احتواه كتابه الكريم من حقائق عن هذا الكون ، لا يمكن أن يقول بها بشر على الإطلاق ، لأنها أماطت اللثام على حقائق كونية قبل أن تطلع البشرية منها على شيء ، وكلما تقدمت السنون ، وازدادت مدارك الإنسان ، وتفتقت قرائحه على أسرار هذا الكون من حوله ، كلما وجد القرآن لا يناقض حقيقة واحدة مما أثبتته العلم الحديث ، بل إنه ليجعل من منهجيته عند ذكر مثل هذه الحقائق فرصة للربط المنطقي العقلي بين هذه الحقائق وبين عظمته سبحانه وأنه على هذا مستحق للعبادة دون سواه .

(١) الزنداني ، المعجزة العلمية في القرآن والسنة ، ص ٢٤

(٢) - [سورة الأعلى: الآيات ٢-٥]

وكل ذلك لكي تنهياً البشرية التي تقف على هذه المعاني لقبول هذا الدين العالمي الخاتم ليوحه جميع أنشطتها في الحياة وفق مراد هذا الإله العظيم ، الذي بينه للناس في كتابه وفي سنة نبينه محمد صلى الله عليه وسلم .

ولتحقيق هذا الهدف النبيل جاء القرآن الكريم بأساليب علمية كثيرة منها :**الدعوة إلى النظر في هذا الكون المفتوح بكل وسيلة مباحة ، سواء كان النظر من خلال الحواس المجردة أو من خلال ما يمكن أن يستحدثه الناس من وسائل مادية أخرى .**

وعليه ، فإن مما يعد صورة من صور الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ما بينه المولى — سبحانه — في كتابه الكريم من ذكر نزول الغيث ، ونبات الثمار ، واختلاف ألوانها ، وتصنيف الجبال ، واختلاف ألوانها ، وتصنيف الدواب والأنعام ، واختلاف ألوانها كذلك ، ثم كان ختام الآية بثناء الله تعالى على العلماء الذي يرون في هذا الخلق آية على عظمة الله تعالى ، وأنه الذي يستحق العبادة دون سواه .

ففي خلق السموات وما فيها من العجائب دار حوار بين عالم مسلم من الهند متخصص في الطبيعة والرياضيات وبين بروفوسور أمريكي في نفس التخصص اسمه : جيمس جنز ، وكان الثلثي يتحدث عن تكوين الأجرام السماوية ، ونظامها المدهش ، وأبعادها ، وفواصلها غير المتناهية ، وطرقها ، ومداراتها ، وجاذبيتها ، وطفوفان أنوارها المذهلة ، كان يتحدث عن هذا وشعر رأسه يقف ، والدموع تنهمر من عينيه ، فقال له العالم المسلم : اسمع لما يقول ربي في كتابه الكريم عن هذه الحقائق وغيرها مما أبدعه في هذا الوجود العجيب ، ثم تلا عليه هذه الآية : ﴿ **الْمَرَّتَ أَنْ اللَّهُ**

**أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (١)**

فصرخ جيمس : مدهش ، وغريب ، وعجيب جدا ، ثم قال : إن هذه الحقيقة التي قرأتها الآن هي ثمرة دراسة ومشاهدة خمسين سنة ، ثم أردف : هل هذه الآية موجودة في القرآن حقيقة ؟ لو كان الأمر كذلك فاكتب شهادة سني أن القرآن موحى به من عند الله ، إلى أن قال : لقد كان

(١) - [سورة فاطر: الآيات ٢٧-٢٨]

محمد أميا ، ولا يمكنه أن يكشف السر بنفسه ، ولكن الله هو الذي أخبره بهذا السر ، مدهش ،  
وغريب وعجيب جدا (١)

وما أشبه مقولة جيمس جنزر : مدهش وغريب وعجيب جدا ، بمقولة الوليد بن المغيرة :  
والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه ليعلو ولا يعلى عليه ، فقد أدهش الأول في إعجازه العلمي ،  
وأدهش الثاني في إعجازه اللغوي ، ولو كان القرآن الكريم مقتصر في إعجازه على أحد هذه الوجوه  
لما تحقق به هذا الإقناع المتألق في كل عصر ومصر .

لقد بلغ العلم الحديث في جنبه المادي شأوا ما شهد التأريخ له مثيلا ، حتى خيل إلى  
أصحابه — من الملاحدة الماديين — أنهم قد ملكوا ناصية الحياة ، وأنهم قادرون على أن يستغنوا  
بعلمهم عن الله تعالى ، وأن المعارف المتعلقة بالدين ما هي إلا طقوس يتقرب به الإنسان إلى إلهه الذي  
يعبده ، إضافة إلى ما فرضته الكنيسة على الناس من أوهام وخزعبلات باسم الدين ، فكرست في  
أذهان أتباعها فكرة الثورة على الدين ، وأنه لا يمكن أن يسير هو والعلم في طريق واحد أبدا .  
بينما القرآن الكريم يجعل العلم سببا من أسباب تحصيل الإيمان ، ويصف العلماء بأهم أعظم  
الناس خشية لله تعالى ، وكثيرا ما يربط القرآن الكريم بين عظمة الخالق وبين ضرورة الإيمان به ، وبين  
الإيمان به سبحانه وبين العلم .

ومن الحقائق العلمية التي تضمنها القرآن الكريم ما ورد في أعاجيب خلق الله تعالى في  
الذباب ، مقرونا بأسلوب : ضرب المثال : لبيان القضية الجوهرية التي نزلت الآية من أجلها ، ذلك  
أن الآية الكريمة لم تنزل لبيان الحقيقة العلمية حول خلق الذباب ، ولكنها جاءت لغاية أخرى ،  
وهي بيان ضعف وعجز آلهة المشركين التي يعبدونها من دون الله ، ولتبين هذه الغاية كان لا بد من  
أيراد هذا الأسلوب التربوي المؤثر ، وهو أسلوب ضرب المثال ، مقرونا بهذه الحقيقة العلمية ، من  
أجل تحقيق هذه الألهة المزعومة .

إن ضرب المثال أسلوب مثير للعمليات العقلية العليا من خلال الربط بين المعنى الخاضع في  
الذهن وبين المعنى البعيد الذي لم يكن يتصوره الذهن من قبل ، فيحمل الغائب على الحاضر ، ويقاس  
الغائب على الشاهد ، لتستبين الحقيقة .

والمراد بالمثال كما يقول أهل اللغة هو : " عبارة عن قول في شيء قولاً في شيء آخر بينهما

مشاهدة ليعين أحدهما الآخر ويصوره " (٢)

(١) وحيد الدين خان ، الإسلام يتحدى ، ص ٢١٠

(٢) المناوي ، التوقيف على مهمات التعاريف ، ص ٦٣٦

ولعل من الأمثلة على ذلك ذلك ما ورد في القرآن الكريم من ذكر بعض الحقائق العلمية

المتعلقة بخلق الذباب ، مع بيان السبب الذي من أجله سبقت مثل هذه الحقائق ، فقد قال تعالى : ﴿

يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ ۖ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۗ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۗ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضِعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ۗ ﴿٧٣﴾ (١)

فقد بدأت الآية الكريمة بما يشبه الإعلان العام للبشرية كلها ، عن قضية لا يؤمن بها عاقل يملك أدنى مثقال ذرة من فهم أو تفكير يورث الإيمان ، مع التأكيد على ضرورة حسن الاستماع والإنصات إلى هذه الحقيقة ، ألا وهي : عبادة بعض الناس آلهة عاجزة عن خلق أحقر مخلوق وهو الذباب ولو اجتمعت ، بل لو اعتدى الذباب على هذا الإله الذي يعبد من دون الله فسلب منه شيئاً ما استطاع استنقاذه منه ، وذلك لضعف الطالِب وهو الصنم المعبود أياً كان نوعه ، والمطلوب وهو الذباب .

فهل هناك عاقل في الدنيا يزمن بإله هذا حاله ، قال الزمخشري : " وهذا من أبلغ ما أنزله الله

في تجهيل قريش واستركاك عقولهم ، والشهادة بأن الشيطان قد خزّمهم بخزائمه " (٢) وقد اقترن ذكر هذه الحقيقة في عجز هذه الآلهة ، بما توصل إليه العلم الحديث من أبحاث أجراها حول الذباب مفادها :

إن الذباب ليس له جهاز هضمي ، فهو لا يملك أسنانا تقطع الطعام ، ولا لسانا يقبله ، ولا بلعوما ينقله ، ولا معدة تهضمه ، وإنما يمتص الطعام امتصاصاً ، وعن طريق الدورة الدموية في جسمه يتحول الأكل إلى طاقة غير محسوسة ، ولو اجتمعت البشرية كلها على أن تسترد هذه الطاقة ما استطاعت أبداً ، لأن الأكل بعد تحوله إلى طاقة غير محسوسة لا يمكن استرداده البتة .

وجاء القرآن الكريم الذي نزل على نبي أمي لا يقرأ ولا يكتب قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ

يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ ۗ ﴿

(١) - [سورة الحج: الآية ٧٣]

(٢) الزمخشري ، الكشاف ، ج ٤ ص ٢١٢

إنه نداء إلى كل من سمع هذه الآية سواء كان هذا السامع أعرايا لم يتمكن بما في يديه في تلك الفترة من معرفة هذه الحقائق عن الذباب ، فأمن بحقيقة واقعة ، ماثلة أمام العيان ، وهي أن الإنسان لا يستطيع استرداد طعامه من الذباب ، وليس له في ذلك أدنى حيلة ، أو غري معاصر عlish فترة تراكم العلوم ، وغزارة المعارف ، وثورة المكتشفات ، وانفجار المعلومات ، ورفي الاتصالات ، ومع ذلك فقد أثبت له العلم هذه الحنيقة فأمن بها حقيقة واقعه أمام العيان .

وكلما تقادم الزمان ، وتحقق للبشرية في مضمار العلم كثير من الإمكانيات ، وتيسر لها — بفضل الله — كثير من الاكتشافات ، كلما وجدت كتاب الله تعالى معها يشجع العلم ، ويدعو إلى البحث ، ويفتح لها أبوابا من المعارف ، تليق بمقدرات أهل كل عصر ، حتى إذا ما وصلت البشرية في العلم المادي غايته ، وبلغت ذروته ، وجدت في كتاب الله تعالى مبتغاها .

فالعربي في صدر الإسلام صدق تلك الحقيقة عن الذباب من خلال ما في يديه من إمكانات ، والعلم الحديث أيد ذلك بما فتح الله عليه من كشوفات ، ولم ولن يحدث تناقض بين هذه الحقائق ما دام مصدرها واحد وهو الله جل جلاله الذي يقول عن كتابه الكريم : ﴿ ذَلِكِ الْكِتَابُ

لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (١)

قال القرطبي — رحمه الله — في تفسيره في معنى الريب الذي نفاه الله تعالى عن كتابه الكريم

: " وفي الريب ثلاثة معان أحدها : الشك ، وثانيها : التهمة ، وثالثها : الحاجة " (٢) فليس فيه ريب أنه من عند الله تعالى ، وأن مواطن النهم في ميادين اللفظ والتشريع والحقائق الكونية لا تجدد إليه طريقا أبدا .

وإذا ما تصور متصور التعارض بين أخباره وحقائقه فليُبعد الريب لنفسه ، وليتهم عجزه وقصوره ، وليعلم أن ما بين حقائق الوحي وبين علمه هو ، كما بين الخالق والمخلوق .

وعلى هذا عقب المولى سبحانه — بعد ذكر الذباب وعجز الآلهة المزعومة عن استرداد طعامها منه ، ومن ثم عبادتها من دون الله القوي العزيز ، خالق كل شيء ، والقادر على كل شيء — بقوله سبحانه : ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٣)

(١) — [سورة البقرة: الآية ٢]

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١ ص ١٥٩

(٣) — [سورة الحج: الآية ٧٤]

قال السعدي — رحمه الله — في تفسيره: " حيث سوا الفقير العاجز من جميع الوجوه —  
بالغني القوي من جميع الوجوه ، سوا من لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة  
ولا نشورا. من هو النافع الضار المعطي المانع مالك الملك والمتصرف فيه بجميع أنواع التصرف " (١)

والتأمل في كتاب الله الكريم يجد أنه اشتمل على أسلوب ضرب المثال لتقريب المعاني من  
خلال الربط بين غائب وشاهد ، وخاصة حين الاستدلال على مسائل الاعتقاد ، وهي صورة من  
صور عناية القرآن الكريم بإثارة القدرات العقلية العليا لتنمية التفكير العلمي المنضبط: " وهكذا يعلم  
من كثرة الأمثال في القرآن عنايته بالأقيسة العقلية الدالة على المطالب العقديّة " (٢)

ومن صور الإعجاز العلمي في كتاب الله الكريم ما ورد في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يُرِدْ

اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ  
صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ  
اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣)

فقد وصفت الآية الكريمة أن من أضله الله عن الهدى بعد إذا جاءه ضيق الصدر ، وأنه في  
ضيق صدره كمن يصعد في السماء ، وقد بين المفسرون من سلف الأمة هذا التشبيه من خلال ظاهر  
الآية الكريمة فقال الطبري — رحمه الله — في تفسيره: " فمثله في امتناعه عن قبول الإيمان وضيقه عن  
وصوله إليه مثل امتناعه عن الصعود إلى السماء ، وعجزه عنه لأنه ليس في وسعه وطاقته " (٤) وهذا  
قول تلقته الأمة بالقبول من خلال ظاهر الآية الكريمة ، وهو حق لا مرية فيه ، فإن الإنسان الذي  
امتنع عن الإيمان بالله في تلك الفترة يمكن تشبيهه بمن قيل له: ارق في السماء ، فيقول: لا أقدر .  
فها هو الإنسان يقال له ارق في السماء فيقول لا أقدر ، لكونه في تلك الفترة عاجز عن  
ذلك ، وها هو الكافر يقال له: آمن بالله ، فيقول: لا أقدر ، ووجه الشبه في الحالين هو: الامتناع  
في كل ، في الإيمان بالله ، وفي الرقي في جو السماء بغير واسطة .

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٤٩٥

(٢) سعود العريفي ، الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد ، ص ١٢١

(٣) — [سورة الأنعام: الآية ١٢٥]

(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ص ٢٢٣



وحيثما تقدم العلم وظهرت للناس الحقيقة العلمية التي تؤكد على قلة الأوكسجين في طبقات الجو العليا حيث: "تتكون الطبقات السفلى من الغلاف الجوي إلى ارتفاع نحو ١٠٠ كم من خليط من غاز الأوزون والأوكسجين بنسبة ٧٨ إلى ٢١ تقريبا من حيث الحجم على التوالي ، وتمتاز معهما عدة غازات أخرى بنسبة ضئيلة تكاد لا تتعدى في مجموعها ١% من حيث الحجم" (١) فإذا ما تجاوز الإنسان وهو يصعد في السماء هذه المسافة التي يوجد فيها الأوكسجين فإنه يضيق نفسه شيئا فشيئا ، حسب ارتفاعه ، حتى يصل إلى درجة الاختناق والموت .

فكان لا بد من معرفة تراكمية تضاف إلى تفسير سلف الأمة حول الآية من خلال معطيات هذه الحقيقة التي تزيد من المعرفة ، وتزيد إلى جوار ذلك طمأنينة النفس بعظمة القرآن الكريم ، وتزيد أيضا قناعة المسلم بشدة ضيق صدر الكافر بكفره حتى لكأنه في حالة اختناق تؤدي به إلى الموت: "فلاآية لم تتكلم على مجرد الضيق الذي يلاقه المرتفع في الجو ، الصاعد في السماء فقط ، وإنما تكلمت على ازدياد هذا الضيق كلما ازداد الارتفاع في الفضاء" (٢) وهو ما عبرت عنه اللفظة اللغوية

القرآنية بقوله تعالى: ﴿يَصْعَدُ﴾ التي تعني الترقى في الصعود مرة بعد أخرى .

أما ما ذكره بعض الكتاب من أن الفهم الدقيق للآية متوقف على فهم الحقيقة الكونية فهو أمر لا يسلم به الباحث ، ومن ذلك قول بعضهم: "إن العلم الحديث ضروري لفهم بعض معاني القرآن الكريم ، وليس هناك ما يمنع من أن يكون فهم بعض الآيات فهما دقيقا متوقفا على تقدم بعض العلوم" (٣) لأن تراكمية العلم ليست خاصة بأحد في فهم الآية الكريمة من كتاب الله تعالى ، سواء كان ذلك من خلال ظاهر السياق ، أو من خلال معطيات العلم الحديث ، وكل ذلك في ضوء المعنى اللغوي والشرعي للآية الكريمة .

ثم من يدري ؟ لربما أضيف إلى هذه الحقيقة العلمية — حول ضيق التنفس كلما ارتقى الإنسان في طبقات الجو العليا — معارف تراكمية أخرى ، فهل يقال والحال هذه ، إن الفهم العلمي الأول للآية الكريمة كان دقيقا ؟ !!!

وهكذا يستبين لكل عاقل عظمة هذا الإله من خلال ما في كتابه الكريم من إعجاز لغوي وتشريعي وعلمي ، أكدت مجتمعة على أن هذا الكتاب لو كان من عند غير الله لوجد الناس فيه

(١) محمد الأفندي ، الغلاف الجوي في محيط العلوم ، ص ١٣٢

(٢) محمد هيتو ، المعجزة القرآنية ، ص ٢٢٢

(٣) محمد الشايع ، التفسير بمكتشفات العلم التجريبي ، ص ٣٥

الإنسانية في أدق خصائصها وأخص أسرارها ، ويضع الناس أمام حقائق عرف عنها العلم الحديث شيئاً وغابت عنه أشياء .

ليكون هذا كله دلالة لا تقبل الشك أن هذا الكلام ليس من كلام البشر أبداً ، وأنه لا أحد على وجه الأرض يمكن أن يعطي مثل هذه الحقائق ويكشف عن أسرارها إلا الله الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدي .

وإذا صدق المنصف بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى ، لكونه ذكر أموراً لا يقول بها بشر أبداً ، فقد وجب عليه الإيمان بهذا القرآن ، وبهذا النبي الذي جاء بهذا القرآن ، وترجمه في واقع الحيلة ترجمة عملية فيما دق من الأمور وما كبر ، ووجب عليه التصديق بهذا القرآن حتى وإن لم تستوعب العقول بعض قضاياها ، خاصة مما هي خارجة عن حدود العقل الإنساني ، فقد دل بعضه على بعض ، وصدق بعضه بعضاً ، ذلك أن الذي أثبت الحقيقة العلمية المادية في زمن لم تكن معرفة لدى الناس ، ثم تعاقبت الأزمان فأروها ماثلة في الوقع المحسوس ، هو — في الوقت نفسه — الذي أثبت الحقيقة العلمية الغيبية ، وأمر الناس أن يؤمنوا بها من غير حرج ولا ممانعة ، لأن جميع هذه الحقائق قد جاء بها الذي لا ينطق عن الهوى كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۗ ﴾ (١)

لقد كانت معجزات الأنبياء — عليهم السلام — مادية مؤقتة ، فكانت معجزة إبراهيم — عليه السلام — في النار ، ومعجزة موسى — عليه السلام — في العصا ، ومعجزة عيسى — عليه السلام — في إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله ، ومعجزة صالح — عليه السلام — في الناقة ، وكانت معجزات محمد — صلى الله عليه وسلم — كثيرة جداً ، عددها بعض العلم أكثر من ألف معجزة (٢) وكانت كلها مادية ، توارت بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا معجزة واحدة ، وهي القرآن الكريم ، الذي جعله الله سبحانه باقياً إلى قيام الساعة ، يشهد بعظمة الله وصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وعالمية رسالته .

وإذا كانت البشرية اليوم تتباهى بعلومها المادية القائمة على النظر والتجريب ، فإنها تقف حائرة أمام موقف القرآن الكريم من هذه العلوم من حيث الغاية والوسيلة ، ومن حيث الضوابط العلمية والخلقية التي رسمها لهذه المعارف ، ومن حيث سبقه إلى ذكر ما كان منها حقيقة لا تقبل الشك ، ومن حيث تناسق معارفه ، وسيرها في طريق يهدي إلى الحق ، دون أن تتناقض حقائقه ، أو

(١) - [سورة النجم: الآيات ٣-٥]

(٢) ابن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج ١ ص ٣٩٩

تصادم أحكامه ، وما يزال يتألق في أنظار الباحثين عن الحق جيل بعد جيل ، حتى أن كبار المخترعين والمكتشفين في العالم يشهدون بعظمته وعلو مكانته .

حتى يرفع من الأرض في آخر الزمان ، ويتزع من السطور والصدور ، وعندها لا تجد البشرية نورا تهتدي به فتضل ضلالا بعيدا ، ويكون الناس في تلك الفترة هم شرار الخلق وعليهم تقوم الساعة ، وهو ما أكدته حقيقة علمية ورد بها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (( إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخر ما يبقى من دينكم الصلاة وليصلين قوم لا دين لهم ولينتزعن القرآن من بين أظهركم ، قالوا يا أبا عبد الرحمن ألسنا نقرأ القرآن وقد أئتمناه في مصاحفنا ؟ قال : يسرى على القرآن ليلا فيذهب به من أجواف الرجال فلا يبقى في الأرض منه شيء )) (١)

قال الحاكم في مستدركه : " هذا حديث صحيح الإسناد " (٢) وقد خرجه الصنعاني في

مصنفه ووقفه على ابن مسعود رضي الله عنه (٣) ورفع الطبراني في المعجم الكبير إلى النبي صلى الله عليه وسلم (٤) وقد أكد هذا المعنى الذي تفضل به البشرية في آخر حياتها ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (( لا تقوم الساعة حتى لا يقلل في الأرض الله الله )) (٥)

### التفكير من أجل فتح باب الإعجاز العلمي

وذلك لمن لا يتذوقون اللغة العربية ، ممن لا ينطقون بها ، وخاصة من العلماء المتخصصين في العلوم الطبيعية ، فقد تبين لهم في مواطن كثيرة أن القرآن الكريم قد سبق العلم الحديث بمئات السنين في لفت الأنظار إلى الحقائق الكونية ، ففتحت هذه الدعوات القرآنية آفاقا للبشرية لم تكن تخطر لها على البال .

### التفكير من أجل تحقيق الخلافة في الأرض

(١) الطبراني ، المعجم الكبير ، ج ٩ ص ١٤١  
(٢) الحاكم ، المستدرک ، ج ٤٥ ص ٥٤٩  
(٣) الصنعاني ، مصنف عبدالرزاق ، ج ٣ ص ٣٦٣  
(٤) الطبراني ، المعجم الكبير ، ج ٧ ص ٢٩٥  
(٥) مسلم ، صحيح مسلم ، ص ٨٣ حديث رقم (١٤٨)

وذلك لبقاء النوع الإنساني يعمر الحياة جيلا بعد جيل ، وأمة بعد أمة ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، والبحث عن كل وسيلة تيسر سبل المعيشة على الأرض بما يحقق للإنسان رفاهيته وتقدمه ، وانتفاعه بخيرات هذا الكون ، وإفادته مما سخره الله تعالى في هذا الوجود .

ولقد بين المولى سبحانه أن الإنسان مستخلف لعمارة الأرض فقال سبحانه : ﴿ وَإِذْ

قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ ﴾ (١) وقال سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ۗ ﴾ (٢)

والانتفاع من خيرات هذا الكون جزء من عملية الاستخلاف هذه ، وكلما بالغ الإنسان في النظر والتأمل في هذا الكتاب المفتوح — استجابة لأمر ربه سبحانه — كلما تفتحت قرائحه على حسن الانتفاع من هذه الخيرات ، وهو ما يسره المولى سبحانه للإنسان أيا كان مشربه في مثل هذه العصور المتأخرة ، فقد استبدل المراكب البدائية المتمثلة في الخيل والبغال والحمير بالطائرات والسيارات والسفن والبواخر ، وما يدري الإنسان ماذا ينتظره من ذلك في مستقبل حياته . واستبدل الوسائل البدائية في الاتصال بأحدث وسائل تبادل المعلومات كالهاتف والفاكس والبريد الإلكتروني .

واستبدل السير في الأرض أزمنة طويلة للبحث عن المعلومة بأحدث مصادر المعلومات في الوقت الحاضر كالحاسبات الآلية والشبكات العنكبوتية وغيرها .

وما يشك عاقل في الوجود ما حققته هذه الوسائل من رفاهية وتقدم مذهل ، وما اختصرته من وقت وجهد ومال ، وكل ينتفع منها على قدر موقفه من الغاية التي صنع من أجلها ، فقد تستخدم هذه الوسائل في الخير ، وقد تكون سببا في دمار الدين والخلق والفضيلة ، وقد تكون مصدر سعادة وهناء ، وقد تكون مصدر تعاسة وشقاء .

ولعل من المؤكد أن حسن استثمار الإنسان في هذه الحياة يكون بالتربية الإسلامية ، وهو الكفيل بحسن استخدام هذه الوسائل فيما ينفع الإنسان في حياته العاجلة في الدنيا ، وحياته الآجلة عند الله في الدار الآخرة .

التفكير من أجل تدريب العقل المسلم على الإبداع

(١) - [سورة البقرة: الآية ٣٠]

(٢) - [سورة الأنعام: الآية ١٦٥]

فإن العقل إذا درب على التفكير العلمي تدرّب ، وإذا أهمل نشأ صاحبه ساذج التفكير ،  
سطحي النظرة ، متناقض الرؤية ، يؤمن بقضية ويكفر بها في آن واحد ، ويسلم بأخرى ويرفضها في  
موقف واحد .

وليس التفكير العلمي حكراً على العلوم الطبيعية كما يتبادر إلى أذهان بعض الناس ، خاصة  
من لا يؤمنون إلا بالمعرفة ( الإمبريقية <sup>(١)</sup> ) بل إن التفكير العلمي كما سبق بيانه يشمل سائر العلوم  
والفنون النظرية منها والتطبيقية .

كما من الأساليب العلمية التي أكد عليها القرآن الكريم لتحقيق هذا الهدف : **الدعوة إلى  
التأمل والنظر لاكتشاف السنن التي تحكم مسيرة الكون** : فإن الكون الذي خلقه الله تعالى مبني في  
حركته على سنن ثابتة ، وقوانين دقيقة لا تتغير ولا تتبدل ، ومعرفة هذه الخاصية أمر يقود إلى  
الاكتشاف والاختراع .

وإذا كان الكون الذي يراه الإنسان أمامه مجموعة من الظواهر المختلفة فإن بين هذه  
الظواهر علاقات متبادلة يؤثر بعضها في بعض ويتأثر به .

فالقمر ظاهرة من هذه الظواهر الكونية ، والبحر ظاهرة أخرى ، وبين الظاهرتين علاقة  
عجيبة ، هي التي قادت إلى اكتشاف قانون المد والجزر .

والشمس ظاهرة كونية ، والشجر في الأرض ظاهرة كونية أخرى ، وبين الظاهرتين علاقة  
عجيبة ، هي التي قادت إلى اكتشاف قانون البناء الضوئي .

على أن الإنسان إذا تعامل مع هذه الظواهر من خلال تلك الحركة الدقيقة التي خلق الله  
تعالى عليها الكون عليها ، فنظر وتأمّن وجرب قاده ذلك إلى الاختراع ، كما حصل في الحقيقتين  
اللتين سبقا ذكرهما .

كما أن من الأمور التي تثير في الذهن تساؤلات كثيرة اشتمال بعض الآيات في القرآن  
الكريم على إلماحات علمية ، يمكن أن يتحقق من وراء النظر فيها ، والبحث في سر العلاقات بينها —  
من خلال المنهج التحريبي — شيء يمكن أن تنتفع به البشرية في حياتها ، وإلا فهي — على أقل تقدير —  
دربة للعقل على التفكير العلمي .

ومن ذلك إلماحة القرآن الكريم إلى العلاقة بين قضية فلق الحب والنوى وبين قضية فلق  
الإصباح ، الذي هو الضوء ، فقد استخدم القرآن الكريم للموضوعين لفظة واحدة هي ( فلق ) مع أن  
الحب والنوى مختلفان عن الإصباح ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى <sup>ط</sup>

(١) يقصد بها الباحث المعرفة الحسية التي تخضع للنّياس والتّحريب والملاحظة ، وهو تعبير الفلاسفة الوضعيين .

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَآنِي  
تُؤَفِّكُونَ ﴿١٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ  
حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٦﴾ ﴿١﴾

ومنها إلماحة القرآن الكريم إلى العلاقة بين عرق الإنسان وبين الشفاء من العمى ، من خلال ما ورد في قصة يوسف عليه السلام ، حين ألقى القميص على وجه أبيه يعقوب عليه السلام فارتد بصيرا ، وهو ما جعل العلم الحديث يبحث عن هذه العلاقة ليرى في العرق شفاءً من مرض العمى .  
والباحث لا يؤكد على أن هذه الإلماحات حقائق علمية لا تقبل الشك ، أو يريد أن يحمل القرآن ما لا يحتمل ، ولكنه يؤكد على أن تكون هذه العلاقة موضع بحث ونظر وتأمل وتجريب ، وربما أوصل العلم فيها إلى شيء ربما يكون فتحا للبشرية في ميدان الطب .

كما أن من الأساليب المتعلقة بأهداف المظهر الكوني : أن لكل معلول علة : وهو ما يطلق عليه بعض العلماء قانون ( العلية )

ومن الاساليب أيضا : أن لكل سبب مسبب : وهو ما يعبر عنه المعاصرون في الأبحاث النظرية والتطبيقية على حد سواء بالمتغيرات ، ويقسمونها إلى متغيرات ( مستقلة ) و ( تابعة ) فالأول هو : ( السبب ) والثاني هو : ( المسبب ) .

ومن الأساليب أيضا ما يعرف بـ **الاضطراب في وقوع الحوادث** : بمعنى أن ما وقع في زمن من الأزمنة ، لسبب من الأسباب يمكن أن يتكرر بنفس النتيجة إذا كانت الظروف والملابسات واحدة ، يصدق هذا على الأمور المادية والمعنوية على حد سواء .

### **ثالثا : الأهداف المتعلقة بالمظهر الاجتماعي وأساليبها :**

يقصد الباحث بالمظهر الاجتماعي : ذلك المظهر الذي يعنى بتنظيم حياة الإنسان على ظهر هذه الأرض ، وتوجيهه لينظم علاقاته مع الآخرين ، وفق المعيار الشرعي الذي حدده له الإسلام ، مستفيدا من وقائع الحياة حين يربط الماضي بالحاضر بغية استشراق المستقبل ، وتحليل تلك الوقائع لاكتشاف السنن التي تحكم مسيرة الحياة من خلال السير في الأرض وفق أمر الله تعالى .

وهو ما عبر عنه ابن خلدون بقوله : " الاطلاع على اختلاف الأمم والبقاع والأعصار في السير والأخلاق والعوائد والنحل ، والمذاهب وسائر الأحوال ، والإحاطة بالحاضر من ذلك ، ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق ، أو بون ما بينهما من الخلاف ، وتعليل المتفق منها والمختلف " (١)

(١) - [سورة الأنعام: الآيات ٩٥-٩٦]

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص

وقد أخذت العناية بالمظهر الاجتماعي من مصادر التشريع في الإسلام كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم مساحة كبيرة جدا ، وهو ما أكده بعض الباحثين بقوله : " لو أننا رجعنا إلى القرآن الكريم والأحاديث النبوية لوجدنا الجانب الاجتماعي يأخذ أهميته ومكانته بعد العقيدة مباشرة في كثير من الآيات والأحاديث ، بل وفي المسيرة التاريخية للتشريع الإسلامي " (١)

ومن أهداف التفكير العلمي المتعلقة بالمظهر الاجتماعي :

**التفكير من أجل السير في الأرض لأخذ العبرة والعظة**

وقد أمر الله — سبحانه — بالسير في الأرض ، مقرونا بأسلوب النظر الحسي والعقلي لاستنتاج فعل الله تعالى في الأمم المكذبة ، لاجتناب ما كان سببا في عقوباتهم التي حلت بهم من النكال والتدمير ، قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ

عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١٠﴾ (٢)

ومع كثرة الآيات التي تأمر بالسير في الأرض لأخذ العبرة والعظة يلمح القارئ ما بين ألفاظها من الاختلاف الحرفي أحيانا لإثارة التفكير من جهة ، ولكون كل آية لها مقصودها من البلاغة والإعجاز الذي لا يمله السامع .

فالآية الكريمة تأمر بالسير في الأرض مقرونا بأسلوبين تربويين مؤثرين ، أحدهما يكمن في : **النظر الحسي والعقلي** الذين يقفان بالإنسان على أسباب العقوبات ، فإن لكل سبب مسبب ، إذ سبب العقوبة يرجع إلى الإعراض والتكذيب ، وهو ما أكد عليه القرآن في مواطن أخرى ربما كلنت أحيانا في سورة أخرى ، وذلك لتعويد المسلم الذي يتلو القرآن على الربط بين الأسباب والمسببات ، وهي صورة من صور إثارة التفكير العلمي .

ويكمن الآخر في أسلوب **الاضطراد في وقوع الحوادث** ، وهو ما يسميه بعضهم بقانون

الحتمية ، وهو ما جاء واضحا في قوله تعالى : ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴾

(١) حسن أيوب ، السلوك الاجتماعي في الإسلام ، ص ١٣

(٢) - [سورة محمد: الآية ١٠]

فإن ما حل بأولئك بسبب إعراضهم ، سيحل بهؤلاء ما دامت الأعمال واحدة ، ومثله ما

جاء في قوله تعالى عن الحجارة التي أهلك الله بها قوم لوط : ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ

بَبَعِيدٍ ﴿ ٨٣ ﴾ (١)

والربط بين الأسباب والمسببات فوق أنه أسلوب علمي لإثارة التفكير ، فإنه طريق إلى

تصحيح الخلل لتستقيم الحياة ، ويهنأ الإنسان فيها بعيش آمن .

والعالم اليوم في حاجة ماسة إلى أن يربط بين العقوبات التي حلت به في كثير من جوانب

حياته وبين جرأته على الله تعالى ، ذلك أن العقوبات التي تحل بالناس ترجع إلى سبب ما يقترفونه من

المعاصي والموبقات ، تصل في بعض الأحيان إلى إباحة ما اتفقت جميع الأديان السماوية على تحريمه ،

بل وتقنينه ، وحمأته ، وجعله جزءاً من شخصية المجتمع ، كالزنا ، وشرب الخمر ، وأكل الربا ،

وغير ذلك ، فكانت النتيجة هذه العقوبات المتمثلة في الخوف ، والجوع ، ونقص الأموال والثمرات ،

وهلاك الأنفس بالحروب الوحشية ، والأمراض الفتاكة التي لم يكشف الطب لها علاجاً ، كأمرض

( الإيدز ) وهو مرض نقص المناعة المكتسبة ( والسرطان ) وغيرها .

ولعل ما يعيشه العالم اليوم من هلاك مذهل للدواب والأنعام وذبح وإتلاف وحرق الملايين

منها في أنحاء العالم بسبب الأمراض التي أصابتها كأمرض جنون البقر ، وحنون الدجاج ، وحمى

الوادي المتصدع ، والحمى القلاعية ، وما أصاب الناس من دعر شديد خشية من تناول اللحوم ، هو

سبب واضح جلبي فيما يقترفه الناس من مخالفات ، وما يقعون فيه من محرمات ، وما ينتهكون من

حدود ، فحرت عليهم سنة الله التي لا تتخلف ، ووقع بهم عذاب الله الذي لا يرد عن القوم الظالمين

، إنها ثمرة الاستكبار في الأرض ، قال تعالى عن سبقتهم ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ

أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِيْحَدَى الْأُمَّمِ فَلَمَّا

جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿ ٤٢ ﴾ أَسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ

السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ

(١) - [سورة هود: الآية ٨٣]



الْأُولَئِكَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٢﴾

﴿١﴾

وفي هذا يبين سبحانه للمسلم كي يربط بين السبب والنتيجة فيقول سبحانه : ﴿ وَمَا

أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿٢﴾

فكل مصيبة تحل بالعبد في نفسه أو أهله أو ماله ، وكل كارثة تقع في المجتمع إنما هي بسبب ما يقرفه

الناس من الموبقات والآثام ، قال تعالى : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا

كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿٤١﴾

﴿٣﴾ وفي قوله تعالى : ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ

مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴾ ﴿١٢٦﴾ ﴿٤﴾

والتأمل في ختام الآية الكريمة يجد أن العقوبة التي يعاجل الله بها أهل الفساد في الأرض إنما

هي لحكمة عظيمة تكمن في مراجعة النفس ، وتصحيح الأخطاء ، وتقويم السلوك ، سواء كان فرديا

أو جماعيا ، وهو ما جاء واضحا في قوله تعالى : ﴿ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .

التفكير لمعرفة السنن الربانية التي تحكم مسيرة الحياة .

فإن لله في الحياة سننا لا تتغير ولا تتبدل ، يبنى بعضها على بعض ، ودائما ما يكون

طرفها الأول بيد الإنسان ، وطرفها الآخر عند الله تعالى ، فإذا وقع من الإنسان أمر ما ، ترتب عليه

وقوع أمر الله تعالى وقدره ، وقد سبق الحديث عن هذه السنن بشيء من التفصيل عند ذكر الميادين

التي أمر العقل فيها بالتفكير ، وهو ميدان الاجتماع البشري .

التفكير من أجل التخطيط للحاضر والمستقبل في ضوء تلك السنن

﴿١﴾ - [سورة فاطر: الآيات ٤٢-٤٣]

﴿٢﴾ - [سورة الشورى: الآية ٣٠]

﴿٣﴾ - [سورة الروم: الآية ٤١]

﴿٤﴾ - [سورة التوبة: الآية ١٢٦]

من المعلوم أن الزمن الماضي والحاضر والمستقبل يعد في عرف العقلاء من الناس ثلاث حلقات في سلسلة واحدة لا يمكن فصل إحداها عن الأخرى ، وقد شبهها بعض المفكرين بالرقم ( ٧ ) الذي يستمد قيمته من كونه رقما في منظومة عددية ، فلولا الرقم ( ٦ ) ما عرفناه ، ولولاه لما عرفنا الرقم ( ٨ ) (١) .

فالرقم ( ٦ ) يمثل الماضي ، والرقم ( ٧ ) يمثل الحاضر ، والرقم ( ٨ ) يمثل المستقبل ، ولا يمكن في الأبحاث الاجتماعية أن نفصل هذه الحلقات عن بعضها ، لكونها متداخلة يؤثر بعضها في بعض ويتأثر به ، إذ لا يمكن فهم الحاضر إلا من خلال مراجعة الماضي ، والإفادة من إيجابيات تلك التجارب التي وقعت في الماضي ، سواء كانت للإنسان نفسه أو لغيره ، فردا كان أو جماعة ، ولا يمكن التخطيط للمستقبل إلا من خلال فهم الحاضر وتحليل قضاياه ، وإدراك مشكلاته ، من أجل استشراف المستقبل ، من خلال منهجية علمية ، كأن نتائجها ترى من وراء ستر رقيق .

وعليه ، فليس الأمر بمتوقف على أهمية معرفة تلك السنن فحسب ، بل لا بد من تصحيح الواقع من خلالها ، فإن الذين سماهم الله في كتابه الكريم ( أولي الألباب ) — وهم صنّاع الحياة الفاضلة — حين يدركون هذه السنن ، فإنهم يخططون لحاضرهم ومستقبلهم الاجتماعي من خلال معرفة هذه السنن التي بينها الله سبحانه في كتابه الكريم ، لتكون منطلقا يترى الفرد والمجتمع عليها : " ولذلك تتكرر التوجيهات القرآنية للخبرات المرية القائمة على النظر في وقائع الاجتماع البشري ، وفي قيام المجتمعات وموتها ، ونشأة حضارات وانهارها ، ثم الاستفادة من القوانين والسنن التي تؤثر في ذلك كله ، والنتائج التي تنتج عن عمل هذه القوانين إيجابا وسلبا [ وثمره هذا كله ] تسخير القدرات والطاقات البشرية لتقويم البشرية ولبناء الحضارات التي ترتقي بالنوع الإنساني وتجنّبه السقوط والعثرات " (٢)

### التفكير من أجل الإفادة من خبرات الآخرين وتجاربهم

وهي الحكمة التي أمر المسلم بالتقاطها من أي فم ، ما دامت موصوفة بالحكمة ، وهو مقتضى السير في الأرض المأمور به في القرآن الكريم ، في مواطن كثيرة ، ومنها ما جاء في قوله تعالى : ﴿ أَقْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ

(١) عبدالكريم بكار ، فصول في التفكير الموضوعي ، ص ٨

(٢) ماجد الكلاي ، أهداف التربية الإسلامية ، ص ١١١

يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي

فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ (١)

وخاصة فيما يتعلق بأمور الدنيا ، وطريقة إعمارها ، فإن الخبرات البشرية تتفاوت — في عمران الحياة — من أمة لأمة ، ومن مجتمع لآخر ، والسير في الأرض يكسب الإنسان خبرة تنمو بها قدراته العقلية ، فيفيد من المفيد ، ويتجنب ما لا يفيد ، مع التزامه بالأخلاق الإسلامية النبيلة وهو يجوب الأرض ، ويسير في جنباتها بحثا عن الحكمة ، سواء كانت نظرية أم عملية ، فيلبسها لبوس الإسلام في غاياتها وأسايلها ، لتصبح نافعة مهتدية .

### التفكير لتحديد المعايير التي تحكم شبكة العلاقات الاجتماعية

فطر الله سبحانه الإنسان على أن يكون مدنيا بطبعه ، يحب الاختلاط بالآخرين ، فيؤثر فيهم ويتأثر بهم ، بمعنى أن الإنسان لا بد له من بيئة اجتماعية يعيش فيها ، وبما أن الإنسان المسلم صاحب الرسالة العالمية ، لا بد أن يتفاعل مع الآخرين ، بحكم طبيعة الخلق الفطري من جهة ، وبحكم كونه صاحب رسالة عالمية من جهة أخرى ، فلا بد له من معايير ربانية تضبط له علاقاته بالآخرين ، سواء كانوا من أهل دينه الذي يدين به ، أو حتى ممن لا يدينون بدينه .

وقد جعل المولى سبحانه المعيار العام الذي يحدد علاقة الإنسان المسلم بالآخرين سواء كانوا مسلمين أو كفارا ، أفرادا أو جماعات أو دولا ، هو معيار العدل والإحسان ، ولكل من العدل والإحسان دوائر متعددة تبدأ بدائرة النفس ، ثم الأسرة ، ثم المجتمع ، ثم الأمة ، ثم الإنسانية كلها (٢)

وداخل كل دائرة من هذه الدوائر فرعيات وجزئيات جاءت منهجيتها واضحة في كتاب الله تعالى وفي سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، مع التأكيد على أمر بالغ الأهمية في تحديد معايير شبكة العلاقات الاجتماعية بين الناس ألا وهو الأمر الذي يتعلق بعقيدة (الولاء والبراء) التي هي جزء من عقيدة المسلم ، لا تنفك عنه بأي حال من الأحوال ، ولا يمكن استبدالها بغيرها مهما تعددت الشعارات ، وتنادت بذلك الأفكار والثقافات ، وتواصت على ذلك المؤتمرات والهيئات .

فليس من الممكن أبدا أن يكون مصطلح (الإنسانية) — الذي يروج له من لا خلاق لهم ، ممن يقيسون الأمور بمقاييس بشري مجرد متخذين المعايير الربانية التي أنزلها الله تعالى في كتابه الكريم

(١) - [سورة الحج: الآية ٤٦]

(٢) ماجد الكلاسي ، فلسفة التربية الإسلامية ، ص ١٤٣ وما بعدها .

وفي سنة نبية صلى الله عليه وسلم وراءهم ظهريا — معيارا تحدد من خلاله شبكة العلاقات الاجتماعية بين الناس ، وخاصة بين المسلمين والكفار ، إنما هي عقيدة الولاء والبراء التي جاءت نصوصها صريحة في الكتاب والسنة .

على أن هذه العقيدة — فيما يتعلق بتطبيقاتها في واقع الحياة — تقدر بقدرها سواء كان ذلك بين المسلمين في علاقات بعضهم ببعض ، أو بين المسلمين والكافرين ، فإن المسلم يجب أخاه المسلم على قدر إيمانه ، ويكرهه على قدر فسقه وانحرافه ، ويكره الكافر بسبب كفره وانحرافه ، ولكل صنف من الفريقين — المسلمين والكفار — منهجية خاصة في التعامل .

وقد فرق الإسلام في منهجته المتعلقة بالعلاقات الاجتماعية بين أصناف الكفار ، إذ منهم المحارب والذمي والمستأمن ، ومنهم الوثني والكتابي ، والمترد عن الإسلام بكفر صريح ، أو نفاق اعتقادي .

وكل هذه المعاني حدد الشرع الكريم معاييرها في نصوص صريحة ، تضبط للمسلم سلوكه الاجتماعي ، وتحفظ البيئة الاجتماعية من الخلل والاضطراب في عقديتها وأخلاقها وسلوكها ، فتعيش حياة مهتدية وفق ما شرعه الله سبحانه الذي يعلم ما يصلح العباد وما يصلح لهم .

والباحث المسلم حين يتعامل مع واقع اجتماعي معين ويتناوله بالبحث والدراسة ، فإنما يتعامل معه من خلال منهج علمي منضبط ، يراعى فيه تحكيم أصول العادة ، وقواعد السياسة ، وطبيعة العمران ، عن طريق قياس الغائب على الشاهد ، والاطلاع على علم الماضي والحاضر ، وسنن التاريخ ، وطبائع الاجتماع (١) وهذه الأحوال كلها إنما هي ثمرة استقراء نصوص الوحي في كتاب الله تعالى وسنة نبية محمد صلى الله عليه وسلم .

### تكمال الأهداف الثلاثة : الشعائري والكوني والاجتماعي

يؤكد الباحث أن هذه المظاهر الثلاثة في نظر الإسلام لحمة واحدة لا يمكن الفصل بينها البتة ، لكونها تعطي في مجموعها معنى عبادة الله تعالى بمفهومها الشامل ، ولهذا جاء التكامل بين المظهر الشعائري المتمثل في ذكر الله تعالى وبين المظهر الكوني المتمثل في النظر في ملكوت السموات والأرض في آية واحدة ، وهي قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٦﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٤٠ وما بعدها ، بتصرف .

وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾

﴿١﴾

فقد وصف الله أولي الألباب بأنهم يذكرونه على كل أحوالهم ، قائمين وقاعدين وعلى جنوبهم ، وثني بكونهم يتفكرون في خلق السموات والأرض .

وجاء التكامل بين المظهر الشعائري وبين المظهر الاجتماعي في الدعوة إلى إقامة الصلاة

وإيتاء الزكاة ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا

مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٢﴾ ﴿٢﴾

وقد تكرر هذا الربط كثيرا في القرآن الكريم بين هذه القضايا الشعائرية والكونية

والاجتماعية ، لكونها كلا متكاملًا يعطي المفهوم الحقيقي لمعنى العبادة في الإسلام .

بل إن معالجة الانحرافات الاقتصادية والاجتماعية — كجانين خطيرين لهما تأثيرهما في بنية

العلاقات الاجتماعية جاء واضحا في سورة المطففين ، حين بدأت السورة بتهديد الذين يطففون في

الموازين ، وختمت بتهديد المجرمين الذين يضحكون من المؤمنين ويسخرون منهم ، وكانت المعالجة

عن طريق التذكير باليوم الآخر بأسلوب الاستفهام الاستنكاري التعجبي في قوله تعالى : ﴿ أَلَا

يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤١﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ ﴿٣﴾

والفصل بين هذه المظاهر الثلاثة يحدث خلافا في بنية الشخصية الإسلامية ، وهو صورة من

صور الأخذ ببعض الكتاب وترك بعضه ، فإن هذه المظاهر كلها قد اشتمل عليها وحي الله تعالى في

الكتاب والسنة .

كما أن تبعض هذه المظاهر يصيب شخصية الفرد المسلم ، والمجتمع المسلم ، والأمة المسلمة

، والحضارة المسلمة بالتشوه والعجز والمسكنة ، والسبب في ذلك : " أن حصر مفهوم العبادة في

المظهر الشعائري والفصل بينه وبين المظهر الاجتماعي يؤدي إلى إخراج فريقين من المتعلمين : فريق

من المتدينين يتصف بالسلبية والمسكنة ، وفريق من الاجتماعيين يتصف بالانفلات وانعدام توجهات

﴿١﴾ - [سورة آل عمران: الآيات ١٩٠-١٩١]

﴿٢﴾ - [سورة البقرة: الآية ٤٣]

﴿٣﴾ - [سورة المطففين: الآيات ٤-٦]

السلوك ، كما أن الفصل بين المظهر الشعائري والمظهر الكوني يؤدي إلى إخراج نماذج من المتدينين تتصف بالعجز والتواكل والجزرية ، ونماذج من المهنيين تتصف بالمادية الاستهلاكية الفقيرة إلى موجهات السلوك السليم " (١) فكان لا بد من تكامل هذه المظاهر الثلاثة ، التي تمثل في مجموعها

عبادة الله تعالى ، من خلال ذلك المفهوم الشامل الذي يجعل الحياة كلها لله تعالى .  
ولا يمكن أن تتحقق في الإنسان عبادة الله تعالى بمفهومها الشامل عن محبة وطواعية واقتناع حتى ترى البشرية في خالقها ما يدعوها إلى التسليم لأمره ، والإذعان لحكمه ، في العقيدة والعبادة والأخلاق والسلوك والمعاملات ، وفي جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والإعلامية والفكرية والتربوية وغيرها .

### ثمره تكامل هذه الأهداف الثلاثة :

- أولا : بيان عظمة الله تعالى من خلال إعمال العقل في آياته القرآنية الكونية .
  - ثانيا : تعظيم أمر الله تعالى ونهيه .
  - ثالثا : عبادة الله تعالى بمفهومها الشامل .
  - رابعا : تحرير العقول من الخرافات والأوهام .
  - خامسا : إقناع الناس والتأثير في نفوسهم بالحجة والبرهان .
- وتفصيل هذه الأمور كما يلي :

### أولا : بيان عظمة الله تعالى من خلال إعمال العقل في آياته القرآنية الكونية .

التأمل في الآيات القرآنية والآيات الكونية يجد في ثناياها ما يؤكد على عظمة الله سبحانه ، من خلال ما في الآيات القرآنية من إعجاز لغوي وتشريعي لا ترقى إليه لغة ولا فهم أحد من الجن والإنس ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

ومن خلال ما في الآيات الكونية من لمحات في خلق الله تعالى ترى البشرية من خلالها قدرة الله تعالى في خلق الآفاق والأنفس ، وتفتح للبشرية باب إعجاز علمي يتبين للبشرية من خلاله أن القرآن حق ، وأن الإسلام الذي بعث به سيد الثقلين حق ، كما قال سبحانه : ﴿ سُنِّيهِمْ

ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ

بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ (٢)

(١) ماجد الكيلاني ، فلسفة التربية الإسلامية ، ص ٨٨

(٢) - [سورة فصلت: الآية ٥٣]

ومن هنا تتبين عظمة الله تعالى في هذه الجوانب الثلاثة المعجزة من خلال الآيات القرآنية والكونية ، ففي القرآنية إعجاز لغوي وتشريعي ، وفي الكونية إعجاز علمي .  
مع اشتغال هذه الأوجه الثلاثة في الإعجاز على أساليب علمية تثير التفكير ، وتحرك الذهن ، وتدفع القدرات العقلية تعمل عملها في الربط والاستقراء والاستنباط .  
وتفصيل ذلك كما يلي :

### أ - الإعجاز اللغوي في الآيات القرآنية .

نزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيعة عرف أهلها بأنهم قد بلغوا في الفصاحة البشرية منتهاها ، فكان لا بد لهم من معجزة خارقة من جنس ما تميزوا به في الأرض ، فكان القرآن الكريم بلغته ، وفصاحته ، وروعة بيانه ، أعجوبة هزت قلوب أهل الفصاحة والبلاغة ، حتى أن أكثرهم عنادا ، وأشدهم إيذاء للنبي الكريم ودعوته — أبا جهل لعنه الله — بلغه سماع الوليد بن المغيرة — لعنه الله — للقرآن الكريم ، وأنه رق له قلبه ، فقال للوليد وهو يكبره سنا : " يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ، قال : لم ؟ قال : ليعطوكه فإنك أتيت محمدا لتعرض ما قبله ، قال : قد علمت قريش أي من أكثرهم مالا ، قال : فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له ، قال : وماذا أقول ؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه وقصيده مني ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ، والله إن لقوله الذي يقوله لخلوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ولا يعلو ، وإنه ليحطم ما تحته " (١)

هذه شهادة دوت في أعماق الزمن ، وتناقضتها الأجيال جيل بعد جيل ، شهد بها عدو لدود للقرآن الكريم ، لتعبر عن عظمة هذا الكتاب في لفظه ومعناه .  
إن فصاحة القرآن الكريم وبلاغته التي بلغت في البيان منتهاها ، هدف من أهداف بيان عظمة الله تعالى ، ولتحقيق هذا الهدف ورد في القرآن أساليب كثيرة منها :

إظهار عجز المشركين عن محاكاته ولو بأقصر سورة منه : كما قال تعالى : ﴿ أَمْ

يَقُولُونَ أَفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ

دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ (٢) بعد أن أعجزهم المولى سبحانه عن محاكاته عن

طريق طلبهم الإتيان بمثله ، أو بعشر سور مثله ، إلى أن عجزوا عن محاكاته ولو بسورة واحدة مسن مثله .

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٣ ص ٦٠ — ٦١

(٢) - [سورة يونس: الآية ٣٨]

وتعاقبت السنين بعد السنين ، وجل هذا الكلام العظيم عن المعارضة مع وفرة وافرة في أذكاء البشر ومثقفهم وفلاسفتهم وعباقرهم وفصاحتهم وبلاغتهم ، ومع ذلك كله ظلت هذه العقول صاغرة أمام عظمة هذا القرآن ، فكان هذا دليلاً على علو مرتبته ، وأنه كلام الله الذي لا يدانيه كلام .

وإذا كان بعضهم قد حاول أن يحاكيه فقد كان ذلك سبباً في نكوصه على عقبيه ، ومن تجراً فقد أثبت للعالم كله بجرأته ما وصل إليه هذا الكلام من بلاغة وبيان لا ترقى إليه ألسنة البشر على الإطلاق : " وإن في التأريخ لعبيراً عن أناس حاولوا مثل هذه المحاولة ، فجاءوا في معارضة القرآن بكلام لا يشبه القرآن ، ولا يشبه كلام أنفسهم ، بل نزلوا إلى ضرب من السخف والتفاهة باد عواره ، باق عاره وشناره : فمنهم عاقل استحيا أن يتم تجربته ، فحطم قلمه ومزق صحيفته ، ومنهم ماكر وجد في زمنه أعقل من أن تروج فيهم سخافات ، فطوى صحفه وأخفاها إلى حين ، ومنهم طائش برز بها إلى الناس ، فكان سخرية للساحرين ، ومثلاً للآخرين " (١)

ومن تلك الأساليب المتعلقة بالإعجاز اللغوي في القرآن الكريم الذي يؤكد عظمة الله تعالى :

عنايته بالقواعد الكلية التي يندرج تحتها كل جديد : فقد كانت تلك الألفاظ التي ورد بها كتاب الله تعالى قواعد كلية يجتمع فيها من الأجزاء ما لا يمكن حصره مما يجعل الفصيح المدقع يشهد بأنه كلام الله ، ومن هذه القواعد دعوته إلى التعاون على البر والتقوى ، وتحذيره من التعاون على الإثم والعدوان ، في جملة جامعة مانعة ، بليغة في إنجازها ، عجيبة في إعجازها ، كما قال تعالى : ﴿

وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٢)

إنها قاعدة في العمل الجماعي — بشقيه الخير والشر — تضم تحتها من أعمال الخير التي دعت إليها القاعدة ، وأعمال الشر التي حذرت منها ، ما لا يمكن حصره ، سواء كان هذا التعاون في الأمور الدينية أو الدنيوية ، فهي دعوة إلى التعاون المثمر في جميع الأمور الثقافية أو التربوية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو في مواطن السلم أو مواطن الحرب ، وسواء كانت على مستوى الأفراد أو المؤسسات أو الهيئات أو الجماعات أو الدول ، أو ما إلى ذلك .

(١) محمد دراز ، النبأ العظيم ، ص ١٠١ — ١٠٢

(٢) - [سورة المائدة: الآية ٢]



ومن هذه القواعد ما ورد في قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ

أَسْتَجِرُّهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتُ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ (١)

إنه مبدأ إداري ، رباني ، إلهي ، يختصر الإنجاز في أي عمل ، وفي أي تخصص ، وعلى أي مستوى — مهما عظم — في أمرين اثنين ، بإيجاز بلغ في البيان والعمق والشمول والواقعية غاية الغاية ، إنه مبدأ : القوة والأمانة .

لقد كانت أساليب القرآن الكريم في عرض حقائقه على الناس تتنوع بحسب الحال بين الإيجاز من غير إحلال ، والإطناب من غير إملال ، فليس فيه تكرار يمله السامع ، حتى إن بعض آياته ليفرق بينها على دقة تشابهها حرف واحد فقط ، يجعل للمعنى الجديد روحا جديدة ، وفهما جديدا .

ومثاله في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ

سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَالِكُمْ

بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ (٢)

وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

إِذْ أَنْجَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ

أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَالِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ

عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ (٣)

فقد جاء في الآية الأولى أن سوء العذاب يأخذ أصنافا ، منها تذيبح الأبناء ، واستحياء النساء ، وفي الآية الثانية اختلف المعنى فكان التذيبح وصفا آخر زائدا على سوء العذاب الذي يلاقونه من فرعون وملائته ، وعلى هذا يتجدد فهم القارئ والسامع للآية مهما كان بين كلماتها من التشابه الكبير ، ما دامت بعض الحروف في الآية التالية تعطي معنى جديدا زائدا على ما في الآية الأولى ، وهكذا .

(١) - [سورة القصص: الآية ٢٦]

(٢) - [سورة البقرة: الآية ٤٩]

(٣) - [سورة إبراهيم: الآية ٦]

ومن الأساليب اللفظية البلاغية التي يستخدمها القرآن الكريم عند معالجة أي قضية :  
**مخاطبة العقل والوجدان** : إذ يجمع هذا الكلام العظيم بين إثارة العاطفة إلى أقصى مداها ،  
في أسلوب علمي مثير ، ومخاطب في ذات الوقت العقل بمنطقية علمية متزنة : " فتراه في فسحة  
قصصه وأخباره لا ينسى حق العقل من حكمه وعبره ، وتراه في معمعة براهينه وأحكامه لا ينسى  
حظ القلب من تشويق وترقيق ، وتحذير وتنفير ، وتهويل وتعجيب ، وتبكيك وتأنيب ، ييث ذلك في  
مطالع آياته ومقاطعها وتضاعيفها " (١)

ومثاله في سورة يوسف من أعجب الأمثلة ، حين جعل قد القميص آية دالة على معرفة  
المعتدي وهو دليل عقلي واقعي ، ومن ثم الأمر بالإعراض عن هذا المكر الكبار ، ومحاصرة القلب  
بالدعوة إلى التوبة والإنابة وتقرير حقيقة كيد النساء من خلال تلك الآيات المشتملة على ألفاظ  
تربوية مؤثرة .

ومما يدل على أنه لا يمكن أن يكون من كلام البشر أبدا : جرس كلماته ، وتناسق ألفاظه  
، و**ترابط آياته** : فصوت التلاوة به -حين تقام حروفه غضة طرية أخذ بمجامع القلوب ، تؤثر نغمته  
في النفس البشرية تأثيرا عجيبا ، وإن لم تكن تعرف معاني آياته ، ويستهوو جرسه النفوس وإن لم  
تكن تعرف عجائب بيانه ، وقد ذكر بعض المفكرين قصة امرأة يوغسلافية ، سمعت القرآن الكريم  
وهي لا تعرف من معانيه حرفا واحدا ، فكان تأثيره فيها عجيبا ، حيث يقول : " كنا على ظهر  
الباخرة في عرض الأطلنطي في طريقنا إلى نيويورك ، حينما أقمنا صلاة الجمعة على ظهر المركب ،  
سنة من الركاب المسلمين من بلاد عربية مختلفة وكثير من عمال المركب أهل النوبة ، وألقيت خطبة  
الجمعة متضمنة آيات من القرآن في ثناياها ، وسائر ركاب السفينة من جنسيات شتى متعلقون  
يشاهدون ! وبعد انتهاء الصلاة جاءت إلينا - من بين من جاء يعبر لنا عن تأثره العميق بالصلاة  
الإسلامية ، سيدة يوغسلافية فارة من الشيوعية إلى الولايات المتحدة ! جاءتنا وفي عينيها دموع لا  
تكاد تمسك بها وفي صوتها رعشة ، وقالت لنا في الإنجليزية ضعيفة : أنا لا أملك نفسي من الإعجاب  
البالغ بالخشوع البادي في صلاتكم ، ولكن ليس هذا ما جئت من أجله ، إنني لا أفهم من لغتكم  
حرفا واحدا ، غير أنني أحس أن فيها إيقاعا موسيقيا لم أعهد في أية لغة (٢) ثم إن هناك فقرات  
مميزة في خطبة الخطيب ، هي أشد إيقاعا ، ولها سلطان خاص على نفسي !!! وعرفت طبعاً أنها

(١) محمد دراز ، النبأ العظيم ، ص ١٤٦

(٢) هذا رأيها ، غير أنه عند المسلمين غير هذا الوصف .

الآيات القرآنية ، الميزة الإيقاع ذات السلطان الخاص ! لا أقول : إن هذه قاعدة عند كل من يسمع ممن لا يعرفون العربية ، ولكنها ولا شك ظاهرة ذات دلالة ! " (١)

وإذا كان هذا حال الكافر الذي لا يدرك سر العربية فكيف بأهل الفصاحة والبلاغة الذين بلغوا في تراكيبها منتهاها .

لقد : " بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلاوته عليهم ، فما سمعه واحد منهم إلا وملك عليه قلبه ، واستأثر بعقله ، لما فيه من البلاغة والبيان ، والجمال والدقة والروعة والإتقان ، وهي الأمور التي مارسها العربي ، وكان قلبه يذوب في معانيها " (٢)

لقد كانوا يجتمعون لسماع القرآن كل ليلة في غفلة عن سفهائهم ، ويظلون يرخون أسماعهم طوال الليل ، فإذا أقبل الفجر غادروا المكان حتى لا يراهم الناس فيفتنون بسماع القرآن ، ويتعاهدون على عدم العودة ، فإذا أقبل الليل ترددت تلك الآيات في آذانهم ببلاغة ألفاظها ، وأعاجيب معانيها ، فيعودون من جديد إلى سماع القرآن الكريم .

وليس قصد الباحث من سرد مثل هذا إلا شحذ الهمم لمعرفة قدر هذا الكتاب العظيم ، ثم التأكيد على أهمية تدبره ، وتحويل منهجيته في التفكير — كجانب واحد من جوانب عظمته — إلى واقع حي في الحياة ، وعلى الأخص في واقع المؤسسات المعنية بالتربية والتعليم ، وخاصة المؤسسات الجامعية .

### ب — الإعجاز التشريعي في الآيات القرآنية :

قد لا يدرك بعض الناس ظاهرة الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم ، بحكم قصوره في فهم اللغة العربية ، ومعرفة أساليبها البلاغية الرائعة في التعبير عن المراد بمنهجية علمية عقلية وجدانية ، يتفاعل معها العقل والعاطفة إلى أقصى درجات التفاعل ، وهو ما عزاه البعض إلى : " المخطط الخطير الذي فرض على أساليب التعليم ومناهجه في أمتنا وبلادنا من قبل أعدائنا " (٣) وإن كان في أفراد الأمة — والحمد لله — كثر على هذه الشاكلة ، ما بين متخصص وغيره ، لأن هذا جزءا من حفظ الله تعالى لدينه المتمثل في الكتاب والسنة ، وهما الذكر الذي قال الله تعالى عنه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ

نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾ ﴾ (٤)

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٢ ص ٨٢١

(٢) محمد هيتو ، المعجزة القرآنية ، ص ٣٠

(٣) محمد هيتو ، المعجزة القرآنية ، ص ١٤٧

(٤) - [سورة الحجر: الآية ٩]

وقد لا يدرك البعض الآخر الإعجاز العلمي ، بحكم عدم توفر الأدلة المادية على الإعجاز العلمي في القرآن الكريم لديه ، أو عدم اهتمامه بهذا النوع من البحث ، أو لوقوفه من الإعجاز العلمي موقف الرفض ، بحجة أن القرآن الكريم ليس كتاب حقائق علمية ، إنما هو كتابة هداية للعالمين ، وإن كان الباحث لا يتفق مع هؤلاء فيما تنبوه من موقف ، فإن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم حين يقطع بثبوتة ، وتتأكد حقائقه ، يلفت أنظار الأميين والمتقفين والمؤمنين والكافرين ، إنه يثير مكامن الإيمان في النفوس على اختلاف مشاربها ، فهو أشبه بهداية الدلالة على الحق ، لتبقى هداية التوفيق بيد الله تعالى يهبها — سبحانه — لمن يشاء من عباده .

غير أن مما يراه الباحث أن الإعجاز التشريعي ميدان واسع يدرك إعجازه المسلم والكافر ، والعربي والعجمي ، وصاحب الفصاحة والبلاغة ، ومن لا يعرف فيها مثقال ذرة ، إنه مجال يعمل فيه العقل مهما كان مشربه ، ومذهبه ، وديانته .

فلو أن إنسانا سأل عن الإسلام حين سمع به فقيل : إنه يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، أترأه يقول : بأن هذا ديننا لا يمكن قبوله ، ولا يصلح اعتناقه ؟ لا ، إن ديننا هذه بعض أخلاقه ومبادئه حري بكل عاقل أن يؤمن به ويستجيب لدعوتيه ، فإن النفوس على اختلاف مشاربها تقر بأن سر سعادة الإنسان في حياته أن تتحقق له مثل هذه الأخلاق والمبادئ ، وهي مبادئ مقررة في كل الدساتير والأنظمة حتى الوضعية منها ، بغض النظر عن تحققها في واقع الحياة .

وهلم جرا في بقية ما جاء به هذا الدين من تشريع محكم فيما يتعلق بأمر الدنيا والآخرة والفرد والجماعة ، والعقيدة والعبادة ، والفكر والخلق ، والسلم والحرب ، ما دامت حقائق ماثلة أمام الأعيان ، قابلة للتطبيق في عالم الواقع .

وإذا كان الناس يتفاوتون في تصنيفاتهم البشرية بين عرب فصحاء أقحاح ، يتذوقون اللغة العربية ويستمتعون بروعة أساليبها ، وبين من هم دون ذلك ممن يتكلمون هذه اللغة ، وبين عجم لا يعرفونها ، ولا يدركون أسرارها .

وإذا كانوا يتفاوتون في مستوياتهم العلمية والثقافية والحضارية المادية ، فإن الإعجاز في القرآن الكريم — بأنواعه الثلاثة — لا بد أن يأتي على هؤلاء جميعا .

فأهل الفصاحة ، وأرباب البلاغة ، يجدون في الإعجاز اللغوي بغيتهم ، والكفار الذي توفرت لهم من الإمكانيات المادية المتعقبة باكتشاف أسرار هذا الكون ، ولم تتوفر لغيرهم ، يجدون في الإعجاز العلمي بغيتهم .

ويبقى الإعجاز التشريعي قاسم مشترك بين الجميع ، لكون العقل هو الذي يدركه ، ويقف على عظمة الله من خلاله ، وإن كانت بقية وجوه الإعجاز السابقة يمكن أن يشترك فيها بعض الناس كل بما ييسر له من ذلك .

وفي الآيات القرآنية تبين عظمته — سبحانه — من خلال ما بينه للناس في كتابه الكريم من عظمة تشريعه الذي لا يمكن أن يرقى إلى روعته أي قانون بشري على وجه الأرض ، بل لو اجتمعت الإنس والجن منذ بدء الخليقة إلى أن تقوم الساعة ، بكل ما أوتوا من قدرات وإمكانات ، على أن يضعوا للناس تنظيماً محكما يسعدون به في أمور دينهم وديانهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، لأن الذي يجهل حقيقة نفسه التي بين جنبيه ، يعجز أن يبدع للبشرية تشريعاً متكاملًا لا يجد القصور إليه طريقاً ، والذي يعجز عن معرفة من يطيعه أو يعصيه في العلانية ، فضلاً عن السر ، لا يمكن أن يكون عادلاً في قضية الثواب والعقاب ، وهي جزء لا يتجزأ من صفات المشرع ، والذي يعجز عن معرفة ما يكون بعد ساعة فضلاً عن يوم أو سنة أو أقل أو أكثر ، لا يصلح أن يكون مشرعاً البتة .

ولأن المولى — سبحانه — هو الذي خلق الإنسان ، وهو العالم بمن يطيعه في السر والعلانية ، بل هو الذي يعلم السر وأخفى ، ولأنه سبحانه يعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون ، وأن له صفات الكمال ، ونعوت الجلال ، فهو الذي يملك حق التشريع وحده ، تشريعاً يثبت النقل والعقل والواقع أنه التشريع الكامل الذي به قوام سعادة الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة .

قال تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**

**وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ (١) وقال سبحانه : ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ**

**الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ (٢)

وقال عن المصدر الأول لهذا الدير : ﴿ **لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ**

**أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾ (٣) قال الألوسي — رحمه الله — في تفسير قوله تعالى : ﴿ **فِيهِ**

**ذِكْرُكُمْ** ﴾ : " صفة له مؤكدة ما أفاده التكرير التفخيمي من كونه جليل القدر بأنه جميل الآثار

، مستحلب لهم منافع جليلة [ ثم نقل عن سفيان رحمه الله في معنى الذكر ] : أنه مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال [ ثم علق على ذلك بقوله ] : أي فيه ما يحصل به الذكر أي الثناء الحسن ، وحسن

(١) - [سورة المائدة: الآية ٣]

(٢) - [سورة آل عمران: الآية ٨٥]

(٣) - [سورة الأنبياء: الآية ١٠]

الأحدوثة من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال" (١) وذكر الرازي - رحمه الله - جملة من الأقوال

منها قوله: "فيه ذكر دينكم ما يلزم وما لا يلزم لتفوزوا بالجنة إذا تمسكنم به" (٢)

وقال عن المصدر الثاني كما روى ذلك الصحابي عمرو بن معد يكرب رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه)) (٣)

قال بعض أهل العلم في الذي مع الكتاب هي: "السنة" (٤) لأن الله تعالى يقول ﴿ وَمَا

آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ (٥)

وقد جمع الله تعالى بين المصدرين في قوله تعالى: ﴿ وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ

مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ (٦)

قال بعض أهل العلم - رحمه الله - في معنى الكتاب والحكمة، أي: "القرآن والسنة" (٧)

وقد جمع المصدرين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تركتم فيكم شيئين لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي ولن

ينفركا حتى يرده علي الخوض)) (٨)

ثانياً: تعظيم أمر الله تعالى ونهيه:

(١) الألويسي، روح المعاني، ج ٩ ص ١٤ - ١٥

(٢) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٢٢ ص ١٤٥

(٣) أبو داود، سنن أبي داود، ج ٢ ص ٦١٠ حديث رقم (٤٦٠٤) والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ج ٣ ص

٨٧٠ حديث رقم (٣٨٤٨)

(٤) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ج ١ ص ١٩٤

(٥) - [سورة الحشر: الآية ٧]

(٦) - [سورة الأحزاب: الآية ٣٤]

(٧) ابن عبد البر، التمهيد، ج ٢ ص ١٥٦

(٨) الحاكم، المستدرک، ج ١ ص ١٧٢ حديث رقم (٣١٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع ج ١ ص ٥٦٦ حديث رقم

(٢٩٣٧)

من خلال استعراض أهداف التفكير العلمي في القرآن الكريم في مظاهرها الثلاثة ، تبين من خلالها عظمة الله تعالى وعظمة دينه الذي رضيه للبشرية كلها شرعة ومنهاجا ، غير أن الاعتراف بعظمته مجردا دون تعظيم أمره ونهيه لا ينفع صاحبه في الدنيا ولا في الآخرة ، قال تعالى : ﴿ قُلِ

أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ

لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴿١﴾

وفي هذه الآية الكريمة أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس بالنظر في خلق السموات والأرض ، مع اعترافهم بلسان الحال والمقال بأن الله — سبحانه — هو الذي خلق السموات والأرض ، فهم مأمورون بشيء تقر به نفوسهم لعل هذا النظر يعود عليهم بفائدة حتمية تؤكد على أن من مستلزمات هذا النظر تعظيم أمر الله تعالى ونهيه .

يقول ابن كثير — رحمه الله — : " يرشد تعالى عباده إلى التفكير في آلائه وما خلق في السموات والأرض من الآيات الباهرة لأولي الألباب مما في السموات من كواكب نيرات ، ثوابت وسيارات ، والشمس والقمر ، والليل ، والنهار ، واختلافهما ، وإيلاج أحدهما في الآخر ، حتى يطول هذا ويقصر هذا ، ثم يقصر هذا ويطول هذا ، وارتفاع السموات واتساعها ، وحسنها وزينتها ، وما أنزل الله منها من مطر فأحيا به الأرض بعد موتها ، وأخرج فيها من أفانين الثمار والزروع والأزاهير ، وصنوف النبات ، وما ذرأ فيها من دواب مختلفة الأشكال والألوان والمنافع ، وما فيها من جبال وسهول ، وقفار وعمران وخراب ، وما في البحر من العجائب والأمواج ، وهو مع هذا مذلل للسالكين ، يحمل سفنهم ، ويجري بها برفق بتسخير القدير له لا إله إلا هو ولا رب سواه . . . وأي شيء تجدي الآيات السماوية والأرضية والرسل بآياتها وحججها وبراهينها الدالة على صدقها عن قوم لا يؤمنون " ﴿٢﴾

ولكن الذي يعقد العزم على عدم قبول الحق ولو تبين له ، يعد من المعاندين الذين لا تنفع معهم الآيات والنذر ، لكونه قد بيت عدم الإيمان بالله تعالى ، وهي صورة من صور الضلال المبين ، مع وضوح الطريق بما جعله الله سبحانه من الآيات الكونية الدالة على عظمته سبحانه .

﴿١﴾ - [سورة يونس: الآية ١٠١]

﴿٢﴾ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ص : ٥٣ - ٥٣٥

وفي هؤلاء يصدق قوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ

فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا  
سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ  
سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿٥٦﴾ (١)

ثالثا : عبادة الله تعالى مفهوماً الشامل .

وهذه ثمرة من ثمرات تعظيم أمر الله تعالى وهيبه ، فإن الذي يعظم أمر ربه وهيبه ، يتبع ذلك  
بالعمل وفق شرعه الذي شرعه في كتابه وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .  
على أن هذه العبادة ذات مدلول شامل في مفهومها ، فليست تعني إقامة الشعائر التعبدية  
فحسب ، فإن أمر الله تعالى وهيبه قد شمل جميع جوانب الحياة ، وكيف لا يكون كذلك ، وقد أمر  
الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وهو القدوة لأُمَّته ، أن يقول للناس كما أمره ربه سبحانه : ﴿

قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٧﴾ لَا  
شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٣٨﴾ (٢) وهي الغاية التي  
خلق الله الجن والإنس من أجلها كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ (٣)

فالصلاة — وهي من أكبر شعائر الإسلام بعد الشهادتين — لله وحده لا شريك له ،  
والنسك — وهي من أعظم شعائر الله بعد الصلاة — لله وحده لا شريك له ، والحياة كلها —  
بجميع أنشطتها — لله وحده لا شريك له ، حتى إزهاق الروح ، وبذل النفس يجب أن يكون لله  
وحده لا شريك له ، وبذلك أمر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ، وأمر أُمَّته من بعده ، وليس  
من العبودية المطلقة لله تعالى أن يكون نصف العبادة لله تعالى ، ونصفها لغير الله ، فلا تكون الشعائر

(١) - [سورة الأعراف: الآية ١٤٦]

(٢) - [سورة الأنعام: الآيات ١٦٢-١٦٣]

(٣) - [سورة الذاريات: الآية ٥٦]



التعبدية لله كالصلاة والنسك ، وتكون أنشطة الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتعليمية والإعلامية والتربوية ، وغيرها ، لغير الله .

أوليس لله تعالى في قضايا الحاكمية تشريع محكم ؟ ألم يجعل المولى سبحانه العدل أساس قيام الدولة المسلمة ؟ وأمر بالشورى ؟ وأكد على الإمارة ؟ ونهى عن الفرقة ؟ وأمر بالطاعة في غير معصية ؟ وحدد العلاقة بين الحاكم والمحكوم ؟ وحدد علاقة المسلمين بغيرهم في عقيدة الولاء والبراء المحكمة وهي جزء من شخصية المسلم ، لا تنفك عنه أبدا ما دام مسلما ، سواء كان ذلك على مستوى الأفراد أو الدول ؟

فكيف يحل لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخرج قضايا السياسة من تحت مظلة الإسلام

الشاملة ؟ !!!

أوليس لله تعالى في قضايا المال تشريع محكم ؟ ألم يجعل المولى سبحانه من أركان الإسلام ركنا يتعلق بالاقتصاد وإدارة المال وحسن توزيعه ؟ ألا وهي الزكاة ؟ أوليس في قضايا المال — على جهة العموم — تحليل وتحريم من حيث كنهه ومورده ومصدره ؟

أما أحاط الإسلام قضايا المال بكثير من التوجيهات التي تعجز النظم البشرية أن تبلغ عشر معشرها ؟ أوليس الغرب ينادي بأعلى صوته قائلا : يجب أن نأخذ بالحل الإسلامي في سياسة الاقتصاد لتلافي الأزمات الاقتصادية ؟

فكيف يحل لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخرج قضايا المال والاقتصاد من تحت مظلة الإسلام الشاملة ؟ !!!

أوليس الله تعالى قد أنزل على عباده منهجا ربانيا في تربية النفس ، ما دام هو الذي خلقها وهو العالم بما يصلحها ويصلح لها ؟ أو لم يعط المولى سبحانه الحقائق الربانية التي تقوم عليها الأسرة المسلمة ؟ ألم يتابعها بالتوجيه المحكم المفصل داخل أروقة المنزل ، وفصل لها أمر الميراث ، وأعطى الحقائق الربانية عن خصائص المرأة ، ونظم العلاقات بين أبناء المجتمع الإسلامي على أساس رباني فريد ، وجعل ذلك كله تارة في أصول عامة — وتارة فصل القول فيما يحتاج فيه إلى التفصيل .

فكيف يحل لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر ، أن يخرج القضايا التربوية والاجتماعية التي تنظم حياة الناس من تحت مظلة الإسلام الشاملة التي ورد بها كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

وهلم جرا في بقية جوانب الحياة التي لم يترك الإسلام فيها شاردة ولا واردة إلا أعطى الأمة المسلمة منها خبرا .

يقول ابن القيم — رحمه الله — : " ورحى العبودية تدور على خمسة عشرة قاعدة ، من كملها كمل مراتب العبودية ، وبيأها : أن العبودية منقسمة على القلب واللسان والجوارح ، وعلى

كل منها عبودية تخصه ، والأحكام التي للعبودية خمسة : واجب ومستحب وحرام ومكروه ومباح ،

وهي لكل واحد من القلب واللسان والجوارح " (١)

إن تصنيف عبادة الله تعالى في الحياة أمر غير مقبول عند أصحاب الرسالة العالمية التي ارتضاها المولى سبحانه للبشرية شرعة ومنهاجا ، وقد وصف الله بني إسرائيل وهم لا يحملون رسالة عالمية للبشرية كلها بهذا التصنيف المزري الذي لا يرضاه سبحانه لدينه فقال عنهم : ﴿ وَإِذْ

أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَآ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَفْدُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتَوْمُنُونَ بَعْضُ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (٢)

لقد نهاهم الله في كتابه الذي أنزله عليهم عن أمرين ، وأمرهم بالثالث ، فنهاهم عن سفك بعضهم دماء بعض ، ونهاهم عن أن يخرج بعضهم بعضا من الديار ، وأمرهم بفداء الأسرى ، ففعلوا واحدا وهو فداء الأسرى ، وتركوا اثنين وهما سفك الدماء ، والإخراج من الديار ، فما الذي أحل لهم فعل واحد وترك اثنين ، والجميع كان بأمر الله تعالى !!!؟

إن هذه التجزئة في الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه وهو منزل من عند الله كله لدلالة على عدم الرضا بحكم الله وشرعه ، وقد وعد الله سبحانه من يفعل ذلك بالخزي في الحياة الدنيا ، والعذاب الشديد في الآخرة .

وإذا كانت هذه التجزئة معابة على بني إسرائيل وقد نسخت ديانتهم بالإسلام ، فكيف بأصحاب الرسالة العالمية ، إن الإيمان بالشعائر التعبدية والكفر بجميع أنشطة الحياة وعدم توجيهها

(١) ابن القيم ، مدارج السالكين ، ج ١ ص ١٠٩

(٢) - [سورة البقرة: الآيات ٨٤-٨٥]

فيما شرعه الله ورضيه لعباده ، واستبدال دين الله فيها بالقوانين الوضعية والأنظمة البشرية المستوردة من الشرق والغرب ، بحجة أن الإسلام غير قادر على مسايرة روح العصر ، وأن الرجوع إلى أحكامه في سائر أنشطة الحياة هو ضرب من التخلف والرجعية ، يجب أن تترفع عنه روح العصر بكل قيمها الحضارية والإنسانية ، هو منطق العلمانية المستوردة ، التي ترجمت عن العلمانية الغربية الكنسية ، حيث نقل هذه الفكرة الكافرة الغاشون لأمتهم عن دين محرف مبدل مشوه ضائع ، ليطبقوه على دين عالمي خاتم رضيه الله — سبحانه — للبشرية كلها شرعة ومنهاجا ، قد تكفل الله بحفظه ، وجعل شعائره وأحكامه حية في الأرض حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وإن الذين يرتضون العلمانية حكما يبعث دين الله تعالى في الأرض ، فيكون بعضه لله وبعضه لغير الله ، يوصفون بأنهم قد أحلوا قومهم دار البوار ، واستعجلوا الخزي الدنيوي والعذاب الأخرى الذي بينه المولى -- سبحانه -- بقوله ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ

وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ

عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ (١) وهو نذارة خزي في الحياة الدنيا بالحروب ، والفتن ، والمجاعات ،

والكوارث الصحية ، و الأزمات الاقتصادية ، والانحرافات الاجتماعية ، ومحق البركات ، وانتشار الشرور ، وانهيار الأخلاق ، وارتفاع معدلات الجرائم ، وغير ذلك ، وأما في الآخرة فالعذاب الذي يوازي عدم الرضا بشرع الله حاكما في الحياة .

وقد شبه بعض أهل العلم من يأخذ من الإسلام شيئا يوافق هواه ، ويرد ما يخالف هواه ، مستحلا لذلك ، سواء كان ذلك في الحكم والتشريع ، أو في غيرها من جوانب الحياة — بالمعايير التي بينها الباحث سلفا — بأنه لا فرق بينهم وبين كفار قريش الذي كانوا يعرضون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعبدوا إلهه سنة ، ويعبد آلهتهم سنة أخرى ، فهؤلاء يقولون بلسان الحال أو المقلل نعبد الله في المسجد ، ونطيع غيره في المتجر أو البرلمان أو الجامعة ، فكانت قسمة كفار قريش زمانية ، وقسمة هؤلاء العلمانيين مكانية أو موضوعية (٢)

إن الإنسان مفلطح على أن يكون عبدا ، هكذا خلقه الله ، لا تنفك العبودية عنه بأي حال من الأحوال ، فإذا لم يكن عبدا لله ، كان عبدا لغير الله ، وإذا جعل نفسه عبدا لله في جانب ، وعبدا

(١) - [سورة البقرة: الآية ٨٥]

(٢) سفر الحوالي ، العلمانية ، ص ٦٨٧ - ٦٨٨

لغير الله في جانب آخر ، فقد أشرك مع الله غيره ، وبالتالي كان عبدا مستذلا لمخلوق مثله ، وهو ما أكده ابن تيمية — رحمه الله — حين قال : " إن الإنسان على مفترق طريقين لا ثالث لهما : فإما أن يختار العبودية لله ، وإما أن يرفض هذه العبودية ، فيقع لا محالة في عبودية لغير الله " (١) فإذا اختار الأولى ، جمع سيده له شتات قلبه ، فلا تتفرق به الأهواء والآلهة ، ولا تتشعب به الأفكار والأمزجة ، إنما هو المسير في طريق واحد ، رسمه إله واحد ، وجعل ليل المسير فيه كالنهار لا يزيغ عنه إلا هالك شقي ، وإذا أخذ الإنسان بالخيار الثاني ، وتكبر على خالقه الذي أوجده من العدم — مع اعترافه بذلك — تفرقت به السبل ، وتاهت به المشارب ، وتنازعت الآلهة المتعددة ، فشتت عليه قلبه ، وفرقت عليه أمره ، وأوردته موارد الهلاك في الدنيا والآخرة .

وما من شك أن : " الذين يستنكفون من العبودية لله ، يذلون لعبوديات في هذه الأرض لا تنتهي ، يذلون لعبودية الهوى والشهوة ، أو عبودية الوهم والخرافة ، ويذلون لعبودية البشر من أمثالهم ، ويحنون لهم الجباه ، ويحكمون في حياتهم وأنظمتهم وشرائعهم وقوانينهم وقيمهم وموازينهم عبيدا مثلهم من البشر هم وهم سواء أمام الله ، ولكنهم يتخذونهم آلهة لهم من دون الله ، هذا في الدنيا ، أما في الآخرة فيعذبهم عذابا أليما ، ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا " (٢)

وصدق الله العظيم إذ يقول في بيان محكم بليغ يصف به حال من تنازعتهم الأسياذ والشركاء المتعددون : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣)

#### رابعا : تحرير العقول من الخرافات والأوهام .

أكدت منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم على العلمية في قضايا الإيمان والكفر والقبول والرفض ، والإعراض والاستجابة ، والإقبال والإدبار ، والحكم والنظر .  
فإثبات أن لهذا الكون خالقا قد دل عليه الدليل النقلى والعقلى والفطرى ، وإثبات أن هذا الخالق هو المستحق للعبادة دون سواه أمر قد دل عليه النقل والعقل والفطرة ، والكفر بكل طاغوت في الحياة أمر دل عليه النقل والعقل والفطرة ، وكل خير في الحياة ، وكل شر فيها ، وكل حكم

(١) ابن تيمية ، العبودية ، المقدمة ص ٦

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٢ ص ٨١٩ — ٨٢٠

(٣) - [سورة الزمر: الآية ٢٩]

وكل فكر ، قد جاءت به شريعة الله الخاتمة من خلال منطق علمي مقنع ، مبني على منهجية علمية مقنعة .

فلا مجال للخرافات والأوهام في ميدان التفكير العلمي القائم على الدليل والبرهان ، سواء كان هذا الدليل من الوحي في الكتاب والسنة ، أو من العقل المنضبط بتوجيهات الوحي ، فإن الشريعة الإسلامية بمصادرها العظيمة لم تأت بما يستحيل على العقول معرفتها ، وإن كانت قد جاءت بما تحار العقول في معرفتها ، وفرق بين الأمرين كبير .

لهذا أكدت مصادر التشريع في الإسلام على تحرير العقول من المنطق الخرافي الوهمي الذي ينمو في بيئات مقفرة من العلم ، فيتخذ من الحكايات والأساطير — التي تتردد على الألسنة أو تدون في بطون كتب عارية عن المنهجية العلمية الواعية — منهجاً له ، ويبي من خلال هذه التوهّمات والتخرصات قواعد ينطلق منها في وضع التصورات وبناء الأحكام ، ويصوغ على أثر هذه الأوهام مشاريع عقديّة وفلسفية وتربوية وفكرية ، يجعل فيها الكفر إيماناً ، والحق باطلاً ، والخيال حقيقة ، والعبث جدّاً ، والحيوانية إنسانية .

وليست العقائد الباطلة التي تنتشر في غرب العالم وشرقه ، حول الخالق والمخلوق سواء كان جماداً أو حيواناً أو نباتاً ، وحول الحياة وحول المصير ، إلا صورة من صور الخرافة التي كانت تؤمن بها فئاما من البشر قبل نزول وحي الله تعالى على خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم . وليست هذه النظريات التي صاغت هذه العقائد الباطلة في فلسفات تربوية معاصرة ، باعتبارها نتاج فلسفات تربوية قديمة إلا صورة من صور التفكير الخرافي الذي لم يرق على منهجية علمية صحيحة ، فضلت البشرية سنين عدداً .

إن الخرافات التي كان يؤمن بها الأقدمون سواء كانوا من الإغريقين أو اليونانيين أو العرب أو غيرهم من الأمم ، تتكرر اليوم وبنفس المنهجية التي سار عليها أولئك الأولون ، غير أن خرافات الأولين كانت ساذجة بسيطة ، وأما خرافات المتأخرين فقد ألبست لبوس العلم ، وزخرفت بأدواته ، وصيغت بمصطلحاته ، كقولهم ( النظرية ) و ( المنهج العلمي ) و ( التجريب ) و ( القياس ) و ( الملاحظة ) خاصة إذا كانت هذه المصطلحات في المسائل الخرافية (١) حتى خيل للناس أنهم أمام علم صحيح ، ونتائج لا تقبل النقاش ، مع أن من يملك أدنى مقومات التفكير العلمي المنضبط يكتشف زيف هذه الدعاوى ، وبطلان هذه المفتريات ، من خلال ما أسماه بالنظريات ، وخاصة في العلوم الإنسانية ، التي راجت — لا في أوساط الدهماء من الناس — بل في مراكز البحث العلمي وميادينه في

(١) أما هذه المصطلحات ( النظرية ) و ( المنهج العلمي ) و ( القياس ) و ( التجريب ) وغيرها التي ميادئها العلوم النافعة فليس مكان

تقد الباحث ، بل هي جزء من حياة الباحث المسلم في ميادئها المناسبة .

العالم ، واقتنع بها كثير من المثقفين ، وامتألت بها الكتب ، وشحذت بها العقول ، وهي في حقيقة الأمر أوهى من بيت العنكبوت في مصداقيتها ، بل إنها لتتناقض جملة وتفصيلا مع النقل والعقل والواقع .

ومن هذه النظريات نظرية ( النشوء والارتقاء ) أو نظرية ( التطور ) التي قال بها اليهودي ( دارون ) ونظرية ( الليبدو ) التي قال بها اليهودي ( فرويد ) .

وإن الإنسان ليعجب ، كيف صدق الناس في الغرب نظرية ( دارون ) ؟ !!! وصدقوا بنظرية ( فرويد ) ؟ !!! كمنودجين لكثير من النظريات العابثة في العلوم الإنسانية على اختلاف فروعها ؟ وما المنهجية العلمية التي بنى عليها دارون وفرويد نظريتهما ؟ وكيف قبلت البشرية على جهة العموم ، وثلة من العلمانيين على جهة الخصوص مثل هذا الطرح الذي لم يترك جانبا من جوانب حياتها إلا وكان له فيه أثر واضح ؟ !!!

وما أعجب ما قاله بعض الباحثين من المسلمين في تمجيد مثل هذه النظريات كقول بعضهم : " لما ظهر دارون بنظرية التطور كان لهذه النظرية أثر عميق في علم النفس إذ قضت على الرأي الشائع بانفصال الإنسان عن الحيوان انفصالا جوهريا " (١)

فهل صدق فيما قال ؟ يجيب عن ذلك قول بعض الباحثين من خلال ما قائلته بعض وسائل الإعلام الغربية : " تم اكتشاف بقايا عظام جمجمة إنسان مع عظام بشرية ، وهذا يدل على أن المخلوق الإنساني المنتصب ذا الساقين لم يتطور عن المخلوق البدائي الذي يشبه القرد . . . . وإن مجلس التعليم في ولاية كاليفورنيا قرر أن تشير جميع الكتب المدرسية الخاصة بالعلوم إلى أن نظرية الارتقاء الدارونية نظرية افتراضية ، وليست حقيقة علمية ، وأن ما قيل عن أصول الحياة لا يعدو أن يكون مجرد افتراض ذكي . . . وهذا انتصار للعلماء الذي قاوموا النظرية " (٢) .

كما دافع عن نظرية فرويد ومدرسة التحليل النفسي بعد أن أتمت هذه المدرسة ورائدها فرويد بأنهم لا يشككون فيما يتمتع به الطفل من سلوك جنسي يلاحظ عليه وهو في سن الثالثة أو الرابعة من عمره ، يدل عليه هياجه الجنسي وخجله الجنسي وغيرته الجنسية وتلذذه بلمس أعضائه التناسلية ، وعبثه الجنسي مع أقرانه الذمغار ، وأن كبت الغريزة الجنسية عندهم يولد الكبت ، والكبت يولد العقد ، كعقدة أوديب وعقدة إلكترا ، فيقول مدافعا : " ومما يجدر ذكره بهذا الصدد أن كثيرا من الناس ينسبون إلى فرويد وإلى مدرسة التحليل النفسي قولها : إن الأمراض النفسية تنشأ من كبت الغريزة الجنسية ، فتكون الإباحية الجنسية وقاية من هذه الأمراض ، وهذا خطأ وبهتان ،

(١) أحمد راجح ، أصول علم النفس ، ص ١٥

(٢) عبدالمتعال الجبري ، شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن الكريم ، ص ٩٩

فالذي قالته هذه المدرسة هو : أن كبت هذه الغريزة في عهد الطفولة — لا في عهد الكبر — من

العوامل الممهدة لهذه الأمراض النفسية " (١)

مؤكدًا شذوذ هذا اليهودي الخطير الذي يؤكد : " أن حب الطفل لأمه ليس إلا حبا جنسيا محضا ، وأن عملية الرضاعة ليست إلا عملية جنسية ، لأن الغريزة الجنسية تتركز في مرحلة الطفولة

في الشفتين ، ثم تنزل بعد ذلك إلى الأعضاء التناسلية " (٢)

ولكن الباحث المسلم العاقل الذي ترفض فطرته السوية مثل هذا الهراء لا يستعجل الحكم حتى يقرأ تخطيط اليهود لإفساد العالم ، مستغلين هذه النظريات التي صنعوها أو استغلوا صناعتها ، فقد ورد في بروتوكولات حكماء صهيون قولهم : " ولاحظوا أن نجاح دارون وماركس ونيتشة قد رتبناه من قبل ، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي — غير اليهودي — سيكون واضحا لنا بكل تأكيد " (٣)

إن كتب علم النفس تحدث الناس بأن هذه النظريات قد صيغت من خلال حكايات إغريقية تناقلها الناس عبر أحقاب بعيدة في التأريخ من خلال التكهن ، وقد أثبت النقل والعقل والواقع أنها خرافات لا أساس لها من الصحة ، وهو ما أكده بعضهم حين قال : " في أساطير الإغريق أن أوديب كان طفلا لأحد الملوك فتكهن أحد المنجمين بأنه سيقتل أباه حين يكبر ، فأمر الملك بنذ ابنه في العراء ، فلما كبر أوديب التقى بأبيه في إحدى رحلاته ، ولم يكن يعرفه ، ولأمر ما تنازعا ، فقتل أوديب أباه ، ثم مضى حتى بلغ مدينة أبيه فتزوج ملكتها ، وهي أمه ، دون أن يعرفها ، وقد استعار صاحب مدرسة التحليل النفسي اسم هذه الأسطورة فأطلقه على مأساة شبيهة بها يعاني الطفل الإنساني إبان طفولته الباكرة في صلته بوالديه ، سماها عقدة أوديب ، وهي عقدة ذات خطر كبير عند التحليليين ، إذ هي ذات صلة وثيقة بتكوين ضمير الفرد وخلقه ، كما أنها حجر الزاوية ، ونواة جميع الأمراض النفسية ، وتتلخص في رغبة مكبوتة لدى الولد في الاستئثار بأمه والاستحواذ عليها ، مع غيرة وخوف وكرهية مكبوتة للأب . . . ويحدث عكس هذا على وجه التقريب لدى الطفلة " (٤)

(١) أحمد راجح ، أصول علم النفس ، ص ٩٣

(٢) محمد البار ، الإيدز وباء العصر ، ص ٤٥

(٣) عباس العقاد ، بروتوكولات حكماء صهيون ، ص ١٦٧

(٤) أحمد راجح ، أصول علم النفس ، ص ١٤٦ — ١٤٧

وليس الباحث هنا بصدد مناقشة الفروقات الجوهرية بين الإنسان والحيوان ، أو الحديث عن الجنسية الطفولة — كما افتراها فرويد — من خلال هذا الفكر المنحرف الشاذ بهذا التمجيد الباطل ، ولكنه يدل على قناعة بعض الباحثين بما لا يتفق مع النقل والعقل والفطرة والواقع .

فليس الإنسان خلية تطور خلقها حتى صارت حيوانا من الثدييات ، ثم من السرطانيات ، ثم مر بمراحل حيوانية ، كان آخرها القرد ، حتى صار إنسانا ، لأن دارون لم يقف على تلك الأحقاب الغابرة في تاريخ البشرية ليعطي للناس فيها خيرا ، وليس بإمكانه أبدا أن يذكر نظريته هذه من خلال سند صحيح متصل لمن عايشها ورآها ، كما هي المنهجية العلمية عند علماء المسلمين في إثبات الروايات وفق شروطها العلمية الدقيقة عندهم .

وقد أبان عن الحقيقة العلمية في ذلك وحي الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فأعطى للبشرية الحقيقة التي لا تقبل الشك عن بداية خلق الإنسان منذ أن كان في الجنة ، وسبب هبوطه إلى الأرض ، ومنهجه التربوي الذي هبط به ، وتأثير هذا المنهج في حياة عشرة قرون متتالية منذ بدء الخليقة ، وكيف تناسل الخلق من بعده ، وأماط اللثام عن تعاقب الأمم ، وبين كيف انحرفت البشرية ، وكيف كان علاج انحرافها المتمثل في المناهج التربوية التي حملها أنبياء الله تعالى إلى الناس ، وبين مواقف الأمم منهم ، كما بين الفطرة التي فطر عليها الإنسان ، وكيف تتلقفه البيئات المنحرفة فتصرفه عن الحق ، وتجتاله الشياطين سواء كانت شياطين الجن من أمثال إبليس وجنوده ، أو شياطين الإنس من أمثال دارون وفرويد .

كما أن الباحث ليأسف وهو يطالع بعض الكتب التي ألفت تحت عنوان ( المدخل إلى التربية ) كيف تناولت ذكر تلك العهود الغابرة في تاريخ البشرية الطويل بنفس المنهجية التي سار عليها كتبة الغرب من خلال منهجهم غير العلمي الذي يسمونه — ( التأريخ الظني ) فترجم بعض كتبة المسلمين ما قاله كتبة الغرب ترجمة حرفية ، ووضعوه بين أيدي الناشئة المسلمة ، مشوهين تلك الحقائق العلمية التاريخية التي نزل بها وحي الله تعالى على خاتم رسله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد أكد الباحث على أن من الميادين التي هي العقل أن يخوض فيها تلك الأحقاب البعيدة في تاريخ البشرية الطويل ، والتي لا يمكن أن تقف منها البشرية على علم صحيح إلا من خلال الوحي الصحيح ، المحفوظ من التبديل والتحريف والتغيير ، وهو الوحي الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ إِنَّا

نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾ ﴿١﴾



وأن من يتعاملون مع هذه الأحقاب الغابرة في التاريخ ، من خلال المنهج العلمي المسمى بـ ( التاريخ الظني ) (١) القائم على التصورات والخيالات ، والمعتمد على الآثار التي تفسر في غالب الأمر بعيدا عن الموضوعية العلمية ، بل لخدمة أغراض معينة لا تنفك عن مآرب الإنسان وشهواته وأهدافه ، لا يمكن أن يعطوا للبشرية من خلالها علما صحيحا تطمئن إليه النفوس .  
 وهل يعقل أن تكون الغريزة الجنسية التي سماها فرويد بـ ( الليبدو ) وراء كل سلوك يقوم به الإنسان في الحياة ؟ .

سبحان الله !!! هذا الإنسان بكل نشاطه على الأرض ، بثقافته ، وحضاراته ، وسلوكياته ، ودياناته ، وأفكاره ، وبنائه ، وعمرانه ، وطعامه ، وشرابه ، ونومه ، وقيامه ، كل هذا النشاط على الأرض تتحكم فيه غريزة واحدة هي الجنس ؟ .

لكن الإنسان ما يلبث أن ترول غرابته من مثل الطرح القائم على منهجية ( التاريخ الظني ) كأسلوب ، والبحث المتأصل في نفوس اليهود كغاية ، حين يقف على مخططات اليهود في إفساد العالم عن طريق جعل الإباحية الجنسية عقيدة تتحكم في حياة الناس ، يؤكد هذا مقولة أحد تلامذة فرويد : " إننا يجب أن نحطم العقائد الدينية وينبغي أن نجعل من الجنس عقيدة " (٢)

#### خامسا : إقناع الناس والتأثير في نفوسهم .

من ثمرات التكامل المعرفي بين أهداف التفكير العلمي في القرآن الكريم إقناع الناس والتأثير في نفوسهم ، سواء كانوا من أهل الإسلام بغية تثبيت الإيمان في قلوبهم ، أو حتى من الكفار بغية إقناعهم بالإسلام ، ودعوتهم إليه ، باعتباره الرسالة العالمية التي لا يقبل الله من البشر سواها .  
 وبما أن الإسلام هو الرسالة العالمية التي بعث بها خاتم الأنبياء والمرسلين ، فقد حفلت مصادره بمنهجية علمية مقنعة عند عرض الحق على الناس ، عمادها الدليل والبرهان ، وغايتها سعادة الإنسان في الدارين ، وسبيلها الدعوة على بصيرة كما قال تعالى على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم :

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي <sup>عليه</sup>

وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٨﴾ (٣)

(١) محمد رشاد خليل ، علم النفس الإسلامي العام والتربوي ، ص ٢٤

(٢) محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة ، ١١٢

(٣) - [سورة يوسف: الآية ١٠٨]

والبصيرة كما يقول ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره هي : " اليقين والبرهان الشرعي

والعقلي " (١)

والبصيرة تشمل قوة الدين وقوة العلم وقوة العقل ، واجتماع هذه القوى الثلاث سبيل إلى الإقناع الإيجابي المؤثر ، المرتكز على الدليل النقلي والعقلي .

ومن الأساليب التي يستخدمها القرآن الكريم لإقناع الناس والتأثير في نفوسهم : **الأسلوب القصصي المتضمن للأحكام الشرعية والقضايا التربوية** ، مع اشتماله على إثارة التفكير عن طريق الربط بين الأحداث ، وقياس الغائب من الأمور على الشاهد .

ومن أمثلة ذلك ما قصه الله تعالى في كتابه الكريم من قصة عالم بني إسرائيل بلعام بن باعوراء الذي آتاه الله تعالى آياته فانسلخ منها ، ولم يرفع بها رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسل به نبيه موسى عليه السلام ، وبعد انتهاء عرض القصة يأمر الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأن يقص القصص مبينا العلة في ذلك ، وهي أن العرض القصصي يورث الذكرى وحسن الانتفاع ، عن طريق قياس الحال على الحال ، قال تعالى : ﴿ **وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ**

**ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ**  
**شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ**  
**كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ**  
**الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**

﴿ ١٧٦ ﴾ (٢)

وفي موطن آخر يعرض القرآن الكريم لقصة أخرى ولا يذكر العلة من إيرادهما ، لتستربي العقول المسلمة على حس الربط بين القصتين عن طريق حمل علة إيراد إحدهما على الأخرى ، ومن أمثلة ذلك ما ورد في قصة أصحاب الكهف ، فقد قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ص ٦١٠

(٢) - [سورة الأعراف: الآيات ١٧٥-١٧٦]

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ

هُدًى ﴿١٣﴾ (١)

فلم يبين العلة من إيراد القصة ، ولكن العلة من إيراد العرض القصصي قد وردت في مواطن أخرى ، ألا وهي أخذ العبرة والعظة سواء كان ذلك بالسلب أو الإيجاب ، مع ما يتضمنه الأسلوب القصصي من عرض لبعض الأحكام الشرعية ، وما يتضمنه من فوائد تربوية دون أن تكون صريحة في الآية ، ولكن المتأمل للقصة والمتابع لأحداثها يستطيع استنباطها ، وإن لم تكن ظاهرة ، إضافة إلى تأثير القصص في الوجدان ، حيث يثير الانفعال إلى أقصى مداه ، خاصة حين يكون القصص من الله الذي لا أحد أحسن منه قبلا ، ولا أصدق منه حديثا .

سادسا : إثارة ملكة الاستنباط .

وهو هدف تربوي كبير اشتمل عليه القرآن الكريم ، إذا يلمح القارئ أنه يذكر قضية معينة ، ثم يربطها بقضية أخرى لتأخذ الثانية حكم الأولى ، وقد سبق بيان أن الربط بين الأحداث أو الأفكار أو الأطروحات المختلفة أسلوب من أساليب التفكير العلمي الواعي ، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الله سبحانه في آخر سورة المطففين عن المستهزئين بالمؤمنين من عباد الله الصالحين ، فقد وصف المولى سبحانه المستهزئين بأنهم مجرمون ، فقال جل ذكره ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا

كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ (٢) ونختم الآيات بوصف المجرمين هؤلاء

بأنهم كفار ، مما يمكن للمسلم أن يستنبط حكما فقها يجعل المستهزىء بعباد الله المؤمنين لكونهم تمسكوا بدين الله الذي رضي له عباده شرعة ومنهاجا بأنهم كفار بالله تعالى ، فقد قال تعالى في آخر

السورة : ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ (٣)

فجعل الجزاء في الآخرة من جنس العمل في الدنيا ، فلما كانوا في الدنيا مستهزئين بعباد الله الصالحين بسبب تمسكهم بدين الله تعالى ، سماهم الله سبحانه كفارا ، وجعل جزاءهم في الآخرة أن يستهزىء بهم عباد الله الصالحين في موطن غير الموطن ، وحياة غير الحياة .

(١) - [سورة الكهف: الآية ١٣]

(٢) - [سورة المطففين: الآية ٢٩]

(٣) - [سورة المطففين: الآية ٣٤]

عن طريق إعمارها وفق منهج الله تعالى ، قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٥﴾ (٢) ولا يتحقق هذا في حياة

الناس ما لم تسخر القدرات العقلية لتعمل على أوسع نطاق لاكتشاف كل جديد يسهم في عمارة الأرض ويحقق معنى الخلافة فيها ، ما دام هذا الجديد يدور في فلك الإسلام ، وينضبط بتوجيهاته . ولعل من أكبر الحوافز على عمارة الأرض وحسن الانتفاع من خيراتها ، أمر الله تعالى بالسير في جنباتها ، والنظر في أحوالها ، طلباً للفضل ، وبخفا عن الرزق ، وأن من يحسن استثمار خيراتها بكل ما أوتي من وسائل العلم المادي ، يكون مأجوراً عند الله تعالى .

وإلا تحولت عمارة الأرض ، واكتشاف أسرارها ، إلى مصدر شقاء للإنسان حين يتحول الإعمار إلى خراب ، والاستخلاف إلى صراع ودمار ، عندها يفقد الإنسان إنسانيته ، ويصبح معياره في السعادة هي أن يعب من الشهوات من غير ضابط ، ما دامت الغاية تبرر الوسيلة . ومع أن الله سبحانه قد وصف الكفار في كتابه بأنهم عالمون بأمر الحياة الدنيا ، كما قال

سبحانه : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ (٣) فإن هذا العلم ليس معياراً يحكم من خلاله على حسن الاستخلاف ، لأن

الله سبحانه قد : " عاب ذلك النوع المذكور من العلم بعيين عظيمين : أحدهما : قلته وضيق مجاله ، لأنه لا يجاوز ظاهراً من الحياة الدنيا ، والعلم المقصور على ظاهر من الحياة الدنيا في غاية الحفارة ، وضيق المجال بالنسبة إلى العلم بخالق السموات والأرض جل وعلا ، والعلم بأوامره ونواهيه ، وما

(١) - [سورة البقرة: الآية ٣٠]

(٢) - [سورة الأنعام: الآية ١٦٥]

(٣) - [سورة الروم: الآية ٧]

يقرب عبده منه ، وما يعده عنه ، وما يخلد في النعيم الأبدى ، والعذاب الأبدى من أعمال الخير والشر ، وتانيهما : هو دناءة هدف ذلك العلم وعدم نبل غايته لأنه لا يتجاوز الحياة الدنيا ، وهي سريعة الانقطاع والزوال " (١)

وما من أن شك أن تحقيق الخلافة في الأرض مرهون باستثمار القدرات العقلية في التفكير ، وهو أمر مرتبط بالمظاهر الثلاثة التي تشكل في مجموعها عبادة الله تعالى بمفهومها الشامل الشعائري والكوني والاجتماعي ، كما سبق بيانه .

---

(١) الشنقيطي ، أضواء البيان ، ج ٦ ص ٤٧٨

## خاتمة الفصل :

عرض الباحث في هذا الفصل أهداف وأساليب منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم ، وقسمهما إلى ثلاثة أهداف رئيسة يتفرع عنها أهداف فرعية ، ولكل هدف من هذه الأهداف سواء كان عاملاً أو فرعياً أساليب تحققه في غاية المثالية والواقعية ، فهي مثالية راقية في فكرتها ، وهي مع ذلك مرنة يمكن تحقيقها في واقع الحياة ، وقد قسم الباحث أهداف منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام ، فكانت على النحو التالي :

١- أهداف متعلقة بالمظهر الشعائري وأساليبها ، ويقصد البحث بالمظهر الشعائري ما يتعلق بإقامة الشعائر التعبدية بدءاً بالعقيدة ، وكيف غرسها القرآن الكريم في نفوس أتباعه من جهة ، وكيف فند معتقدات المشركين الباطلة من جهة أخرى ، ثم يعقب ذلك بيان حكمة الله تعالى في تشريعه المحكم ، من خلال بيان بعض ما شرعه وآثاره في الحياة ويرز ذلك جيداً حين يقارن الإنسان بين تشريع الله سبحانه ، وبين القوانين الوضعية والأنظمة البشرية التي يلازمها القصور والتناقض بحكم ضعف الإنسان وقصوره .

٢- أهداف متعلقة بالمظهر الكوني وأساليبها ، ذلك أن الإسلام ليس دين كهنوتيته منقطع بأصحابه عن الدنيا ، فإن الذي أمر بالتزود للآخرة ، هو الذي دعا إلى السير في مناكب الأرض بحثاً عن الرزق ، وهو الذي استخلف الإنسان ليعمر الأرض وفق مراده سبحانه ، كما دعا إلى إعمال العقل في كتاب الكون المفتوح ، لتحقيق جملة من الأمور : منها الوقوف على عظمة الخالق من خلال عظمة المخلوق ، ومنها أن تستنبط العقول أن هذا الإله العظيم هو المستحق للعبادة دون سواه ، ومنها : استثمار خيرات الأرض فيما يحقق للإنسان رفاهيته وتقدمه ، إلى غير ذلك .

٣- أهداف متعلقة بالمظهر الاجتماعي ، من أجل السير في الأرض والاطلاع على أحوال الأمم لأخذ العبرة والعظة ، والإفادة من خبرات الآخرين في كل ما هو نافع مفيد ، والتعرف على السنن الاجتماعية الربانية التي تحكم مسيرة الحياة ، إضافة إلى تحديد المعايير الاجتماعية التي تحكم شبكة العلاقات بين الناس ، وكل ذلك يتحقق في منهجية التفكير العلمي بجملة كثيرة من الأساليب التربوية ، المقننة تثير التفكير وتحث الإقناع ، كالمقارنة بين شيئين ، ووضع القواعد الكلية ، ومخاطبة الوجدان والعقل في آن واحد ، والربط بين القضايا والأحداث والأفكار ، وضرب الأمثلة ، والعرض القصصي ، وجعل الحديث في مقدمات ، ثم عرض الأسئلة والإجابة عليها تارة وتركها تارة أخرى ، ولفت الأنظار إلى البيئة المحيطة للاستدلال بشيء على شيء ، وهكذا ، والوقوف على أسباب الحوادث ، والتذكير باطرادها ، وتبوع العلل والربط بينها وبين معلولاتها ، إلى غير ذلك ، غير أن للتفكير العلمي معوقات كثيرة لا يقل خطرها عن العوقات الحسية ، وهو ما سيحاول الباحث الحديث عنه في الفصل التالي .

## الفصل الرابع

معوقات التفكير العلمي كما نبه عليها القرآن الكريم

أولاً : الجهل

ثانياً : التقليد

ثالثاً : التعصب

رابعاً : الاستكبار

خامساً : اتباع الهوى

سادساً : اتباع الظن

سابعاً : التأثير الجماهيري

ثامناً : الجدال من أجل الانتصار للمواقف المسبقة

تاسعاً : الهزيمة النفسية

## مدخل للفصل :

بعد أن استعرض الباحث أهداف منهجية التفكير العلمي وأساليبها في القرآن الكريم ، أكد على أن هذه الأهداف العظيمة في حياة البشرية ، لا قيمة لها حين يعطل العقل عن العمل .

وإذا كان العقل من أعظم نعم الله تعالى على الإنسان ، لكونه أداة التفكير التي بها قوام سعادة الدنيا والآخرة بعد توفيق الله تعالى ، فإن الإنسان حين يعطل هذه الملكة العظيمة عن التفكير ، أو يستخدمها في غير ما خلقت له ، فإنه لا فرق بينه وبين الحيوان والحال ما ذكر .

وإذا كان القرآن الكريم يحرم من الأمور الحسية ما يذهب العقل كالخمر وغيرها ، لكونه يعطل هذه الملكة العظيمة عن التفكير ، فإنه في ذات الوقت يحرم كل ما يشل العقل ، ويسببهم في إغائه ، ويعطله عن التفكير ، لعيش صاحبه أشبه بالدابة التي لا تعقل .

ومن خلال استقراء الباحث، لمعوقات التفكير العلمي المعنوية كما نبه عليها القرآن الكريم وجدها ، معوقات كثيرة ، لا يقل خطرها عن خطر المعوقات الحسية ، كشراب الخمر وتعاطي المخدرات ، بل إن المعوقات المعنوية -- في كثير من الأحيان -- أشد فتكا ، وأعظم ضررا ، لكونها تصد العقل عن التفكير مع وجوده الحسي وصحته ، ومن هذه المعوقات :

الجهل ، والتقليد ، والتعصب ، والاستكبار ، وضيق الأفق ، واتباع الهوى ، واتباع الظن ، والتأثير الجماهيري ، والجدال من أجل الانتصار للمواقف المسبقة ، والهزيمة النفسية .

وكل معوق من هذه المعوقات قد نبه عليه القرآن الكريم ، وحذر منه بمختلف الأساليب التربوية ، فتارة يحذر منها بدم فاعلها ، وتارة بتشبيهه بالدابة التي لا تعقل ، وتارة بتهديده بالنار في الدار الآخرة ، وتارة يهدد الله سبحانه صاحبه بطمس قلبه ، والختم عليه ، إلى غير ذلك .

وسوف يعرض الباحث لهذه المعوقات ، ببيان المعنى اللغوي لكل معوق والمعنى الاصطلاحي ثم بيان المعنى الإجرائي الذي يريده الباحث ، ثم بيان موقف القرآن الكريم منه ، وما هي ثمراتها على الأفراد والمجتمعات في عاجل الأمر وآجله .



## أوة : الجهل .

معناه في اللغة : ذكر الجوهري في مادة ( جهل ) قوله : " الجهل : خلاف العلم . . . . وتجاهل : أي أرى من نفسه ذلك وليس به ، واستجهله : عده جاهلا ، واستخفه أيضا . . . . والتجهيل أن تنسبه إلى الجهل " (١) وقال ابن منظور في مادة ( جهل ) : " ورجل جاهل والجمع جهل وجاهل وجاهل وجاهل وجاهل . . . . والمعروف في كلام العرب : جهلت الشيء إذا لم تعرفه " (٢)

وفي الاصطلاح : نقل الفيروزآبادي عن الشافعي في تعريف الجهل قوله : " معرفة المعلوم على خلاف ما هو به . . . . [ ثم قال الحموي في تعريفه ] : تصور المعلوم على خلاف ما هو به " (٣)

معناه في مراد الباحث : حوض الإنسان فيما لا يعلمه أصلا ، أو فيما لم يحط بعلمه . موقف القرآن الكريم من الجهل : كانت بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثورة على الجهل الذي خيم على جوانب الحياة كلها بلا استثناء ، جهل في قضايا العقيدة ، والعبادة ، والأخلاق ، والسلوك ، والمعاملات ، جهل في سائر جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية والتربوية والتعليمية والإعلامية ، إنه جهل مطبق لم يترك جانبا من جوانب الحياة إلا وترك فيه أثرا .

وإن كانت هناك بقايا من آثار تعبيده أو خلقية في الحياة الجاهلية التي سبقت بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أنها إذا قورنت بالفساد العام التي كانت عليه الحياة في تلك الفترة ، كانت كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود .

وإن الإنسان ليتساءل عن سر إنزال هذه الرسالة العالمية على قوم أميين ، قد استشرى الفساد في حياتهم إلى درجة يعبد الإنسان معها صنما لا يضر ولا ينفع ، ويقتل بنته وهي حية ، وتتقاتل القبائل فيها أعواما ، تذهب فيها من الأنفس والدماء ما لا يحظر على البال ، بسبب فرس لطم وجهها ، أو كلب نجس ، وقد صور هذه الحال المزرية بعض المفكرين فقال : " كانت الأوضاع الفاسدة والدرجة التي وصل إليها الإنسان في منتصف القرن السادس المسيحي أكثر من أن يقوم لإصلاحها مصلحون ومعلمون من أفراد الناس ، فلم تكن القضية قضية إصلاح عقيدة من العقائد أو إزالة عادة من العادات أو قبول عبادة من العبادات ، أو إصلاح مجتمع من المجتمعات ، فقد كان يكفي لها المصلحون والمعلمون الذين لم يحل منهم عصر ولا

(١) الجوهري ، الصحاح ، ج ٤ ص ١٦٦٣

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١١ ص ١٢٩ - ١٣٠

(٣) الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٣٨٥

مصر ، ولكن القضية قضية إزالة أنقاض جاهلية ووثنية تحريية تراكمت عبر القرون ودفنت تحتها تعاليم الأنبياء والمرسلين (١)

وإن الإنسان ليتساءل كيف نزلت الرسالة العالمية على هؤلاء ، وهم على مثل هذه الحال ؟ .  
والجواب : أن العرب ليسوا وحدهم الذين استشرى الفساد في جنباتهم فقد نчим الفساد على البشرية في كل مكان .

ثم إن ثمة أمر آخر في غاية الأهمية ، ألا وهو : أن جنس العرب — من غير تعصب ولا مباحاة — جنس فريد بين الأمم ، يملك من الطاقات والقدرات الشيء الكثير ، ولكن هذه الطاقات كانت معطلة عن الخير ، مستثمرة في الشر بكل صوره وأنواعه ، ذلك أن الذي يملك طاقات غير موجهة يفسد بها في الأرض فسادا يفوق فساد غيره ، فلما جاء الإسلام استثمر هذه الطاقات استثمارا أمثلا ، ووجهها نحو الخير أعظم توجيه ، فأسس بذلك حضارة راقية ما عرف التاريخ لها مثيلا في تاريخه الطويل ، وقد توج رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الجيل والجيلين بعده بشهادة نبوية في حقيقة علمية تقول : (( خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم )) (٢)  
ولهذا أنزل الله — سبحانه — الرسالة الخاتمة العالمية فيهم ، وبعث من أعراقهم نسبا صفوة الناس أجمعين ، وخيرة خلق الله من الأولين والآخرين ، وكانت بلاد العرب مهد الرسالات السماوية كلها ، ولما ختمت بدين محمد صلى الله عليه وسلم كانت أول كلمة تلقتها البشرية في بلاد العرب وبالتحديد من على جبل النور في مكة المكرمة هي قول الله تعالى : ﴿ أَقْرَأْ

بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ (٣) إنها القراءة التي حددت : " معنى المعرفة وأهميتها وأهدافها ومكوناتها وميادينها وثمراتها " (٤) فكانت (اقرأ) ثورة على الجهل والجاهلين ، وإعلانا برحيل الجهل والجاهلية العامة إلى غير رجعة ، ليبقى أمر الجهل والجاهلية نسي يسكن رؤوس من لا يقرأ على اسم الله الخالق في أي جانب من جوانب المعرفة .  
على أن العرب لا قيمة لهم بلا إسلام ، ولا حضارة لهم بلا إيمان ، وإذا قال أحدهم : حضارتنا قبل الإسلام ، أعاده التأريخ إلى داحس والغبراء ، ووقف به على عبادة الحجر والتراب ، وذكره بأكل الميتة ، وشرب الدم المسفوح ، وأثار فيه مخيلته الرايات المنصوبة على البيوت فتنادى إليه الفواحش من كل مكان .

(١) أبو الحسن الندوي ، السيرة النبوية ، ص ٥٨

(٢) البخاري ، صحيح البخاري ، ص ٥٠٢ حديث رقم (٢٦٥١) ومسلم ، صحيح مسلم ، ص ١٠٢٣ ، حديث رقم (٢٥٣٣)

(٣) - [سورة العلق: الآية ١]

(٤) ماجد الكيلاني ، فلسفة التربية الإسلامية ، ص ٢٢٧

فإذا لم يقدر العرب — خاصة — هذا القدر ، ولم يرفعوا رأساً بهذا التشريف في حمل رسالة الإسلام للعالمين ، استبدلهم الله بغيرهم ، وأتى بقوم يحبهم ويحبونه ، كما قال تعالى : وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم (١)

لا يكونوا أمثالكم لأن الله يحبهم ويحبونه ، ومن جبههم له أنهم يمتثلون أمره فيترجمون في حياتهم سلوك أهل الإيمان الصادق من التذلل لإخوانهم المؤمنين ، وانتهاج العزة سبيلاً على الكافرين ، وأنهم يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون في مواطن القتال ، ولا يستكينون في مواطن النزال ، فلا تؤثر فيهم الشعارات المزيفة ، ولا تفت في عضودهم المصطلحات المضللة ، ولا يضرهم مخالفة أعدائهم ، وخذلان إخوانهم ، فهم على الطريق سائرون ما دام معهم القرآن والسنة ، يهتدون بما يأتون وما يذرون ، وهذا العمري ما يجعل الإنسان منهم يرقب النتائج — وراء ستر رقيق ، وقد صدق فيهم قول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ

مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢﴾

وفي كتاب الله الكريم ، وتنزيله العظيم ، يتضح موقف القرآن الكريم من الجهل ، وذلك من خلال ما قصه المولى — سبحانه — من القصص التي تحكي أحوال الأمم السابقة ، وكيف مارست في حياتها أموراً لا تتفق مع العلم في شيء فكانت مستحقة لوصف الجهل ، وهو ما وصف الله به بني إسرائيل حين طلبوا من نبي الله موسى — عليه السلام — أن يجعل لهم إلهاً من الحجر يعبدونه ، أسوة بغيرهم من عباد الأصنام ، فوصفهم الله سبحانه بأنهم جهلة لا يعقلون ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَجَلَّوْنَا بِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ

(١) سورة محمد الآية ٣٨

(٢) - [سورة المائدة: الآية ٥٤]

يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا  
لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ (١)

والسبب في وصفهم بالجهل لأنهم يرون أمام أعينهم قوما يأتون شركا لا يتفق مع الفطرة ولا العقل ، كما سبق بيانه في موضعه من البحث ، وأي جهل أعظم من أن يفعل الإنسان فعل من لا يعقلون .

وهو ما وصف الله به قوم لوط وهم يأتون فاحشة قد بلغت في القذارة منتهاها ، وما سبقهم بها من أحد من العالمين ، وهي إتيان الذكور شهوة من دون النساء ، مع في ذلك من القبح وانتكاس الفطر والبهيمية التي تعافها النفوس السوية ، قال تعالى عنهم : ﴿ وَلَوْ طَآءَ إِذْ

قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٥﴾ أَيْنَكُمْ  
لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ  
﴿٥٥﴾ (٢)

كما جاء على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجادلته لقومه وهم يدعونه إلى عبادة  
أوثان نحتها بالمناشير عبيدهم ، وضربها بالفؤوس مواليتهم ، حتى شكلوها كما يريدون !!!  
وكيف يطلبون منه أن يعبد من لا يملك في الكون كله مثقال ذرة ، ويترك من يملك فيه كل  
ذرة !!!؟ فقال لهم كما بين الله ذلك في كتابه الكريم ﴿ قُلْ أَفَعَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي

أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ (٣)

إنه درس تربوي عظيم لمن سمعوا بالقرآن — في أي زمان ومكان — من عبدة الطواغيت —  
سواء كان هؤلاء الطواغيت إنسا أحياء أو أمواتا ، أم كانوا جنا أم جمادا أم نباتا ، أم كانت  
شهوات أم عادات أم أفكار أم أعراف ، أو ما إلى ذلك .

والجهل وصف مذموم يترفع العاقل أن يوصف به ، أو يرى في مواطنه ، فهذا نبي الله موسى —  
عليه السلام — يقول لقومه حينما طلبوا منه معرفة من قتل القتيل في قصة البقرة المشهورة ،

(١) - [سورة الأعراف: الآية ١٣٨]

(٢) - [سورة النمل: الآيات ٥٤-٥٥]

(٣) - [سورة الزمر: الآية ٦٤]

فأمرهم أن يذبحوا بقرة ، فقالوا له : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا ﴾ (١) فكان جوابه : ﴿ أَعُوذُ

بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٢) الذين يدعون ما لا يعلمون ، أو يتكلمون ما لا يعرفون .

بل إن المولى سبحانه لينذر أنبياءه — عليهم الصلاة والسلام — ويحذرهم حينما أخذتهم عاطفة حب الخير للناس سواء كانوا من المقربين أو من عامة الناس ، فهذا نبي الله نوح — عليه السلام — حينما أدركته عاطفة حب الولد ، بعد أن كفر ولده بالله ، واستبعد عذاب الله ، فقال كما

بين الله في كتابه الكريم : ﴿ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ

أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ ﴾ (٣) فقال الله تعالى له : ﴿ يَلْتَوِحُّ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ

أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي

أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٤)

وهذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يخضع نفسه — أي يقتلها هما وحزنا — يوم أعرض قومه عن الله ، ولم يستجيبوا لأمر ربهم ، فقال الله تعالى له : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٥)

على أن لفظ الجهل قد يرد في القرآن الكريم ولا يراد به خوض الإنسان فيما لا يعلمه ، وهي سمة غير العاقل من الناس ، وإنما المراد : عدم العلم بحال الشيء ، ولا يسمى صاحبها والحال ما ذكر غير عاقل ، كما لو سئل أحد الناس عن فلان ، فقال : أجهل حاله ، أي : لا أعرفه .

وما من شك أن الجهل — على الصفة التي ذمها القرآن الكريم — من أكبر معوقات التفكير العلمي ، إذ كيف يبني الجاهل تفكيره من خلال خطوات علمية مدروسة ، وهو لا يعلم ماذا يقول ، وكيف يناقش قضية لم يعلمها ، أو على أقل تقدير لم يحط بها علما ، وهو ما أنكره المولى سبحانه حين قال عن الجاهلين

(١) - [سورة البقرة: الآية ٦٧]

(٢) - [سورة البقرة: الآية ٦٧]

(٣) - [سورة هود: الآية ٤٥]

(٤) - [سورة هود: الآية ٤٦]

(٥) - [سورة الأنعام: الآية ٣٥]

المكذبين بأمر لم يطلعوا عليه ، ولم يحيطوا به علما حين قال سبحانه : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ (١)

وأخبر سبحانه أنها منهجية آبائية عقيمة ، قائمة على الجهل المركب ، فكانت عاقبة الظالمين خسرا في الدنيا والآخرة ، خسرا في الدنيا يوم تفرق الناس من حولهم ، وتوالت عليهم الهزائم المادية والمعنوية ، العسكرية والعقدية والفكرية ، وأصبحوا أضحوكة على مدار التاريخ ، لكونهم يأتون أعمالا لا تتفق مع الفطرة ولا مع العقل السوي الراشد ، بل إن من أعظم ما منوا به من الخسران أن خرج من أصلابهم من يكفر بما هم عليه من الانحراف العقدي والفكري ، ويؤمن بالله تعالى من خلال منهج مهتد ، قائم على الحجة والبرهان .

وأما خسراهم في الآخرة ، فأى خسارة أعظم من الخلود الأبدي في نار جهنم ، وأي خسارة أعظم من حرمان الكافر من رؤية وجه الله الكريم في الدار الآخرة .

### ثانيا : التقليد \*

معناه في اللغة : ذكر البستاني في مادة ( قلد ) قوله : " التقليد مصدر قلد ، ويطلق على معنيين [ أحدهما ] : اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل من غير نظر أو تأمل في الدليل " (٢) وقيل : " قلد فلان فلانا : اتبعه فيما يقول أو يفعل من غير حجة ولا دليل " (٣) وقيل : " قبول قول الغير من غير حجة " (٤)

وفي الاصطلاح : عرفه ابن تيمية — رحمه الله — بأنه : " قبول قول الغير بغير حجة " (٥) وقد وقف الباحث على تعريف ذكره أحد الباحثين في رسالة علمية ، فقال : " العمل بقول الغير من غير حجة من الحجج الشرعية " (٦) ولعل هذا التعريف مستنبط مما قالته كتب الفقه وهي تفرق بين الاجتهاد والتقليد ، فكان التعريف هذا للتقليد في مقابل الاجتهاد الذي تحكمه الحجج والبراهين الشرعية .

(١) - [سورة يونس: الآية ٣٩]

(٢) البستاني ، محيط المحيط ، ص ٧٥٢

(٣) إبراهيم أنيس وآخرون ، المعجم الوسيط ، ص ١ ج ١ ص ٧٦٠

(٤) الجرجاني ، التعريفات ، ص ٦٧

(٥) ابن تيمية ، الفتاوى ، ج ٤ ص ١٩٧

(٦) عبدالكريم زهد ، دور العقل في التربية الإسلامية ، ص ٨٢

معناه في مراد الباحث : تعطيل الملكات العقلية عن التفكير ، والسير في ركاب الآخرين من غير برهان .

### موقف القرآن الكريم من التقليد :

لم يرد في القرآن الكريم لفظ ( التقليد ) بالمعنى الذي يريده الباحث ، كمعوق من معوقات التفكير العلمي ، وإنما جاء في القرآن الكريم ما يعبر عن معنى التقليد المذموم ويزيد عليه معان زائدة ، وهو لفظ ( الاتباع ) والاتباع ينقسم إلى قسمين :

اتباع محمود واتباع مذموم ، غير أن الباحث في تعبيره عن المراد فضل لفظ ( التقليد ) لكونه أقرب في أذهان الناس إلى صفة الذم منه إلى صفة المدح ، كما أنه مصطلح في عرف المتأخرين يدل على فقدان الشخصية ، وانعدام الاستقلالية ، والدوار في فلك الآخرين أينما داروا ، والسير في ركابهم كيفما أرادوا ، وأينما توجهوا .

ولفظ ( الاتباع ) أوسع مدلولاً من لفظ ( التقليد ) لكونه يشمل صفتي المدح والذم ، أما ( التقليد ) فإنما يعبر به عن السير في ركاب الآخرين من غير حجة ولا برهان ، وقد ورد ( الاتباع ) في القرآن الكريم مراداً به الأمرين المدح والذم في مواضع كثيرة ، وعليه يكون ( الاتباع ) على قسمين :

**القسم الأول : الاتباع الممدوح :** وهو الذي يسير فيه صاحبه في ركاب أهل العقول السوية الذي سلكوا فيما يأتون وما يذرون مسالك واعية ، مستندها الفطرة السليمة ، والنقل الصحيح ، والعقل السوي الراشد المنضبط بالنقل الصحيح ، فإذا سار الإنسان في ركابهم والحال ما ذكر ، فقد فعل الجميل ، واستحق الثناء والتبجيل ، وهذا ديدن الأنبياء والصالحين الذي سماهم الله في كتابه الكريم ، وسمى من سلك سبيلهم بـ ( أولي الألباب ) .

وقد ذكر القرآن الكريم نماذج من هؤلاء الأخيار ، وذكر اتباعهم لما كان عليه آباؤهم من الهداية إلى دين الإسلام والتمسك بأحكامه ، فهذا نبي الله يعقوب عليه السلام يوصي أبناءه وهو على فراش الموت — عن طريق الاستفهام — عن طريق الاستفهام — عن معبودهم بعد موته ، فيجيئون بأنهم ماضون على إله وإله آباؤه من قبل ، وفي هذا المعنى يقول سبحانه : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ

# إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ (١)

وقد سمي الباحث هذا (اتباعاً) لأن أبناء يعقوب عليه السلام جعلوا العبادة التي أوصاهم بها أبوهم في مرض موته منهجاً لهم وورثوه عن أجدادهم ، وهم آباء يعقوب عليه السلام إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ، وورثوها عن أبيهم يعقوب عليه السلام وعن آباءه من قبله ، وليس في هذا التلقي منقصة ، وهو مبرأ من الحمود وقصور الفهم ، بل هي منهجية آباءية مبنية على الحق الذي لا مرية فيه ، وهو ما أكدته الطبري — رحمه الله — في تفسيره حين قال : " قال بنوه له : نعبد معبودك الذي تعبده ، ومعبود آباءك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ، أي نخلص له العبادة ، ونوحده له الربوبية فلا نشرك به شيئاً ، ولا نتخذ دونه ربا " (٢) لأن الإشراف بالله ، واتخاذ الأرباب من دونه أمر لا يقوم عليه دليل من فطرة ، أو نقل ، أو عقل ، فمن سلك في رفضه والإعراض عنه مسلك من سبقه من الأخيار الصالحين فقد اهتدى ، وأصاب مراد الله تعالى ، ومن لم يفعل ، فقد خسر خسراً مبيناً .

وهذا نبي الله يوسف — عليه السلام — يسير على تلك المنهجية التي سار عليها الآباء الصالحون ويعلمها مفاصلة بين منهجية آباءية في التقليد تناطح الفطرة التي فطر عليها الإنسان — وهي الإسلام — وبين منهجية آباءية في التقليد ترفض الشرك الذي لا يتفق مع الفطرة والنقل والعقل . وقد كان ثمرة هذه المنهجية الآباءية القائمة على الدليل والبرهان — والتي تكفر بهذه الأنداد المرعومة ، وهذه الألهة المشؤومة — تعليم الله تعالى له كيف يفسر الأحلام ، فيقع تفسيره مطابقاً للواقع من غير زيادة ولا نقصان ، وهو ما جاء واضحاً في قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٣) وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ

(١) - [سورة البقرة: الآية ١٣٣]

(٢) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ج ١ ص ٥٦٢



لَنَّا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكُمْ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ  
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ (١)

ومع أن الباحث الآن بصدد الحديث عن التقليد كأحد معوقات منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم ، إلا إنه يؤكد على أن من أساليب التفكير العلمي المتعلق بهذه الآية هو الربط المحكم بين السبب والنتيجة بغية استنباط الحكم الفقهي ، أو الفقه التربوي من الآية الكريمة ، فالسبب في تعليم تفسير الرؤى هو ترك الشرك بكل ضروبه وأنواعه ، واتباع ما كان عليه الآباء من التوحيد الخالص الذي فطرت عليه النفوس كلها .

وعليه ، فإن الذين يجعلون الآبائية وصفا مذموما على كل حال ، ويصفون منتهجها بالجمود ، والتخلف ، وضيق العطن ، يقعون في خطأ علمي كبير ، وهو إطلاق الأحكام على عواهنها ، دون تفصيل بين جلي بين المنهجية الآبائية التي تُتبع ، لكن من خلال الدليل والحجة والبرهان ، وبين المنهجية الآبائية التي تقلد دون وقفة تأمل وتمحيص مستندتها الحجة والدليل .

ولهذا فرق أهل العلم بين التقليد والاتباع ، وبينوا أن التقليد في الحق ليس تقليدا ولكنه اتباع مشروع ، فقد ذكر ابن القيم — رحمه الله — قول من سبقه من أهل العلم أن : " التقليد معناه في الشرع : الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه ، وذلك ممنوع في الشريعة ، والاتباع : ما ثبت عليه الحجة . . . والاتباع في الدين مسوغ والتقليد ممنوع " (٢)

وبما أن الاتباع متميز عن التقليد ، فإن الباحث سيقصر الحديث عن التقليد الذي يريد به موطن الذم وهو الذي جعله الباحث معوقا من معوقات التفكير العلمي كما بينه القرآن الكريم ، غير أن الباحث — وقبل أن يشرع في الحديث — يرى أن التقليد على ثلاثة أنواع :

**النوع الأول :** تقليد في الدين لمن لا يحسن معرفة الدليل ، ولا يستطيع التمييز بين أقوال العلماء ، ولا يحسن التعامل مع المسائل ، كالعامة المسلم ، فإن له أن يقلد غيره ، بشرطين اثنين : أولهما : أن يتحرى في تقليده — حسب جهده — الموثوق في دينه وعلمه وأمانته ، من خلال المعيار السلفي الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتابعوهم وتابعيهم من أهل القرون المفضلة .

ثانيهما : ألا يقلد في قضايا العقيدة ، وقد نقل القرطبي — رحمه الله — قول ابن عطية في هذا حيث يقول — رحمه الله — : " أجمعت الأمة على إبطال التقليد في العقائد " (٣) إذ لا بد في الإيمان

(١) - [سورة يوسف: الآيات ٣٧-٣٨]

(٢) ابن القيم ، إعلام الموقعين ، ج ٢ ص ١٩٧

(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٢ ص ١٤٣

بالله وملائكته وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، وسائر جوانب العقيدة من الإيمان الجازم الذي لا يخالطه شك ، يستوي في ذلك العالم والأمة .

وفي هذا المعنى يقول ابن عبد البر — رحمه الله — : " ولم يختلف العلماء أن العامة عليها تقليد

علمائها ، وأنهم المرادون بقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي-

إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) وأجمعوا

على أن الأعمى لا بد له من تقليد غيره ممن يثق بميزه بالقبلة إذا أشكلت عليه ، فكذلك من لا علم له ولا بصر ، بمعنى ما يدين به لا بد له من تقليد عالمه . . . فإن العامة لا بد لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها ، لأنه لا تبيين موقع الحجة ولا تصل — لعدم الفهم — إلى علم ذلك ، لأن العلم درجات لا سبيل منها إلى أعلاها إلا بنيل أسفلها ، وهذا هو الحائل بين العامة وبين طلب الحجة ، والله أعلم " (٢)

النوع الثاني : تقليد في الدين من غير حجة ولا برهان فلا يسلم بقبوله ، وهي الصفة التي ذم

الله بها المقلدين في دينهم وهم يحملون شعارا يقول : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ

وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾ (٣) سواء كان هؤلاء المقلدون من الكفار في

تقليدهم لآبائهم أو أحبارهم ورهبانهم ، أو حتى من المسلمين في تقليدهم لآبائهم أو حتى أشياخهم وأهل القدوة فيهم حين يكون الدليل على خلاف ما يقولون أو يفعلون .

وقد حذر أهل العلم من هذا المسلك الخطير سواء كان السالكون له هم أهل الكتاب أو حتى

أهل الأهواء في هذه الأمة ، فقد ذكر ابن تيمية — رحمه الله — هذا التحذير فقال : " فمن اتبع دين آيائه وأسلافه لأجل العادة التي تعودها ، وترك اتباع الحق الذي يجب اتباعه ، فهذا هو المقلد المذموم ، وهذه حال اليهود والنصارى ، بل أهل البدع والأهواء في هذه الأمة الذي اتبعوا شيوخهم ورؤساءهم في غير الحق " (٤)

ولهذا قال ابن عباس — رضي الله عنهما — : " ويل للأتباع من عثرات العالم ، قيل : كيف

ذلك ؟ قال : يقول العالم شيئا برأيه ، ثم يجد من هو أعلم برسول الله صلى الله عليه وسلم منه فيترك

(١) - [سورة الأنبياء: الآية ٧]

(٢) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، ص ٣٩٢ ، تصحيح الزهيري .

(٣) - [سورة الزخرف: الآية ٢٣]

(٤) ابن تيمية ، الفتاوى ، ج ٤ ص ١٩٧ - ١٩٨

قوله ذلك ، ثم يمضي الأتباع " (١) أي يمضون فيما قاله العالم من خلال رأيه الأول الذي عدل عنه يوم وجد ما هو أصوب منه ، فيعود العالم عن الخطأ ، ويبقى الأتباع عليه .

وقال سفيان بن عيينه — رحمه الله — ذات مرة : " اضطحع ربيعة مقنعا رأسه وبكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : رياء ظاهر ، وشهوة خفية ، والناس عند علمائهم كالصبيان في حجبهم أمهاتهم ، ما نكروا عنه انتهوا ، وما أمروا به اتتمروا " (٢)

وقد فصل ابن القيم — رحمه الله — الحديث في هذا النوع وجعله محرما بكل أنواعه فقال : " فأما النوع الأول فهو على ثلاثة أنواع : أحدها : الإعراض عما أنزل الله وعدم الالتفات إليه اكتفاءً بتقليد الآباء ، الثاني : تقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل لأن يؤخذ بقوله ، الثالث : التقليد بعد قيام الحجة وظهور الدليل على خلاف قول المقلد . . . . وقد ذم الله سبحانه هذه الأنواع من التقليد في غير موضع من كتابه " (٣)

وقد كان وصف العلماء لأهل هذه الأنواع الثلاثة من التقليد المذموم وصفا مقذعا ، يدل على خفة عقل من جعلها منهجاً له في حياته ، فهذا عبدالله ابن المعتز — رحمه الله — كان يقول محذراً من التقليد بعد قيام الحجة وظهور الدليل : " لا فرق بين بهيمة تقاد وإنسان يقلد " (٤)

وقال ابن عبد البر — رحمه الله — في نظمه ، وهو يذم المقلدين لغيرهم في الباطل ، فيتبعون قول فلان أو علان بعدما تبين لهم الحق بدليله ، وهو من أعجب ما قيل في ذم التقليد (٥) :

يا سائلي عن موضع التقليد خذ	عني الجواب بفهم لب حاضري
واصغ إلى قولي ودين بنصحتي	واحفظ علي بوادري ونوادري
لا فرق بين مقلد وبهيمية	تنقاد بين جنادل ودعائري
تبا لقاضٍ أو لمفتٍ لا يبرى	عللاً ومعنى للمقال السائري
فإذا اقتديت فبالكتاب وسنة	المبعوث بالدين الخفيف الطاهري
ثم الصحابة عند عدمك سنة	فأولئك أهل نهي وأهل بصائري
وكذاك إجماع الذين يلونهم	من تابعيهم كائرا عن كائري
إجماع أمتنا وقول نبينا	مثل النصوص لذي الكتاب الزاهري
وكذا المدينة حجة إن أجمعوا	متتابعين أو اتلا بأواخري
وإذا الخلاف أتى فدونك فاجتهد	ومع الدليل فمل بفهم واقري

(١) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، ص ٣٩٠ ، تصحيح الزهري .

(٢) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، ص ٣٩١ ، تصحيح الزهري .

(٣) ابن القيم ، إعلام الموقعين ، ج ٢ ص ١٨٧ -- ١٨٨

(٤) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، ص ٣٩٢ ، تصحيح الزهري .

(٥) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، ص ٣٩٢ ، تصحيح الزهري .

وعلى الأصول فقس فروعك لا تقس      فرعا بفرع كالجهول الحائر  
والشر ما فيه — فديتك أسوة      فانظر ولا تحفل بزلة ماهر

على أنه لا بد من التفريق — في مسألة التقليد — بين طالب العلم وبين العامي ، عند عرض المسائل ، فإن طالب العلم يربى على البحث عن الدليل ، ولا حرج أن تعرض عليه المسائل المختلطة ، ما دام قادرا على التمييز بين صحيحها وسقيمها من خلال الدليل ، بخلاف العامي فإنه ليس بحاجة إلى تفريع المسائل ، وعرض اختلاف العلماء ، وردود بعضهم على بعض ، فإنه لا يتقن هذا ولا يحسنه ، بل لربما كان ذلك فتنة له في دينه ، والمربي العاقل هو الذي يدرك ذلك ، وقد ذكر ابن عبدالبر — رحمه الله — من أخبار سحنون بن سعيد — رحمه الله — أنه قال : " كان مالك بن أنس وعبدالعزیز بن أبي سلمه ومحمد بن إبراهيم بن دينار وغيرهم [ رحمهم الله ] يختلفون إلى ابن هرمز [ رحمه الله ] وكان إذا سأله مالك وعبدالعزیز أجهما ، وإذا سأله ابن دينار وذووه لم يجبهما ، فتعرض له ابن دينار يوما فقال له : يا أبا بكر ! لم تستحل مني ما لا يحل لك ؟ قال له : يا ابن أخي وما ذاك ؟ قال : يسألك مالك وعبدالعزیز فتجيبهما ، وأسألك أنا وذوي فلا تجيبنا ؟ فقال : أوقع ذلك يا أخي في قلبك ؟ قال : نعم ، قال : إني قد كبر سني ، ورق عظمي ، وأنا أخاف أن يكون خالطني في عقلي مثل الذي خالطني في بدني ، ومالك وعبدالعزیز عالمان فقيهان ، إذا سمعا مني حقا قبلاه ، وإذا سمعا مني خطأ تركاه ، وأنت وذووك ما أجبتكم قبلتموه " (١)

سبحان الله !!! ما أعجب حال العلماء الربانيين ، في معرفتهم بأحوال من يعلمون ، انطلاقا من المبدأ التربوي الراقي : (( ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة ، وفي رواية : ما حدثت أحدا بشيء من العلم قط لم يبلغه عقله إلا كان ضلالا عليه )) (٢) وهو ما تسميه التربية الحديثة بمبدأ الفروق الفردية .

وما أعجب حال العامة في جرأهم عند سؤال العلماء من خلال الأدب الإسلامي النبيل !!!  
وما أعجب رزانة العلماء ، وحسن تثبتهم ، وعظم تربيتهم ، وهدوء أعصابهم قبل إجابة السائل ، حتى وإن كان في سؤاله شيء من الجرأة !!!  
وما أعجب حرصهم على تعليم الناس ، وخوفهم على العامة الذين لا يميزون بين المسائل ، وذلك من خلال ما يفتون به ، خاصة عند كبر السن وخوف الاختلاط !!!  
وما أعجب تربيتهم للناس على قبول الحق من كل من تفوه به ، ما دامت الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها !!!

(١) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، ص ٢٩٤ ، تصحيح الزهيري

(٢) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، ص ١٦٧ ، تصحيح الزهيري

وما أعجب تربيتهم لأتباعهم على رفض الخطأ ممن تفوه به ، وإن كان عالما يشار إليه بالبنان ،  
على حد قول القائل : نجحي الثمار ونبقي العود للنار !!!

لقد كانت هذه الحادثة وما تحمله من الدروس التربوية العظيمة زادا لمن يتصدون لتعليم الناس  
وتربيتهم ، وهي ثمرة العلم الرباني ، بمنهجية الربانية التي يستقيها العلماء الربانيون من كتاب الله  
وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

فحيهلا بالإبداع التربوي ، في منهجية راقية ، تجعل الصواب بغيتها من خلال الحججة والبرهان ،  
في ومن تفرقت بالناس أهواؤهم ، فجعلوا الصواب تبعا لآراء الناس ومواقفهم ، معرضين عن الدليل ،  
ولو كان كالشمس في رابعة النهار ، ليس دوها سحاب ، ولا قتر .

النوع الثالث : تقليد في غير الدين ، فلا حرج منه ما لم يصادم نصا في كتاب الله أو سنة نبيه  
محمد صلى الله عليه وسلم ، أو يكون تقليدا لكافر يوجب الإسلام مخالفته ، فحيثذ يدخله بعد التمير  
والمخالفة الذي نص عليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما  
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( خالفوا المشركين )) وفي رواية (( خالفوا الجوس ))  
(١)

ذلك أن مخالفة المشركين عبادة يتقرب بها إلى الله ، ولهذا كان المشركون يقولون : " ما يكاد  
أمر من الأمور إلا وهو يخالفنا فيه " (٢) فنحن مطالبون بمخالفتهم على جهة العموم ، حتى في القضايا  
التربوية التي تسوغ فيها المخالفة ، وقد علق ابن تيمية - رحمه الله - على ذلك بقوله : " هذا  
الحديث يدل على كثرة ما شرعه الله لنبيه من مخالفة اليهود ، بل إنه خالفهم في عامة أمورهم " (٣)  
والتقليد المذموم هو النوع الذي تردد ذمه في القرآن الكريم كثيرا ، لكون المقلدين لآبائهم لم  
يستندوا في التقليد على علم صحيح أو عقل صريح .

وقد فند القرآن الكريم مزاعم هؤلاء المقلدين الذين يحتجون بأنهم ما سبق أن سمعوا بدعوة  
التوحيد في الملة الآخرة ، وأنهم على ما شرع لهم آباؤهم فاعلون ، وعلى طريقة أجدادهم سائرون ،  
فهي عبادة الأقدمين التي يرون أن من العار تركها إلى عبادة أخرى ولو كانت أهدى سبيلا ، وقد  
جاء ذلك واضحا في قوله تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا  
عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ (٤) وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ  
مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ

(١) مسلم ، صحيح مسلم ، ص ١٢٩ حديث رقم ( ٢٥٩ )

(٢) مسلم ، صحيح مسلم ، ص

(٣) ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم ، ج ١ ص ١٩١

ءَاثِرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ أَوْلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ (١)

والمراد بالأمة التي كانوا عليها كما يقول القرطبي رحمه الله - " أي على طريقة ومذهب

" (٢) فالجميع على آثار آبائهم مهتدون ، والمتفرون منهم على الآثار مقتدون ، والكل يتعللون بأنهم وجدوا آباءهم يفعلون ، فهم على آثارهم يهرعون ويهتدون ويقتدون : " وفي هذا دليل على ذم التقليد لذمه إياهم على تقليد آبائهم وتركهم النظر فيما دعاهم إليه الرسول الله صلى الله عليه وسلم " (٣) وقد استدلل الرازي - رحمه الله - على ذم التقليد بهذه الآيات فقال : " لو لم يكن في كتاب الله إلا هذه الآيات لكفت في إبطال القول بالتقليد ، وذلك لأنه تعالى بين أن هؤلاء الكفار لم يتمسكوا في إثبات ما ذهبوا إليه لا بطريق عقلي ولا بدليل نقلي ، ثم بين أنهم إنما ذهبوا إليه بمجرد تقليد الآباء والأسلاف " (٤) وإن كان هذا مبحث فقهي ليس الباحث بصدد تفصيله .

وعليه فإن التقليد الذي لا يستند إلى حجة أو برهان نقلي ، ولا عقلي مهتد بوحى الله تعالى ، هو من أعظم معوقات التفكير العلمي ، لأن الإنسان في مثل هذه الحالة يعطل ملكاته العقلية عن العمل ، فلا يحلل ، ولا يقيس ، ولا ينظر ، ولا يتأمل ، ولا يستوثق ، ولا ينظر في الواقع ، ولا يرصد النتائج ، ولا يرقب العواقب ، إنما يمكن وصفه بأنه قد أجزَّ عقله للآخرين يفكرون له ، فلا يرى إلا ما يرون ، ولا يشعر إلا بما يشعرون ، ولا يعتقد إلا ما يعتقدون ، لا فرق بينه وبين الدابة التي تساق أو تقاد ، إلا أنها تمشي على أربع ، وهو يمشي على رجلين .

قال تعالى عن منهجية المشركين الآبائين : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانُوا ءَابَاؤَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ

شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٤﴾ (٥)

(١) - [سورة الزخرف: الآيات ٢٢-٢٤]

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٦ ص ٧٤

(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٦ ص ٧٥

(٤) الرازي ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ج ٢٧ ص ٢٠٦

(٥) - [سورة البقرة: الآية ١٧٠]

سبحان الله ! يأمرهم خالقهم باتباع تنزيله ، فيصرون على اتباع تشريع مخلوق مثلهم ، فينكر القرآن الكريم عليهم صنيعهم ، مبينا أن آباءهم لم يكونوا يملكون في ذلك أدنى ذرة من عقل أو هداية ، فكيف يتبعونهم وهم على هذا الحال " فالآية تندد بتلقي شيء في أمر العقيدة من غير الله ؛ وتندد بالتقليد في هذا الشأن والنقل بلا تعقل ولا إدراك " (١) ولهذا قال المولى سبحانه : ﴿ **أُولَٰؤ**

**كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ** ﴾ ثم شبههم خالقهم

سبحانه بالبهائم التي ينعق لها صاحبها فتسير خلفه ، لا تسمع إلا صوت نعيق الراعي ونداءه فيقول سبحانه : ﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا**

**دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمُّ بِكُمْ عَمِيٌّ فَهَمًّا لَا يَعْقِلُونَ** ﴾ (٢) : " ومن ثم

يرسم لهم صورة زرية تليق بهذا التقليد وهذا الجمود ، صورة البهيمة السارحة التي لا تفقه ما يقال لها ، بل إذا صاح بها راعيها سمعت مجرد صوت لا تفقه ماذا تعني ! بل هم أضل من هذه البهيمة ، فالبهيمة ترى وتسمع وتصيح ، وهم صم بكم عمي ٠٠٠ صم بكم عمي ، ولو كانت لهم آذان وألسنة وعيون ، ما داموا لا ينتفعون بها ولا يهتدون ، فكأنها لا تؤدي وظيفتها التي خلقت لها ، وكأنهم إذن لم توهب لهم آذان وألسنة وعيون ، وهذه منتهى الزرابة بمن يعطل تفكيره " (٣)

ومن حججهم حين ينكر عليهم ، قولهم كما حكى الله عنهم : ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُمْ**

**مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّقْتَرَىٰ وَمَا سَمِعْنَا**

**بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الْأُولِينَ** ﴾ (٤) وقولهم : ﴿ **مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ**

**الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ** ﴾ (٥) فمعيار القبول والرفض ، والصواب والخطأ ، والحق

والباطل عندهم ما كان عليه آباؤهم الأولون ، دون نظر أو تدبر أو تأمل لما كان عليه هؤلاء الأسلاف : " ومثل هذا يقع دائما عندما يطمس التقليد على حركة الفكر وحرية القلب ، فلا يتدبر الناس ما هو بين أيديهم من القضايا ، ليهتدوا على ضوء الواقع إلى حكم مباشر عليها ، إنما هم

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ١ ص ١٥٥

(٢) - [سورة البقرة: الآية ١٧١]

(٣) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ١ ص ١٥٥ - ١٥٦

(٤) - [سورة القصص: الآية ٣٦]

(٥) - [سورة ص: الآية ٧]

يبحثون في ركاب الماضي عن (سابقة) يستندون إليها؛ فإن لم يجدوا هذه السابقة رفضوا القضية وطرحوها! (١) إن الآيات أمامهم بينات، والحجج من حولهم ظاهرات، ومع ذلك يصفونها بالاختلاق والكذب، ويصفون ما ألفوا عليه آباءهم بالهدى والرشاد، فين سبحانه حالهم وحال آباؤهم بقوله: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٧٦﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ

يُهْرَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾ (٢)

فمن اتبع غيره — ولو كان أباه — وهو على ضلال مناقض للفطرة والعقل صدق فيه قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ (٣)

ولقد أمتد هذا الداء العضال حتى أصاب بعض المسلمين الذي جعلوا من التقليد أمرا لا يفارقون به آراء من سبقهم من الآباء أو الأجداد أو الأشياخ حتى ولو كانوا من أهل العلم، فإن تقليد عالم في قضية يكون الدليل على خلافها نوع من الآبائية المقوتة التي يكون شعار أصحابها: إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ومقتدون، وتكون نتيجة هذا التقليد المذموم: سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين، أي فلن نستجيب لك، ولن نسلم لقولك ما دام أسلافنا على غير ما أنت عليه، وهؤلاء هم الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون، والجامع بين المسلمين والكفار في هذه المسألة ليست قضية الكفر والإيمان، وإنما هو التقليد بغير حجة، وهو ما أكده ابن القيم — رحمه الله — حين قال: "كما لو قلد رجلا فكفر، وقلد آخر فأذنب، وقلد آخر في مسألة فأخطأ وجهها، كان كل واحد ملوما على التقليد بغير حجة" (٤)

وقد أكد ابن تيمية — رحمه الله — أن الذي يوالي من أجل أحد، أو يعادي من أجله، من غير وجه حق فهو من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا (٥) لأن الحق — بدليله — واحد لا يتعدد، وأهواء البشر متعددة لا تقف عند حد .

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٤ ص ٢٤٦٤

(٢) — [سورة الصافات: الآيات ٦٩-٧٠]

(٣) — [سورة الأعراف: الآية ١٧٩]

(٤) ابن القيم، إعلام الموقعين، ج ٢ ص ١٩١

(٥) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ٢٠ ص ٨



وقد أثنى الله — جل شأنه — على أهل الجنة أنهم لم يتخذوا من دون الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولا المؤمنين وليجة ، فقال سبحانه : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١)

والوليجة كما يقول ابن كثير — رحمه الله — هي : " البطانة والدخيلة " (٢) وقال القرطبي — رحمه الله — : " من يختص بدخلة أمره دون الناس " (٣) ثم علق ابن القيم — رحمه الله — على الآية بقوله : " ولا وليجة أعظم ممن جعل رجلا بعينه مختارا على كلام الله وكلام رسوله [ صلى الله عليه وسلم ] وكلام سائر الأمة يقدمه على ذلك كله ، ويعرض كتاب الله وسنة رسوله [ صلى الله عليه وسلم ] وإجماع الأمة على قوله ، فما وافقه منها قبله لموافقته لقوله ، وما خالفه منها تلتطف في رده وتطلب له وجوه الحيل ، فإن لم تكن هذه وليجة فلا ندري ما الوليجة " (٤)

إن التقليد ميدان واسع جدا يشمل التقليد في قضايا العقيدة والعبادة والفكر والخلق والسلوك والهئية واللباس ، بل إنه ليتعدى هذه الأمور الشخصية إلى أمور عامة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والإعلامية والفكرية والتربوية والمدنية والعسكرية ، وغير ذلك . وهو ما أشار إليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (( لتبعن سنن من كان قبلكم شيوا بشير وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال فمن )) (٥)

فهو تقليد عام ، وتبعية مفرطة ، يلغي الإنسان فيها عقله ويسير في ركاب الآخرين من غير تبصر ولا تعقل ، وإن كانت هذه التبعية للآخرين مرفوضة جملة وتفصيلا عند أصحاب الرسالة العالمية التي ارتضاها رب العالمين للبشرية كلها شرعةً ومنهاجا . على أن هذا لا يتناقض مع البحث عن الحكمة التي هي ضالة المؤمن ، فليس البحث عن الحكمة التي قد ينطق بها الآخرون تبعية ، بل هو انفتاح منضبط ، وإفادة واعية قائمة على التحليل والنقد والتمحيص ، ومن ثم قبول ما يمكن قبوله .

(١) - [سورة التوبة: الآية ١٦]

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ص ٤٢٢

(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٨ ص ٨٨

(٤) ابن القيم ، إعلام الموقعين ، ج ٢ ص ١٨٩

(٥) البخاري ، صحيح البخاري ، ص ١٣٩٦ ، حديث رقم (٧٣٢٠) وهو في صحيح مسلم ، ص ١٠٧١ برقم (٢٦٦٩)

## ثالثاً : التعصب .

معناه في اللغة : ذكر الجوهري في مادة ( عصب ) أن التعصب يأتي بمعنى " العصبية " (١) وقال ابن منظور : " والعَصَبِيَّةُ : أن يدعو الرجل إلى نصرته وعصبته والتألب معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين . . . والعَصَبِي : هو الذي يغضب لعصبته ويحامي عنهم . . . والتَّعَصُّبُ : المحاماة والمدافعة " (٢)

معناه في الاصطلاح : لزوم الإنسان طريقة أو رأي أو شيخ أو جماعة لا يجيد عن ذلك ولا كان مخالفاً للدليل .

معناه في مراد الباحث : ويقصد به الباحث : تشدد الإنسان في موقفه ، سواء كان قسولاً أم فعلاً ، وعدم الحيطة عنه ، أو قبول غيره ، خاصة حينما يكون موقفه عارياً عن الدليل والبرهان .  
الفرق بينه وبين التقليد : يعد الباحث التعصب من أكبر أسباب التقليد ودواعيه ، فإن الإنسان حين يتعصب لشخص أو فكر أو بلد أو حزب أو مذهب أو جنس أو عشيرة يلجئه تعصبه إلى التقليد والسير في الركاب ، وإن كان السير على خلاف الدليل .

موقف القرآن الكريم من التعصب : ما يقال في التقليد يقال في التعصب سواء بسواء ، ويتضح موقف القرآن الكريم من قضية التعصب من خلال أقسام التعصب التي يمكن للباحث أن يستنبطها من القرآن الكريم .

والتأمل لمن يعتزون بأراءهم من خلال ما جاء في كتاب الله تعالى يجدهم على فريقين :  
الفريق الأول : فريق محمود في تعصبه ، مقبول منه اعتزازه بموقفه ، لكونه قد بنى موقفه على دليل قاطع ، وبرهان ساطع ، وصاحبه موصوف بقوة الشخصية ، والثبات على المبدأ المحكوم بالدليل ، المنضبط بالحجة والبرهان .

وعليه فلا تناقض بين هذا الأمر وبين الموضوعية التي سبق الحديث عنها كضابط خلقي من ضوابط التفكير العلمي ، ذلك أن الموضوعية التي لا تستند إلى دليل نقلي ، أو عقلي منضبط بوحى الله الخالق جل جلاله ، تعد كلمة عامة عائمة ، يريد منها بعض المشوشين — في بعض الأحيان — تمبيح القضايا ، والتنازل عن الحق الحقيقي القائم على الدليل والبرهان ، فليس من الموضوعية البتة أن يقبل الإنسان معتقداً شركياً يتناقض مع أدنى مسلمة التفكير العلمي ، وليس من الموضوعية أن يرضى الإنسان بغير الإسلام ديناً يحكم جوانب الحياة ، وليس من الموضوعية أن يتنازل المسلم عن عقيدته الصحيحة القائمة على الدليل والبرهان ، المبرأة من كل عيب أو نقص أو تناقض .

(١) الجوهري ، الصحاح ، ج ١ ص ١٨٢

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١ ص ٦٠٦

ولعل من أبرز مظاهرها الإيمان بالقرآن الكريم ، والإيمان برسالات الأنبياء السابقين عليهم السلام ، وهو ما صدر الله تعالى به كتابه الكريم في وصف عباده المتقين بأنهم الذين يؤمنون برسالات الأنبياء جميعا كما في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ

قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ (١) وأنهم لا يفرقون بين أنبياء الله تعالى في الإيمان

، كما في قوله تعالى عنهم : ﴿ ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ

كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ

رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٧٨﴾

(٢)

مع الاعتقاد الذي لا يخالجه شك، أن أهل الكتاب قد حرفوا كلام الله تعالى وبدلوه كما قال

تعالى عنهم : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ

يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

﴿ (٣) وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ

لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ

عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ

﴿ (٤) ولهذا نسخ الله تعالى الرسالات السماوية السابقة بالرسالة الخاتمة التي بعث بها سيد

الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ، فكانت رسالة عالمية للبشرية كلها كما قال تعالى : ﴿ وَمَا

(١) - [سورة البقرة: الآية ٤]

(٢) - [سورة البقرة: الآية ٢٨٥]

(٣) - [سورة البقرة: الآية ٧٥]

(٤) - [سورة آل عمران: الآية ٧٨]

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴿١﴾

ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الثابتين على مبادئه الصحيحة وهو مسلك الأنبياء — عليهم الصلاة والسلام — في تعصّبهم للحق الذي يحملونه للناس بوحى من الله رب العالمين ، يتجلى هذا في أمر الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالثبات على الحق الذي يحمله ، محذرا من استخفاف الذين لا يوقنون ، وقد تجلّى هذا في قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ

الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَلَئِنْ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٩﴾ ﴿٢﴾

وفي الآية الكريمة موقفان أحدهما : موقف الكافر الذي يتبع هواه من غير دليل ، وموقف المؤمن الذي يدور في فلك العلم القائم على الدليل والبرهان ، وليس من العقل أبدا أن يترك الإنسان العلم الإلهي الرباني بعد إذ جاءه ، ويتبع الأهواء الأرضية المضللة ، والأفهام البشرية المنحرفة ، ولهذا أكد المولى — سبحانه — في ختام الآية الكريمة السابقة تخليه عن ولاية نبيه وعن نصرته إن هو اتبع أهواء المضللين من اليهود والنصارى ، ووصفه في آية أخرى بالظلم إن هو فعل ذلك — وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك — فقال سبحانه : ﴿ وَلَئِن آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبَلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةَ بَعْضٍ وَلَئِن آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴿٣﴾ ونهاه سبحانه عن استخفاف الذين لا يوقنون فقال سبحانه :

(١) - [سورة سبأ: الآية ٢٨]

(٢) - [سورة البقرة: الآية ١٢٠]

(٣) - [سورة البقرة: الآية ١٤٥]

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ (١)

(١)

وقد امتثل أنبياء الله تعالى هذا التوجيه الإلهي بامتثال الحق والثبات عليه ، وعدم قبول المساومة عليه مهما كلف الأمر ، فهذا خاتم الخلق وصفوة الرسل محمد صلى الله عليه وسلم يعرض عليه المشركون أن يعبد آلهتهم — التي نحتوها بأيديهم أو نحتها لهم موالٍ مسترقون يباعون ويشتررون — سنة ، ويعبدون إلهة سنة أخرى ، وقد نقل الطبري — رحمه الله — مساومة كفار قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قالوا له في جملة ما ساوموه عليه : " نعرض عليك خصلة واحدة وهي لنا ولك صلاح ، قال ما هي ؟ قالوا : تعبد آلهتنا سنة اللات والعزى ، ونعبد إلهك سنة " (٢) وهو

ما جاء واضحاً في قوله تعالى : ﴿ وَدُّوا لَوْ تَدَّهِنُ فَيُدَّهِنُونَ ﴾ (٣) قال

الطبري — رحمه الله — عن الحسن : " ودوا لو تصانعهم في دينك فيصانعونك في دينهم " (٤) وقال

ابن كثير — رحمه الله : " قال ابن عباس : تُرَخِّصُ لَهُمْ فَيُرَخِّصُونَ ، وقال مجاهد : ودوا لو تركن إلى

آلهتهم ، وتترك ما أنت عليه من الحق " (٥) وقال السعدي — رحمه الله — : " توافقه على بعض ما

هم عليه إما بالقول ، أو الفعل ، أو بالسكوت عما يتعين الكلام فيه " (٦) فقال لهم صلى الله عليه

وسلم : " حتى انظر ما يأتي من عند ربي ، فجاء الوحي من اللوح المحفوظ بقول الله تعالى : ﴿

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ

مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾

لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ (٧) وأنزل الله : ﴿ قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي

(١) - [سورة الروم: الآية ٦٠]

(٢) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ج ٣٠ ص ٣٣١

(٣) - [سورة القلم: الآية ٩]

(٤) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٨ ص ٢٣٠

(٥) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ص ٤٧٦

(٦) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٨١٤

# دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ (١) وَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيْهَا الْجَاهِلُونَ﴾ (٢)

الفريق الثاني : فريق مذموم في تعصبه ، لكونه يتعصب لرأي لا يقوم على دليل ، وخاصة حين يكون لهذا الرأي أثر سيء على الإنسان في دينه أو حتى في دنياه .

وليس من العقل أبداً أن يتعصب الإنسان لمسألة متعلقة بالدين بعد أن وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم الميزان النبوي ، للعقائد والعبادات ، والأخلاق ، والقيم ، والمبادئ ، وحدد المعايير النبوية — من خلال قواعد كلية أو تفصيلية — للقضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية وسائر جوانب الحياة ، يتجلى هذا الميزان ، وتتضح هذه المعايير في قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الطائفة المنصورة والفرقة الناجية فقال : (( من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي )) (٣)

فما كان منها قائم على نص صريح لا يقبل التأويل ، بمعنى أنه قطعي الدلالة قطعي الثبوت ، وجب التسليم له من غير حرج ولا ممانعة ، وإن كان مما يمكن أن تختلف في تنقيح أو تحقيق مناطه أفهام العلماء الربانيين الموثوقين في دينهم وأمانتهم وفق الضوابط الشرعية للبحث العلمي ، فلإنسلن — الذي من الله عليه بقدرة التمييز بين الاجتهادات — أن يتحرى الأقرب إلى الدليل ، وإن كان من العامة قلد غيره بالشرطين اللذين ذكرا آنفاً ، شريطة أن يكون ذلك كله في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية الغراء .

ولهذا كانت النصوص التي تحتمل التأويل — وفق الضوابط العلمية الإسلامية — سبباً من أسباب فتح باب الاجتهاد وإعمال العقل في ضوء مقاصد الشريعة ، من خلال قواعد الدين ، وأسسها العامة ، لتعالج من خلالها ما يتعلق بفتنه النوازل التي تنزل بالأمة ، ولتحل بها الجزئيات التي لا تنهاى في كل جانب من جوانب الحياة .

(١) [سورة الكافرون: الآيات ١-٦]

(٢) - الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ج ٣٠ ص ٣٣١ والآية في سورة الزمر ، رقم ٦٤

(٣) الحاكم ، المستدرک علی الصحیحین ، ج ١ ص ٢١٨ وصححه الأمير الصنعاني في كتابه : حديث افتراق الأمة إلى نيف وسبعين

فرقة ، ص ٢٠ - ٢١

" والملاحظ أن هذه المسائل الطارئة قد أثرت في الفقه الإسلامي ، حيث أضافت إلى أدلة الأحكام الشرعية دليلا جديدا وهو القياس ، كما أضافت إلى عقول الفقهاء نوعا جديدا من التفكير ، هو البحث عن علة الحكم لتضيوي المسائل المشتركة فيه تحت حكم واحد " (١)

غير أن المنغلقيين من متعصبة أتباع العلماء والفقهاء شوهاوا هذه السعة في التفكير الإسلامي النبيل ، فحصرها الصواب في آراء علمائهم وفقهائهم ، وحجروه على أنفسهم ، وحرموا منه الآخرين ، مع عدم قدرتهم في كثير من الأحيان على معرفة الدليل أو فهمه ، فكرسوا في أذهان الدهماء من الناس حقيقة التعصب المذموم ، حتى رد بعضهم الحق جهلا أو تجاهلا .

إن التعصب المذموم من أعظم معوقات التفكير العلمي ، لأنه يحول بين صاحبه وبين الحق ولو اتضح له ، والتعصب يأخذ أشكالا مختلفة ، فقد يتعصب الإنسان لرأيه ، وقد يتعصب لأبائه وأجداده ، وقد يتعصب لشيخه ، وقد يتعصب لمذهبه الذي يتبعه ، وقد يتعصب لحزبه ، وقد يتعصب لعائلته ، وقد يتعصب لبلده .

وقد يكون وراء التعصب جهلا ، أو هوى ، أو حسدا ، ولا يسلم من ذلك — بعد توفيق الله وهدايته — إلا تربية جادة مستقيمة تربط الإنسان بالحق لا بغيره ، لأن الحق غير مرتبط بجنس ولا لون ولا بلد ولا شخص ولا عائلة ولا مذهب ولا حزب ولا أب ولا جد ، إنما هو مرتبط بالله وحده ، كما قال سبحانه : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنْ أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (٢)

شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنْ أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢﴾

فقد ربط المولى سبحانه الحق به لا بغيره ، لأنه — سبحانه — منزّه عن كل نقص ، وله الكمال المطلق في كل شيء ، ثم إنه — سبحانه — يعلم أن الحق لو ربط بالناس لتفرقت بهم الأهواء والعصبيات والعنصريات ، التي لا تكاد تنفك عن الإنسان ما دام حيا ، لكوها مرتبطة بضعف الإنسان وقصوره ، وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (( اثنان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب والنياحة على

(١) محمد الوكيل ، أسباب الضعف في الأمة الإسلامية ، ص ٨٤

(٢) - [سورة الكهف: الآية ٢٩]

الميت)) (١) والظعن في الأنساب أحد أسباب العصبية التي تورث اعتزاز الإنسان لرأيه أو عائلته أو قبيلته أو عشيرته ، وإن كان مخالفا للحق ، فإذا تبين الحق من الله تعالى — صاحب الكمال المطلق — وجب قبوله لكونه حقا مبرراً من كل نقص ، وهو مرتبط بمن له نعوت الجلال وصفات الكمال .

وعليه فإن من الأمور التي تورث التعصب ما يكون عند الجدل حينما يقع بين فردين أو فريقين أو طائفتين وخاصة حين تذكر الأسماء التي يتعصب لها الفردان أو الفريقان أو الطائفتان ، ذلك أن البعض ممن قل فقهه ، واضمحل فهمه ، يربط الحق بالأشخاص أو الطوائف أو المذاهب أو الأحزاب ، فإذا تعرض الاسم لنقد أو هجوم كان ذلك سببا في استشاطه الغضب ، وانتفاخ الأوداج ، وقام إبليس في مثل هذا الموطن يعمل عمله ، فيصد المتحاورين عن الحق ، ويكرس العصبية ، ويعمي عن رؤية الحق ولو كانت كالشمس في رابعة النهار ، أما حين يتوجه النقد للأفكار وفق أدب الحوار وقواعده دون المساس بالأسماء — وخاصة بين المسلمين — فهو من الأساليب النافعة التي غالباً ما تكون سببا في القناعة والانقياد .

إن الفكرة إذا سقطت صاحبها ، ولكن حين يكون الشخص أو المذهب أو الحزب أو الجماعة أو البلد أو العائلة أو العشيرة هو الهدف فإنه حين يسقط ، يسقط الحق وراءه ، والعاقل هو الذي يجعل الحق بغيته ، والفكرة الصائبة مطلبه .

وقد ذكر الذهبي — رحمه الله — صورة من صور التعصب المقيت لرجل وصفه بالذكاء ، والإتقان في علوم كثيرة ، حتى عظم قدره واشتهر ذكره ، وقد حدث أن حج في سنة من السنوات ، فجعل الحنابلة هدفاً من أهدافه بغض منهم ويمجد الأشاعرة ، ويتعصب لآرائهم ، معرضاً عن الفكرة التي هي المقصود ، فقامت الفتنة على ساق واشتد الخطب ، وبلغ الأمر إلى السيف ، واختببت بغداد ، وظلت الفتنة تغلي مراجلها سنة كاملة (٢) وقد دون أهل العلم هذه الحادثة في كتبهم ، وتناقلتها أجيال الأمة جيلاً بعد جيل ، لتكون أشبه بفضيحة عاجلة هزت مجتمع بغداد ، وأورثت فتنة بين المسلمين ، وفرقت جماعتهم ، وأوغرت صدورهم ، ولربما صدت بعضهم عن الحق ، والعجب أن هذا كان في فترة حج بيت الله الحرام ، الذي يحرم الله فيه الرفث والفسوق والجدال ، وصدق ابن حزم — رحمه الله — حين قال : " ولو أن امرأً نصح نفسه ، فأقصر عن التلبس في الدين وإضلال المساكين المغترين ، وشغل نفسه بالقرآن كلام الله تعالى ، وبيان رسوله صلى الله عليه وسلم السذي افترض الله علينا طاعته ، وترك التعصب لقول فلان وفلان ، كان أسلم لمعاده ، وأبعد له من الفضيحة في العاجلة " (٣)

(١) مسلم ، صحيح مسلم ، ص ٥٨ ، رقم الحديث ( ٦٧ )

(٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ص ٤٢٥

(٣) ابن حزم ، الإحكام ، ج ٤ ص ٥٩٨



وقد أكد علماء الأمة المتجردين على ضرورة نبذ التعصب المقيت الذي يخلف آثارا خطيرة على الفرد والمجتمع ، قد تصل في بعض الأحيان إلى إزهاق الأرواح حتى في المساجد بين طلبة العلم (١) وهو ما ذكره ابن تيمية — رحمه الله — حين ذكر اختلاف الفقهاء في بعض العبادات الظاهرة كالأذان ، والجهر بالبسملة ، والقنوت في الفجر ، ورفع الأيدي في الصلاة ، ووضع الأكف فوق الأكف ، وأنواع النسك اختلافا ربما أدى إلى الشحناء والبغضاء ، والاقتتال وتحطيم عقيدة الولاء والبراء في النفوس ، حيث يقول : " الرابع : التفرق والاختلاف المخالف للإجماع والاتلاف حتى يصير بعضهم يبغض بعضا ويعاديه ، ويحب بعضا ويواليه على غير ذات الله ، وحتى يفضي الأمر ببعضهم إلى الطعن واللعن والهمز واللمز ، وبعضهم إلى الاقتتال بالأيدي والسلاح ، وبعضهم إلى المهاجرة والمقاطعة ، حتى لا يصلح بعضهم خلف بعض ، وهذا كله من أعظم الأمور التي حرمها الله ورسوله (٢) [ صلى الله عليه وسلم ] .

فليس كل ما يقوله العالم صوابا لا يقبل الخطأ ، وإن كان مأجورا في خطئه ما دام من أهل الاجتهاد ، وفي هذا يقول القنوجي — رحمه الله — : " وليس للعالم مسرح في التشريع ، ولا كل ما قاله صواب ، بل هو مجوز عليه الخطأ والصواب ، فكيف يقع منه التعصب لقول عالم ، أو لقول صدر منه " (٣) وقد أكد بعض أهل العلم على أن العالم حين يجتهد في مسألة ليس فيها نص شرعي من الكتاب العزيز ، ولا من السنة الصحيحة ، فلا يصح أن يلزم الناس جميعا بقول هذا العالم إذا رأى غيره من العلماء خلاف ذلك ، ما دامت المسألة تدور في ميدان الاجتهاد ، مع ضرورة تحري الإنسان الأحوط له في دينه ، وفي هذا يقول القنوجي — رحمه الله — عن الشريعة الإسلامية مخاطبا كل واحد من طلبة العلم : " فلا تمحق بركتها بالتعصب لعالم من علماء الإسلام بأن تجعل رأيه واجتهاده حجة عليك وعلى سائر العباد " (٤) وليكن الحق بدليله هو مقصد المؤمن ، فإذا لم يكن في المسألة دليل ، فإن اجتهادات العلماء الموثوقين في دينهم وأمانتهم محترمة مقدرة ، وهم مأجورون عليها عند الله تعالى ، وكم من لائم على مجتهد ، متندر به في المجالس ، وقد رضي الله عن هذا العالم المجتهد ، ورفع ذكره بهذا الاجتهاد في أعلى جنات النعيم .

(١) الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ١٠٤

(٢) ابن تيمية ، الفتاوى ، ج ٢٢ ص ٣٥٧

(٣) القنوجي ، أجد العلوم ، ج ١ ص ١٤٧

(٤) القنوجي ، أجد العلوم ، ج ١ ص ٣٧١

## رابعاً : الاستكبار •

معناه في اللغة : ذكر الجوهري في الصحاح في مادة ( كبر ) قوله : " التَّكْبُرُ والاستِكْبَارُ : التَّعْظُمُ " (١) وقال ابن منظور : " الاستكبار : الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبرا " (٢) وقال الفيومي : " كابرته مكابرة : غالبته مغالبة وعاندته " (٣)

معناه في الاصطلاح : عرفه الجرجاني بأنه : " مدافعة الحق بعد العلم به " (٤)

معناه في مراد الباحث : أن يرى الإنسان نفسه أعلى من الحق المؤيد بالدليل النقلى والعقلى فيرفضه عنادا وتنقصا واستخفافا •

والفرق بينه وبين التعصب : إن المتعصب قد يتيقن أحيانا أنه أقل في قدراته العقلية من الآخرين ، وأنه ليس على مستوى النقاش ، وقد لا يملك دليلا لا من النقل ولا من العقل يؤيد به طرحه ، ومع ذلك يصر على رأيه ، ولا يجيد عن موقفه ، وهو ما يمكن وصفه تجورا ، بـ ( العائل المستكبر ) أي الفقير من العلم والأدلة ، المستكبر على الحق المؤيد بالدليل ، ولكن هذا الصنف قليل في الغالب •

أما المستكبر ، فهو الذي يرى نفسه أكبر من الآخرين ، بسبب ما أوتي من ذكاء ، أو منزلة اجتماعية ، أو مكانة علمية ، أو مال ، أو بنين ، أو غير ذلك ، فهو يرى نفسه أكبر من الدليل ، وأعظم من أن يستجيب لأحد حتى لو كان الأمر هو الله تعالى ، وهذا الصنف هو الذي حرم الله عليه الجنة ، مصداقا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، فقال الصحابة يا رسول الله : الرجل منا يجب أن يكون ثوبه حسن ونعله حسن ، أفمن الكبر ذلك ؟ قال لا : الكبر بطر الحق ، وغمط الناس )) (٥)

موقف القرآن الكريم من الاستكبار :

بعد أن تأمل الباحث الآيات التي وردت في موضوع الاستكبار رأى الباحث أن الله تعالى سمى الله هذه الخصلة السيئة بـ ( الكبر ) تارة و ( الاستكبار ) تارة أخرى ، وكلاهما بمعنى واحد ، غير أن الباحث يرى أن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى ، ومبنى كلمة ( الاستكبار ) أكثر من ( الكبر ) في معناها مما يدل على المبالغة في العناد والإعراض ، وهي كلمة موحية في معناها وجرس لفظها ، بغاية التطاول والعناد ، والإصرار على الرأي الخاطيء ، والقول الباطل ، ومن

(١) الجوهري ، الصحاح ، ج ٢ ص ٨٠٢

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ص ١٢٦

(٣) الفيومي ، المصباح المنير ، ص ١٩٩

(٤) الجرجاني ، التعريفات ، ص ٢٧٧

(٥) مسلم ، صحيح مسلم ، ص ٦٤ ، حديث رقم ، ( ٩١ )

ذلك ما شنع فيه القرآن الكريم على المستكبرين ، كما في قوله تعالى ﴿ اَلْهٰكِمَ اللّٰهُ  
 وَاحِدٌۢ فَاَلَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِالْآخِرَةِ قُلُوْبُهُمْ مُّنْكَرَةٌ وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُوْنَ  
 ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ اَنْ اَللّٰهُ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّوْنَ وَمَا يُعْلِنُوْنَ اِنَّهٗ لَا  
 يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِيْنَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (١)

وأما ورود هذا الخلق الرديء بلمظ ( الكبر ) فقد جاء في قوله تعالى : ﴿ اِنَّ الَّذِيْنَ  
 يُجَادِلُوْنَ فِيْٓ ءَايٰتِ اللّٰهِ بِغَيْرِ سُلْطٰنٍ اٰتٰهُمْ اِنْ فِيْ صُدُوْرِهِمُ الْاِ  
 كْبَرُۢ مَا هُمْ بِبٰلِغِيْهِ فَاَسْتَعِذْ بِاللّٰهِ اِنَّهٗ هُوَ السَّمِيْعُ الْبَصِيْرُ ﴿٥١﴾ ﴾ (٢)

ولقد أنكر المولى سبحانه في كتابه الكريم على المستكبرين هذا الخلق السيء ، وشنع على  
 أربابه ، ووصفهم بالظلم والعتو ، فقال سبحانه : ﴿ وَجَحَدُوْا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا  
 اَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِيْنَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (٣)  
 ووعدهم بالعذاب الأليم ، وأعلن تخليه عن ولايتهم ونصرهم ، فقال سبحانه : ﴿ فَاَمَّا  
 الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا وَعَمِلُوْا الصّٰلِحٰتِ فَيُوْفِّيهِمْ اُجُوْرَهُمْ وَيَزِيْدُهُمْ  
 مِّنْ فَضْلِهٖۗ ؕ وَاَمَّا الَّذِيْنَ اَسْتَنٰكَفُوْا وَاسْتَكْبَرُوْا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا  
 اَلِيْمًاۗ وَلَا يَجِدُوْنَ لَهُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ وٰلِيًّا وَلَا نَصِيْرًا ﴿١٧٢﴾ ﴾ (٤) وحرم  
 عليهم دخول الجنة ، عن طريق تعليق دخولهم الجنة على المستحيل ، وهو ولوج الجمل في فتحة  
 الإبرة التي تخاط بها الملابس ، وهو أسلوب فيه من التهكم ما فيه ، فهم سيدخلون الجنة ولكن

(١) - [سورة النحل: الآيات ٢٢-٢٣]

(٢) - [سورة غافر: الآية ٥٦]

(٣) - [سورة النمل: الآية ١٤]

(٤) - [سورة النساء: الآية ١٧٣]

متى؟ إذا وُلجَّ الجمل في سم الخياط، وفي هذا المعنى يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ

وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ

نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ (١) ووعدهم نار جهنم فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ (٢)

فمتى يُلجَّ الجمل في سم الخياط؟ إن العقول ترى استحالة ذلك، وهي صورة من صور استحالة دخول المتكبرين على الحق المؤيد بالدليل حنة الله تعالى في الدار الآخرة.

وقد وصف المولى سبحانه حالهم في الإصرار على عدم قبول الحق والتعالي عليه بوضع الأصابع

في الآذان، واستغشاء الثياب، فقال جل شأنه عن قوم نوح عليه السلام: ﴿وَإِنِّي

كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْبُعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ

وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٣٧﴾ (٣)

إنهم يدعون إلى أن يغفر الله لهم ذنوبهم، فيقابلون هذه المصلحة المؤيدة بالدليل بالإصرار على الباطل الذي لا يؤيده الدليل، بل ويجادلون من غير دليل، ويناضون من غير برهان، وقد بين

سبحانه أن السبب في ذلك هو الكبر الذي عشعش في صدورهم فقال سبحانه: ﴿إِنَّ

الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي

(١) - [سورة الأعراف: الآية ٤٠]

(٢) - [سورة الأعراف: الآية ٣٦]

(٣) - [سورة نوح: الآية ٧]

صُدُّورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ ﴿١﴾

ولهذا جعل الباحث هذا الخلق الدنيء من أعظم معوقات التفكير العلمي لأنه يعمي البصيرة عن قبول الصواب الذي يعضده الدليل ، ويعلي علي صاحبها قبول الخطأ الذي لا يقوم على دليل شرعي ولا عقلي .

وقد بين المولى سبحانه أن من أسباب الاستكبار عدم موافقة الحق هوى أهل الباطل وما تشتهي

نفوسهم ، كما قال سبحانه عن أهل الكتاب : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا

لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا

تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴿٢﴾

ولهذا وعد الله المستكبرين في الأرض بأن يجرهم التفكير الغائي المرتبط بالغاية النهائية من الإيجاد ، سواء كان هذا التفكير في الأشياء المادية أو المعنوية ، وإذا حرموا هذا فعلوا في الحياة أفعال المجانين ، واستحقوا وصف الدواب البهيمية التي تعيش لشهواتها المادية فحسب ، فقال سبحانه :

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ

وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا

يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ

بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿٨١﴾ ﴿٣﴾

إن الآيات التي يصرفون عن التفكير فيها هي الآيات الكونية والآيات الشرعية ، فهم لا يعيرون الآيات الشرعية اهتماما ، ولا يلقون لها بالا ، ويعاملون مع الآيات الكونية تعامل الدواب ووجه الشبه في ذلك هو حصر التفكير في الشهوة العاجلة ليس إلا ، وإذا لم يقتنع بعض المثقفين من أبناء أمتنا بوصف الله للكفار بأنهم أنعام لا تعقل ، واحتج على ذلك بالتقدم المادي المذهل الذي وصلوا إليه ، فليقف على وصف الخالق سبحانه ، العالم بأحوال كل سر ، وما هو أخفى ، المطلع على دخائل النفوس ، حين يقول

(١) - [سورة غافر: الآية ٥٦]

(٢) - [سورة البقرة: الآية ٨٧]

(٣) - [سورة الأعراف: الآية ١٤٦]

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (١) وحين يقول : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (٢) وحين يقول : ﴿ إِنْ أَلَّ اللَّهُ يُدْخِلِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَمُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ (٣) ولقد

استبان لكل منصف سبب هذا الوصف ، إن السبب هو الغفلة عن العهد الأخير الذي أنزله الله سبحانه على خاتم رسله وأبيائه محمد صلى الله عليه وسلم ، وعن سنته الشريفة ، إنها الغفلة عن التوحيد الذي خلق الخلق من أجله ، إنها الغفلة عن العبادة التي هي سر الوجود كله بما فيه ومن فيه .

قال ابن كثير — رحمه الله — في تفسير هذه الآية : " أي سأمنع فهم الحجج والأدلة الدالة على عظمي وشريعتي وأحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي ، ويتكبرون على الناس بغير حق ، أي : كما استكبروا بغير حق أذلم الله بالجهل " (٤)

وهذا الحال مشاهد عند المتكبرين على شرع الله ودينه ، كيف صدوا عن الحجج الشرعية ، والبراهين العقلية ، التي تؤكد مجتمعة على أن الله هو الخالق وحده ، وأنه المستحق للعبادة وحده ، وأن دينه خير دين ، وأن تشريعه أقوم تشريع ، وأن رسوله خاتم النبيين ، ومع ذلك يصر المتكبر على كبريائه وخطاسته ، فيطبع الله على قلبه ، ويصبح الجهل قريبا ، فإذا هو يعمل أعمالا لا تتفق مع الفطرة ، ولا يقرها عقل ولا نقل .

فأي عقل علمي يوصف به من يعبد بشرا مثله ؟ !!! أي عقل علمي يعبد حجرا يلقيه الطفل بيده في أماكن النجاسات والقاذورات ؟ !!! أي عقل علمي يعبد شجرا إذا قطع انقطع ، وإذا أحرق احترق ؟ !!! ، أي عقل علمي هذا الذي يبرك تحت دابة تأكل العلف فتبول عليه ليصبح مباركا أينما كان ؟ !!! أي

(١) - [سورة الأعراف: الآية ١٧٩]

(٢) - [سورة الفرقان: الآية ٤٤]

(٣) - [سورة محمد: الآية ١٢]

(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ص ٣١١ - ٣١٢

عقل علمي هذا الذي يقول : إن القلم أو الساعة أو جهاز التسجيل لم يوجد صدفة بل لا بد له من موجد ، ثم يؤمن أن الكون كله بمن فيه وما فيه وجد صدفة ولم يكن له خالق أو موجد ؟ !!!  
أي منطق علمي يجعل صاحبه يختار الحقير بدلا عن العظيم ؟ !!! ويفضل القليل على الكثير ؟ !!! ويقدم  
الفاني على الباقي ؟ !!!

أي عقل يوصف صاحبه بالعلمية وهو يشنري الضلالة بالهدى ، والعذاب بالمغفرة ؟ !!! نعم ، يشنري الضلالة بالهدى ، والعذاب بالمغفرة ، بميزان الله لا بميزان الناس ، حتى لا يقول متطفل في قلبه دخن ، بأن ميزان الضلال والعذاب هذا نسبي ، يختلف من إنسان لآخر ، ومن بيئة لبيئة ، ومن مجتمع لمجتمع ، فيكون الحسم في القضية ، أن يكون الميزان هو ميزان الله تعالى الذي فطر النفوس على توحيده ، الميزان الذي تعرف حتى القلوب الملحدة صاحبه في ساعات الشدائد ، الميزان الذي أنزله الله جل جلاله الذي يثبت صدق معياريته النقل والعقل والواقع .

سبحان الله !!! ألا يستحق من هذا فعله وصف البهيمية ؟ ونعت الحيوانية ؟ إن الذين يفعلون هذه الأفاعيل اليوم هم أساطنة العلم المادي ، وعباقره التقدم التقني ، إن هذا يحدث في زمن ثورة المعلومات ، وانتشار المخترعات ، إن هذا يحدث في زمن تعدد الجامعات ، وتنوع مراكز البحث العلمي ، إن هذا يحدث في زمن ينزل إلى الساحة العالمية فيه في مختلف التخصصات أكثر من ثلاثة آلاف بحث في الدقيقة الواحدة .

فأين العلم المادي هذا عن صيانة العقل من هذا التردي المهول ؟ !!! وأين العلمية هذه التي تخاطر بالعقل إلى هذا الحد المخيف ، وتستخف به إلى هذا الوضع المزري ؟ !!!

لقد أصبح التقدم العلمي المادي مرهونا بالانحطاط الأخلاقي عند من لا يجعلون الآخرة في حسابهم .  
وليس يخاف على أحد كيف انحرف العلم المادي ، إما في غاياته ، أو في وسائله ، أو في غاياته ووسائله ، وكيف شقيت به البشرية يوم لم تقرأ فيه على اسم الله تعالى .

إن قنبلة هيروشيما النووية التي دمرت هذه المدينة على أهلها حتى بلغت درجة حرارة المنطقة التي وقعت عليها القنبلة ( ٤٠٠٠ ) آلاف درجة مئوية (١) مع أن الحديد ينصهر عند درجة ١٥٣٦ ، لقد خرجت هذه القنبلة من مراكز بحث متخصصة ، ومن خلال منهجية في التجريب متخصصة ، على أيدي علماء ماديين ، غير أخلاقيين في علومهم ومعارفهم ، فكانت مثلا لانحراف العلم المادي يوم لم تكن قراءته ومعرفته على اسم الله تعالى .

وإن وجود بنوك للحيوانات المنوية — على المفهوم الغربي — التي تلقح بها أرحام النساء الأجنبية من خلال الأنابيب ، لينجبن للرجال الأجانب أطفالا ليسوا آباءهم ، خرجت من مراكز بحث طبية متخصصة

(١) متحف هيروشيما التذكاري للسلام ، نبذة عن خسائر القنبلة الذرية في مدينة هيروشيما ، ص ١٤

، ومن خلال منهجية متخصصة ، على أيدي أطباء غير أخلاقيين في رسالتهم ، فكان صنيعهم هذا مثالا للعبث العلمي الخطير ، الذي أفسد الحياة الاجتماعية في الغرب ، وخلط الأنساب ، ومزق الأسر ، وأحدث الفوضى الأخلاقية ، وعمق الأمراض النفسية ، كل هذا يوم لم تكن هذه القراءة الطبية المتخصصة على اسم الله تعالى .

وإن ظاهرة استئجار الأرحام ، جرما طبيا جديدا يمارس على أيدي المتخصصين من الأطباء في مراكز البحث العلمي ، ليكون زنى عصريا متطورا ، يوم لم تكن القراءة فيه على اسم الله تعالى .

وإن ظاهرة تحول الرجال إلى نساء ، والنساء إلى رجال في المجتمع الأمريكي كما تحدث بها الجنرال المتقاعد ( هاملتون ) (١) هو نوع جديد من العبث الطبي والخلقي والاجتماعي الذي يمارسه أساطنة الطب في ذلك المجتمع ، إنما كانت تجاربه في مراكز البحث العلمي على أيدي الطبقة المثقفة من الأطباء الذين لا يحكمهم خلق ولا أدب ولا علم ولا فضيلة ، وهي صورة من صور القراءة التخصصية يوم لم تكن على اسم الله تعالى .

إن نظرية دارون وفرويد ونييتشه وجون ديوي وسبنسر وغيرهم جرت في ميادين البحث التربوي فكرست مادية الإنسان وحيوانيته إلى أقصى مداها ، وجعلت بينه وبين خالقه من الحواجز ما أصل في نفسه الكفر والحدود والمروق والتعالي على الله تعالى وهو الذي خلقه .

إن المناذاة من على منابر المؤتمرات العالمية بزواج الرجل بالرجل ، والمرأة بالمرأة ، وفتح الباب على مصراعيه للإباحية الجنسية العارمة ، وإن انتشار المخدرات ، وتعاطي المسكرات في زمن يوصف بأنه زمن ثورة العلم وانفجار المعرفة والتقدم التقني ، هو من أبرز الأدلة على كلام الإمام ابن كثير — رحمه الله — في منع هؤلاء المتكبرين من فهم الحجج والأدلة الدالة على عظمة الله تعالى ، وعظمة شريعته وأحكامه فأذهم الله بالجهل ، وصرف قلوبهم عن الهدى والرشاد ، فكانت حياتهم مسرحا للعبث الذي لا يكاد يصدقه عاقل ، لولا أنه واقع في حياة المتكبرين على دين الله وشرعه ، ولا يحجب الشمس في رابعة النهار — ليس دونها سحب ولا قتر — إلا مكابر .

### خاصا : اتباع الهوى

معناه في اللغة : ذكر الجوهري — رحمه الله — في مادة ( هوى ) قوله : " الهوى مقصور :

هوى النفس . . . وهذا الشيء أهوى إلي من كذا : أي أحب إلي " (٢) : وقال ابن منظور —

رحمه الله — : " وقوله تعالى : ﴿ وَأَفْءَدْتُهُمْ هَوَاءً ﴾ أي لا عقول لهم " (٣) وقال

(١) سعود البشر ، السقوط من الداخل ، ص ٨٥

(٢) الجوهري ، الصحاح ، ج ٦ ص ٢٥٣٧ — ٢٥٣٨

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٥ ص ٣٧٠



الرازي: " كل حال هواء " (١) وقال الفيومي: " والهوى مقصور مصدر هويته . . . إذا أحببته وعلقت به ، ثم أطلق على ميل النفس وانحرافها نحو الشيء ثم استعمل في ميل مذموم ، فيقال : اتبع هواه ، وهو من أهل الأهواء " (٢)

**معناه في الاصطلاح :** عرفه المناوي — رحمه الله — بقوله : " الهوى : ميل النفس إلى ما تستلذه من الشهوات . . . وقال الحرالي : نزوع النفس لسفل شهواتها " (٣) وقال ابن زكريا الأنصاري رحمه الله : " الهوى : ميل القلب إلى ما يستلذ به " (٤)

**معناه في مراد الباحث :** ميل النفس إلى مرغوب ، تمجحه الفطرة ، وتأباه الفضيلة وينكره العقل ، ولا يقبله الوحي ، سواء كان هذا المرغوب قولاً ، أم فعلاً ، ظاهراً أم باطناً .  
**موقف القرآن الكريم من الهوى :**

تتبع الباحث المفردة اللغوية ( هوى ) بمشتقاتها في القرآن الكريم فوجدها تكررت في عشرات المواطن ، وكلها وردت في موطن الدم ، فإن الهوى مقرون بالنفس الإنسانية ، والنفس الإنسانية مرتبطة — على كل أحوالها — بالضعف والقصور ، كما قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ

يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ (٥)

كما أنها لا تنفك عن الخطأ ، والوقوع في المآثم ، إلا من عصمه الله من الأنبياء والملائكة ، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : (( كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون )) (٦)

ومع أن الله — سبحانه — قد علم ضعف الإنسان وقصوره ووقوعه في الخطأ ، فقد حذره من اتباع الهوى المضل ، ولو لم يكن لهذا التحذير أثر في حياة الناس لكان الأمر به عبثاً ، والله تعالى منزّه عن أن يأمر بالعبث ما دام أن له الكمال المطلق .

وقد حذر المولى — سبحانه — أنبياءه من الهوى في مواطن كثيرة منها تحذيره — سبحانه —

لنبيه داود — عليه السلام — في قوله تعالى : ﴿ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي

(١) الرازي ، مختار الصحاح ، ص ٦٢٤

(٢) الفيومي ، المصباح المنير ، ص ٢٤٦

(٣) المناوي ، التعريف ، ج ١ ص ٧٤٤

(٤) ابن زكريا الأنصاري ، الحدود الأنيقة ، ج ١ ص ٦٧

(٥) — [سورة النساء: الآية ٢٨]

(٦) رواه أبو داود في سننه ، والحديث صحيحه الألباني — رحمه الله — في صحيح سنن الترمذي ج ٢ ص ٣٠٥ حديث رقم

الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ  
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ  
شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ (١)

والتأمل في الآية الكريمة يجد أن اتباع الهوى هو سبب الإضلال ، وأن علاج هذا الضلال يكمن في تذكر  
يوم الحساب ، وما يكون فيه من الجزاء والحساب .

كما حذر المولى سبحانه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن اتباع أهواء القوم الضالين فقال  
سبحانه : ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ

اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٥١﴾ (٢)

فكان جوابه صلى الله عليه وسلم لأمر ربه واضحا جليا حينما قال لقومه : ﴿ قُلْ لَا

أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥١﴾ (٣)

كما حذر المولى سبحانه عباده المؤمنين عن اتباع الهوى فقال : ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا

الْهَوَىٰ ۚ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْتُمْ أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانِ بِمَا تَعْمَلُونَ

خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ (٤) وذلك لأن اتباع الهوى سبب من أسباب الظلم والجور في القسمة وهضم

حقوق الناس ونجسهم أشياءهم .

(١) - [سورة ص: الآية ٢٦]

(٢) - [سورة الرعد: الآية ٣٧]

(٣) - [سورة الأنعام: الآية ٥٦]

(٤) - [سورة النساء: الآية ١٣٥]

كما مدح الله تعالى من ينهى نفسه عن هواها المضل ، ووعده بالجنة ، فقال جل ثناؤه : ﴿

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤١﴾ فَإِنَّ  
الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴿١﴾

وذم الذي يتبع هواه بغير هدى من الله ، ونهى عن طاعته والسير في ركابه فقال تقدست أسماؤه

: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ  
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ

فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴿٢﴾

ونفر من اتباع الهوى باعتباره مسلك الظالمين فقال سبحانه : ﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ

ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ  
نَّاصِرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴿٣﴾

ويعين أن مآل من اتبع أهل الهوى هو الردى والهلاك فقال سبحانه : ﴿ فَلَا يَصُدُّكَ

عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿٢٨﴾ ﴿٤﴾

كما بين سبحانه أن الهوى يكون إلهًا يعبد حين يسير صاحبه في دروب الغواية التي لا يؤيدها

عقل ولا نقل فقال جل ثناؤه : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ

(١) - [سورة النازعات: الآيات ٤٠-٤١]

(٢) - [سورة الكهف: الآية ٢٨]

(٣) - [سورة الروم: الآية ٢٩]

(٤) - [سورة طه: الآية ١٦]

عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً  
فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴿١﴾

وبين سبحانه أنه لا أحد من المتبعين أضل ممن اتبع هواه فقال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ

مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
الظَّالِمِينَ ﴿١٠١﴾ ﴿٢﴾

لقد تعددت أساليب القرآن الكريم في التحذير من الهوى المضل تارة بالنهي عنه ، وتارة بالنهي  
عن اتباع أهل الأهواء ، وتارة بمدح ما يجانب فعالهم ، وتارة بدم من يسير في ركابهم ، وتارة  
بالتهيب ، وتارة بالترغيب ، وتارة بالتنفير ، إلى غير ذلك .

وكل هذا لما لاتباع الهوى من الأثر الخطير في صد الناس عن الحق ، وما يعقب ذلك من الضلال  
والانحراف ، وما يورثه من الجهل والعدوان ، وما يفرق به وحدة القلب ، وما يمزق من أواصر  
المودة .

إنه يعمي عن الحق ويصم ، ويميز المحاسن ، ويتجاهل المساوئ ، وهي سمة لا يصلح أن تكون  
لمن ينتهج التفكير العلمي الذي يتعامل من المحاسن والمساوئ بميزان الشرع المطهر ، ولهذا قال  
بعضهم بتأثير الهوى الذي يعمي ويصم : ﴿٢﴾

وكذبت طرفي فيك والطرف صادق وأسمعت أذني فيك ما ليس تسمع  
إن اتباع الهوى من أكبر معوقات التفكير العلمي لأنه يحول بين الإنسان وبين الاستجابة لأمر الله  
الذي خلقه ، وهو ما جاء واضحا في قوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ

فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ  
هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴿٣﴾

﴿١﴾ - [سورة الجاثية: الآية ٢٣]

﴿٢﴾ - [سورة القصص: الآية ٥٠]

﴿٣﴾ العظيم آبادي ، عون المعبود ، ج ١٤ ص ٤٠

﴿٤﴾ - [سورة القصص: الآية ٥٠]

قال صاحب الظلال — رحمه الله — في ظلال هذه الآية: "إن الحق في هذا القرآن ليّين ، وإن حجة هذا الدين لو واضحة ، فما يتخلف عنه أحد يعلمه إلا أن يكون الهوى هو الذي يصده ، وإهما لطريقان لا ثالث لهما : إما إخلاص للحق ، وخلوص من الهوى ، وعندئذ لا بد من الإيمان والتسليم ، وإما ممارسة في الحق واتباع الهوى فهو التكذيب والشقاق ، ولا حجة من غموض في العقيدة ، أو ضعف في الحجة ، أو نقص في الدليل ، كما يدعي أصحاب الهوى المغرضون " (١) ولهذا كان بعض أهل العلم يسأل الله تعالى أن يهديه لما اختلف فيه من الحق ، وأن يعيده من اتباع الهوى ، وقد نقل ابن أبي عاصم — رحمه الله — كلاما لبعض أئمة السلف يقول فيه: "اللهم اعصمني بكتابك وسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم من اختلاف في الحق ، ومن اتباع الهوى بغير هدى منك ، ومن سبيل الضلال ، ومن شبهات الأمور ، ومن الزيغ والخصومات " (٢) وهذا تأويل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه: (( اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم )) (٣) والحديث تأويل قوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ كَانَ النَّاسُ

أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اختلفُوا فِيهِ وَمَا اختلف فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اختلفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ

يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ (٤)

وقد ذكر بعض أهل العلم أن لاتباع الهوى أمارات وعلامات منها:

- ١- الرغبة في الدنيا والانقطاع إليها ، والغفلة عن الآخرة ، وقد ذكر ابن أبي شيبة — رحمه الله — في مصنفه كلاما لوهب بن منبه — رحمه الله — قال فيه: "أعون الأخلاق على الدين الزهادة في الدنيا ، وأوشكها ردى اتباع الهوى ، ومن اتباع الهوى الرغبة في الدنيا ، ومن

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٥ ص ٢٦٩٩

(٢) ابن أبي عاصم ، كتاب الزهد ، ج ١ ص ٣٦٤

(٣) مسلم ، صحيح مسلم ، ص ٣٠٤ ، حديث رقم (٧٧٠)

(٤) - [سورة البقرة: الآية ٢١٣]

الرغبة في الدنيا حب المال ، ومن حب المال والشرف استحلال المحارم ، ومن استحلال

المحارم غضب الله ، وغضب الله الداء الذي لا دواء له إلا رضوان الله " (١)

٢- العجلة ، فقد أورد البيهقي - رحمه الله - كلاما لأبي عثمان - رحمه الله - قال فيه :

والعجلة اتباع الهوى ، والرفق اتباع السنة " (٢) ولعله - رحمه الله - يقصد بالعجلة ،

التسرع في الأمور ، والخفة في اتخاذ المواقف ، والتي غالبا ما تتبع عن هوى في النفس ،

وميل في القلب .

٣- عدم قبول النصيحة ، فقد ذكر العظيم آبادي - رحمه الله - كلاما لابن حجر - رحمه

الله - قال فيه : " فإن الذي يسترسل في اتباع هواه لا يبصر قبح ما يفعله ، ولا يسمع نهي

من ينصحه " (٣)

٤- استيلاء الشيطان على صاحب الهوى ، وهو ما أكده المناوي - رحمه الله - بقوله :

وأكثر القلوب قد افتتحها جند الشيطان وملكوها ، ومبدأ استيلائه اتباع الهوى ، ولا يمكن

فتحها بعد ذلك إلا بتخلية القلب عن قوت الشيطان " (٤)

٥- الإعراض عن الهدى بعد ما يتبين ، وهو ما ذكره الخطيب البغدادي - رحمه الله - حين

نقل كلام أبي نواس الشاعر المعروف ، وهو يقول : " أية نار قدح القادح ، ونصف جد

بلغ المازح ، لله در الشيب من واعظ وناصح لو حذر الناصح ، يأبي الفتى إلا اتباع الهوى

ومنهج الحق له واضح ، فاعمد بعينيك إلى نسوة مهورهن العمل الصالح ، لا يجتلي العذراء

من خدرها إلا امرؤ ميزانه راجح ، من اتقى الله فذلك الذي سيق إليه المتجر الرباح ، فاغد

فما في الدين أغلوطة ورح بما أنت رائح " (٥)

٦- الفساد في الأرض ، والسعي الحثيث لصد الناس عن الهدى بعد إذ جاءهم من ربهم : " ومل

نجم الفساد في الأرض إلا من الدينونة لغير الله ، وما يتبع هذا من شر في حياة الناس في

كل اتجاه ، شر اتباع الهوى في النفس والغير ، وشر قيام أرباب أرضية تفسد كل شيء

لتستبقي ربوبيتها المزيفة ، تفسد أخلاق الناس وأرواحهم وأفكارهم وتصوراتهم ، ثم تفسد

مصالحهم وأموالهم في سبيل بقائها المصطنع الزائف " (٦)

(١) ابن أبي شيبة ، مصنف ابن أبي شيبة ، ج ٧ ص ١٨٤

(٢) ابن أبي شيبة ، مصنف ابن أبي شيبة ، ج ٥ ص ٣٤٨

(٣) العظيم آبادي ، عون المعبود ، ج ١٤ ص ٣٨

(٤) المناوي ، فيض القدير ، ج ٢ ص ٣٥٥

(٥) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ٧ ص ٤٤١

(٦) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٣ ص ١٧٩٤

## • خامسا : اتباع الظن •

**معناه في اللغة :** قال الفيروزآبادي — رحمه الله في مادة (ظن) : "الظنة بالكسر : التهمة ، والظنين : المتهم ، وأظنته : عرضته للتهمة . . . . وقد يوضع الظن موضع العلم " (١)

**معناه في الاصطلاح :** قال المناوي — رحمه الله — : "الظن : الاعتقاد الراجح مع استعمال النقيض ، ويستعمل في اليقين والشك " (٢) والشك منه وصفه الطبري — رحمه الله — بأنه : " ما يكون بمعزل عن العلم " (٣) وقال الزرقاني — رحمه الله — في شرحه : "الظن : تهمة تقع في القلب بلا دليل (٤)

وقد ذكر القرطبي — رحمه الله — أن بعض النحاة يقولون : "العرب تجعل الظن علما وشكاً وكذبا ، وقال : إذا قامت براهين العلم فكانت أكثر من براهين الشك فالظن يقين ، وإذا اعتدلت براهين اليقين وبراهين الشك فالظن شك ، وإذا زادت براهين الشك على براهين اليقين فالظن كذب " (٥)

والتلازم واضح بين المعاني اللغوية والاصطلاحية للظن ، فإن الحديث عن الناس بغير علم ، ومن خلال الشك ، تعد تهمة غير مقررة في الإسلام ، وصاحبها مأزور حين يفعل ذلك .

**معناه في مراد الباحث :** لا يقصد الباحث بالظن هنا : اليقين ، ولا يقصد به الظن أو غلبته التي تناط به الأحكام الشرعية ، وإنما مراده من الظن : تلك التوهّمات والتخرصات والتخييلات التي لا تقوم على دليل ، وإنما منشؤها التصورات الخاطئة ، والاعتقادات الباطلة ، والأحكام الزائفة .

**موقف القرآن الكريم من الظن :**

ورد الظن في كتاب الله الكريم في مواضع كثيرة ، تارة بمعنى العلم كما في قوله تعالى : ﴿

حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَيْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

(١) الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص ١٥٦٦

(٢) المناوي ، التعريف ، ج ١ ص ٤٩٢

(٣) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ج ١ ص ٣٧٦

(٤) الزرقاني ، شرح الزرقاني ، ج ٤ ص ٣٣٠

(٥) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٢ ص ٦

﴿ ٢٤ ﴾ ﴿ ١ ﴾ أي تيقنوا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَرَعَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا

أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ ﴿ ٢ ﴾ قال القرطبي - رحمه

الله - في معنى الظن : " اليقين والعلم " ﴿ ٣ ﴾

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيَّةٍ ﴾ ﴿ ٤ ﴾ قال ابن كثير -

رحمه الله - : " أي : قد كنت موقنا في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة " ﴿ ٥ ﴾

وتارة يأتي الظن مرادا به الدعوة إلى إصلاح باطن الإنسان ، وتصفية نفسه من اتمام الآخرين ، كما في

قوله تعالى : ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا

وَقَالُوا هَذَا أَفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ ﴿ ٦ ﴾

وتارة يأتي الظن بمعنى الإنكار كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً

وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ ﴿ ٧ ﴾

والظن الذي يقصده الباحث هو شحن النفس بالتخيلات والتصورات الخاطئة التي لا تقوم على دليل ، وجعلها مرتكزا للإيمان ، وبناء الأفكار وإصدار الأحكام ، واتخاذها معيارا للحكم على الأشياء ، وميزانا لاتخاذ المواقف .

وقد جاءت الآيات في كتاب الله تعالى تترا في ذم هذا النوع من الظن وتحريمه ، والنهي عن اتخاذه وسيلة للمعرفة ، وقد تعددت أساليب القرآن الكريم في النهي عن اتباع الظن ، تارة

بالنهي الصريح كما في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ

الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ ﴿ ٨ ﴾ وتارة بزم المتبعين للظنون كما في قوله تعالى :

﴿ ١ ﴾ - [سورة يونس: الآية ٢٤]

﴿ ٢ ﴾ - [سورة الكهف: الآية ٥٣]

﴿ ٣ ﴾ - [القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١١ ص ٣]

﴿ ٤ ﴾ - [سورة الحاقة: الآية ٢٠]

﴿ ٥ ﴾ - [ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ص ٤٩٠]

﴿ ٦ ﴾ - [سورة النور: الآية ١٢]

﴿ ٧ ﴾ - [سورة الكهف: الآية ٣٦]

﴿ ٨ ﴾ - [سورة الحجرات: الآية ١٢]



﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾

﴿ ١٥٧ ﴾ (١) وتارة بوصف الأكثرية من الهمج الرعاع باتباع الظن كما في قوله تعالى ﴿

﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٢) ﴿ ١٦٠ ﴾ (٣)

كما قرن المولى — سبحانه — في كتابه الكريم بين اتباع الظن واتباع الهوى فقال سبحانه عن

المشركين : ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴾ (٤) ﴿ ١٦٠ ﴾ (٥)

وفي اجتماعها يكون المراد باتباع الظن الجهل ، واتباع الهوى الظلم ، وهو ما أكده ابن تيمية — رحمه الله — حين وصف الفرقة الناجية بأنهم " لا يتبعون الظن وما تهوى الأنفس ، فإن اتباع الظن جهل ، واتباع هوى النفس بغير هدى من الله ظلم " (٦) كما وصف — رحمه الله — اتباع الظن والهوى بأنه من أشد الضلال فقال : " وأضل الضلال اتباع الظن والهوى " (٧) وقد ذكر ابن تيمية — رحمه الله — أن أكثر أسباب التفرق والاختلاف يكون بسبب اتباع الظن ، فقال : " فإن مواضع التفرق والاختلاف عامتها تصدر عن اتباع الظن ، وما تهوى الأنفس " (٨)

(١) - [سورة النساء: الآية ١٥٧]

(٢) - [سورة يونس: الآية ٣٦]

(٣) - [سورة النجم: الآية ٢٣]

(٤) ابن تيمية ، الفتاوى ، ج ٣ ص ٣٤٨

(٥) ابن تيمية ، الفتاوى ، ج ٣ ص ٣٨٤

(٦) ابن تيمية ، الفتاوى ، ج ١٢ ص ٢٣٧

كما ذكر ابن تيمية — رحمه الله — أن اتباع الظنون والأوهام وهوى الأنفس قد ينحرف ببعض العباد والفقهاء عن الجادة حين يستحكم الهوى من النفس فيتبع الإنسان ظنه من غير يقين ، وفي هذا يقول — رحمه الله — حول اختلاف أهل العلم من الفقهاء في بعض العبادات الظاهرة : " حتى يصير كثير منهم مدينا باتباع الأهواء في هذه الأمور المشروعة ، وحتى يصير في كثير من المتفكحة والمتعبدة من الأهواء من جنس ما في أهل الأهواء الخارجين عن السنة والجماعة (١) .

### • سادسا : التأثير الجماهيري •

التأثير الجماهيري مصطلح جديد في عرف المتقفين ، يقصدون به تأثير العامة والغوغاء من الناس على فكر الإنسان وقراراته وأحكامه وسائر تصرفاته أو بعضها ، وقد يستخدمون في ذلك أساليب متنوعة ، تارة بإثارة العواطف في حال المودة والشنآن ، وتارة بإثارة الحماس غير المنضبط ، وتارة بالتخدير المعنوي الذي يقف عند الأشكال ولا يلج إلى المضامين ، وتارة بإحداث الصخب والتشويش الذي يفقد الإنسان معه قدرته على التفكير المتأني ، وتارة بتحويل الوسائل إلى غايات ، والغايات إلى وسائل ، وتارة بحصر التفكير في الإنجاز العاجل دون النظر في العواقب ، وتارة بالتهويل والبالغة ، إلى غير ذلك .

وقد ورد في كتاب الله تعالى ما يؤكد على ضرورة الانضباط العلمي عند اتخاذ القرار ، أو إصدار الأحكام ، وعدم الالتفات إلى المشوشين ، الذي يشوشون على الإنسان بكل وسيلة ، وسمى ذلك استخفافا لا يليق بالعاقل ، فمن ذلك ما أمر الله — سبحانه — به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ

### الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿١﴾ ﴿٢﴾

ووصف — سبحانه — قوم فرعون الهوج ، بأنهم كانوا خفيفي الأدمغة ، ناقصي العقول ، حين استخفهم رأس الضلالة فأطاعوه ، من غير أن يفكروا في المصير ، وفي هذا يقول المولى سبحانه : ﴿ فَاسْتَخَفَّ

### قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِقِينَ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾

فكان سبب استخفاف فرعون بهم فسقهم وفجورهم وانغماسهم في الشهوات المحرمة وعلى رأسها الكفر بالله تعالى .

(١) ابن تيمية ، الفتاوى ، ج ٢٢ ص ٣٥٧

(٢) — [سورة الروم: الآية ٦٠]

(٣) — [سورة الزخرف: الآية ٥٤]

ويقول القرطبي — رحمه الله — : " قال ابن الأعرابي : فاستجهل قومه فأطاعوه لخفة أحلامهم ، وقله عقولهم ، يقال استخفه الفرخ : أي أزعجه ، واستخفه : أي حمه على الجهل ٠٠٠ وقيل استفزههم بالقول فأطاعوه على التكذيب ، وقيل استخف قومه : أي وجدهم خفاف العقول " (١) وقال ابن كثير — رحمه الله — : " إن قوما صدقوه في قوله : أنا ربكم الأعلى من أجهل خلق الله وأضلهم " (٢) وقيل :

لا يجهلنك على الخفة والطيش بترك الصبر " (٣)

وإذا كان هذا هو حال المتبوع مع التابعين في كونه يستخف عقولهم ، ويدلس عليهم ، ويمارس معهم أساليب الاستخفاف المتنوعة ترغيباً أو ترهيباً ، فإن التابعين في بعض الأحيان يمارسون هذا الأسلوب مع المتبوع ، وغالباً ما يكون ذلك بالمدح والإطراء وهويل المنجزات ، وتفخيم المواقف ، وتمجيد البطولات ، وقد لا يكون وراء ذلك من الأمر شيء ، وليس ذلك إلا لكسب الخطوة ، وقرب المنزلة ، سعياً وراء متع دنيوية تستجلب بالنفاق ، وتستدر بالكذب .

إن للجماهير تأثيرها على المواقف واتخاذ القرارات ، وإن الضغط الاجتماعي ربما كان سبباً من أسباب صرف الإنسان عن التفكير العلمي المنضبط فيقع الإنسان فريسة للعواطف الجماهيرية الغوغائية التي تقف عند تحقيق الرغبات ، والفوز بالمطالب ، ولو كانت مهلكة .

ولكن الذي يقع تحت هذا الضغط الجماهيري فقام من الناس ، لم يتلقوا حظهم الوافر من التربية الجادة ، التي تعالج الأمور من خلال خطوات مدروسة تنظر في الحثيات ، وتراعي الأولويات ، وتسير أغوار الأمور ، وتبحث عن العلاقات غير المباشرة عند معالجة المشكلات ، جاعلة نصب عينيهامراعاة المصالح والمفاسد ، إذ ما من قرار يصوغه البشر إلا كان له سلبياته وإيجابياته ، لكون ذلك مرتبط بقصور الإنسان وضعفه .

ولعل من أبرز مظاهر التربية غير الجادة ، التي لم تقم على منهجية علمية عمادها البرهان ، ومعيارها الدليل ، ما كانت تفعله الجماهير الغوغائية الكافرة وهي تسمع القرآن الكريم يتلى عليها في شعاب مكة ، فكانت تستبدل الإنصات والفهم والتحليل والتدقيق والمقارنة ومن ثم القبول أو الرد بالصخب والصياح وسد الآذان لئلا يصل القرآن إلى الآذان ومن ثم إلى القلوب .

(١) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٦ ص ١٠١

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ص ٣٠١

(٣) المحلى والسيوطي ، تفسير الجلالين ، ج ١ ص ٥٣٩

وقد وصف الله — جل جلاله — حال هؤلاء الغوغائيين في أسلوبهم الممحى الذي ينم عن عقلية مريضة ،  
ونفسية مضطربة ، فقال سبحانه : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ

وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ﴾ (١)

قال الرازي — رحمه الله — في معنى اللغو في الآية : " أي تشاغلوا عن قراءته برفع الأصوات  
بالخرافات والأشعار الفاسدة والكلمات الباطلة ، حتى تخلوا على القارىء وتشوشوا عليه وتغلبوا  
على قراءته " (٢)

وقال ابن كثير — رحمه الله — في معنى الآية : " أي : تواصلوا فيما بينهم ألا يطيعوا القرآن ، ولا  
ينقادوا لأوامره ٠٠٠ [ ثم نقل عن مجاهد قوله في معنى : والغوا فيه ] : " يعني بالمكاء والصفير  
والتخليط في المنطق على رسول الله صلى الله عليه وسلم " (٣)

وفي ظلال الآية الكريمة يقول صاحب الظلال — رحمه الله — : " وهي مهاترة لا تليق ، ولكنه  
العجز عن المواجهة بالحجة ، والمقارعة بالبرهان ، ينتهي بالمهاترة عند من يستكبر عن الإيمان ،  
ولقد كانوا يلغون بقصص اسفنديار كما فعل مالك بن النضر ، ليصرف الناس عن القرآن ،  
ويلغون بالصياح والهرج ، ويلغون بالسجع والرجز ، ولكن هذا كله ذهب أدراج الرياح وغلب  
القرآن ، لأنه يحمل سر الغلب ، إنه الحق ، والحق غالب مهما جهد المبطلون " (٤)

والحق أنها صورة في غاية الغرابة ، صورة إنسان جاء بحقائق مؤيده بالدليل والبرهان ، ليعرضها  
على الناس ، فلا يجد الخصم حيلة يرد بها هذه الحقائق إلا الالتفاف حول القارىء ، ورفع  
الصوت بالصراخ والصياح لئلا يسمع الناس ما جاء به !!! أي سخر في العقول أعجب من  
هذا ؟ !!! أين الحجج والبرهان ؟ !!! وأين الفصاحة والبيان ؟ !!! ولم اللجوء إلى هذه الأساليب  
الغوغائية ؟ !!! وهل هذه الأساليب — فعلا — ستمنع الناس عن السماع ؟ !!! بل أليست هذه  
الأساليب دالة على قوة التأثير ، يدل على ذلك أن الخوف وصل بالأعداء المتربصين إلى محاولة  
صد الناس عن سماعه بالتهريج ورفع الصوت ؟ !!! أليس المتأمل الواعي حين يشاهد هذا المنظر ،  
يقول في نفسه : إلى هذا الحد يجانفون من سماع الناس للقرآن ؟ !!!

(١) - [سورة فصلت: الآية ٢٦]

(٢) الرازي ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ج ٢٧ ص ١٢٠-١٢١

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ص ١١٥

(٤) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٥ ص ٣١٢٠

لقد كانت هذه الأساليب سببا في حرص الناس على سماعه ولو في الخفاء ، فلما قرع القرآن العظيم آذانهم هز القلوب من دواخلها ، فأقبل على التسليم له وبه أولو الألباب ، أما المحرمون فقد سلكه الله في قلوبهم فلا يؤمنون به ، وقد مضت سنة الأولين .  
 إن المسلم لا يعرف مثل هذه الأساليب ، إن معه ميزان إلهي رباني يزن به الأمور ، فما كان حقا قبله ، وما لا فلا .

إنه ثابت في فؤاده ، رزين في مواقفه ، مثبت في أحكامه ، لا يميل مع المودة والشنآن ، من غير دليل ولا برهان ، ولا تستثيره عواطف الآخرين ، ولا تشويشات المضللين ، إنه يسير أغوار الأمور ، ويتحرى الصدق والموضوعية والدليل ، حتى وإن كان بصدد مواجهة الخصوم ، لأنه ينطلق من قاعدة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

(١)

إنه موطن يسري فيه بغض الكافر في الدم والعروق ، ما دام أن لهذا البغض ما يبرره ، وهو حكم الله الخالق العليم ، وهو أمره وشرعه ، إنه موطن يتوقع معه الظلم والاعتداء والميل — في الأحكام وسائر التصرفات — مع الشنآن حيثما مال ، فيأتي التوجيه الإلهي الكريم بتحري العدل في أنقى صورته ، وأعظم مواقفه ، ويجرم أن يكون البغض سببا في الاعتداء ، مع استخدام الأسلوب التربوي المناسب في ختام الآية ، وهو التهيب من الظلم والاعتداء ولو كان الخصم كافرا .

" لقد كانت هذه قمة في ضبط النفس والسماحة يرفعهم إليها بمنهجه التربوي الرباني القويم ، فهاهم أولاء يnehون أن يحملهم الشنآن أن يميلوا عن العدل ، وهي قمة أعلى مرتقى وأصعب على النفس وأشق ، فهي مرحلة وراء عدم الاعتداء والوقوف عنده ، تتجاوز إلى إقامة العدل مع الشعور بالكره والبغض . . . وما من عقيدة أو نظام في هذه الأرض يكفل للأعداء المشنوثين كما يكفله لهم هذا الدين ، حين ينادي المؤمنون بأن يقوموا لله في هذا الأمر ، وأن يتعاملوا معه متجردين من كل اعتبار " (٢)

(١) - [سورة المائدة: الآية ٨]

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٢ ص ٨٥٢

إن هذا التوجيه الرباني للمسلم جاء لكونه يحمل للبشرية كلها رحمة عامة شاملة ، لم يحدد معالمها إنسان ، ولم يصنع قرارها إنس ولا جان ، إنما هي تنزيل من الله الكريم المنان ، العالم بما يصلح عباده وما يصلح لهم ، ومن كانت هذه حاله لم تؤثر في تحديد أهدافه ووسائله ومنهجته عواطف الآخرين مهما كانت قوة إثارتهما ، ما دامت عارية عن الحججة والبرهان .

### • سابقا : الجدال من أجل الانتصار للمواقف المسبقة •

**معناه في اللغة :** ذكر الجوهري — رحمه الله — في مادة ( جدل ) قوله : " جادله : أي خاصمه . . . والجدل شدة الخصومة . . . و غلام جادل : مشتد ، وجدل الحب في سنبله : قوي " (١) وقال الفيروز آبادي — رحمه الله — : " والجدل — محركة — شدة الخصومة والقدرة عليها " (٢) وقال ابن فارس — رحمه الله — : " الجيم والبدال واللام أصل واحد ، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه ، وامتداد الخصومة ، ومراجعة الكلام " (٣)

**معناه في الاصطلاح :** يرى الباحث أنه من الصعب أن يعطي الإنسان تعريفا واحدا محدد للجدال ، وذلك بسبب اختلاف العلوم والفنون التي عادة ما تحدد مرادها من الجدال كعلم الفقه والأصول والكلام وغير ذلك .

ولكن لا مانع أن يبين الباحث معنى الجدال اصطلاحا من خلال ما ذكره بعض أهل العلم ، فقد عرفه المناوي — رحمه الله — بأنه : " مقابلة الحججة بالحجة " (٤) ولعله يقصد بذلك الجدال الذي مدحه الله في كتابه الكريم ، وهو الجدال بالحق ، وقال ابن حزم رحمه الله : " الجدال والجدال والمجادلة : مقابلة الحججة بالحجة ، وتكون بحق وباطل ، فإن كان للوقوف على الحق كان محمودا . . . وإن كان في مرافعة أو كان جدالا بغير علم كان مذموما . . . وسمي جدلا لأن كل واحد منهما يحكم خصومته وحجته إحصاما بليغا على قدر طاقته تشبها بجدل الخيل ، وهو إحصام فتله " (٥)

وقد فرق العلماء بينه وبين المناظرة ، فقالوا : الجدال يكون غالبا في الباطل وبالباطل ، لكون كل مجادل يروم قهر صاحبه وغلبته وفتله عن الصواب ، والمناظرة يراد منها : النظر بالبصيرة من الطرفين المتناظرين بغية إظهار الصواب (٦)

(١) الجوهري ، الصحاح ، ٤ د ص ١٦٥٣

(٢) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ص ١٢٦١

(٣) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ج ١ ص ٤٣٣

(٤) المناوي ، فيض القدير ، ج ٤ ص ٥٦

(٥) ابن حزم ، تهذيب الأسماء ، ج ٣ ص ٤٥

(٦) الجرجاني ، التعريفات ، ١٢١

على أن بعض العلماء لم يفرق بين المصطلحين — الجدل والمناظرة — وهو ما أكده الجويني —  
رحمه الله — في قوله: " لا فرق بين المناظرة والجدال والمجادلة والجدل في عرف العلماء بالأصول  
والفروع " (١)

والجدال والمناظرة قد يكونان في الحق ، وقد يكونان في الباطل ، وإنما الذي يحدد المراد نية  
المجادل والمناظر .

معناه في مراد الباحث : الجدال بالباطل الذي يقصد منه الغلبة لصالح المواقف والأفكار  
المسبقة وإن خالفت الدليل .

موقف القرآن الكريم من الجدال :

وصف المولى — سبحانه — في كتابه الكريم الإنسان بأنه كثير الجدل ، فقال سبحانه : ﴿

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ  
أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ (٢)

وقد ذكر بعض المفسرين أن المراد بالإنسان هو الكافر خاصة ، فإنه كما يقول الطبري —  
رحمه الله — : " لا ينبى لحق ولا ينزجر لموعظة " (٣) وقال القرطبي — رحمه الله — : " المراد به  
النضر بن الحارث وجداله في القرآن . . . . . وقيل أبي بن خلف . . . . . والدليل على أنه أراد الكافر قوله  
: ويجادل الذين كفروا بالباطل " (٤)

والباحث يرى أن العبرة بعنوم اللفظ لا بخصوص السبب ، وأن الجدال يشمل كل إنسان  
سواء كان مسلماً أم كافراً ، غير أن جدال المسلم مختلف عن جدال الكافر ، فإن جدال المسلم يجب  
أن يكون لإحقاق الحق بالدليل والبرهان .

والجدال جبلة خلق الله — تعالى — الإنسان عليها ، خاصة في مواطن اللجاج والمخاصمات  
، وهو ما أكده بعض الباحثين بقوله : وقد خلق الله — تعالى — الإنسان ناطقاً مفكراً ، يتوارد عليه  
من الخواطر والمعلومات ما يجعله مدفوعاً — بالضرورة — إلى الإفضاء بها والإفصاح عنها ، وقد تشتد  
وتبرز أشد البروز في مواقف اللجاج والنقاش ، وتبادل الأفكار ، واحتكاك بعضها ببعض موافقة أو

(١) الجويني ، الكافية في الجدل ، ص ١٩

(٢) — [سورة الكهف: الآية ٥٤]

(٣) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ج ١٥ ص ٢٦٦

(٤) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١١ ص ٥

مخالفة أو برهنة أو معارضة أو تعلمًا أو تعليمًا ، إلى غير ذلك مما هو مرتكز في الفطرة الإنسانية ، وما

تستدعيه طبيعة النوع البشري من التعرف والتفاوت إدراكًا وعلما (١) .

وقد يكون الجدل من أجل البحث عن حكم إلهي ، أو توجيه رباني ، خاصة في زمن التشريع ، وهو ما حصل من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد روى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ولفاطمة رضي الله عنهما : (( ألا تصليان ؟ فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله ، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا ، فانصرف حين قلت ذلك ، ولم يرجع إلي شيئا ، ثم سمعته وهو مول يضرب فخذيه ويقول : وكان الإنسان أكثر شيء جدلا )) (٢) وقد يكون الجدل من المسلم عن جهل ، فإذا تبين له الحق وجب عليه اتباعه من غير كبر ولا تعصب ، فإن الحق أحق أن يتبع .

وقد يتعدى الجدل حدود الحياة الدنيا إلى الآخرة ، حين يجادل العبد ربه يوم القيامة ، وهو ما أكدته حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( أضحك من مجادلة العبد ربه يوم القيامة )) (٣)

وهو ما جاء واضحا في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ

نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهَمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٤)

وقد جاء الجدل في القرآن الكريم — بمعنى مقابلة الحجة بالحجة سواء كان ذلك حقا أو

باطلا — على قسمين :

القسم الأول : جدال متضبط في غاياته ووسائله ، وهو الجدل البالي هي أحسن ، بغية هداية الناس إلى الخير ، وهو ما جاء التوجيه الرباني يجعله منهجا عند عرض الحق على الآخرين ،

كما في قوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

(١) الألعى ، مناهج الجدل في القرآن الكريم ، ص ٢٧٦ — ٢٧٧ بتصرف .

(٢) البخاري ، صحيح البخاري ، ص ٢٢٣ حديث رقم ( ١١٢٧ ) . وهو في مسلم برقم ( ٧٧٥ ) .

(٣) الحاكم ، المستدرک على الصحيحين ، ج ٤ ص ٦٤٤ وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه .

(٤) - [سورة النحل: الآية ١١١]



وَجَدَلْتَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ  
 وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ (١)

القسم الثاني : جدال منحرف في غاياته ووسائله ، وهو الجدال بالباطل ، وقد أشار القرآن  
 الكريم إلى أن هذا النوع من الجدال سمة الكفار الذي لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، بغية صد أنفسهم  
 وصد الناس معهم عن الخير ، كما قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ  
 وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا  
 بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿١٢٥﴾ (١)

وهم يجادلون من غير دليل ولا برهان ولا سلطان ، كما قال تعالى عنهم ﴿  
 الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ  
 اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ  
 جَبَّارٍ ﴿١٢٥﴾ (٢)

وهي سمة المتكبرين الجبارين الذين طبع الله على قلوبهم ، فيتمسكون بالأوهام ، وينكرون  
 الحق المؤيد بالدليل .

إن الجدال — ولو من المسلم — الذي لا يقوم على الحجة ولا البرهان مذموم في حق  
 صاحبه ، خاصة حين يكون الجدال بينه وبين مسلم آخر ، سيما إذا كان الجدال من أجل الانتصار  
 للمواقف المسبقة ، والأفكار المبيتة ، وهو صورة من صور الجدال بالباطل الذي يضمه صاحبه في  
 نفسه ، عندما يملأ قلبه بشحنات من الأفكار ، يجعلها هي الأساس ثم يعتمد بعد ذلك إلى الأدلة ،  
 ليدلل بها على ما آمن به من قبل ، وليست هذه منهجية علمية منضبطة ، فإن المنهجية المنضبطة أن  
 يكون الدليل هو الأصل الذي تبني عليها الأفكار والمواقف فما وافق الدليل قبل ، وما لا فلا .  
 إن الذي يقدمون المواقف على الأدلة ، ثم تأتي الأدلة على غير ما يريدون بلجئهم الكبر  
 والحسد ووسوسة إبليس — خوفاً من الهزيمة والتراجع — إلى إنكار الأدلة أو الطعن فيها ، أو لي

(١) - [سورة النحل: الآية ١٢٥]

(٢) - [سورة غافر: الآية ٥]

(٣) - [سورة غافر: الآية ٣٥]

أعناقها لتتوافق مع أهواءهم المبيّنة ، وشهواتهم المسيقة ، بمعنى أنهم لم يفرغوا أنفسهم من كل عاطفة أو فكرة ليس عليها دليل ، ثم يدخلوا إلى ساحة الجدال متسلحين بالدليل والبرهان ، ولكنهم يبتغون الشر قبل المجادلة ، فإن وجدوا ما يبتغون ما انطوت عليه نفوسهم الماكرة ، وعقلياتهم المتحجرة قبلوا ، وإن لم يجدوا فواحد من اثنين : إما أن يردوا الحق المؤيد بالدليل والبرهان ولا يقبلوه ، وهؤلاء هم المتكبرون الذي وعدهم الله تعالى بالنار يوم القيامة ، كما صح عنه صلى الله عليه وسلم من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، فقال أحد الصحابة : يا رسول الله الرجل منا يحب أن يكون ثوبه حسن ونعله حسن وأمن الكبر ذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم : الكبر بطن الحق وغمط الناس )) (١) وبطن الحق كما يقول النووي رحمه الله : " دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا " (٢)

وإما أن يلووا أعناق الأدلة لتتوافق مع أهوائهم وما أضمره من قبل ، وهذه صورة من صور معوقات التفكير العلمي المنضبط ، وهو منهج المنافقين الذين وصفهم الله بقوله في كتابه الكريم :

﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعَيْنَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمْ آرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (٣)

وهو حال أهل الكتاب الذين لا يملكون في مجال العقيدة والإيمان منهجية علمية منضبطة ، فقد وصفهم الله بقوله : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمْ

أَسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (٤)

لقد كانوا يستفتحون على الذي كفروا بقدم نبي يعث في آخر الزمن قد أظل زمانه ، وأهم سيؤون به وينتصرون به على أعدائهم ويقتلوهم قتل عاد وإرم ، وكانوا يتصورون أنه سيكون من نسل إسحق عليه السلام ، فلما جاء من نسل إسماعيل جد العرب — وهو محمد صلى الله عليه

(١) سبق تحريجه ، ص

(٢) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج ٢ ص ٤٤٩

(٣) - [سورة النور: الآيات ٤٨-٥٠]

(٤) - [سورة البقرة: الآية ٨٧]

وسلم — كفروا به ، وهو ما قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد وغيرهم (١) وفي هذا يقول تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٢)

لقد بيتوا أمر الإيمان بالنبي الذي سيبعث في آخر الزمن ، وكانوا يترقبون خروجه ، فلما خرج على غير ما تشتهيهِ نفوسهم ، مردوا على وعدهم ، وقد قال سلام بن مشكم أخو بني النضير : " ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكر لكم " (٣)

إن الجدل من أجل الانتصار للمواقف المسبقة التي لا تستند إلى دليل ، ولا تقوم على حجة لا يصلح في المنهجية العلمية الإسلامية ، لكونه يرسخ في الضمائر التعصب والاستكبار ، ويصد عن الحق ، ويورث ضيق الأفق ، ويجذر الجمود والتخلف ، فيخلق شخصية عاطفية لا تتسم بالعلمية ، ولا تصلح لحمل رسالة الإسلام العالمية القائمة على الدليل والبرهان .

وإن مما يؤكد عليه الإسلام أن الإنسان حين يجادل خصما ولو كان الجدال بالحق ، ولا يصل معه إلى نتيجة فإن ترك الجدال أولى ، وصاحبه مأجور عند الله تعالى ، موعود ببيت في وسط الجنة ، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( من ترك الكذب وهو باطل بني له في ربه الجنة ومن ترك المراء وهو محق بني له في وسطها ومن حسن خلقه بني له في أعلاها )) (٤)

### ثامنا : الهزيمة النفسية •

الهزيمة النفسية مصطلح معاصر يتكون من كلمتين : الهزيمة ، وتعني كما يقول الجوهري — رحمه الله — في مادة ( هزم ) : " التهزم : التكسر ، يقال : هُزم السقاء إذا يبس فتكسر . . . واهتزمت الشاة : ذبحتها " (٥)

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ص ١٥٧ وما بعدها . بتصرف

(٢) — [سورة البقرة: الآية ٨٩]

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ص ١٥٧

(٤) الترمذي ، سنن الترمذي ، ج ٤ ص ٣٥٨ حديث رقم ( ١٩٩٣ ) وقال حديث حسن .

(٥) الجوهري ، الصحاح ، ج ٥ ص ٢٠٥٨

وقال ابن منظور — رحمه الله — : "الهزم : غمرك الشيء : هزمه بيدك فينهزم في جوفه  
 كما تغمز القناة فتنهزم ٠٠٠ وهزم الشيء يهزمه هزما فاهزم : غمزه بيده فصارت فيه وقرة ٠٠٠  
 والهزيمة : ما تطامن من الأرض ٠٠٠ والهزائم : العجائف من الدواب ، واحدها هزيمة ٠٠٠ والهزم  
 المسان من المعزى ، واحدها : هزيمة ٠٠٠ والهزام : عود يُجعل في رأسه نار تلعب به صبيان  
 الأعراب " (١)

أما الكلمة الثانية التي يتكون منها مصطلح (الهزيمة النفسية) فهو النفس ، ومعناها في اللغة  
 كما يقول الجوهري — رحمه الله — : "الروح" (٢)

معناها في اصطلاح المعاصرين : يأتي هذا المصطلح بشقيه في اصطلاح المعاصرين ويراد به  
 : " شعور بالهوان والضعفة والعجز عن مجاراة الأعداء بله التفوق عليهم ٠٠٠ وقيل هي :  
 ذوبان في الشخصية ، وتحلل من التبعات ، ورخاوة في تناول شؤون الحياة ، وإخلال إلى الدعة  
 والسكون في ذلة وخور ، وإقبال على المتاع الغليظ ، يعب منه المهزوم فلا يكاد يفيق ، إنها ذل يعيش  
 في سويداء القلب ، ورضى بالدونية يجعل صاحبه لا يرفع رأسه ولا يفتح عينيه ، إنها واقع مريض  
 أسود ، يصم صاحبه بكل قبيح من الصفات التي يكفي منها أن تستبدل العبودية بالحرية ، أن يتحول  
 إلى ظل هازمه الذي ملأ عليه كل فراغ ، وسد عليه كل منفذ ، فلا يستنشق إلا الهواء الذي يستنشقه  
 هازمه الذي يسير في ركابه ، ويسيطر على عقله وقلبه وكيانه كله ، ولا يسلك إلا الطريق الذي  
 يسلكه ، ولا يرى إلا ما يراه ، ولا يسمع إلا ما يسمعه ٠٠٠ إنها تحول إلى نسخة ( كربونية ) — إن  
 صح التعبير — عن ذلك السيد الهازم المطاع " (٣)

ولعل التعبير عن هذا المصطلح في كلماته الأخيرة أبلغ في المراد وأعجز في المعنى ، فإن التعبير  
 كلما كان موجزا جامعا مانعا كلما كان أفضل وأكمل ، فاهزيمة النفسية صورة مكرورة للسيد الهازم  
 المطاع .

معنى الهزيمة النفسية في مراد الباحث : والمتأمل لهذه لكلمة (هزيمة) من خلال مشتقاتها  
 يرى أن تأتي بمعنى : الانكسار والذبح والتطامن والهزال واللعب .  
 (والنفس) تعني باطن الإنسان وشعوره القلبي ، وكلها معان تقترب من المعنى الذي يريده  
 الباحث ، وهو : انكسار وتطامن همة المسلم في سويداء قلبه ، ونظرتة إلى نفسه ومعتقده وأخلاقه  
 وقيمه ومبادئه وفكره وتراثه نظرة دوية ، وشعوره باستعلاء الآخرين — من أعدائه — عليه من

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٢ ص ٦١٠ — ٦١١

(٢) الجوهري ، الصحاح ، ج ٣ ص ٩٨٤

(٣) عبدالله الشبانه ، المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية ، ص ٤١ — ٤٢

خلال تفوقهم المادي ، وعدم شعوره بالقدرة على مواجهة الخصوم ، فكأنه الشاة التي توجه إلى القبلة لتذبح لا تملك من أمرها شيئا ، أو لكأنه لعبة في أيدي الصبيان يفعلون بها ما يشاؤون ، والجامع بين الأمرين : أن لا حول له ولا قوة .

والهزيمة النفسية غالبا ما ترتبط بالنظرة الدونية ، والتي غالبا ما ترتبط بقانون الغالب والمغلوب الذي ذكره ابن خلدون — رحمه الله — في مقدمته ، حيث يقول : " المغلوب مولع أبدا بالاعتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده ، والسبب في ذلك أن النفس أبدا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت له . . . وانظر ذلك في الأبناء مع آبائهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائما ، وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم . . . وتأمل في هذا سر قولهم ( العامة على دين الملك ) فإنه من بابه ، إذ الملك غالب على من تحت يده ، والرعية مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه اعتقاد الأبناء بآبائهم والمتعلمين بمعلمهم " (١)

### موقف القرآن الكريم من الهزيمة النفسية :

بما أن الهزيمة النفسية محلها القلب ، وأن القلب إذا ما سيئت تربيته ، سيئت تربيته بقية الجوارح ، وسيئت على أثر ذلك تربية الفرد والمجتمع ، وفقد الإنسان فاعليته وإنتاجيته في الحياة ، فقد كان أول عمل قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم في مهمته التزكوية الربانية الراشدة أن توجه إلى القلب دون بقية الجوارح فربطه بالله تعالى ، وأحسن توجيهه وتربيته على علم وبصيرة ، فقامت على أثر ذلك حضارة إنسانية إسلامية ما عرف التاريخ البشري لها مثيلا ، وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب )) (٢)

فكان لزاما أن تتوجه التزكية إلى القلب ، وهو أمر منطقي علمي ، تحتمه المنهجية الإسلامية في التربية .

وليس الباحث بصدد استعراض النصوص الشرعية التي خاطبت القلب ، وربطته بالله تعالى ، فأبدع في كل ميدان ، ولكن يكفي للتدليل على ذلك أن أمر الدعوة إلى العقيدة التي محلها القلب أخذ من الدعوة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام أكثر من نصف مدة الدعوة ، فقد ظل يؤسس العقيدة في النفوس ويربط القلوب بالله تعالى ثلاثة عشر عاما في مكة ، لكون المنهجية الإسلامية في

(١) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص ١٢٧

(٢) سبق تحريجه ، ص ٣٢

التربية تقتضي ذلك من جهة ، ولكون طبيعة المرحلة تقتضي ذلك من جهة أخرى ، بسبب اشتداد الكفر ووطأة أهله على المسلمين ، فكان لا بد من جهد تربوي يفوق هذا الجبروت الهادر من الطغيان المستبد ، حتى إذا ما نزلت الأوامر بعد ذلك والنواهي وجدت قلوبا مهياة فلا تتردد في قبول الحق ورفع الرأس به مهما كان في أنظار الناس صغيرا ، ولعل مما يؤكد ذلك تثبيت الله تعالى للمؤمنين بأنه الأعلون مهما تعرضوا له من ابتلاء ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ

الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١)

ولهذا لم يكن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون عن الأمر إذا نزل أهو للندب أو للوجوب ، كي يجحدوا في الندوب مندوحة لتركه ، ولم يكونوا يسألون عن النهي أهو للكرهية أو للتحريم ليحدوا في المكروه مندوحة لفعله ، وإنما كانوا يقومون بالأمر ويتركون النهي جملة وتفصيلا لعلمهم أن الله تعالى لا يأمر إلا بما فيه خير الإنسان في دنياه وآخرته ، ولا ينهى عن شيء إلا وفيه مسأته في الدنيا والآخرة ، وما كانوا يرددون أمر الله تعالى إذا جاءهم أول مرة ، خوفا من عقوبة الله تعالى المتمثلة في ثلاث أو في واحدة من ثلاث ، وهي ما جاء في قوله تعالى : ﴿

وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَٰى مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي

طَغْيَانِهِم يَعْمَهُونَ ﴾ (٢)

فإن الإنسان إذا رد أمر الله تعالى إذا جاءه لأول مرة فإنه مهدد بهذه الأمور الثلاثة بنص الآية الكريمة ، وهي أن يقلب الله قلبه وبصره وينذر في طغيانه عامها سادرا غافلا لا يرعوي ولا يتوب ولا يؤوب .

ولهذا كانوا يبادرون الأمر والنهي بالامتثال دون معرفة هذه التفاصيل التي جاءت فيما بعد لتضبط للأمة دينها بعدما دعت الحاجة إلى ذلك .

وبعد أن هيات القلوب نزلت التشريعات بعد ذلك ، ولما انتصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في معركة العقيدة ، لم يحتج بعد ذلك إلى معارك يخوضها من أجل الأمر والنهي .

إن الثقة بالنفس المؤمنة وبالدين القويم وبالمنهج الصحيح هي التي أورثت همة عالية لا ترضى بغير الإسلام بديلا مهما تعددت الخيارات ، ولا ترضى بغيره شعارا مهما تشكلت الشعارات ، ولا تقبل من أحد سواه منهجا مهما تزخرت المناهج .

(١) - [سورة آل عمران: الآية ١٣٩]

(٢) - [سورة الأنعام: الآية ١١٠]

وكيف يقارن الإنسان بين حكم الله تعالى ودينه وشرعه ومنهجه ، وبين دين وضعه إنسان ضعيف ، ومنهج صاغه عقل بشري فاصر ؟؟؟!!! وكيف تُقبل المساومة على دين رضىه الخالق للبشرية كلها شرعة ومنهجاً ، ليستبدل به ديناً أو قانوناً أو نظاماً مرتبطاً بضعف الإنسان وعجزه وقصوره ؟؟؟!!!

إن الأمة المسلمة مهما تكالبت عليها الخطوب ، وازدحمت عليها المشكلات ، وتداعى عليها الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فليس ذلك إلا تنفيذاً لوعده الله تعالى ، وهو مظهر من مظاهر عظمة هذا الدين ، وصدق نبوة من جاء به وحيا من عند الله تعالى .

وليس ذلك مدعاة للخور والكسل والدعة والسكون والقعود ، فإن المسلم مطالب بالإيجابية الدائمة التي لا تتوقف عند حد حتى تخرج نفسه من بين جنبيه .

فإذا تعددت صنوف أهل الشر في المكر والخيانة والمعاداة ، وتنوعت أساليبهم في الصد عن سبيل الله ، وقام المسلم بما كلف به ، كان ذلك علامة على عظمة هذا الدين ، وعظمة منزهه ، وعلو قدره وصدق وعده ووعيده ، ذلك أن الصراع بين الحق والباطل وبين الخير والشر سنة ربانية

لا تختفي معالمها ما دامت الحياة الدنيا : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ

لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (١)

وأن الله تعالى قد وعد بملاء جهنم من الجنة والناس أجمعين ، فلو أن الصراع اختفى من الوجود لتعطل وعد الله تعالى ووعيده ، وحاشا لوعده الله أن يتخلف .

ثم إن الصراع بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان له فوائده العظيمة من تمييز الصفوف فيعرف المؤمن من الكافر ، والمخلص من المنافق ، والبار من الفاجر ، والصادق من الكاذب ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا

إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (٢) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ

الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ

أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٣) وكما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا

(١) - [سورة البقرة: الآية ٢٥١]

(٢) - [سورة الأنفال: الآيات ٢٦-٢٧]

# الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ

(١) ﴿٣﴾ ثم إن شدة عداة الكفر والنفاق وأهله تستنهض أهل الإسلام ، فكم من راقد أيقظته أحداث الأمة ، وكم من سادر استحثت همته صولات أهل الباطل ، وقد ذكر عند شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله — أنه كان يقول : " ومن سنة الله : أنه إذا أراد إظهار دينه ، أقام من يعارضه ، فيحق الحق بكلماته ، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق " (٢)

ولعلم الله تعالى أن الأذى سيلحق هذه الأمة وسيتكالب عليها أعداؤها من كل حذب وصوب ، فقد جاء التثبيت من الله تعالى لعباده بقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا

وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) الأعلون عقيدة وعبادة وأخلاقا وسلوكا ومعاملة وفكرا وتربية ، الأعلون في شؤونكم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والإعلامية والفكرية والتربوية ، الأعلون في مواطن السلم وفي مواطن الحرب ، شريطة أن يكون الإيمان بالله ومراعاة حقوقه هي الزاد الذي يحرك هذه الأمور كلها .

إن الآية جاءت على إطلاقها ، بمعنى ( الأعلون ) في كل شيء : " عقيدتكم أعلى فأنتم تسجدون لله وحده ، وهم يسجدون لشيء من خلقه أو لبعض من خلقه ، ومنهجكم أعلى ، فأنتم تسيرون على منهج من صنع الله (٤) وهم يسيرون على منهج من صنع خلق الله ، ودوركم أعلى ، فأنتم الأوصياء على هذه البشرية كلها ، وهم شاردون عن النهج ، ضالون عن الطريق ، ومكانكم في الأرض أعلى ، فلکم وراثة الأرض التي وعدكم الله بها ، وهم إلى الفناء والنسيان صائرون ، فإن كنتم مؤمنين حقا فأنتم الأعلون ، وإن كنتم المؤمنين حقا فلا تهنوا ولا تحزنوا ، فإنما هي سنة الله أن تصابوا وتصيبوا ، على أن تكون لكم العقبى بعد الجهاد والابتلاء والتمحيص " (٥)

(١) - [سورة العنكبوت: الآية ٣]

(٢) ابن تيمية ، الفتاوى ، ج ٢٨ ص ٥٧

(٣) - [سورة آل عمران: الآية ١٣٩]

(٤) ما يجذب الباحث أن يوصف الله تعالى بأنه يصنع المنهج ، ولعله تعبير أدبي أراد به مؤلفه — رحمه الله — المقابلة بين صنع الآدمي وتشريع الله تعالى ، ولهذا يرى الباحث أن تكون العبارة : " فأنتم تسيرون على منهج أنزله الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ورضيه الله تعالى لعباده المؤمنين من بعده ، وهم يسيرون على منهج من صنع خلق الله . . . " .

(٥) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ١ ص ٤٨٠



فكيف يليق بالمسلمين أن يتطامنوا في همهم ، ويتحطموا في سويداء قلوبهم ، ويشعرون بالدونية ، والله يخبرهم في حقيقة علمية ربانية لا ريب فيها أنهم الأعلون بإيمانهم ، وصلاح أنفسهم ، وأن مكر الماكرين ، وكيد الكائدين لا يضرهم شيئاً إن هم صبروا واتقوا ، كما قال سبحانه : ﴿

وَإِنْ تَصَبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ

مُحِيطٌ ﴿١﴾ ﴿١﴾ فما دام أن الإيمان متحقق في حياة أهل الإيمان بكل مقتضياته فلا وهن ولا

حزن ، فإن الباطل ما شد أزره إلا حينما زلزل الحق كيانه من الداخل ، وإلا فإن غير الفاعل لا يستثير النفوس ، ولا يحرك مكامن الغضب ، ولا يثير الانفعال أبداً .

وقد بين المولى — سبحانه — في كتابه الكريم أن ضرر الكفار لأهل الحق ما هو إلا أذى ، وأنهم أحسن من الثبات في مواطن الكر والفر ، لأنهم لا يجدون ناصرًا من الله تعالى ، كما قال سبحانه

: ﴿ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتَلُوا يُوَلَّوْكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا

يُنصَرُونَ ﴿٢﴾ ﴿٢﴾ فهل تعي الأمة المسلمة ، وهل يعي المثقفون فيها هذه الحقائق ؟؟؟ !!

إن مما يثير الغرابة في النفوس أن يصاب بعض المسلمين بالهزيمة النفسية وهم يرددون في كل

وقت وحين : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

﴿٣﴾ ﴿٣﴾ ويرددون دائماً : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ

الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ﴿٤﴾

إن الله تعالى لم يقل : ولكن الكافرين لا يعلمون ، مع أنهم لا يعلمون ولا يعقلون ، ولكنه

— سبحانه — ذكر المنافقين الذين يعيشون بين صفوف المسلمون يلبسون لباسهم ، ويسكنون مدتهم ، ويتكلمون لغتهم ، ويخالطونهم في أسواقهم ، وبيوتهم ، ودور أعمالهم ، بل وحتى في مسلحدهم ، ودور عباداتهم ، وهم ما فتئوا يكيدون للأمة ويخذلونها في مواجهة أعدائها ، ويكرسون الهزيمة النفسية في قلوب أهلها ، حين يمجدون أعداء الله من الكافرين في الأرض ، ويسيطون لهم أيديهم وقلوبهم ،

(١) - [سورة آل عمران: الآية ١٢٠]

(٢) - [سورة آل عمران: الآية ١١١]

(٣) - [سورة آل عمران: الآية ١٣٩]

(٤) - [سورة المنافقون: الآية ٨]

ويسارعون فيهم نصره ومحبة وإيواء ، معتقدين من سويداء قلوبهم أن القيادة هناك (١) وأن سر  
سعادة الحياة هناك ، وأن التفكير والمجد هناك ، وما هنا (٢) إلا التخلف والرجعية والمسكنة ،  
والتمسك بالموثقات العتيقة البالية التي عفى عليها الزمن من العبادات والطقوس والقيم والعادات  
والتقاليد ، والفخر بالوحشية العفنة (٣) في تهديد حريات الناس في أديانهم وأنفسهم وأموالهم  
وأعراضهم وعقولهم ، وبئس ما يفترون ، ولقد صدق الله فيهم قوله : ﴿ لَمْ حَسِبَ الَّذِينَ  
أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
سَوَاءٌ مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٤)

وما أعجب عقول هؤلاء الذين يقيسون تقدم الإنسان وتطوره بتقدم الآلة التي يصنعها ذلك

: " أن الغرب تقدم من جهة الآلة ، ولم يتقدم من جهة البشر " (٥)

إن إنسانا يعيش في الأرض يخلقه الله تعالى ويرزقه ، وينزل عليه ديناً محفوظاً من التحريف  
والتبديل والتغيير ، متفق في طرحه — في كل كبيرة وصغيرة — مع الفطرة والعقل والواقع ، ثم يأمره  
باتباعه فلا يستجيب ، بل ويعيش في صفوف الأمة المسلمة وهو على هذا الحال هو أحق مغفل  
ساذج لا يعقل ولا يعلم ولا يدرك ولا يعي ، وهو كما قال الله تعالى فيه : ﴿ وَلَكِنَّ

(١) يقصد الباحث — ( هناك ) أي في بلاد الكفار على أي ملة ، سواء كانوا من اليهود أم من النصارى ، أم من الوثنيين أم من  
غيرهم .

(٢) ويقصد الباحث — ( هنا ) أي في بلاد المسلمين التي يحكم فيها بشرع الله فوق أي أرض وتحت أي سماء ، حيث الإسلام بصفاء  
معتقده ، ونبل تشريعاته ، وعدالة حكمه ، ووضوح منهجه .

(٣) يقصد بها المناقون أمور القصاص والحدود والتعازير في الدين والنفس والعرض والمال والعقل ، التي أنزها الله تعالى في كتابه ،  
وبينها للأمة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وجعلها منهجاً له في حياته حتى بعض قرابته صلى الله عليه وسلم ، وعمل بها خلفاؤه  
وأصحابه من بعده ، رضي الله عنهم أجمعين .

(٤) — [سورة الخاتمة: الآية ٢١]

(٥) عبدالله الخاطر ، الهزيمة النفسية عند المسلمين : ص ١٦

الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٨﴾ (٢)

وليست المشكلة في هؤلاء المنافقين ، ولكن المشكلة في ( السماعون لهم ) من المؤمنين ، الذين يرخون لهم أسماعهم ، ويطمئنون لأطروحاتهم ، ويمجدون عقولهم المستتيرة — زعموا — ويرون فيهم الشبهة المثقفة ، والعقلية المتفتحة ، وصدق الله تعالى إذ يقول وهو أصدق القائلين : ﴿

يَبْعُونَكُمْ أَلْفِتَّةً وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٤٧﴾ (٣)

كما أن المشكلة تكمن في عدم وضوح دين الله تعالى في أذهان بعض المسلمين ، ونظرهم إلى الأمور في كثير من الأحيان نظرة مادية بحتة ، إذ يعالجون القضايا ، ويفسرون الأحداث بعيدا عن سنن الله التي تحكم مسيرة الحياة ، فيعيشون بين طرفي نقيض ، إما مثاليون مغرقون في الخيال ، وإما قانطون مغرقون في اليأس ، وهم في الثانية أكثر ، وإليها أقرب ، فهم يائسون من الإصلاح ، قانطون من التغيير ، غير مؤملين في التمكين ، مع ما في وعود الله لهم بالنصر والتمكين ، حين يعبدونه ولا يشركون به شيئا ، كما قال تعالى : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ﴿٥٥﴾ (٤)

وإن الإنسان ليعجب كيف يقع هذا من المسلم وبين يديه وعود الله تعالى في كتابه الكريم ، وفي سنة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم .

(١) - [سورة المنافقون: الآية ٧]

(٢) - [سورة المنافقون: الآية ٨]

(٣) - [سورة التوبة: الآية ٤٧]

(٤) - [سورة النور: الآية ٥٥]

كما أن ماضي البشرية وحاضرها ومستقبلها بين يديه من خلال مصادره التي يؤمن بها ،  
والتي تضعه على حقائق علمية ريبانية لا ريب فيها ، ما بين ماضية سلف بها الدهر ، وحاضرة يراها  
بعينه ويسمع بها ، ومستقبلية يستشرفها وكأنه يراها من وراء ستر رقيق .

أولست زهرة الحياة الدنيا وما فتح الله فيها على الكفار إيدانا بزوال ممالكهم التي بنيت  
على الكفر والجحود بالله رب العالمين ونسيان ذكره ، واتخاذ الأنداد معه ، أو من دونه ، أما قلل الله  
تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾

حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴿١﴾

سبحان الله !!! فلما نسوا ما ذكروا به من دين الله وشرعه ، وأمره ونهيهِ ، كان الجزاء أن  
فتح الله عليهم أبواب كل شيء ، أبواب المال ، والولد ، والصحة ، والعلم المادي ، والتطور التقني .  
إن القرآن الكريم لو كان كلام بشر لقال الناس : هذا تناقض كبير كيف ينسى ما أمرته به  
ونهيته عنه ويتناساه ، ويكون الجزاء أن تفتح عليه أبواب كل شيء من المتاع الدنيوي الذي تشرب  
إليه الأعناق ؟؟؟ !!!

ولكنه ميزان الله الحق ، الذي يستدرج الظالمين من حيث لا يعلمون ، كما قال تعالى : ﴿

فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا

يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ ﴿٢﴾ فقد كان الاستدراج من الله

بأن فتح عليهم أبواب كل شيء ، فلما فرحوا بما في أيديهم من المتاع ، وظننوا أنهم في دنياهم  
خالدون ، أخذهم الله بغتة وهم في غبة نعيمهم يتململون ، فإذا النعيم حليم ، وإذا السعادة تعاسة ،  
وإذا الاجتماع فرقة ، وإذا الأمن خوف ، وإذا القصور قبور ، وإذا الفتح سراب ، والبركات عذاب

، وصدق الله إذ يقول : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ

أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا

(١) - [سورة الأنعام: الآية ٤٤]

(٢) - [سورة القلم: الآيتان ٤٤-٤٥]

حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ  
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ (١)

نعم ، إن الله يفصل هذه الآيات ، ويبين هذه العظات ، ويجعلها واقعا حيا أمام أهل الإيمان ، لينفضوا عن أنفسهم الهزيمة النفسية ، ويعلموا أن العزة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ولهم ما داموا مؤمنين بالله ، وقآفين عند حدوده ، ثم لا يضرهم بعد ذلك قوة أعدائهم ، وتفوقهم المادي ، فإنما هو المتاع القليل الذي قال الله تعالى عنه : ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي

الْبِلَادِ ﴿٣١﴾ مَتَعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٢) مع

أخذهم بأسباب القوة على قدرة استطاعتهم ، امثالاً لقوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا

أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ

وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا

تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾

﴿ (٣) ﴾

إنه لا مجال للهزيمة النفسية عند أصحاب الرسالة العالمية ، الذين ابتعثهم الله تعالى ليخرجوا البشرية من عبادة الأرباب المزعومة ، والآلهة الموهومة ، ومن عبادة الشهوات والمتع الدنيوية إلى عبادة الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ، ومن ضيق الدنيا — مهما كان اتساعها — إلى سعة الآخرة ، مع الأخذ بالنصيب الوافر من سعادة الدنيا ، ومن جور الأديان السماوية المحرفة ، والوضعية المتهاككة ، والقوانين الوافدة ، والأنظمة الفاسدة ، والأفكار المنحرفة ، والمفاهيم المضللة ، والشعارات الخادعة ، إلى عدل الإسلام بكل شموليته وكمالته وواقعيته ومرونته ووسطيته .

(١) - [سورة يونس: الآية ٢٤]

(٢) - [سورة آل عمران: الآيات ١٩٦-١٩٧]

(٣) - [سورة الأنفال: الآية ٦٠]

كما أنه لا مجال للهزيمة النفسية عند من يحملون ديناً يقول الله — سبحانه — عن مصدره

: ﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا

الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿١٨٨﴾ (١)

فها هو الإعجاز يتعاقب على مر العصور ، ويتكرر مع تعاقب الدهور ، مؤكداً على أن  
الإنس والجن لو اجتمعوا — منذ أن خلق الله تعالى آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة بكل علمائهم  
وعباقرهم وفلاسفتهم ومفكرهم — على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في منهجه التربوي الحكيم في  
أهدافه وغاياته ووسائله وأساليبه ، وكل ما به صلاح الإنسان في دينه ودينه ، لا يأتون بمثله ولو كان  
بعضهم لبعض ظهيراً ، فكيف يسوغ لعاقل مؤمن في الدين بعد هذا أن يولي وجهه قبل المشرق  
والمغرب يبحث في تربية الإنسان عن مناهج بشرية قاصرة ، ويترك ما أعجز الله به الخلق أن يأتوا بمثله  
إلى أن تقوم الساعة ؟؟؟ !!!

ولكن الذي لا يدرك هذه المعاني ، ولا يفتح عليها قلبه ، ولا يعقد عليها فؤاده ، تتضاعف  
في سويداء قلبه مظاهر الهزيمة النفسية ، فلا يرى في الوجود جودة في الإنتاج العقلي والفكري  
والخلفي إلا ما كان عند الآخرين ممن فرضوا سيطرتهم بالقوة المادية ، أو بهرج من القول ليس وراءه  
من المضامين الصحيحة النافعة إلا ما يذر به الرماد في العيون ، والواقع يشهد بذلك .

ففعد هذا وأمثاله عن التفكير السوي الناضج ، واستسلموا لأعدائهم ، ومكنوهم من  
أنفسهم ومن ذرياتهم ومن مجتمعاتهم ، وفتحوا لهم الأبواب على مصاريعها ، بل ودافعوا عنهم ،  
ومجدوا طرحهم فكرسوا الهزيمة النفسية في نفوس أتباعهم ، ومستمعي كلامهم فضلوا وأضلوا عن  
سواء السبيل ، وأصبح الواحد منهم كما قال الأول :

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول

إن العالم اليوم — وفي ضوء انتشار معوقات التفكير العلمي — في حاجة ماسة إلى هذا  
الدين العالمي الخالد الذي فطر الله النفوس عليه ، وأخذ العهد على كل من سمع به أن يؤمن به ،  
لتتوحد القلوب ، ويجتمع شتاتها ، فيعبد الناس لرب واحد ، ويدعوهم إلى اتباع رسول واحد ،  
ويسير بهم في منهج واحد ، فإذا البشرية كلها في سلام ووثام ، متجنبين كل وسائل التفرقة والعنصرية

:" إن العالم الذي يريده الإسلام عالم رباني إنساني ، رباني بمعنى أنه يستمد كل مقوماته من  
توجيه الله وحكمه ، ويتجه إلى الله بكل شعوره وعمله ، وإنساني بمعنى أنه يشمل الجنس الإنساني  
كله ، في رحاب العقيدة ، وتدرب فيه فواصل الجنس والوطن واللغة والنسب ، وسائر ما يميز إنسان

(١) - [سورة الإسراء: الآية ١٨٨]

عن إنسان ، عدا عقيدة الإيمان ، وهذا هو العالم الرفيع اللائق أن يعيش فيه الإنسان الكريم على الله ، المتضمن كيانه نفحة من روح الله ، ودون إقامة هذا العالم تقف عقبات كثيرة — كانت في البيئة العرية وما تزال في العالم كله إلى اليوم — عقبات من التعصب للبيت ، والتعصب للعشيرة ، والتعصب للقوم ، والتعصب للجنس ، والتعصب للأرض ، كما تقف عقبات أخرى من رغائب النفوس ، وأهواء القلوب ، من الحرص والشح وحب الخير للذات ، ومن الكبرياء الذاتية ، والالتواءات النفسية ، وألوان غيرها كثير من ذوات الصدور " (١)

إنه الدين العالمي الخالد الذي يؤكد على أتباعه أن يتجردوا لله ، باحثين عن الحق الذي ارتضاه الله — سبحانه — للبشرية كلها شرعة ومنهاجا ، متجنين كل أسباب التفرقة ، فإذا جعلت النفوس مطلبها هو الحق ليس إلا ، وتجنبت موقوفات التفكير العلمي المنضبط الذي يوصل إليه ، من خلال منهجية الوحي المباركة ، سارت في الطريق الآمن ، وسلمت من المهلكات العاجلة والآجلة ، ونعمت

بوعد الله المتمثل في سعادة الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ (٢) والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٣ ص ٣٥٧

(٢) - [سورة النحل: الآية ٩٧]

## خاتمة الفصل :

تناول الباحث في الفصل السابق معوقات التفكير العلمي ، مبينا خطرها على العقل حين تتمكن منه ، فتصرفه عن التفكير السري ، ومن خلال تدبير الباحث لكتاب الله الكريم خرج من ذلك بجملة من المعوقات المعنوية التي حذر منها القرآن الكريم ، والتي تقعد بالإنسان عن التفكير العلمي الراشد فكانت هذه المعوقات على النحو التالي : أولا : الجهل الذي يتنافى من العلم الصحيح النافع ، ثانيا : التقليد الذي يسير الإنسان من خلاله في ركاب الآخرين من غير تبصر ولا تعقل ، ثالثا : التعصب الذي يورث من الأقوال والأعمال ما لا يقبله النقل والعقل لكون التعصب قد أعمى صاحبه عن الطريق فلا يرى إلا ما يرى من تعصب له ولو خالف الحق المؤيد بالدليل والبرهان ، رابعا : الاستكبار الذي يجعل صاحبه أكبر من الحق والصواب ، فلا يدعن للحق مهما تبين له ، لأنه يرى أن الاستجابة للحق هزيمة وانكسار ، وهو يربأ بنفسه أن يكون مع الحق والعدل يدور معه حيث دار ، خامسا : اتباع الهوى وهو من أكبر الصوارف عن التفكير العلمي السليم لكون صاحبه لا يتبع إلا ما يميله عليه هواه المضل ، سادسا : اتباع الظن ، وهو ما يتنافى مع أبسط قواعد منهجية التفكير العلمي فإن الظن لا يغني من الحق شيئا ، ولا يمكن أن يؤسس الإنسان العاقل عليه معتقدا أو حكما أو فكريا أو موقفا ، فإن الظن خلاف اليقين وهو الشك والتردد ، وعدم الاعتماد على الدليل والبرهان سواء كان نقليا أو عقليا ، سابعاً : التأثير الجماهيري ، وهو من المعوقات التي تعيق العقل عن التفكير العلمي الجيد ، فكم من اناس أثارته عوام الناس ودهماؤهم خاصة في المواطن التي تحتاج إلى التروي وبعد النظر ، فملاهم بالانفعالات وردود الأفعال المتشنجة فاتخذ موقفا غير مدروس ، سواء كان هذا التأثير من دهماء الناس ، أو كان من تولى أمرهم فساسهم من خلال المكر والتضليل مستخدما في ذلك ما حوله من الأبواق المضللة . ثامنا : الجدال ، وخاصة إذا كان الإنسان يحمل أفكارا مسبوقة يسعى إلى تثبيتها ، فيدخل إلى ساحة الجدال وهو مبيت الأمر ، على أنه إن وافق الطرح ما قد سبق أن بيته من قبل ، وإلا فلا ، وهي صورة من صور العناد والمجادلة الباطلة التي وصف أصحابها بأنهم يجادلون بالباطل ، دون أن يملكوا الشجاعة الكاسلة لأن يتركوا الباطل حين يدمغه الدليل ، وتوسعها : الهزيمة النفسية ، إذ هي من أكبر معوقات العقل عن التفكير السليم ، إذ عادة ما تجعل الإنسان مترخيا ، خوارا ، لا يعيد مراجعة حساباته ، ويصحح أخطائه ، بل تركز في نفسه التبعية للآخرين ، ظانا أنه لا يملك من مقومات القوة — في أي صورة من صورها — شيئا ، فيتكىء على سياسات التبرير مرددا ليس بالإمكان أكثر مما كان ، غير أن الباحث يرى أن المسلمين في سائر ميادين حياتهم ومنها الميادين التعليمية والتربوية حين يؤمنون بمكانة العقل في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ثم يجددون أهدافهم ، ويستخدمون لها الأساليب المناسبة متجنين معوقات التفكير ، فإنهم يبدعون فيما يقومون به من أعمال ، وهو ما تطالب به المؤسسات الجامعية في بلاد المسلمين تجاه منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم ، وسيحاول الباحث في الفصل القادم أن يضع تصورا مقترحا لاستفادة المؤسسات الجامعية في بلاد المسلمين من منهجية التفكير لدى عضو هيئة التدريس الجامعي من خلال طرائق التدريس وأساليب التقويم .



## الفصل الخامس

تصور مقترح لاستفادة المؤسسات الجامعية المعاصرة من منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم لدى عضو هيئة التدريس الجامعي من خلال :  
طرائق التدريس وأساليب التقويم .

الميدان التربوي وأهميته

مفهوم المؤسسات الجامعية

أهداف المؤسسات الجامعية

خصائص طلاب المرحلة الجامعية

الخطوات الإجرائية لتفصيل منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم لدى عضو هيئة التدريس الجامعي من خلال :

أ : طرائق التدريس

ب : أساليب التقويم

ل

## مدخل للفصل :

أنزل الله تعالى هذا القرآن ليعمل الناس به ، بعد قراءته وتدبر معانيه ، وهذا الأمر هو سر سعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة ، وعلى قدر قربهم من هذا الكتاب تكون سعادتهم في الدنيا والآخرة ، وعلى قدر بعدهم عنه يكون ضعفهم وهوانهم على الله ثم على الناس .

والأمة المسلمة بأفرادها ومؤسساتها وهيئاتها ومجتمعاتها مطالبة على جهة الوجوب بتحويل هذا القرآن ومعها السنة النبوية المطهرة إلى واقع حي في الحياة ، كما أن المؤسسات التعليمية والتربوية في حياة الأمة مطالبة بأن تجعل منطلقاتها في رسم سياساتها التعليمية والتربوية بكل أبعادها وفي جميع مراحلها من خلال توجيهات القرآن العظيم والسنة النبوية المطهرة .

ولكون مصادر التشريع الأساسية في الإسلام — كتاب الله الكريم وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم — قد جاءت بمنهجية علمية رائعة في التفكير فإن المؤسسات الجامعية المعاصرة في بلاد المسلمين مطالبة بأن تقتفي أثر هذه المنهجية لتحقيق في حياتها ما تصبو إليه من الخير والتقدم الحقيقي لسعادة الدنيا والآخرة .

وبما أن عضو هيئة التدريس الجامعي هو حجر الأساس في هذه المؤسسة ، وهو المحور الفعال ، والطاقة المحركة ، بل هو أهم أبعاد العملية التعليمية والتربوية ، فإنه مطالب بأن يعتني بهذه المنهجية العلمية في التفكير سواء كان متخصصا في العلوم الشرعية أو اللغوية أو الإنسانية أو الطبيعية ، أو غيرها ، لكون هذه المنهجية قد جاءت تارة في قواعد عامة يحتاجها كل متخصص ، وتارة جاءت مفصلة يحتاجها كل متخصص ليكيف ما يحتاجه في تخصصه من خلال ما جاءت به من تفصيل .

وسوف يعرض الباحث في هذا الفصل للمؤسسات الجامعية من خلال الحديث عن الميدان التربوي وأهميته ، ثم من خلال تحديد مفهوم الجامعة ، وأهدافها ، وخصائص طلاب المرحلة الجامعية ، ثم يختم ذلك بعرض يبين من خلاله كيف يمكن تفعيل منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم لدى عضو هيئة التدريس الجامعي من خلال طرائق التدريس وأساليب التقويم .

وقد قصر الباحث التطبيقات التربوية لمنهجية التفكير العلمي لدى عضو هيئة التدريس الجامعي من خلال طرائق التدريس وأساليب التقويم ، ولم يتعرض للمقررات الدراسية ولا المناشط الجامعية ، لضخامة العمل وسعة البحث فيه من جهة ، ولترك الباحث فرصة لإخوانه ليتمموا ما بدأه في رسائل علمية لاحقة من جهة أخرى .

إضافة إلى أن المقررات الجامعية لا قيمة لها مهما تكن قيمة وذات فائدة حين تكون بين يدي عضو هيئة تدريس ضعيف المستوى ، بينما لو كانت المقررات الجامعية ضعيفة لكنه يتولاها عضو هيئة تدريس فاعل فإنه يصنع منها مقررات فاعلة نافعة ، وما يقال عن المقررات يقال عن المناشط الجامعية وغيرها .

## الميدان التربوي وأهميته

تُكوّن حياة الناس — في أي مجتمع — مجموعة من الميادين المختلفة ، منها ما يتعلق بالجانب المعنوي من خلال ما يؤمن به الإنسان من عقيدة ، وما يقوم به من عبادة ، وما يتعامل به من أخلاق ، وما يفعله من سلوك ، ومنها ما يتعلق بالجانب المادي الدنيوي من خلال تعامل الإنسان مع غيره من مخلوقات الله التي تملأ هذا الكون الرحب الفسيح .

وفي إطار هذين الجانبين صنف المتأخرون ميادين الحياة إلى أنواع مختلفة ، تشكل في نهاية المطاف جوانب المجتمع الذي يعيشون فيه ، وقد كان هذا التصنيف بسبب تنوع العلوم والمعارف التي تهتم بدراسة هذه الميادين ، من باب التسهيل والتيسير لعدم قدرة الإنسان — بعد اتساع آفاق العلوم والمعارف — أن يلم بكل شيء ، فأطلقوا على الميدان الذي يهتم بحال الإنسان في معرفته لإلهه الذي يعبده في الحياة الدنيا وانقياده له : الميدان العقدي ، وأطلقوا على الميدان الذي يهتم بتفصيل أمور العبادة وكيفية أدائها : الميدان العبادي ، وأطلقوا على الميدان الذي يهتم بدراسة الأخلاق : ميدان الأخلاق ، وأطلقوا على الميدان الذي يهتم بدراسة السلوك الإنسان : ميدان السلوك ، وهكذا .

كما أطلقوا على الميدان الذي يهتم بسياسة المال ، وكيفية التعامل معه : الميدان الاقتصادي ، وأطلقوا على الميدان الذي يهتم بتحديد طريقة الحكم ، وتوجيه العلاقات بين الحكام والمحكومين ، وبين المجتمعات والشعوب والدول في مواطن السلم والحرب : الميدان السياسي ، وأطلقوا على الميدان الذي يهتم بصحة الإنسان وقاية وعلاجاً : الميدان الصحي ، وأطلقوا على الميدان الذي يهتم بتربية الإنسان وتعليمه : الميدان التربوي ، إلى غير ذلك من الميادين التي تشكل في نهاية المطاف هيكله كل مجتمع .

وكل ما سبق بيانه يمكن إطلاقه على مجتمعات الأرض كلها ، مؤمنها وكافرها ، بارها وفاجرها ، غير أن ثمة أمر لا بد من التنبيه عليه عند هذه المسألة ، ألا وهو أن المسلمين يصنفون جوانب الحياة تصنيفاً يراد من ورائه تسهيل العلوم والمعارف بعد أن تعددت تخصصاتها ، وأصبح من الصعب أن يلم العالم المسلم بكل التخصصات في شتى جوانب الحياة ، وهي مع هذا التقسيم — في منهجيتهم الإسلامية — لحمة واحدة لا ينفك بعضها عن بعض ، فلا عقيدة من غير عبادة ، ولا عبادة من غير عقيدة ، ولا عقيدة بلا أخلاق ، ولا أخلاق من غير عقيدة ، ولا سلوك من غير عقيدة ، ولا عقيدة من غير سلوك ، كما أنه لا سياسة ، ولا اقتصاد ، ولا طب من غير عقيدة ، ولا سلم ولا حرب ولا أدنى من ذلك ولا أصغر من غير عقيدة ولا أخلاق .

كما أن بين المسلمين جميعاً — على اختلاف تخصصاتهم — قاسم مشترك من الدين لا يعذر أحد بجهله ، إذ جميع المتخصصين في جوانب المعرفة يعبدون ربا واحداً ، ويتبعون نبياً واحداً ، ويسيروا على منهج واحد ، كل مطالب في تخصصه بكل خلق إسلامي نبيل يرفع من قدر صاحبه ،

ويزيد من إنتاجيته ، كالصدق والإخلاص والأمانة والإحسان والتواضع والإبداع وحسن الخلق والتعاون ، وغير ذلك .

ثم إن من يتخصص في الميدان السياسي من المسلمين يوجب عليه الإسلام — زيادة على ذلك — أن يتفقه فقها شرعيا في كيفية إدارة الحكم وكل ما يتعلق بشؤونه ، وإذا تخصص في الجانب الاقتصادي ، أوجب عليه الإسلام أن يتفقه في موارد المال ومصارفه ، وكيفية التعامل معه ، وإذا تخصص في الميدان الاجتماعي أوجب عليه الإسلام أن يتفقه في المسائل التي تحكم شبكة العلاقات الاجتماعية ، وأن يلم بكل أبعادها ، وإذا تخصص في الميدان الطبي أوجب عليه الإسلام أن يتفقه فيما يتعلق بأمور الطب التي يحتاجها في هذا التخصص .

وإذا أشكل على المتخصصين شيء في هذه الميادين سألوا أهل الذكر من العلماء الربانيين الموثوقين في أديانهم وأماناتهم ، لتكون قراءاتهم في جميع التخصصات على اسم الله تعالى .  
وبالنظر في هذه الميادين كلها يؤكد الإسلام من خلال نظرتة الشاملة على أن الميدان التربوي من الميادين المهمة في الحياة الإسلامية لكونه القاعدة التي ينطلق منها الفرد المسلم والمجتمع المسلم لتأسيس حياة فاضلة راقية تعنى بأمور الدنيا والآخرة ، وهو الميدان الذي ابتداءً الله جل جلاله

إنزال كتابه فيه ، إذ كان أول ما نزل من الوحي الأمر بالقراءة كما قال تعالى : ﴿ **أَقْرَأْ**

**بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾<sup>(١)</sup> والقراءة على اسم الله قيد للمعرفة من الانحراف

في كل ميدان من ميادين الحياة ، وهي مفتاح تربية الفرد والمجتمع في كل نشاط يقام على وجه الأرض .

فالقراءة على اسم الله تعالى في الميدان العقدي قيد للمعرفة من الانحراف حين تكون قراءة في الخرافات والأساطير تؤسس الإلحاد ، وتنشر الكفر ، وتدعو إلى الشرك ، وتؤمن بالمبادئ المضللة ، والشعارات المارقة ، التي لا تقوم على دليل أو برهان .

والقراءة على اسم الله تعالى في الميدان العبادي قيد للمعرفة من الانحراف حين تؤسس البدع ، وتفتح أبواب الخرافات والأساطير التي ما أنزل الله بها من سلطان .

(١) - [سورة العلق: الآية ١]

والقراءة على اسم الله في ميدان الأخلاق والسلوك قيد للمعرفة من الانحراف حين تكون

المعايير في التعامل بين الناس معايير نفعية دنيوية إنتاجية براجماتية (١) لا تجعل للمعايير الربانية في حسابها نصيبا مفروضا .

والقراءة في السياسة على اسم الله قيد للمعرفة السياسية من الانحراف حين تكون قراءة على اسم الطواغيت التي تعبد من دون الله ، أو مع الله ، كالقراءة على اسم الشعب ، أو العائلة ، أو الحاكم ، أو على العادات والتقاليد ، والنظم والقوانين ، التي ما أنزل الله بها من سلطان .

والقراءة في الاقتصاد على اسم الله قيد للمعرفة الاقتصادية من الانحراف حين تقوم على الإقطاع ، أو الربا ، أو السلب ، أو الظلم ، أو التبذير ، أو العبث ، أو الفسق والمجون ، أو ما إلى ذلك .

والقراءة في الطب على اسم الله تعالى قيد للمعرفة من الانحراف ، حين تكون عبثا علميا طبيا غير ملتزم بخلق ولا أدب ، كظواهر اللعب البيولوجي — كما يسمونه — بأجساد الناس وتغيير خلقهم ، ومثلها ظواهر تأجير الأرحام ، وبيع الحيوانات المنوية من بنوك متخصصة ، والاستنساخ ، وغير ذلك .

والقراءة في الأمور الحربية والعسكرية على اسم الله قيد للمعرفة من الانحراف حين تكون لأجل فرض الهيمنة ، وتعميق السيطرة ، ونشر الظلم والجور في الأرض ، وامتصاص خيرات الشعوب ، وقتل الأبرياء ، ونشر العدوان ، وقتل حريات الناس التي جعلها الله لهم حقا لا يضامون فيه ، أو ما إلى ذلك .

إن أي نشاط للإنسان على وجه الأرض لا بد أن تسبقه القراءة المتخصصة التي تحسن التخطيط والتنفيذ والمتابعة والتقييم المستمر لضمان إنتاجية فاضلة واعية موجهة ، تحقق للإنسان في حياته مطالب الدنيا والآخرة ، دون أن تفصل حياته الدنيوية عن حياته الأخروية ، ليسير في حياته سيرا متوازنا لا يطغى جانب على آخر .

وهو ما يضطلع به الميدان التربوي في بلاد المسلمين فيما يجب أن يكون ، إذ فيه المعلم العظيم وفيه المنهج القويم ، فالمعلم العظيم هو خير معلم عرفته البشرية في تاريخها الطويل ، رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وهو المعلم الذي أمر المولى سبحانه هذه الأمة بانخاذه قدوة في كل شيء ، كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن

(١) البراجماتية نسبة إلى الفلسفة البراجماتية التي تجعل المنفعة لها تعبد من دون الله ، والغاية عندها تبرير الوسيلة .

كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٦٦﴾ (١) هكذا على الإطلاق

دون تخصيصها في مجال معين كمجال الشعائر التعبدية مثلا ، بل يجب أن يكون القدوة لكل مسلم في البيت والمدرسة والجامعة والسوق والشارع والمكتب وفي الهيئة واللباس والطعام والشراب والمنام وفي الأتراح والأفراح ، وفي مواطن السلم والحرب ، وفي القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والإعلامية والفكرية والتربوية ، وبعبارة مختصرة : إنه القدوة في كل شيء وكفى .

كما أن المنهج الذي ربي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم جيل عرفته البشرية في تاريخها الطويل هو المنهج الذي بين أيدي المسلمين اليوم دون أن ينقص أو يزيد منه حرف واحد ، وهو المنهج المتمثل في كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

ومع وجود الفارق بين الجيلين — جيل الصحابة وأجيال الأمة اليوم — إلا أن الخير في هذه الأمة حي مائل أمام العيان في كل عصر ومصر ، وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم أمته بالغيث العميم المبارك المشتمل على الخير في كل زمان ، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (( مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير

أم آخره (٢) ) .

فإذا كانت سيرة المعلم العظيم — صلى الله عليه وسلم — حية في الأرض من خلال المنهج

الرباني في الكتاب والسنة ، المحفوظين بحفظ الله تعالى ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ

نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ﴿١﴾ (٣)

وإذا كانت الأمة تؤمن بحفظ الله تعالى لهذين المصدرين ، وأنه لا يمكن أن تمتد إليها يد

التحريف والتبديل .

وإذا كانت البشرية في آخر الزمن حين لا تقدر للقرآن الكريم قدره ، فإنه يُسرى عليه في ليلة واحدة فيرفع من السطور والصدور ، فلا تجد البشرية عندها نورا تهتدي به ، ولا مصدرا للمعرفة تستقيم من خلاله فتضل البشرية ضاللا مبينا ، ليكون من يدرّكهم ذاك الزمن من الناس شرار الخلق ، وعليهم تقوم الساعة .

(١) - [سورة الأحزاب: الآية ٢١]

(٢) الترمذي ، سنن الترمذي ، ج ٥ ص ١٤٠ رقم الحديث ( ٢٨٦٩ ) والحديث صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ج ٢ ص ٢٨١ حديث رقم (

٢٣٠٢

(٣) - [سورة الحجر: الآية ٩]

إن الأمة المسلمة حين تدرك هذا كله ، فإن عليها أن تجتهد عبر ميادينها التربوية إلى تحويل هذين المصدرين إلى واقع معاش في حياة الأجيال المسلمة إعماراً لمطالب الدنيا والآخرة .

لهذا كله احتل الميدان التربوي غاية الأهمية من بين سائر ميادين الحياة ، وقد شبهه بعض الباحثين بالقلب بالنسبة إلى بقية أعضاء الجسد ، فقال : " إن جسد الإنسان يتكون من أعضاء كثيرة ومختلفة ، كل عضو منه يؤدي وظيفته ، ويقوم بدوره ، على تفاوت في أهمية هذه الأعضاء ، إذ هناك من الأعضاء ما يمكن أن يستغني عنه الجسد ، فيظل حيا بدونها ، وإن كان جسدا مشوها ناقصا ، فالجسد قد يحيا بدون سمع أو بصر أو رجل أو يد أو لسان ، ولكن هناك عضوا في الجسد لا يمكن أن يحيا بدونه البتة ، ألا وهو القلب ، والحياة التي يعيشها الناس أشبه بهذا الجسد ، فهي مجموعة من الميادين المختلفة ، التي يقوم فيها كل ميدان بدور ، ويؤدي مهمة ، على تفاوت في أهمية هذه الميادين ، فهناك الميدان الذي يمكن للناس أن يحيا بدونه ، وإن كانت حياة مشوهة ناقصة ، ولكن هناك ميدانا واحدا لا يمكن للحياة أن تستمر بدونه ، لكونه قلبها النابض ، وفؤادها المعطاء ، ألا وهو الميدان التربوي ، الذي يعتبر أهم ميادين الحياة على الإطلاق ، ذلك أن أهميته لاستمرار الحياة كأهمية القلب لاستمرار الجسد " (١)

ولعل من الأسباب التي تجع الباحث يؤكد على ذلك ، أن جميع فئات المجتمع المسلم يتربعون على مقاعد الدراسة في هذا الميدان ، فالمتخصص في علوم العقيدة ، والمتخصص في علوم الشريعة ، والمتخصص في علوم اللغة ، والمتخصص في العلوم الإنسانية ، والمتخصص في العلوم الطبيعية ، كل هؤلاء على اختلاف فروع تخصصاتهم يتربعون على مقاعد الدراسة في هذا الميدان فترة من سني حياتهم قبل أن يتخصصوا ، كما أن بعضهم وخاصة في مجتمعاتنا الإسلامية يتلقون إلى جانب علومهم الدينية جانبا من العلوم الإسلامية التي تعنى بالربط بين هذه العلوم وبين الإسلام في أصول عامة ، وقواعد كلية تضبط لهم أجزاء علومهم مهما تعددت ، وتوجههم نحو التأصيل الإسلامي لما يمر بهم في تخصصاتهم ، وتفند لهم ما قد يعترض مسيرتهم العلمية من أطروحات تتصادم مع الحق الذي يحملونه .

وعلى قدر ما تصاغ العقول المسلمة الفتية في هذا الميدان على قدر ما يكون الإنتاج الملدي والمعنوي ، والرقي الحضاري الذي يشمل الجوانب المادية والمعنوية في حياة الإنسان .

وعلى قدر ما يتخلف هذا الأمر على قدر ما تتخلف الأمة المسلمة في مسيرتها الحضارية الشاملة ، وإن كانت أمتنا المسلمة على جهة العموم لا تجتمع على ضلالة عقدية ، أو خلقية ، أو فكرية ، أو سياسية ، أو اقتصادية ، أو اجتماعية أو تربوية ، أو غير ذلك ، وإن وجد في شذازها من

(١) تحليل الحذري ، التربية الوقائية في الإسلام ، ص ٥٤٠

يفعل ذلك فردا كان أو مجتمعا ، فإنما هي حالات شاذة ، نذت عن هذا الاجتماع المبهتدي ، ولا

ينطبق عليها وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( لا تجتمع أمتي على ضلالة )) (١) قال ابن

حزم — رحمه الله — : " وإن لم يصح لفظه ولا سنده فمعناه صحيح " (٢) وقال العجلوني :

وبالجملة فالحديث مشهور وله أسانيد كثيرة ، وشواهد عديدة " (٣) كما أن مستقبلها الذي تسعى

نحوه بخطى ثابتة من خلال مسيرتها التربوية مستقبل يبشر بالخير ، فهي تسير وفق سنن الله تعالى التي

تحكم مسيرة الحياة ، وقد وعدنا الله تعالى بالنصر والتمكين ، وكشف لأهلها من خلال حقائق

الوحي في الكتاب والسنة أن النصر حليفها ضد أعدائها حتى أن الجماد ليتضافر معها فينطق : (( يا

مسلم ، يا عبدالله : هذا يهودي خلاني فتعال فاقتله )) (٤)

وإن الباحث يرى أن هذه المرحلة التي يكون التفوق فيها لأمة الإسلام لا بد أن تسبقها

مراحل كثيرة تصحح فيها الأمة أخطاءها ، وتتفقد قصورها ، وتراجع دينها ، وتجعله معيارا لها في

جميع أمور حياتها .

ولعل الميدان التربوي — النظامي منه وغير النظامي — هو البوابة الكبرى التي تنطلق منه

الأمة المسلمة لتحقيق وعد الله تعالى في الأرض ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي

الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ

الصَّالِحُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٦﴾

﴿٥﴾

(١) الغيثي ، مجمع الروايات ، ج ٧ ص ٢٢١

(٢) ابن حزم ، الإحكام ، ج ٤ ص ٥٢٧

(٣) العجلوني ، كشف الخفاء ، ج ٢ ص ٤٧٠

(٤) مسلم ، صحيح مسلم ، ص ١١٧٠ ، حديث رقم ( ٢٩٢١ )

(٥) - [سورة الأنبياء: الآيات ١٠٥-١٠٦]



وكما قال رسوله صلى الله عليه وسلم : (( ثم لا يبقى على ظهر الأرض بيت مسر ولا

وبر إلا أدخل عليهم كلمة الإسلام بعز عزيز أو بذل ذليل )) (١)

وإن المتأمل في مثل هذه الوعود وغيرها حين ينظر في واقع الأمة المسلمة اليوم نظرة تأمل وتفكر ، تطمئن نفسه إلى وعد الله تعالى ، فإن العودة للإسلام ماثلة أمام العيان ، حتى أصبحت في صفوف الشبيبة المسلمة — الممتلئة شهوة وقوة وغريزة — تيارا ذاتيا ، ليس وراءه إلا حب الإسلام ، ومراجعة أمر الله فيه .

كما أن المتأمل في حال بعض المسلمين ممن عاشوا في بلدان تحكمها الشيوعية الملحدة ردحا من الزمن — حتى بلغ التعذيب لمن يدين بالإسلام صورة لا تكاد تخطر على بال من خلال محاكم التفتيش التي كانت تستهدف المسلمين خاصة — يرى كيف أهلك الله عدوها المسمى بـ ( الاتحاد السوفيتي ) فقامت على أنقاضه البائدة جمهوريات إسلامية تحمل راية الجهاد في سبيل الله ، في زمن ظن فيه كثير من المسلمين بهذا المبدأ الإسلامي العظيم ، الذي كفل الله بتشريعه حقوق البلاد والعباد .

كما أن المتأمل في واقع الأبحاث التربوية على مستوى الأمة ، التي يصدرها أفراد ، أو تصدرها هيئات ، أو مؤسسات ، أو مراكز بحث متخصصة ، يرى بعد التأصيل الإسلامي المنطلق من نصوص الكتاب والسنة ، ويرى بعد توجيه العلوم الإنسانية على اختلاف تخصصاتها توجيهها إسلاميا جادا ، وإن شابه بعض القصور ، لكنه خطوة على طريق هذه اليقظة الملموسة في نفوس المختصين من أبناء الأمة .

كما أن المتأمل في حال العالم بعد أن فتحته وسائل الاتصال ، التي سخرها الله تعالى للإنسان — اختبارا وابتلاء — فأصبح العالم من خلالها كالقريّة الواحدة ، يرى مدى انتشار الإسلام في الأرض من خلال هذه الوسائل ، حتى أن بعض المتخصصين في العلوم الاجتماعية يذكر أن إقبال العالم على المواقع التي تهتم بقضايا الإسلام من خلال متابعتهم لصفحات الشبكة العنكبوتية (

الإنترنت ) يقدر بحوالي ٧٠% من متابعي هذه الشبكة (٢) .

إن منطلق هذه الوعود كلها هو مراجعة الأمة لدينها ، وهاهي الخطوات الجادة ترى في واقع الأمة ، وهي صورة من صور المشرات التي ثبت الله بها قلوب أهل الإيمان لتحقيق وعد الله الذي لا يتخلف .

(١) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، ج ١٥ ص ٩٣

(٢) ذكرها أ . د . بكر أبو قادر ، أستاذ علم الاجتماع بجامعة الملك عبدالعزيز ، في ندوة علمية بجامعة أم القرى ، حول العولمة عام ١٤٢١هـ .

نعم ، إن الأمة لا يمكن أن تظل غافلة أو متغافلة ، أو نائمة أو متثاقلة ، ثم تستيقظ فجأة وقد ورثت الأرض دون جهد تربوي مبذول ، وعمل بالليل والنهار موصول ، وليست هذه سنة الله تعالى في التغيير ، بل إنها لتعارض مع هذه السنة الاجتماعية الربانية التي شرطها المولى سبحانه في كتابه ، وأكد على أن مبدأ التغيير بيد الإنسان الذي يشكل في مجموعة أمة كاملة ، ولو بجهد يسير ،

ما دام هذا الجهد هو الذي يدور في وسع الفرد وطاقته ، كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا**

**يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ**

**بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ** ﴿١١﴾

﴿١﴾

إن وعود الله جل جلاله في التمكين لهذه الأمة من جهة ، وهذه المراجعة الواقعية اليوم لدين الله تعالى من قبل أهله من جهة أخرى — في زمن اشتداد الكفر وأهله — زاد لكل عامل في الميدان التربوي الذي يعده الباحث البوابة الكبرى لهذا التغيير .

وإلا فإن مراجعة الأمة المسماة لدينها حين تكون في منأى عن التعليم الجاد ، والقراءة الجادة ، والتربية الجادة ، لا تحقق في واقع التغيير شيئا ، بل إنها لتزيد الطين بلة ، فتكسر الهزيمة ، وتسلب العدو ، وتذهب بالمقدرات .

إن الميدان التعليمي والتربوي — في مراحل الجامعة — يحتل مكانة مهمة في إحداث هذا التغيير ، من خلال منهجية علمية إسلامية قرآنية نبوية تحرك جوانب الحياة كلها ، فهو — أي التعليم الجامعي — بين معلم كفاء يحمل شهادة علمية عالية ، وبين طالب بالغ عاقل راشد ، تقدمت به السن ، فأصبح يدرك من الحقائق ما لا يدركه من هو أقل منه علما وسنا وخبرة .

ولا يشك أحد أن إحداث هذا التغيير في حياة الأمة مرهون بمنهجية علمية تحسن التخطيط والعرض والتنفيذ والمتابعة والتقويم المستمر ، سواء كان هذا الإحسان على مستوى الأفراد المتخصصين في جوانب المعرفة المختلفة ، أو على مستوى المؤسسات التعليمية .

ثم لا يشك أحد أيضا أن الإحسان ليس مقصورا على بعض الأفراد ، أو على المؤسسات في هذه المرحلة المهمة من التعليم ، بل إنه يتسع ليشمل كافة الأفراد في الأمة ، ويشمل كافة المؤسسات التعليمية والتربوية في على اختلاف مراحلها وتخصصاتها ، بل ويشمل كافة ميادين الحياة ،

﴿١﴾ - [سورة الرعد: الآية ١١]

لتصب هذه الجهود المثمرة كلها في نهاية المطاف في تشكيل عملية التغيير التي يتحقق على أثرها وعد الله — سبحانه — لهذه الأمة بالنصر والتمكين .

وعليه ، فإن نظرة المتخصصين في الميدان التربوي بصفة عامة ومن يتسبون منهم إلى التعليم الجامعي على وجه الخصوص — بعد أن أدركوا أهمية هذا الميدان في النهوض بالأمة لتستعيد قيادتها الحضارية للبشرية من جديد — لا بد أن يتخطوا في مسيرتهم التعليمية والتربوية حاجز التعليم من أجل التنمية المادية السهلة اليسيرة القريبة المرتبطة بالدنيا الدنية التي ذمها الله في كتابه الكريم في أكثر من مائة وثلاثين آية ، إلى ما هو أعظم من ذلك .

إنه التطلع إلى قيادة البشرية من جديد من خلال الميدان التربوي والتعليمي ، لإحداث ثورة تنموية عقديّة وأخلاقية راقية ، في زمن أصبح الانحطاط العقدي والخلقي عند كثير من أمم الأرض مرهونا بالتقدم المادي ، وما من شك أن الأمة حين تحمّل في حياتها هذا الهدف النبيل — من خلال إمكاناتها العلمية القائمة على الحقائق الربانية التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها — سوف تقفز في تنميتها المادية إلى مكان الصدارة ما دامت تملك من الموارد المادية والبشرية ما لا يملكه غيرها .

إن التنمية المادية في بلاد المسلمين تبدأ بتنمية رأس المال البشري واستثمار قدراته عقديا وخلقيا وفكريا وتربويا ، من خلال المعيار الوحيد الذي بينه الذي لا ينطق عن الهوى ، رسول الله

صلى الله عليه وسلم في قوله : (( من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي )) (١) فإذا ما تحقق

ذلك جاءت التنمية المادية تبعا ، أما حين تحصر الأمة هدفها من الميدان التربوي والتعليمي في تأمين لقمة العيش ، في هدوء وراحة بال ، فستبقى عالية على من يملكون القوة المادية من أعدائها ، وهذا ما لا يتفق مع شرع الله ودينه وقدره ، ولا مع واقع اليقظة الإسلامية اليوم في الأمة ، ولا مع مستقبل الأمة الزاهر ، الذي ينظر إليه أهل البصائر ، وكأنهم يرونه من وراء ستر رقيق .

وليت المتخصصين في التعليم الجامعي أني كانت مواقعهم — على مستوى الأفراد والأقسام والكليات والجمعيات والمعاهد ومراكز البحث — يدركون هذه الحقائق ، ثم يكرسون جهودهم لهذه التنمية ، ونصب أعينهم هذا الواقع الذي تراجع الأمة فيه أمر دينها ، ومستقبلها الزاهر الموعود بتمكين الله له في الأرض ، لينحصر العمل لهذه التنمية المرتقبة في التخطيط لما بين الأمرين : أمر واقع الأمة الذي تظهر في أفقه يقظة ملموسة في مشارق أرض الله ومغارها ، وأمر مستقبلها المشرق الذي سيحكم الأرض فيملؤها رحمة وعدلا ، من خلال منهجية علمية مهتدية تراعي أمور الدنيا والآخرة .

(١) سبق تحريجه ص

وصدق الله إذ يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ

يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ ﴿٧﴾

وحين يقول : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الۡمُرْسَلِينَ

إِنَّهُمْ لِهِمُ الۡمَنصُورُونَ ﴾ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الۡغَالِبُونَ

﴿١٧٣﴾ ﴿١﴾

وحين يقول : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي

الۡحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الۡأَشْهَادُ ﴾ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ

الظَّالِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمْ وَلَا لَهُمُ الۡلَّعۡنَةُ وَلَهُمُ سُوۡءُ الدَّارِ ﴾ ﴿٥٢﴾

﴿٢﴾

### مفهوم للمؤسسات الجامعية وأهميتها :

يرتبط ذكر الجامعة بذكر تخصص معين يتوجه إليه الطالب فيدرس به عددا من السنوات ،

يكون بعد تخرجه حجة في هذا التخصص ، وإن لم يحط بكل جزئياته .

وإذا سلم الباحث بأن المرحلة الجامعية هي بداية سلم التعليم العالي ، فإن التعليم العالي هو

:" مرحلة التخصص العملي في كافة أنواعه ومستوياته ، رعاية لذوي الكفاية والنبوغ ، وتنمية

﴿١﴾ - [سورة محمد: الآية ٧]

﴿٢﴾ - [سورة الصافات: الآيات ١٧١-١٧٣]

﴿٣﴾ - [سورة غافر: الآيات ٥١-٥٢]

لمواهبهم ، وسدا لحاجات المجتمع المختلفة ، في حاضره ومستقبله ، بما يساير التطور المتغير ، الذي يحقق أهداف الأمة وغاياتها " (١)

وإذا كان هذا هو مفهوم التعليم العالي في إحدى البلدان الإسلامية وهي المملكة العربية السعودية ، كما نصت عليه وثيقتها التعليمية ، فإن هذا المفهوم هو ما يجب أن يكون عليه التعليم العالي في كل البلاد الإسلامية ، ليحقق في نهاية المطاف — بكل أنواعه ومستوياته — حاجات المجتمعات الإسلامية من خلال التطورات المستمرة ، في مختلف جوانب الحياة ، والتي تحقق أهداف الأمة المسلمة وغاياتها ، باعتبارها خير أمة أخرجت للناس .

وقد عرفت الأمة المسلمة قضية التخصص منذ صدر الإسلام ، حينما صنف رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فيما يدعون فيه من أعمال ، مع التزام الجميع بقدر من الإسلام لا يعذر أحد بجهله ، فقد جعل خالد بن الوليد رضي الله عنه متخصصا في الجهاد في سبيل الله ، وجعل زيد بن ثابت متخصصا في الفرائض ، وجعل معاذ بن الجبل متخصصا في معرفة الحلال والحرام ، وجعل حسان بن ثابت متخصصا في الأدب والشعر ، وجعل علي بن أبي طالب متخصصا في القضاء ، وهكذا .

واستثمرت الأمة هذه البذر للتخصص فأنشأت صروحا علمية متخصصة ، وذلك : " منذ أن أنشأ الخليفة المأمون المرصد في عاصمة خلافته بغداد عام ٢١٤ هـ — ٨٢٩ م كصرح علمي متخصص " (٢)

ونظرا لأهمية التخصص في أي فن من فنون المعرفة ، كان لا بد من مؤسسة علمية تعنى بإعداد الإنسان المؤهل القادر على ذلك ، يلتحق بها الفرد في فترة متقدمة من عمره ، عندما يكون قادرا على إدراك أهمية التخصص في علم أو فن ما .

ولقد كان قصب السبق للمسلمين في إنشاء الجامعات المتخصصة في فروع المعرفة المختلفة في فترة كانت أوروبا تزرع تحت وطأة العصور المظلمة ، فلقد كان المسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوي منارتا علم خرجت من العلماء والقادة والعظماء ما تقاصرت عنه همم كثير من الجامعات النظامية اليوم ، كما أن : " جامعة الزيتونة أنشئت في تونس سنة ٤١١ هـ — ٧٣٢ م وجامعة القرويين في فاس بالمغرب يرجع تاريخها إلى عام ٢٤٥ هـ ، وجامعة قرطبة يرجع تاريخها إلى النصف

(١) وزارة المعارف ، سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية ص ١٨

(٢) صبحي قاضي ، رسالة الخليج العربي ، بحث بعنوان : " عضو هيئة التدريس الجامعي — إعداده ، مسؤولياته ، مشكلاته " ص ١٠٤

- ١٥- أن يحترم المواهب العقلية المتباينة .
- ١٦- أن يخلق الجو الذي يساعد على التعلم .
- ١٧- أن يعمل بالتعاون مع زملائه .
- ١٨- أن يكون على معرفة جيدة بعمله .
- ١٩- أن يضمن المواد العلمية الجديدة في عمله .
- ٢٠- أن يوفر المجال لاحترام وجهات نظر مختلفة .
- ٢١- أن يؤدي عمله بطريقة جيدة في الإعداد .
- ٢٢- أن يؤدي عمله بصورة منظمة جيدا .
- ٢٣- أن يكون على معرفة جيدة بالأساليب التي يتعلم بها الطلاب .
- ٢٤- أن يقدم لطلابه بدائل مختلفة للتعلم .
- ٢٥- أن يستثير حب الاستطلاع الفكري لدى طلابه .
- ٢٦- أن يشجع طلابه على التفكير المستقل .
- ٢٧- أن يهيئ للطلاب فرصا للتعلم التعاوني .
- ٢٨- أن يشجع طلابه على أن يكونوا مستمعين محللين أو تحليليين .
- ٢٩- أن يقدر التغذية المرتدة من طلابه ومن الآخرين .
- ٣٠- أن يكون لديه أدلة واضحة وكثيرة وأن طلابه قد تعلموا .

وليس معنى هذا أن الباحث يعترض على هذه الصفات أن تتوفر في عضو هيئة التدريس الجامعي المسلم — وإن كان للباحث على بعضها شيء من التحفظ — بل هو مطالب بالإبداع أكثر من غيره ، سيما وأنه ينطلق من قاعدة عقديّة نبوية متصلة بالمهارة في الموقف التعليمي أو البحثي أو المجتمعي ، وهي القاعدة التي تؤكد على الإتقان في العمل ، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( ثم إن الله

يجب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه )) (١)

(١) أبو يعلى ، مسند أبي يعلى ، ج ٧ ص ٣٤٩ حديث رقم (٤٣٨٦)

وينطلق من قاعدة أصولية مستقاة من نصوص الشريعة الإسلامية في الكتاب والسنة وهي : مالا

يتم الواجب إلا به فهو واجب (١) فإذا كان العلم النافع مطلب شرعي نبيل ، فإن الطريقة التي توصل إليه وتحققه تعد مطلبا شرعيا نبيلًا ، فكانت طرائق التدريس التي بها يتوصل إلى العلم النافع من واجب الواجبات في الموقف التعليمي والتربوي .

غير أن المتأمل في هذه الصفات كلها لا يجد فيها تميزا ينطلق منه عضو هيئة التدريس الجامعي المسلم ، وهو الأعلى عقيدة وعبادة وفكرا وثقافة وتفكيرًا وخلقا وسلوكًا .

إن هذه الصفات التي ذكرت آنفا إذا خلت من المعتقد الصحيح الذي يجعل الإسلام دينًا مهيمنا على جوانب الحياة كلها لم يكن لها قيمة في ميزان الله الخالق العظيم ، وإذا خلت من الإخلاص بحق الله بركتها ، وإذا حصرت في الحياة المادية فقط كانت تكريسا للمادية الحيوانية الشهوانية التي لا تجعل للآخرة في حسابها نصيبا مفروضا .

وإلا فآين توجيه كل سلوك قولي أو فعلي أو قلبي لتحقيق الغاية النهائية من الوجود من هذه الصفات ؟ وهو الذي وصف الله أصحابه بأنهم أولو الألباب ؟ وأين الإخلاص لله تعالى وهو من أعظم أنواع الزاد الذي يحتاجه عضو هيئة التدريس الجامعي ؟ وأين المنهجية العلمية المنضبطة في نصوص الوحيين لتوجه العلم وتضبط مساره في جوانب الحياة كلها ؟ إلى غير ذلك .

إن عضو هيئة التدريس الجامعي المسلم واسع النظرة من خلال مصادره التي ينطلق منها ، لتكون نظرتة إلى العلم نظرة واسعة تشمل غالب الغيب والشهادة ، ومن خلال منهجية محفوظة لم تصبها يد التحريف والتبديل والتغيير ، بخلاف الكافر الذي ضاقت به النظرة في إطار ضيق من المحسوس الملموس ، وإن امتد نظره إلى عالم الغيب فمن خلال منهجية مشوهة غير واضحة لم تتضح معها الرؤية الصحيحة ، بسبب ما مس مصادره السماوية التي يعتمد عليها من التزوير والتغيير والتحريف والتبديل ، أو من خلال منهجية عقلانية حملت العقل ما لا يطيق ، وأجهدته ليعمل في ميدان لا يقدر على العمل فيه ، فكانت النتائج خاطئة متناقضة ، أثبتت عدم قدرة الإنسان على أن يسعد نفسه في الحياة الدنيا أو يسعد غيره بطرح عقلائي مجرد عن الوحي الإلهي الخاتم ، الذي أنزله الله تعالى على خير خلقه وخاتم رسله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

وبما أن كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر يعتقد من سويداء قلبه أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما أعظم مصدرين على وجه الأرض لتربية الإنسان وتركيبته كي يبلغ أعلى درجات الرقي في عقيدته وعبادته وأخلاقه وسلوكه وقيمه وحضارته وتفكيره واستثمار قدراته العقلية استثمارا مهتميا منتجا فاعلا ، فإن ذلك مرهونا بأمور كثيرة يتربع على رأسها تفعيل منهجية التفكير العلمي التي جاء بها وحي الله

(١) القاضي أبو يعلى ، العدة في أصول الفقه ، ج ٢ ص ٤١٩

تعالى في الكتاب والسنة إلى واقع حي في حياة الأمة يقوم بها المختصون في الميادين التعليمية والتربوية ، وعلى رأسهم عضو هيئة التدريس الجامعي . بما أوتي من ملكات وقدرات ، ومن خلال ما يسر له من فرص وإمكانات ، على أن يجعل ذلك في خطوات إجرائية تحيل العموميات إلى أهداف إجرائية سلوكية ، يسهل تطبيقها ، ويمكن قياسها سواء كانت معرفية ، أم وجدانية ، أم مهارية ، وربطها بأهداف المقررات ، وربط هدف كل مقرر بالأهداف العامة ، التي تحقق غاية التربية والتعليم للأمة المسلمة ، المرتبط بتحقيق العبودية لله تعالى بمفهومها الشامل .

### **خصائص طلاب المرحلة الجامعية :**

يلتحق الطالب بالمرحلة الجامعية وهو في سن الثامنة عشرة تقريبا ، إذ يبدأ دراسته بالمرحلة الابتدائية وهو في سن السادسة تقريبا على اختلاف بين البلدان في ذلك ، إذ بعضها يبدأ في السادسة ، والبعض الآخر يبدأ في السابعة ، ثم يمضي في المرحلة الابتدائية ست سنوات ، ثم في المرحلة المتوسطة والثانوية ست سنوات ، فيكون بذلك قد أتم ثمانية عشر عاما ، أو تسعة عشر عاما ، وهذا السن من عمر الإنسان له خصائص تجعله مختلفا عن أي مرحلة عمرية أخرى سابقة أو لاحقة .

فهو يأتي بعد مرحلة المراهقة التي عدها بعض المتخصصين ممن كتبوا عن المراحل العمرية ما بين الحادية عشرة إلى السابعة عشرة تقريبا لدى البنات ، وما بين الثانية عشرة ، إلى الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة لدى البنين (١) .

والباحث يرى أن هذا السن يتميز عن غيره بأنه السن الذي يبدأ فيه الشاب الجامعي أكثر وعيلا ، وأقدر على تحمل المسؤولية ، وأنه السن الذي يبدأ فيه التخصص العلمي بسنواته المتعددة ، وأنه السن الذي يعد فيه الطالب لدراساته العليا في مرحلتي الماجستير والدكتوراه ، لكونه يتربع في هذا السن على مقاعد الدراسة في المرحلة الجامعية ، وهي المرحلة التي تسبق مرحلة الدراسات العليا في مرحلتي الماجستير والدكتوراه .

### **عضو هيئة التدريس الجامعي :**

تكبر المسؤولية في الدار الآخرة على قدر كبر المسؤولية في الحياة الدنيا ، والمتأمل في حال عضو هيئة التدريس الجامعي ، يرى أنه قد تلقى من العلم والمعرفة ما لم يتلقه من هو دونه في السن والمستوى العلمي ، ولهذا كانت مسؤوليته عند الله في الدار الآخرة أكبر وأعظم ، كما أن مسؤوليته أمام الناس أكبر وأعظم ، فإنه يرجى منه ما لا يرجى من غيره ، لكونه — كما سبق — في أنظار الناس يعد متميزا عقليا ، قادرا على القيام بهذه المهام الثلاثة التي أنيطت به من حيث التدريس والبحث وخدمة المجتمع ، بدرجة عالية من الكفاءة ، يساعده في ذلك — بعد توفيق الله تعالى — ما تلقاه طيلة سني عمره من التعليم الجاد ،

(١) محمد السيد الزعبلوي ، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ، ص ١٩ بصرف .



والذكاء والفتنة ، وحسن التدبير ، وإلمامه بمصادر المعلومات ، ووعيه بحسن التعامل مع المشكلات ، والقدرة على اكتشاف العلاقات بين الظواهر المختلفة ، المتعلقة بأحوال المجتمع المادية والمعنوية ، والبحث العميق في مسباتها ، ووضع الحلول العلمية اللازمة لها .

إنه يتمتع بقدره على إدراك الغاية النهائية من الوجود كله ، فليس هو ضيق التفكير لا يعتني إلا بما يراه من المحسوس الملموس ، وليس بمحاصر همته في اللذة العاجلة ، وهو يعلم أن الحياة الدنيا دار لعب وهو ، وأنها ما ذكرت في القرآن الكريم إلا بوصف التهوين والتقليل والتحقير ، وأنها لم تذكر في موطن واحد في مقام المدح والتعظيم ، كما أنه ينطلق في فهمه للأمر والقضايا والمشكلات — تنقياً واستنباطاً وتمحيصاً واكتشافاً وابتكاراً — من خلال مسلمات دينه العالمي ، وثوابت عقيدته الربانية ، التي ارتضاها رب العالمين للبشرية كلها شرعة ومنهاجا ، وحرمة على البشرية أن تدين بغيرها ، أو تستبدل بمنهجها منهاجا ، لكونها لم تترك شاردة ولا واردة إلا وأعطت المسلم منها خبراً .

إنه لا يعيش على فتات موائد الآخرين ، ولا يعيش على ما يتساقط من أفكار أذهانهم ، إنه صاحب القيادة ، ومنهجه منهج سبق الريادة ، بحث عن الحقيقة في مظالمها ، ملتقط للحكمة أنى كان مصدرها ، يعيش في نظره لكل شيء نظرة متوازنة لا إفراط فيها ولا تفريط ، معتن بالعلوم النظرية — من خلال حقائقها التي جاء بها الإسلام ، خاصة ما يتعلق بتاريخ الإنسان الذي تبني عليه كل أموره التربوية التزكوية فردا كان أو جماعة .

غير متغافل عن العلوم التطبيقية التي تعنى بتسيير أمور الناس على ظهر هذه الأرض ، بل هو فيها ما بين مبدع مخترع ، وما بين ناقل للمعرفة التراكمية ، بعد صبغها بالصبغة الإسلامية الأخلاقية الراقية ، في غاياتها ، وأهدافها ، وأساليبها ، ووسائلها .

إن هذا كله داخل تحت ما يجب أن يكون ، وهو المؤمل من عضو هيئة التدريس الجامعي ، الذي يخفق جنانه في كل لحظة بكلمة التوحيد ، مدركا لدلولها الذي يجعل جوانب الحياة كلها وفق منهج الله تعالى .

فلا إله إلا الله عنده تعني أنه لا أحد يجب أن يعبد ويطاع بحق فيما كبر من الأمور وما صغر إلا الله تعالى ، لأن المنطق العلمي يؤكد على أن صاحب الخلق هو صاحب الأمر ، فالطاع الحق في جميع جوانب الحياة ، العقدية ، والعبادية ، والأخلاقية ، والسلوكية ، والتعليمية ، والتربوية ، والإعلامية ، والفكرية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، وفي مواطن السلم ، وفي مواطن الحرب ، هو الله

الخالق الذي لا إله غيره ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ (١)

(١) - [سورة الأعراف: الآية ٥٤]

ومدلول : محمد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عنده تعني : تصديقه في جميع ما أخبر به من حقائق علمية ربانية أو حاشاها الله تعالى إليه ، تصديقا لا يخالطه شك ، أو يحتاج في إثباته إلى الحس والتجربة ، إنما هو التصديق المطلق من غير قيد ولا شرط ، خاصة بعد دلائل النبوة الصادقة التي جاء بها الوحي ، واجتناب ما نهي عنه وزجر عن قناعة وطواعية واختيار ، لا يجد معها حرجا في نفسه ، ويسلم تسليما ، معتقدا من سويداء قلبه أن الجنة قد أغلق الله جميع الطرق الموصلة إليها ، إلا من طريق واحد ، وهو الطريق الذي بينه صلى الله عليه وسلم ، وحمل الأمة عليه في منهج واضح بين ، ليله كنهاره ، لا يزيغ عنه إلا هالك شقي .

إن الإيمان بمدلول هاتين الكلمتين اللتين هما منهج حياة متكامل هو ما يجب أن يكون عليه المسلم الأمي الذي لم تنهأ له سبل القراءة والكتابة ، فكيف بمن وراءه من المتعلمين المثقفين من أبناء الأمة ، وعلى رأسهم عضو هيئة التدريس الجامعي .

وعلى هذا يمكن تفعيل منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم لدى عضو هيئة التدريس الجامعي

من خلال :

: القدوة :

من المؤكد أن عضو هيئة التدريس الجامعي في البلاد الإسلامية معلم ومرب ، بل إنه ليرتبع على قمة الهرم في العملية التعليمية والتربوية النظامية ، وليس بخاف على أحد أن المعلم المربي لا يمكن أن يكون له أثر في نفوس طلابه ما لم يكن قدوة لهم فيما يأتي وما يذر ، وأن الذي يكون في موطن القدوة ، يطلب منه دائما أكثر مما يطلب من غيره .

إنها تبعة ثقيلة على عضو هيئة التدريس الجامعي في البلاد الإسلامية ، وإنها ليسيرة على من يسرها الله تعالى عليه ، وذلك متى ما استشعر مهمته التي خلقه الله تعالى من أجلها ، واستحضر وظيفته التي كلفه الله تعالى بها ، ودوره في البناء العلمي والتربوي للناشئة المسلمة التي تعد ثروة الأمة ، وقلبها النابض بالعطاء ، ثم قام بهذا الدور وفق جهده وطاقته ، إذ لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها .

والقدوة من أعظم الأساليب التربوية أثرا في النفوس ، بل إنها لمن أعظم الأساليب التي تحدث إقناعا فيما يؤمن به الإنسان ، وما ينقله للناس من معتقدات ، وأفكار ، ومبادئ ، وقيم ، وسلوكيات ، وغير ذلك .

وعلى هذا فإن عضو هيئة التدريس الجامعي في بلاد المسلمين لا يمكن أن أن يخاطر بباله — فيما يجب أن يكون — أن الإسلام محصور في جملة من الشعائر التعبدية ، وأنه علاقة بين العبد وبين ربه فقط ، ولو مارس شعائره التعبدية ، ولا يمكن أن يدور بخلده مقولة : أن الإسلام لا يصلح أن يزج به في كل شيء ، فيفصل بين الدين والحياة ، ويحصر الإسلام في زاوية ضيقة من الحياة ، مستهزئا بمن يحاول ضبط جوانب الحياة بالإسلام ، لأنه والحال ما ذكر سيكون بين جاهل بشمولية الإسلام ، وهيمته على الحياة كلها ، مع ضعف صلته بمصادر الإسلام الأصيلة ، وتراث الأمة المجيد ، وبين عالم بما يقول ، غير أنه تلقى منهجيه في

الفصل بين الدين وسائر جوانب الحياة من العلمانية الكنسية ، ففاس الدين الإسلامي الخفوظ بوعد الله تعالى من التحريف والتبديل على الديانة النصرانية المحرفة المبدلة ، وقاس تكريم الإسلام لعلمائه ، وإعلاء مكانتهم ، وجعلهم حملة ميراث النبوة ، على فعل الدين الكنسي المضلل في تحريق علمائه الذين كشفوا تحريفاته وخزعبلاته ، وقاس تجميد العقل في العقلية الكنسية النصرانية على دعوة الإسلام أتباعه إلى أعمال عقولهم في عالم الشهادة ، ووصف أصحابها بأنهم أولو الألباب .

إن عضو هيئة التدريس الجامعي الذي رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً بريء من هذا كله ، لأن الذين يؤمنون بذلك قد ساوى بين الحفظ والضياع ، وبين التكريم والإهانة ، وبين التفكير والجمود ، وهذه منهجية من لا يعقل ، وإن كانوا يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، فقد ادرك علمهم في الآخرة ، بل هم منها في شك ، بل هم منها عمون ، لتكون النتيجة هي الضلال في أحكامهم التي يصدرونها على الإسلام وأهله ، ومن فعل ذلك فقد ضل وأضل ، وضل عن سواء السبيل .

إن أعضاء هيئة التدريس في الجامعات المسلمة هم معقد الأمل بعد توفيق الله تعالى ، وهم الفئة التي يجب أن تعتقد من سويداء قلبها أن الإسلام رسالة الله للعالمين ، وأن سعادة الفرد والمجتمع مرهونة بتحويل أحكامه إلى واقع معاش في كل جانب من جوانب الحياة ، ثم لا تكفي بهذا الاعتقاد ، بل إنها لتسعى جاهدة بكل ما أوتيت من جهد لتأصيل قضاياها ، وتوجيه جميع مناشط الحياة وفق توجيهاته ، جاعلة المعيار في ذلك كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، بالمنهجية التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وهي جزء لا يتجزأ من تلك الفئة التي ما تزال على الحق في كل عصر ومصر ، وقد تكون هذه الفئة مبثوثة في تخصصات علمية متنوعة منها الشرعي والتطبيقي والإنساني ، وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (( ما تزال طائفة من أمتي على الحق منصورين لا يضرهم من خالفهم ومن خذلهم حتى يأتي أمر الله )) (١) زاد مسلم — رحمه الله : (( حتى يأتي أمر الله وهم على

ذلك )) (٢)

ومتى ما تعطلت القدوة — خاصة عند من تقعد بهم الشهوات عند مجرد الاستهلاك اللفظي — أصبحت الكلمات جوفاء خرقاء لا قيمة لها ، وأصبح المستمعون للكلمة يفسرونها على أنها ترجية للوقت ، وملء للفراغ الزمني بجملة من العبارات وقت الإلقاء ، لكون طبيعة العمل تقتضي ذلك ، ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إنه لترسم في أذهان المستمعين للكلمة صورة التناقض والتفريط القاتل ، الذي يخلق

(١) البخاري ، صحيح البخاري ، ص ٣٩ رقم الحديث ( ٧١ )

(٢) مسلم ، صحيح مسلم ، ص ٧٩٥ رقم الحديث ( ١٩٢٠ )

صورة من صور عدم مطابقة المقال لواقع الحال ، وقد توعد الله من كان هذا حاله بشدة غضب الله عليه ومقته له ، كما في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا

لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا

تَفْعَلُونَ ﴿١﴾ ﴿٢﴾

إن من أوجب الواجبات أن يكون عضو هيئة التدريس الجامعي قدوة لطلابه داخل أروقة الجامعة ، وقدوة للناس خارج أسوارها ، إنه قدوة للجميع شاء أم أبي ، ومن يكون دائما في مواطن القدوة هو واحد من اثنين : إما قدوة في الخير ، وإما قدوة في الشر ، وهو ما جاء واضحا في قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث جرير عن أبيه رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن

ينقص من أوزارهم شيء )) (١)

إن عضو هيئة التدريس الجامعي في أنظار الناس حجة فيما يقول وما يفعل ، لكونه قد نال حظا من المعرفة لم ينله غيره ، ولكونه قد تربى فترة من سني حياته الدراسية على منهجية البحث العلمي ، التي تؤكد على منطقية التفكير من خلال التجرد والموضوعية بحثا عن الحقيقة ، والاعتماد على الدليل والبرهان ، بعيدا عن المواقف المتشججة ، وردود الأفعال المتوترة ، وأنه لا يفعل شيئا إلا بعد البحث والدراسة ، والتحري من مصداقية ما هو بصدده ، والنظر في عواقبه ، وما تؤول إليه نتائجه ، وأنه لا يطلق الأحكام على عواهنها إلا بعد التثبت والتحري ، وأنه لا يتخذ موقفا من حدث أو قضية إلا بعد سبر أغوارها ، وجمع المعلومات حولها ، ودراسة ملابساتها ، والوقوف على أسبابها ، وخاصة أسبابها الخفية غير الظاهرة وكشف العلاقات التي تربطها بغيرها ، إلى غير ذلك من المهارات التي تعلمها أثناء رحلته العلمية ، وخاصة في مراحل دراساته العليا .

وليست القدوة التي يؤكد عليها الباحث خاصة بفتة معينة من أعضاء هيئة التدريس ، وإنما هي عامة يجب أن يتحلى بها كل عضو هيئة تدريس جامعي مسلم رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا .

(١) - [سورة الصف: الأيتان ٢-٣]

(٢) مسلم ، صحيح مسلم ، ص ٣٩٢ حديث رقم (١٠١٧)

إن جميع أعضاء هيئة التدريس في الجامعات في بلاد المسلمين مطالبون على جهة الإلزام أن يكونوا قدوات لطلابهم وللآخرين مهما كانت تخصصاتهم ، إذ بين الجميع قاسم مشترك من دين الله تعالى لا يعذر أحد بجهله البتة ، مهما كان تخصصه ، كما أن الجميع مطالبون بقدر مشترك من أحكام الإسلام ، لا يستثنى منها أحد ما دام قادرا على أدائها ، وهي ضمن دائرة الوسع التي كلف الله - تعالى - بها عباده

كما أن الجميع سواسية أمام قول الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي

وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ

وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١﴾

فهم مطالبون جميعا بأن تكون جميع مناشط حياتهم - في أي تخصص - لله رب العالمين ، لا يند عنها نشاط أبدا ، لكونهم جميعا يؤمنون بأن قدوتهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مخاطب صلى الله عليه وسلم بهذه الآية ، وبذلك أمره الله سبحانه ، وبما أنه قدوتهم فهم مخاطبون بهذه الآية إن كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، كما قال تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كَثِيرًا ﴿٢﴾

حيث لم يحدد المولى جانبا واحدا من جوانب الحياة يكون فيه النبي صلى الله عليه وسلم قدوة للناس ، كجانب إقامة الشعائر التعبدية ، إنما جاء الأمر على إطلاقه ، أسوة حسنة لجميع الناس ، وفي كل جانب من جوانب حياتهم العامة والخاصة لأن : " شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ليست شخصية عصر ولا جيل ولا أمة ولا مذهب ولا بيئة ، إنها آية كونية للناس كافة وللأجيال كافة . . . فهو للعالمين

(١) - [سورة الأنعام: الآيات ١٦٢-١٦٣]

(٢) - [سورة الأحزاب: الآية ٢١]

كلهم ، وللناس كافة ، في جميع الأزمان من لدن مبعثه ، وفي جميع الأجيال ، وفي كل الأرض ، آية باقية لا تذهب ، ولا تنقص ، ولا تزول " (١)

وعليه فإن عضو هيئة التدريس الجامعي مطالب بأن يكون قدوة للآخرين في جملة الأمور ، يرى الباحث أن من أهمها :

أولاً : أن يكون قدوة للآخرين من خلال سلوكه الديني المتمثل في عقيدته التي يؤمن بها ، والتي تنبثق عنها سائر تصرفاته ، ويتمثل ذلك في فرط عنايته بالقضية الكبرى التي خلق الله الوجود كله من أجلها ، وهي عبادة الله تعالى بمفهومها الشامل ، ويتربع على قمة هذا الأمر عنايته بصحة معتقده في إلهه الذي يعبد عبادة شاملة يتسع مدلولها ليشمل كافة مناشط الحياة ، بدءاً بالعقيدة ، وانتهاءً بإماطة الأذى عن الطريق ، ويكون ذلك من خلال إيمانه بأنواع التوحيد الثلاثة : توحيد الربوبية الذي يؤكد على أن الله تعالى هو الخالق البارئ المصور وأنه المحيي المميت وأنه الرازق المدبر إلى غير ذلك من الأفعال التي لا يشارك الله تعالى فيها غيره ، لا من الإنس ولا من الجن ولا من الملائكة ولا من سائر الخلق على الإطلاق .

وتوحيد الألوهية الذي يؤكد على أن المتفرد بتلك الأفعال السابقة هو وحده الذي يستحق العبادة دون سواه ، فالصلاة لله الخالق ، والتوكل على الله الرازق ، والخوف من الله الذي يحيي ويميت ، والدعاء لله القادر على كل شيء ، الفعال لما يريد ، المالك لكل ذرة في الوجود ، والذبيح لله ، والنذر لله ، والاستغاثة بالله ، والاستعانة بالله ، وكل مظهر من مظاهر العبادة يجب أن يصرف لله تعالى ، فلا يكون لأحد من الخلق مع الله تعالى مثقال ذرة من شرك ، لأن ذلك من أعظم الذنوب كما صح عنه صلى الله

عليه وسلم أنه قال حينما سئل عن أعظم الذنوب فقال : (( أن تجعل لله ندا وهو خلقك )) (٢)

وتوحيد الأسماء والصفات الذي يؤكد على أن الله سميع بصير حي قيوم مالك مدبر محيي مميت أول آخر ظاهر باطن جبار متكبر تواب غفار رازق صبور يستلزم من منه بحكم مكانته العلمية وتميزه العقلي أن يعبد الله تعالى بمقتضى هذه الأسماء والصفات ، فإذا قر في سويداء قلبه أن الله ( سميع ) أحسن كلامه ، وجمل حديثه ، وراقب الله في كل كلمة يتفوه بها ، وإذا قر في سويداء قلبه أن الله ( بصير ) حرص ألا يراه الله حيث نراه ، أو يفترقه حيث أمره ، وإذا قر في سويداء قلبه أن الله ( غفور ) رحيم ، تواب ( أقبل على الله بالتوبة والإنابة والاستغفار وتعرض لرحمة الله تعالى حين يلم بشيء من الخطأ أو التقصير ، وإذا قر في سويداء قلبه أن الله ( عزيز ذو انتقام ) خاف من الله تعالى حين تحدثه نفسه باقتحام

(١) محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ، ج ١ ص ١٨٤

(٢) مسلم ، صحيح مسلم ، ص ٦٢ رقم الحديث ( ٨٦ )

الآثام عن علم وبصيرة ، وتذكر قول الله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ آتَّخَذَ إِلَهَهُ

هُوَ لَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ  
عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ

﴿٢٣﴾ (١) فخاف آثار المعاصي في الدنيا والآخرة ، وخاف من عاجل عقوبة الله تعالى أو آجلها ،

وهكذا دواليك .

ثم ما يستتبع هذه العقيدة من الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، وكلها قد دلت عليها دلائل وبيانات في غاية العلمية المقنعة التي تؤكد على أن المتفرد بالخلق هو المتفرد بالعبادة ، وأن الذي يملك الرزق وحده هو الذي يسأل وحده ، وأن الذي بيده الحياة والموت هو الذي يخاف وحده ، وهكذا .

كما أن إيمان عضو هيئة التدريس الجامعي بأن الله — تعالى — قد كتب مقادير كل شيء قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة يورث طمأنينة النفس ، وثبات الفؤاد ، الأمر الذي يحمله على عدم الجزع ويمنعه من الاستكانة والخور ، والتحسر على الماضي دون لفتة إلى المستقبل ، ودعوة النفس إلى المحاسبة ، وتفقد الحال ، فإنه ما من مصيبة تمر بالعبء إلا وهي بسبب ذنب اقترفه ، كما قال تعالى : ﴿

وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ

كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ (٢)

إن هذا الإيمان كله في جانب العقيدة مبني على منهجية علمية منطقية مقنعة ، تؤكد على أن الأمر تابع للخلق ، وأن الذي يتفرد بالخلق ، هو وحده الذي يتفرد بالأمر ، وأن الذي تفرد بصفات الجلال والكمال هو المستحق أن يتفرد بالعبادة دون سواه ، وأن الإله الذي تتعلق القلوب به في مواطن الشدائد والأزمات ، هو الإله الذي يجب أن تتعلق القلوب به في مواطن الرخاء والمكرمات ، وإلا وقع التناقض المزري ، والتخبط المقيت ، والتناقض الفاضح ، إذ لا يليق بعقل في الأرض أن يؤمن بأن الله هو

(١) - [سورة الجاثية: الآية ٢٣]

(٢) - [سورة الشورى: الآية ٣٠]

الذي يملك الوجود كله ، وأن غيره لا يملك فيه متقال ذرة ، ثم يجعل بعد ذلك المخلوق مساويا للخالق فيصرف له العبادة من دون الله ، أو يجعله شريكا مع الله ، فيساوي بين من يملك كل ذرة ، ومن لا يملك متقال ذرة ، ويساوي بين خالق كل شيء ، وبين عاجز عن خلق ذاب حقير ، وبين القادر على فعل كل شيء ، وبين عاجز عن استرداد طعامه من الذباب الضعيف الحقير إذا أخذه .

وهذا عين ما يفعله أعضاء هيئة التدريس في كثير من جامعات العالم ممن لا يؤمنون بالله تعالى مع اعترافهم بأنه الذي خلقهم ، وإذا أنكروا أو أشركوا — تكبرا وعنادا أو هوى وتقليدا — فضحتهم مواطن

الشدائد والمدلهمات : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ

الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ (١)

وهل يعقل أن عضو هيئة تدريس جامعي بوذي في جامعة مرموقة في أعين الناس يقوم كل صباح إلى صنم من خشب منحوت باليد ، لربما شكَّته يد جاهل لا يقرأ ولا يكتب ، فيطعمه ويسقيه ، راجيا منه جلب النفع ، ودفع الضر .

سبحان الله !!! أين العقل ؟ أين التفكير ؟ أين المنهجية العلمية الصحيحة التي تسير بصاحبها ليصل إلى نتائج صحيحة متفقة مع النقل والعقل والواقع والفطرة ؟؟؟؟

صنم من خشب ، لا يعقل ، ولا يسمع ، ولا يبصر ، ولا يتكلم ، ولا يملك موتا ، ولا حياة ، ولا نشورا ، نحتته يد إنسان يجوع ويعطش ويمرض ويموت ، يكون بعد ذلك إلها ، قادرا ، متصرفا ، له الأمر من قبل ومن بعد ؟؟؟؟

ثم بعد ذلك ، كيف يؤمن عضو هيئة تدريس في الجامعة بإله جائع محتاج للطعام ، ظمآن محتاج إلى الشراب ؟؟؟؟ ثم ، من الذي يطعمه ويسقيه ؟ إنه عبده ومسترقه ، ثم ، أليس هذا الإنسان يضع الطعام والشراب بين يدي ربه وإلهه ، ثم يعود في الغد ليقوم بتغيير الطعام والشراب ، فإذا الطعام والشراب كما هو لم يتسنَّه ، فلم ينقص من الطعام قطعة واحدة ، ولم ينقص من الشراب قطرة واحدة ، أجل :

أليس هذا فعل من لا يعقل ، وقد صدق فيهم قول الله تعالى : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ

وَعَدَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا

(١) - [سورة العنكبوت: الآية ٦٥]



## مِنَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ (١) فمع

أن الله تعالى قد أثبت لهم علما بظاهر الحياة الدنيا ، إلا أنه قد نفى عنهم العلم الحقيقي ، الذي به يعرفون ربهم ويعبدونه بمقتضى ذلك العلم ، وهذا منطوق الآية الكريمة ، وأما مفهومها ، فإن الله تعالى قد نفى عنهم العلم بحقيقة الحياة الدنيا ، إذ هم لا يعلمون منها إلا الزينة الظاهرة فقط ، غير مدركين حقيقتها ، والذي لا يعرف من الشيء إلا ظاهره يقال بأنه جاهل غير عالم .

فهاهنا ثلاثة علوم : علم بالله تعالى على هدى وبصيرة ، وهو العلم الذي به قوام سعادة الدنيا والآخرة ، وعلم بظاهر الحياة الدنيا ، وعلم بحقيقة الحياة الدنيا ، وهم لم يدركوا إلا علم ظاهر الحياة الدنيا فقط ، فكان حقا أن يقال بأنهم لا يعلمون ، وغفلتهم هذه هي التي بينها قول الله تعالى : ﴿ بَلْ أَدْرَاكَ

## عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكِّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٧٦﴾ (٢) وبسبب

العمه الذي أصاب قلوبهم ، ادراك علمهم ، وشكوا فيها ، وعموا عن مصيرهم فيها ، فلم يستحقوا بذلك وصف الجهلة غير العالمين فحسب ، وإنما استحقوا إلى جوار ذلك وصف البهيمية الحيوانية التي لا تفكر إلا في شهواتها المادية فقط ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ

الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ

## الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ (٣)

ثانيا : أن يكون قدوة للآخرين في التزامه بأحكام الشريعة ظاهرا وباطنا ، وتمثله أخلاق الإسلام وآدابه العامة ، وتحويلها إلى واقع معاش ، ممارستها في حياته اليومية ، لكونه يعلم بأن هذه الأحكام وهذه الأخلاق قد أنزلها على العباد ربهم العالم بما يصلحهم وما يصلح لهم ، وقد يقف عضو هيئة التدريس الجامعي على جملة من الحِكَم العظيمة التي من أجلها شرع الله تعالى مثل هذه العبادات والأخلاق .

ثالثا : أن يكون قدوة للآخرين في منهجيته العلمية وهو يتناول المسائل بالشرح والتوضيح أو يناقش أطروحات الآخرين بكل تجرد وموضوعية ، ملتزما بضوابط التفكير العلمي التي سبق الحديث عنها .

(١) - [سورة الروم: الآيات ٦-٧]

(٢) - [سورة النمل: الآية ٦٦]

(٣) - [سورة الأعراف: الآية ١٧٩]

كما أن همة عضو هيئة التدريس الجامعي لا تعرف الدون أبدا وهو يعلم أنه فرد في أمة صاحبة

رسالة عالمية ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا

وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

وأنه فرد في أعظم أمة تميزت بين سبعين أمة من الأمم التي مرت في تأريخ البشرية الطويل ، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم من حديث هز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنهم أنه قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( أتم توفون عند الله سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله )) (٢)

وقال فيه الهيثمي : " رواه أحمد ورجاله ثقات " (٣)

وأنه يحمل منهجا علميا يقوم على حقائق علمية ربانية لا تقبل الشك ولا التناقض أبدا حول الخالق وحول الكون والإنسان والحياة والمصير ، وأن هذه الحقائق قد حددت له العلاقات التي يجب أن تكون بين الخالق من جهة وبين المخلوق من جهة أخرى ، سواء كان هذا المخلوق هو الكون أو الإنسان أو الحياة أو المصير ، وأن هذه المنهجية العلمية قد أعلنت من شأن العقل ودعته لأن يعمل على أوسع نطاق ، ووعدته بأجرين إن هو أصاب ، وبأجر واحد إن هو أخطأ ، وحددت له المسار ، ووضعت له الضوابط الشرعية التي ورد بها المصدران العظيمان كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، لتلا يضل الطريق ، وقد أثبتت وقائع الله في الأرض أن العقل البشري لا يمكن أن يهتدي إلى الحق إلا عن طريق الوحي ، وأن البشرية كلما ظنت أنها ستستغني بعقلها المجرد عن الله تعالى ، كلما زاد تخبطها وانحرافها واضطرابها ، فأوغلت في الفساد ، وارتكست في حمأة الشرور ، لتذوق من الويلات ما لم يعد خافيا على ذي بصيرة . مع أهمية التأكيد عند هذه المسألة على الحذر من منهجية تقدم العقل على النقل حين يظن أن بين النص الصحيح والعقل الصريح تناقض ، وأنه حين يقع ذلك فإن العقل يقدم على النقل لكون العقل أسلس النقل وقد جاء باحترامه ، وجعله مناط التكليف .

غير أن هذا الكلام فيه حق وباطل ، فالحق أن العقل مناط التكليف ، وأنه محترم في دين الإسلام ، والباطل هو الدعوة إلى تقديمه على النص الصحيح الصريح في الكتاب والسنة .

ولعل من أوضح التطبيقات التربوية التي يمكن أن يعطي عليها عضو هيئة التدريس الجامعي مثالا يدل على خطورة تقدم العقل على النقل وآثاره التي يمكن أن تظهر في حياة الإنسان أو الأمة ، ما وقع في

(١) - [سورة سبأ: الآية ٢٨]

(٢) الحاكم ، المستدرک ، ج ٤ ص ٩٤ ، وهو في جامع معمر ج ١١ ص ٣٤٧ .

(٣) الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج ١٠ ص ٣٩٧

غزوة أحد حين حصل الصراع بين العقل والنقل فالنقل يحذر الصحابة وهم على رأس الجبل يحرسون الجيش المسلم وهو يقاتل الأعداء من ترك الموقع مهما كانت الأسباب ، والعقل يقول - وخاصة بعد النصر للمسلمين في بداية المعركة وفرار المشركين - إن البقاء هنا بعد هزيمة الكفار ضرب من الخلل في التفكير ، وكانت نتيجة الصراع هذا أن قدم العقل على النقل ونزل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين - بحسن نية - لجمع الغنائم ، مخالفين النص الصريح ، فكانت هزيمة فادحة ، ما يزال القرآن الكريم وسيظل يعطي في أحداثها للأمة دروسا في العناية بالنص والوقوف عنده إلى يوم الدين ، ولا مانع أن يكون الاجتهاد فيما لا نص فيه ، وهو مقتضى احترام الإسلام للعقل وجعله مناط التكليف .

إن عضو هيئة التدريس الجامعي قدوة لطلابه سواء كان ذلك خلال الموقف التعليمي أو غيره ، داخل الجامعة أو خارجها ، في حسن سمته ، ودقة فهمه ، وسعة أفقه ، وثراء علمه ، وصدق منهجيته في معالجة القضايا ، ومطارحة الأفكار ، لأنه والحال ما ذكر يترسم خطى أعظم معلم عرفته البشرية في تأريخها الطويل ، الذي ما ترك خيرا إلا ودل أمته عليه ، ولا شرا إلا حذرنا منه ، ولم يلحق بربه إلا وقد أتم الله به النعمة ، وأكمل به الدين ، ورضي دينه للبشرية كلها شرعة ومنهاجا ، كما قال تعالى : ﴿

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي  
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿١﴾

إن عضو هيئة التدريس الجامعي مطالب بأن يكون صاحب منهجية علمية في التفكير ينطلق فيها من خلال توجيهات القرآن الكريم في جميع شؤون حياته على جهة العموم ، وفي الموقف التعليمي على جهة الخصوص ، وفي الموقف التعليمي تتجلى هذه المنهجية لدى عضو هيئة التدريس من خلال طرائق التدريس ، وأساليب التقويم ، وبيان ذلك كما يلي :

(١) - [سورة المائدة: الآية ٣]

## الخطوات الإجرائية لتفصيل منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم لدى عضو هيئة

التدريس الجامعي من خلال طرائق التدريس .

أوة : طرائق التدريس :

مفهومها :

عرف بعض المتخصصين طرائق التدريس بأنها : " أيسر السبل للتعلم والتعليم " (١) وقيل هي : " سلسلة فعاليات منظمة يديرها في الصف معلم يوجه انتباه طلبته بكل وسيلة ، ويشاركهم في هذه الفعاليات لتؤدي بهم إلى التعلم " (٢)

انواعها :

صنف بعض الباحثين طرائق التدريس تصنيفا عاما ، فجعلها في ثلاثة أنواع (٣) :

النوع الأول : الطريقة الإلقائية ، وهي الطريقة التي يكون الطالب فيها سلبيا في أغلب الأحيان

وتعتمد على المعلم كمحور رئيس فيها .

النوع الثاني : الطريقة الحوارية ، وهي الطريقة التي يشترك فيها الطالب والمعلم في سبيل بلوغ

الهدف .

النوع الثالث : الطريقة التي يكون الطالب فيها إيجابيا في أغلب الأحيان وهي الطريقة التي تعتمد

على نشاط الطالب وحيويته .

وصنفها بعض الباحثين تصنيفا تفصيليا فقال : " ومن الأساليب الشائعة في التدريس الجامعي :

المحاضرة ، والحوار والمناقشة ، والندوة ( الحلقية ) ، والعرض ، والاستقصاء ( التقصي والاستكشاف )

وحل المشكلات ، والمختبر ، والطريقة الذاتية السمعية البصرية ، - والرحلات ( الحقلية ) الميدانية " (٤)

ومع تنوع هذه الطرائق إلا أن الباحث يرى أن عضو هيئة التدريس الجامعي لا بد أن يكون له في

كل نوع من هذه الأنواع دور بارز ، إما بالتصحيح وإبداء الملاحظات ، وإما بالتأييد وإبداء المبررات ،

حتى ولو كان الطالب هو الذي توصل إلى المعلومة بنفسه سواء كان بمفرده أو مع جملة من إخوانه في قاعة

الدرس ، .

كما أن من الصعب أن يقال بأن طريقة بعينها هي الطريقة الأنجح من بين طرائق التدريس

المتعددة ، وهو ما أكده أحد الباحثين بقوله : إن من الصعب بمكان أن نقترح أسلوبا تدريسيا جامعيا معيناً

يصلح لتحقيق جميع الأهداف والغايات المنشودة من التعليم الجامعي . . . من هنا ينبغي على عضو هيئة

التدريس الجامعي عند اختيار أسلوب التدريس الجامعي اعتبار العوامل والمعايير التالية : المستوى التعليمي (

(١) صالح عبدالعزيز ، و عبدالعزيز عبدالمجيد ، التربية وطرق التدريس ، ص ٢٠٢

(٢) محمد آل ياسين ، المبادئ الأساسية في طرق التدريس ، ص ٥١

(٣) منتصر عسيري وآخرون ، دور المشرف التربوي في تنمية طرائق التدريس ، ص ١٤ وما بعدها بتصرف .

(٤) عايش زيتون ، أساليب التدريس الجامعي ، ص ١٧١

الأكاديمي ( الجامعي ، ومستوى الطلبة ونوعيتهم ، والأهداف التعليمية ، وطبيعة المادة التدريسية ، ونظرة المدرس الجامعي للعملية التعليمية العلمية (١) .  
على أن تفعيل منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم يمكن أن يتحقق في جميع هذه الأنواع ،  
وعند كل المتخصصين ، والأمر يقدر بقدره ، والمواقف التعليمية هي التي تحدد الطريقة المستخدمة بصورة  
مثلى .

### طريقة التدريس الشائعة :

قبل أن يتحدث الباحث عن طرائق التدريس التي تثير القدرات العقلية العليا وتوجهها نحو  
التفكير العلمي المنضبط من خلال توجيهات القرآن الكريم ، يحسن به أن يعطي لمحة عن طرائق التدريس  
الشائعة اليوم في الأوساط الأكاديمية في المؤسسات الجامعية في بلاد المسلمين من خلال ما كتبه بعض  
المتخصصين .

يتردد على ألسنة البعض في الأوساط الأكاديمية وغيرها على أن عضو هيئة التدريس الجامعي هو  
معلم المعلم ، بمعنى أن معلم التعليم العام المهياً لصياغة عقول الناشئة في مراحل التعليم العام هو من نتاج  
المعلم في المرحلة الجامعية ، وكيفما يكون عضو هيئة التدريس الجامعي يكون من تحت يده ، فإذا هي  
سلسلة تبدأ بعضو هيئة التدريس الجامعي وتنتهي بالتلميذ في المرحلة الابتدائية ، بمعنى أن إتقان عضو هيئة  
التدريس الجامعي لطرائق التدريس ، يمكن أن يمتد أثره ليصل إلى العقول الغضة الطرية في المراحل الأولى من  
التعليم فيسهم في بنائها بناءً قويا يؤسسها على العلمية من نعومة أظفارها ، وأن إخفاق عضو هيئة التدريس  
الجامعي في امتلاك مهارات عالية في طرائق التدريس يمكن أن يمتد أثره السلبي على العقول الغضة الطرية في  
المراحل الأولى من التعليم ، فيسهم في ضعف بنائها العلمي ، حتى إذا ما تقدمت بها السنون أصبحت عقولا  
مستهلكة للمعلومة ليس إلا ، غير قادرة على التمييز والتحليل من خلال آلية تصنعها طرائق التدريس  
الواعية .

وقد أكد كثير من الباحثين على ضرورة العناية بطرائق التدريس في المرحلة الجامعية : " إذ يتفقد  
علماء التربية وذوو الخبرة في هذا المجال أن على الجامعات الاهتمام بأساليب التعليم الجامعي ، والحرص على  
تنمية المهارات التدريسية في مناخ أكاديمي تسوده القدرة على التفكير العلمي ، والتعبير المنطقي " (٢)

وقد وقف الباحث على أبحاث علمية كثيرة تتحدث عن أساليب التدريس الشائعة في الجامعات ،  
وكثير منها يؤكد على شيوع طريقة الحفظ والاستظهار ، ليكون الحال بين عضو هيئة التدريس وبين  
الطالب كحال المرسل والمستقبل ، دون أن يكون هناك تفاعل علمي مثمر بين الطرفين ، حتى قال أحد  
الباحثين : " فلا تزال طريقة إلقاء المحاضرات أكثر طرق التدريس شيوعا في التعليم ، وإن كان في بعضها

(١) عايش زيتون ، أساليب التدريس الجامعي ، ص ١٧٠ بتصرف

(٢) محمد العمري ، آفاق وتطلعات حديثة للتعليم الجامعي ، ص ٣

تستخدم طرق أخرى في المناقشة والحوار وعقد الندوات والمحاضرات الجامعية " (١) وليس الخلل في إلقاء المحاضرة ذاتها ، فإنها من أهم طرائق التدريس ، بل وصفها بعض الباحثين : " بأنها ملح الأساليب التدريسية المتبعة في التدريس الجامعي " (٢) ولكن الخلل يكمن في الأسلوب الذي تلقى به المحاضرة ، وذلك حين تكون بطريقة فردية من قبل عضو هيئة التدريس الجامعي ، من بداية الدرس إلى نهايته ، دون أن يكون للطالب فيها مشاركة تذكر ، إلا ما كان نادرا : " فالطرف الأكثر فاعلية في هذا الأسلوب التعليمي هو المعلم ، الذي يكون في الغالب هو الملقى والمتحرك ، والمحدد لبداية الدرس ونهايته ، بينما يكون المتعلم هو المتلقي غالبا " (٣)

### وإد القدرات العقلية بالكلام الإنشائي المجرد:

العناية بالعقل المسلم وخاصة في معاقل التربية والتعليم وعلى الأخص في المؤسسات الجامعية من أهم المطالب في بناء شخصية المتعلم ، كيف لا ، والقرآن الكريم — كما سبق بيانه — يشيد بأولي الأسباب ، ويثني على أولى الأحلام والنهي ، ويوبخ المعطلين لعقولهم ، ويصفهم بأنهم لا يعقلون ولا يفقهون ولا يعلمون .

من هنا كانت العناية بالتفكير العلمي في مثل هذه المعاقل من أهم المطالب التي يجب أن يوليها عضو هيئة التدريس الجامعي أولوية في حياته التعليمية والتربوية .

فليس من المقبول أن تكون طريقة التدريس التي يتبعها عضو هيئة التدريس الجامعي طريقة واحدة لا تتغير في كل موقف تعليمي ، فلا يصح أن تكون طريقة الحفظ والتلقين هي الطريقة الشائعة في التدريس الجامعي دون أن يكون للطالب دور في المشاركة الفعالة ، ولا بد من تحطيم تلك الطريقة العقيمة التي يظل فيها الطالب طوال المحاضرة يسمع كلاما إنشائيا بحتا ليس فيه إثارة للتفكير وإعمال العقل ، مع أن الطريقة الإلقائية وحدها قد تثير تفكير المتعلم ، في أي مرحلة من مراحل الدراسة ولو كان الطالب منصتا لا يتفوه بينت شفة .

إن المتأمل للمقاعد الدراسية التي يجلس عليها طلاب الجامعة ، والجدران التي تقترب من هذه المقاعد والقصاصات الصغيرة التي تتناثر في قاعات الدراسة عقب كل اختبار ، يجدها لا تكاد تخلو من الكتابات المتعلقة بغش بعض المعلومات التي لا يستطيع الطالب حفظها جميعا على اختلاف صعوبتها وتعدد مشاربها وتخصصاتها ، فيعمد إلى نسخها على الجدران والطاولات وظهور المقاعد والقصاصات الصغيرة التي

(١) مهدي السامرائي ، وقائع الندوة الفكرية الثالثة لرؤساء ومديري الجامعات في الدول الأعضاء ، ص ٢٣٠ — ٢٣١

(٢) عايش زيتون ، أساليب التدريس الجامعي ، ص ١٧١

(٣) صبحي عبدالقادر ، طرق التدريس العامة ، ص ٧١

يطلق عليها ( البراشيم ) والمتأمل في السبب يرجعه إلى جملة من الأمور ، يرى الباحث أن من أسبابها غير المباشرة أو القريبة ضعف طرائق التدريس وأساليب التقويم ، التي تعتمد على إثارة مستوى الحفظ فقط ، فاستعان بتلك الأمور لتثبيت له المعلومة فترة قصيرة حتى ينتهي موعد الاختبار ويحين موعد خروجه من القاعة .

ولو أنها ركزت على إثارة جميع العمليات العقلية ومنها : الحفظ والفهم والتطبيق والتحليل والتركيب والتقويم لكان الأمر غير ذلك .

إن الباحث لا يقلل أبداً من الطريقة الإلقائية على إطلاقها ، ولكنها يقلل من شأن الطريقة الإلقائية الإنشائية التي تخلو من إثارة التفكير ، ذلك أن الطريقة الإلقائية التي تشمل على إثارة القدرات العقلية عند المتعلم هي التي تسهم في تحويل طريقة التدريس من الطريقة الإلقائية التي يقوم بها طرف واحد — وهو عضو هيئة التدريس — إلى الطريقة الحوارية التي يقوم بها الطرفان وهما عضو هيئة التدريس الجامعي والطالب .

إن إثارة القدرات العقلية العليا للتفكير سبب في الحوار ، والحوار سبب في التعلم ، وطريقة من طرائقه ، بل لربما كان الحوار في بعض المواطن أثبت في الذهن من الطريقة الإلقائية الإنشائية المجردة ، وهو صورة من صور تدارس العلم الذي جاء نصه واضحاً في قول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم

الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه )) (١) وفي رواية (( ما اجتمع قوم يتذاكرون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا أظلمت الملائكة بأجنتها حتى يخوضوا في حديث غيره ))

(٢) فلم تذكر الرواية أن المدارس في بيت من بيوت الله ، بل جاءت عامة في أي مكان يتلوا الناس فيه كتاب الله ويتدارسونه بينهم في المسجد أو في غيره .

والتدارس عادة ما يكون بين طرفين أو عدة أطراف ، بقصد الوصول إلى نتيجة علمية يسعى المتدارسون إلى تحقيقها ، وهو ما تؤكد منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وهي تثير العقل كي يحلل ويركب ويربط ويصنف ويستنبط ويصدر الأحكام ، سواء كان ذلك أثناء الموقف التعليمي أو في غيره ، مع الربط الوثيق المحكم بين الأهداف السلوكية الإجرائية أثناء الموقف التعليمي ، وبين الأهداف العامة للمقرر الذي يُدرّس أو الكتاب الذي يشرح ، ثم ربطه بالغايات النهائية من الوجود ، بمعنى ربط الهدف

(١) مسلم ، صحيح مسلم ، ص ١٠٨٢ ، حديث رقم ( ٢٦٩٩ )

(٢) الدارمي ، سنن الدارمي ، ج ١ ص ١١٣

السلوكي الإجرائي في الموقف التعليمي بالغاية النهائية من الوجود ، خلافا لما يقوله الفيلسوف التربوي اليهودي ( بنيامين بلوم ) الذي يؤكد حصر الأهداف السلوكية الإجرائية في الموقف التعليمي .  
وإن الباحث يثير عند هذه النقطة تساؤلا مهما لعله يكون فتحا لأبحاث متخصصة تؤصل القضية ، ألا وهو :

لماذا حصر ( بنيامين بلوم ) الأهداف التربوية في الموقف التعليمي وأكد على أن تكون أهدافا سلوكية إجرائية قابلة للقياس والتقييم ؟ .  
أهو الهروب من الغايات النهائية التي خلق الله تعالى الخلق من أجلها ، بحجة أن الحديث فيها نوع من العبث نظرا لارتباطها بمعارف غيبية لا تخضع للحس والتجربة ، ولا يمكن قياسها وتقويمها ، فعند المعلم الذي يتلقى تصنيفه للأهداف التربوية من ( بنيامين بلوم وزملائه ) لا يجعل للأهداف السلوكية التي تقيس الفهم أو الشعور أو المعتقد في دفتر تحضيره نصيبا مفروضا ، بحجة أنها غير قابلة للقياس والتقييم .  
وهل هذا من تأثير النظرية البراجماتية التي لا تؤمن بالمعرفة الغيبية ، لكونها لا تخضع للقياس والتقييم ؟ .

فإذا كان الأمر كذلك فإن مثل هذا القول المستورد لا يصلح لتربيتنا الإسلامية العالمية ، فإن قول ( بنيامين بلوم وزملائه ) : إن الأهداف السلوكية التي تقيس الفهم أو المعتقد لا تصلح أن تكون أهدافا سلوكية إجرائية ، لعدم قدرة المعلم على قياسها أثناء الموقف التعليمي ، قول غير صحيح ، فإن ما من هدف سلوكي إلا ويمكن قياسه سواء كان معرفيا أو مهاريا أو وجدانيا ، وسواء كان ذلك أثناء الموقف التعليمي أو خارجه ، في وقت النشاط أو خلافه .

ففي الموقف التعليمي ، إذا تحدث المعلم لطلابه في أي مرحلة عن عظمة الله تعالى وذرفت من عين الطالب دمعة ، ألا يدل ذلك على ما انطوى عليه قلبه من الخشية والتعظيم ، وهلم جرا .  
إن دمعة العين ، وتبسم الثغر ، وتغير قسمات الوجه ، له دلالة في قياس ما في القلب وهو رد على الذي ينكرون قياس مثل هذه الأهداف الوجدانية أثناء الموقف التعليمي .

كما أننا نملك حقيقة علمية نبوية تؤكد لنا إمكانية قياس ما في القلوب من الوجدانيات والمعتقدات والمشاعر من خلال ما يظهر على السلوك الإنساني ، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( ألا وإن في الجسد

مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب )) ( ١ )

( ١ ) البخاري ، صحيح البخاري ، ص ٣٤ حديث رقم ( ٥٢ )



إن سلوك الظاهر دلالة على ما في الباطن ، ومن أمثلة ذلك تسوية الصفوف ، فإن استقامها عند قيام الصلاة دلالة على ما في القلوب من الإلفة والمودة وسلامة النيات ، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (( لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم )) (١)

ثم من أين جاءت قضية : أن الهدف الذي يقيس المعتقد لا يصلح أن يكون هدفا سلوكيا إجرائيا لكونه غير قابل للقياس والتقييم ؟ أهى نابعة من الفلسفة ( البراهمية ) التي تنكر المعرفة الغيبية ، وتختصر الاهتمام في المعرفة الحسية النفعية ، وتؤكد على أن المعرفة التي لا تخضع للقياس والتجريب ليست معرفة ، وأن تضييع الوقت في بحثها عبث علمي لا طائل من ورائه !!!؟؟؟  
والعجب لا يتأهى من أمة مسلمة جعلها الله خاتمة الأمم ، وجعل نبيا خاتم النبيين ، تملك مصادر ربانية عالمية ، مكلفة بهداية البشرية للتي هي أقوم في كل ميدان من ميادين الحياة ثم تكون عالية — في تصنيفها للأهداف التربوية — على ( بنيامين بلوم وزملاؤه ) وكأنها لا تعيش في جميع أشكال علومها ومعارفها على هذا التصنيف قبل أن يخلق بنيامين ( بلوم وزملاؤه ) وليس هذا تعصبا ، ولكنها الحقيقة التي لا ينكرها إلا مكابر .

إن الذين صنفوا الأهداف التربوية إلى مجالات معرفية ووجدانية ومهارية ، ووضعوا لكل مجال مستوياته الخاصة به ، لم يزيدوا على ما جاءت به المنهجية الإسلامية المعرفية شيئا ، سوى أنهم ابتكروا تسمية التصنيف فقط ، كما فعله ( بنيامين بلوم وزملاؤه ) (٢) .

إن هذا التصنيف قد أحاطت به المعارف الإسلامية في جميع تخصصاتها ، وعلى اختلاف فروعها ، في العلوم الشرعية واللغوية والاجتماعية والرياضية وغيرها .  
حتى أن ما يظن أنه لا علاقة له بإثارة التفكير من الكلام النظري المتلو حتى ولو كان كتاب الله الكريم ، يشتمل على هذه الإثارة ، ومن أمثلة ذلك ما يلي :  
هذا معلم القرآن الكريم يقرأ لطلابه سورة من كتاب الله الكريم ، قائلا لهم : انصتوا وتأملوا وراقبوا الوقف واستنبطوا الحكم المترتب على هذا الوقف ، ثم قرأ قول الله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ ۖ وَالشُّهَدَاءُ ۖ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

(١) مسلم ، صحيح مسلم ، ص ٦٥١ حديث رقم ( ١٥٩٩ )

(٢) مهدي محمود سالم ، الأهداف السلوكية ، ص ٦٣ وما بعدها .

أَوْلَيْكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ (١) ووقف على قوله تعالى ( والشهداء ) ، ثم قرأ الآية مرة ثانية ووقف على قوله تعالى ( هم الصديقون ) واستأنف القارئ القراءة من قوله تعالى ( والشهداء عند ربحهم لهم أجرهم ونورهم ) فسوف يستنبط الطلاب من الوقف الأول عطف ( الصديقون ) على ( الشهداء ) ليكون للآية معنى معيناً مراداً ، وهو أن حال الصديقين والشهداء واحد في إيمانهم بالله ورسوله ، وسوف يستنبطون من الوقف الثاني أن حال الصديقين غير حال الشهداء ، فالصديقون هم الذين آمنوا بالله ورسوله ، أما الشهداء وإن كانوا مؤمنين بالله ورسوله ، إلا أنهم في الآية الكريمة بعد الوقف على ( الصديقون ) تشير إلى ثوبتهم عند الله تعالى وما لهم من النور في الدار الآخرة .

ومثله قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢١﴾ (٢)

فإذا وقف القارئ على قوله تعالى ( ذلك مثلهم في التوراة ) ، ثم قرأ الآية مرة ثانية ووقف على قوله تعالى ( ذلك مثلهم في التوراة والإنجيل ) واستأنف القارئ القراءة من قوله تعالى ( كزرع أخرج شطأه ) فسوف يستنبط الطلاب من الوقف الأول أن وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالشدة على الكفار والرحمة على المؤمنين وكثرة العبادة بالركوع والسجود حتى تأثرت وجوههم بكثرة الصلاة لله تعالى وصف لهم في التوراة دون الإنجيل ، ليكون لهم في التوراة وصف وفي الإنجيل وصف آخر ، وسوف يستنبطون من الوقف الثاني أن وصفهم بما ذكر في الآية موجود في التوراة والإنجيل معا . وقد تكون تلك المعاني التي سببها وقف القارئ في الآيات التي سلفت مقبولة ، إلا أنه قد يقف القارئ وقتاً يستنبط الطلاب من خلاله معانٍ غير مقبولة لم يردّها القرآن الكريم ، ومن أمثلة ذلك :

إذا قرأ القارئ قول الله تعالى :

(١) - [سورة الحديد: الآية ١٩]

(٢) - [سورة الفتح: الآية ٢٩]

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ  
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ  
وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ (١) ووقف على قوله تعالى ( تجري ) أفاد الوقف أن الجنات تجري

وهو غير صواب فإن الجنات لا تجري وإنما الذي يجري هي الأنهار من تحت الجنات .  
وإذا قرأ الآية من أولها ووقف على قوله تعالى في نفس الآية الكريمة ( والذين كفروا ) أفاد المعنى  
أن الله يدخل المؤمنين والكفار النار ، وهذا غير صحيح .

إن هذا موطن قراءة لكتاب الله تعالى في حصة أو محاضرة ، وهو موطن لا يظن البعض أنه موطن  
يمكن أن يثار فيه تفكير المتعلم ليحلل ويربط ويستنبط ويصدر الحكم ، ومع ذلك فإن المعلم الواعي هو  
الذي يستثمر مثل هذه الأساليب ليستثير فيها ملكة التفكير عند المتعلم .

فكيف بما عدا ذلك من فروع العلم الشرعي في التفسير وعلومه والحديث وعلومه والفقه وأصوله  
وسائر المعارف الإسلامية التي تقوم على استثارة التفكير لدى المتعلم حين يعرف العام والخاص والمحكم  
والمتشابه والناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد ، وحين يقعد القواعد ويوصل الأصول فيدرج الجزء تحت  
القاعدة والفرع تحت الأصل ، وحين يستقرأ الأحداث ، ويصدر التعميمات ، ويلحق الأسباب بالمسببات ،  
والعلل بالمعلولات ، وهكذا .

إن هذا كله إعمال للقدرات العقلية ليتحقق في حياة المسلم معنى مناط التكليف الذي جعل  
الإسلام العقل مناطه ، وهو أثر من آثار دعوة الإسلام أصحابه إلى الاجتهاد بعد تحقق شروطه ، وما فيه  
من حوافز الأجرين عند الصواب ، والأجر الواحد عندما يقع الخطأ .

إن التفكير العلمي بشقيه النظري والتطبيقي قد جاءت معالمة واضحة جلية في القرآن الكريم من حيث  
تحديد الهدف ، واستخدام الأسلوب ، مقترنا بالضوابط العلمية والخلقية ، بغية الوصول إلى نتائج صحيحة  
لا مجال فيها للظنون والتخرصات ، مع ما فيه من الحوافز العاجلة والآجلة لضمان إنتاجية فاعلة يقوم بها  
العقل المسلم ، وليس هناك من منهج تربوي يكافئ على الخطأ حين يقع إلا الإسلام ، إذا قصد صاحبه  
إرادة الصواب ، ملتزما بالضوابط الإسلامية وهو يعمل عقله ، وكان ممن يصلح منه الاجتهاد فيما هو  
بصده من مشروع علمي ينتفع منه الناس في أمورهم الدنيوية والأخروية .

إن الباحث يؤكد على أن الطريقة التدريسية التي تقوم على حشو أذهان المتعلمين بالمعلومات  
المجردة تسهم بدور كبير في قتل القدرات العقلية العليا عند المتعلمين ، حيث يجلس المتعلم أمام معلميه في  
كل تخصص يستقبل منهم كما هائلا من المعلومات ، دون أن يكون متفاعلا مع المعلومة التي تقدم له : " ممل

(١) - [سورة محمد: الآية ١٢]

يضعف بقية المهارات من تحليل وتركيب وإبداع ، ويقلل لديهم الميل نحو البحث والتثقيف الذاتي

والاستقلال في الرأي " (١)

غير أن بعض الباحثين ، ولشدة حساسيته تجاه الطريقة الإلقائية في المحاضرة قد بالغ في النقد ، وأجحف في الوصف ، حتى أطلقت العبارات على عواهنها بغير تحديد دقيق ، ومن غير برهان يستدل به على واقع ما نقده أو قام بوصفه ، وفي هذا المعنى يقول بعض الباحثين : " كان دور المعلم قديما يركز على تلقين المعلومات وحشو ذهن الطالب بما لا يطاق من معرفة وحقائق ، والأكثر من ذلك فقد كانت هذه المعلومات نظرية تتعلق بالفلسفة والخيال وما وراء الطبيعة ، ولم يكن لها ارتباط بالواقع العملي ، ونادرا ما كانت تتضمن فائدة علمية تطبيقية ، علاوة على أنه لم يكن للطالب أي دور في العملية التعليمية باستثناء تلقيه هذه المعلومات سواء كانت هذه المعلومات ذات معنى وفائدة بالنسبة إليه أم لا ، وما كان على

الطالب في نهاية الأمر إلا حفظها صما بهدف استرجاعها وقت الامتحان " (٢)

والتأمل لمثل هذا الكلام يجده قد اشتمل على مخالفة خطيرة تحت مظلة تحسين طرائق التدريس ، فكلمة ( قديما ) جاءت على إطلاقها ، لا يدري المتلقي للمعلومة في أي زمن كان هذا يقع ، وفي أي ثقافة ، وعند أي أمة ، ثم إن الخطورة في الكلام المنقول وصف المعلومات التي كانت تقدم للطالب في تلك الفترة بأنها معلومات نظرية تتعلق بدراسة ما وراء الطبيعة ، ولم يكن لها ارتباط بالواقع العملي للطالب ، ولم تتضمن فائدة تطبيقية .

ولكون الكلام قد جاء عاما عائما غير محدد ولا دقيق ، وهو ما تستهجنه المنهجية العلمية الإسلامية ، فإن مثل هذا الطرح لا يمكن قبوله ، وهذا الوصف الذي أطلقته الباحثة بجانب للصواب إذا قصد به الطرح الإسلامي المنطلق من منهجية القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في أي عصر ومصر ، فقد كانت هذه المنهجية — وما زالت — تدرس ما رواء الطبيعة من قضايا الغيب وتتناولها بأسلوب علمسي في غاية البيان والإقناع .

إن الباحث يلمس في كلام هذه الباحثة غلبة الحس البراجماتي (٣) الذي لا يؤمن إلا بالمعرفة

الحسية التي تحس وتقاس وتجرب ويُرى أثرها ، أما الإيمان بما وراء ذلك من أمور الغيب فقد وصفتها الباحثة بأنها معلومات نظرية متعلقة بما وراء الطبيعة ليس لها ارتباط حسي بواقع الطالب ولا تتضمن فائدة تطبيقية

(١) محمد الدريج ، التدريس المتحاذف ، ص ٥٦

(٢) أفان دروزة ، دور المعلم في عصر الإنترنت والتعليم عن بعد ، ص ٩٣

(٣) نسبة إلى الفلسفة البراجماتية التي تؤمن بالمحسوس للموس الحاضخ للقياس والتجريب ، وتكفر بما وراءه .

، وأن دور المعلم فيها ما هو إلا دور الملحق الذي يحشو بها أذهان التلاميذ ، وهذا من أغرب ما يكون ، فإن ما وراء الطبيعة قد أخذ من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مساحة واسعة جدا ، في منهجية علمية قد بلغت في البيان غايته ، وفي الإقناع نهايته .

ومع أن الباحثة بصدد الحديث عن التعليم في عصر الإنترنت والتعليم عن بُعد ، إلا أن الهجوم على الطريقة الإلقائية بهذه الصورة يمكن أن ينسحب على ما هي بصدد الحديث عنه ، فإن التعليم عن بعد ربما كان إلقائيا ، يكون دور الطالب فيه دور المتلقي سواء كان ذلك عن طريق قراءة المرجع العلمي للمقرر ، أو كان ذلك من خلال سماع المحاضرة ، مع إيمان الباحث بأن تنوع طرائق التدريس أمر مهم جدا في العملية التعليمية والتربوية ، وأن الطريقة الإلقائية جزء مهم فيها ، بل وربما كانت في بعض المواطن أنفع للمتعلم من غيرها ، وليس أدل على ذلك من منهج الإسلام في تحديده للطريقة التي يجب أن تكون عليها خطبة الجمعة عند المسلمين ، فإنها قائمة على الطريقة الإلقائية البحتة ، بعد أن هيا الإسلام أجواءها بالتبكير إلى المسجد ، والدنو من الإمام ، والإنصات الكبير ، حتى لو أن واحدا من المصلين عطس والإمام يلقي خطبته ، لم يشتمه جاره في الصف ، مع النهي الشديد عن مس الحصى ، أو غيره ، مما يشغل المصلي عن سماع الخطبة ، وكراهة الاحتباء والإمام يخطب ، وغير ذلك .

إن خطبة الجمعة — وهي الشعيرة العظيمة التي رضيها المولى سبحانه للمسلمين جميعا منذ مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن تقوم الساعة شرعة ومنهاجا تربويا للتربية والتعليم — كانت تقوم على الطريقة الإلقائية البحتة ، فهل يجرؤ تربوي اليوم أن يصف هذه الطريقة بأنها طريقة عقيمة ، وأنها تعتمد على طرف واحد فقط ، وأن المتعلم فيها سلب في تلقيه وإنصاته .

إن الباحث يعلم أن ذلك خاص بخطبة الجمعة ، وأن مكان المحاضرة في الجامعة يختلف عن مكان المسجد ، وأن تلك الطريقة التي تلقى بها خطبة الجمعة طريقة توقيفية ، ليس لأحد البتة أن يحدد فيها أو يمسها بزيادة أو نقصان ، إلا أنها تتفق مع المحاضرة في الجامعة أن كليهما أسلوب من أساليب التربية والتعليم والتوجيه ، وما دامت نافعة هناك في المسجد ، وقد جعلت دينا يدان الله تعالى به ، فكيف لا تكون نافعة هنا في الجامعة !!! شريطة أن يكون في الجميع من عناصر التشويق الذهني ما يحقق الفائدة المرجوة .

كما أن الباحث يؤكد على أهمية تنوع جو المحاضرة بالإلقاء تارة ، مع ما يصحب الطريقة الإلقائية من فن تحريك الأذهان ، بضرب الأمثلة ، وذكر القصص ، والعناية بالمقدمات من أجل استخلاص النتائج في طريقة منطقية علمية مقنعة ، واستخدام كل وسيلة مباحة أو أسلوب مباح يسهمان في تقريب المعلومة وتثبيتها في الذهن ، بل إن ذلك يتحقق عن طريق المداعبة والملاطفة وإدخال السرور على النفس في جو من الأدب العلمي الإسلامي النبيل في غاياته ووسائله ، وبالحوار والمناقشة تارة أخرى ليتوصل الطالب إلى المعلومة بنفسه .

وقد أكد بعض الباحثين على أن طرائق التدريس التي تتم على يد عضو هيئة التدريس الجامعي يجب أن تكون مختلفة ومتنوعة ، مع مراعاتها لمقتضى الحال ، ونوع المعلومة التي تقدم للطالب ، والطريقة المناسبة التي تقدم بها المعلومة ، وأن على عضو هيئة التدريس الجامعي : " أن يكون لديه فلسفة واضحة عن المعرفة والتدريس والتعلم ، فمثلا بالنسبة للمعرفة ، هل ينظر إليها الأستاذ على أنها عملية أو ناتج تعلم ، فإذا كان ينظر إليها على أنها ناتج تعلم ، فإن الأستاذ سيهتم بتزويد الطالب بالمعلومات ، وينقلها إليه ، أما إذا نظر إليها على أنها طريقة ، بمعنى أن المعرفة لا تنقل أو تعطى وإنما هي تخلق داخليا بتفاعل المتعلم فإنه سيعمل على مساعدة الطالب على تحقيق هذا التفاعل ، وقد ينظر البعض إلى التدريس على أنه مساو للمحاضرة وتقدم المعلومات ، وهذه النظرة تعتبر نظرة ضيقة من جانب معظم خبراء التعلم ، أما النظرة الأوسع لمعنى التدريس فهي مساعدة الطالب على التعلم " (١)

إن الطريقة التي تقدم بها المعلومة تتخلف باختلاف التخصص الذي تنتمي إليه المعلومة ، إذ ليست كل معلومة يكون محورها هو الطالب ، وأن مهمة طرائق التدريس هي مساعدته على أن يصل إلى المعلومة بنفسه ، فإن هناك من العلوم ما تحتاج إلى معلم كفاء يقدمها للطالب ، أما إذا ظن الطالب أنه يمكن أن يصل إليها بنفسه أو عن طريق كتاب يأخذها منه ، فإن الخطأ قد يكون قرينه ، وقدما قال علماء الأمة الأجلاء : " من كان شيخه كتابه كان خطأه أكثر من صوابه " (٢) فكان لا بد من عالم يشرح الغامض ، ويبين المتشابه ، ويفسر الإجمال ، ويضبط الاستنباط ، مع ترك مساحة واسعة يناقش فيها عضو هيئة التدريس الجامعي طلابه حول المعلومات التي يقدمها لهم ، ويجاورهم في تطبيقاتها ، حتى يربي فيهم ملكة التفكير السليم ، والقياس المنطقي الجيد .

إن الطالب الجامعي ما يزال على مقاعد الدراسة ، وهو في حاجة إلى المعلومة التي يقدمها له عضو هيئة التدريس الجامعي ، سواء كان وصول هذه المعلومة إلى الطالب هو العضو نفسه ، أو كان الطالب هو مصدرها من خلال بحثه عن المعلومة ، على أن يظل عضو هيئة التدريس الجامعي موجهها ومرشدا في كيفية الاستفادة من المعلومة ، ومناقشة طلابه حولها ليربيهم على العلمية في تناول المسائل ، متصفا بالحيادية في الحكم على القضايا ، مع التأكيد على أهمية تحديد الهدف من عرض المعلومة سواء كانت جزئية أو كانت أساسية ، ونقلها في إطارها العام الذي سبقت من أجله ، مع التحلي بالمهارات اللازمة أثناء معالجة المعلومة أخذًا وعطاءً ، سواء كانت هذه المهارات علمية أم خلقية .

(١) محمد منير مرسي ، الانجازات الحديثة في التعليم الجامعي المعاصر وأساليب تدريسه ، ص ٢١٦

(٢) .....

يجعل كل شيء لله الخالق جل في علاه ، فإن الذي أبدع هذا الوجود كله ، بما فيه ، ومن فيه ، هو المستحق للعبادة دون سواه ، كما أن الذي أنزل هذا التشريع العظيم — المتمثل في كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليهتدي به الإنسان للتي هي أقوم في كل شأن من شؤون حياته — هو المستحق للعبادة دون سواه .

وسيجد كل متخصص في العلوم الشرعية والإنسانية والطبيعية من الأمثلة التي تؤكد لهم ذلك ما تفنى الأعمار قبل أن تستوفي عشر معشاره .

فإذا أوقف المتخصص في العلوم الشرعية طلابه على الحكمة من تشريع أي عبادة أو معاملة أو خلق أو سلوك ، ومدى تأثير هذا التشريع على الفرد نفسه أو على غيره ، وإذا أوقف المتخصص في العلوم الطبيعية طلابه على أي من مخلوقات الله تعالى ، سواء كانت في الآفاق أو في الأنفس ، وما فيها من عظيم الخلق ، ودقة الصنع مستخدما في ذلك كل وسيلة مباحة تبين لهم عظمة الله تعالى ، فإذا تبينت لهم عظمة الله تعالى ، سجدت قلوبهم تعظيما له ، وإذا سجدت القلوب تعظيما لله تعالى ، تبعثها الجوارح منقادة حين يريد الله لها هدايته وتوفيقه .

إن هذه الخطوة الإجرائية ، هي الخطوة الأولى التي تؤكد عليها منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم ، لكونها مرتبطة بغاية وجود البشر على الأرض ، فإذا استقر في قلوب الناس أنهم مخلوقون لغاية ، فإنهم يوجهون كل مناشطهم على ظهر هذه الأرض لتحقيق هذه الغاية ، ومن هذه المناشط : توجيه السياسات التعليمية بكل أبعادها ، وفي جميع مراحلها ، وبكل تخصصاتها ، لتحقيق هذه الغاية النبيلة في حياة البشر .

#### طرائق التدريس والنظرة الشاملة للنص :

العلم في نظر عضو هيئة التدريس الجامعي المسلم لحمة واحدة لا يكاد ينفك بعضه عن بعض ، سواء كان العلم المتعلق بالقضايا الشرعية في العقيدة أو العبادة ، أو كان العلم المادي المتعلق بتيسير أمور الناس على ظهر هذه الأرض .

إذ كلها في نظر الإسلام أجزاء يحيطها إطار واحد ، وتصب كلها في نهاية المطاف في مصب واحد ، ألا وهو تحقيق العبودية لله تعالى ، وهو مقتضى استخلاف الله تعالى لعباده في الأرض ، ولهذا لم يرد تعريف محدد للعلم في القرآن الكريم محصور في أمور الدنيا أو الآخرة ، بل جاءت الدعوة إلى التعلم والتعليم ، وجاء الأمر بالقراءة على جهة العموم ليكون العلم الذي يريده الإسلام ويدعو إليه ، ويحمل أتباعه عليه هو العلم النافع المثمر الذي يحقق العبودية لله تعالى على ظهر هذه الأرض ، مع تباين درجات العلم واختلاف منازل أهله .

وعليه ، فإن عضو هيئة التدريس الجامعي يؤكد لطلابه في قاعة الدرس أن العلم الذي أوجب الله على البشرية أن تتعلمه في الحياة الدنيا هو العلم الشرعي ، وهو أشرف العلوم وأعظمها على الإطلاق ،

وأن الأمة في حاجة إليه أعظم من حاجتها إلى طعامها وشرابها ، وأن في هذا الجانب من العلم أمورا لا يعذر مسلم بجهلها ، ثم تدرج بعد ذلك نحو فروض الكفاية ، ثم نحو السنن والمستحبات .  
مع التأكيد على أهمية العلم المادي وأنه تحصيله قد يكون واجبا في بعض الأحوال ، ثم يتدرج الأمر به على جهة فرض الكفاية ، ثم المستحب ثم المباح .

ولا مانع أن يستعرض عضو هيئة التدريس — في أي تخصص — كيف استجاب علماء الأمة المسلمة في جميع التخصصات لدعوة القرآن الكريم إلى التفكير العلمي المنضبط ، في منهجية علمية منضبطة ، وكيف فتح الله تعالى عليهم مغاليق العلوم والمعارف ، فكانت علومهم في كثير من التخصصات نورا ما يزال الغرب يستضيء به إلى اليوم .

مع ضرورة تأكيد عضو هيئة التدريس الجامعي على ضرورة الدعوة إلى التكامل بين المتخصصين من أبناء المسلمين في مجالات المعرفة المختلفة ، ذلك أن التكامل يمكن أن يتحقق بين المسلم وبين الكافر ، فلأن يتحقق بين المسلم وأخيه المسلم فإن ذلك من باب أولى .

إن الرجل الشرقي الذي يمثل الإسلام حين يقف أمام الشجرة وأمام الجبل ويتأمل هذا الخلق العجيب فإن تفكيره يقوده إلى اكتشاف عظمة الله وتوحيده من خلال هذا الخلق ، وحين يقف الرجل الغربي في نفس المكان وأمام الشجرة والجبل ويتأمل يقوده تفكيره إلى اكتشاف أنواع التربة ومعادن الجبل ، ولو أن المسلم علم الكافر عظمة الله تعالى وأوقفه على التوحيد الصحيح ، وعلم الكافر المسلم أنواع التربة ومعادن الجبل لانصهرت البشرية في بوتقة واحدة وخرجت أمة مثالية تستحق وصف المثالية في الحياة (١)

على أن الباحث لا يسلم بأن معرفة أمور الدنيا مما يتعلق بالعلم المادي ليست حكرا على الكفار ، فقد كانوا تجاهها في العصور الوسطى المظلمة في غاية البلادة والتخلف ، وكانت الأمة المسلمة في أرقى درجاتها العلمية ، غير أن الباحث يستشهد بمثال مالك بن نبي لكونه وقع في فترة كانت الأمة المسلمة قد تأخرت عن الركب وسلمت قياد العلم المادي للآخرين ، وذلك في فترة الركود الذي أصابها .

فإذا كان هذا التكامل يمكن أن يتحقق بين الكافر والمسلم ، فلأن يتحقق بين المسلم والمسلم في جوانب المعرفة المختلفة من باب أولى ، فالمتخصص في العلوم الإنسانية مطالب على جهة الإيجاب أن يمد يده إلى المتخصصين في العلوم الشرعية فيأخذ أحسن ما عندهم ، وهم مطالبون أن يمدوا أيديهم إليه فيأخذوا أحسن ما عنده ، ثم يمد الجميع أيديهم إلى المتخصصين في العلوم الطبيعية ليأخذوا أحسن ما عندهم ، ولو على أقل تقدير على مستوى الجهود الفردية والتصرفات الذاتية ، ولتكن تلك الخطوة خطوة على الطريق لإيجاد مرحلة تتكامل فيها الأمة بكل تخصصاتها تكاملا علميا مؤسستيا يحقق له في حياتها ما تصبو إليه من العز والتمكين .

(١) مالك بن نبي . . . . .



إن ما يتعلمه الطالب في مختلف تخصصات الفيزياء والأحياء هو ما نص الله تعالى عليه في كتابه

الكريم بقوله : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ

الْحَقُّ أُولَٰئِكَ يَكْفُرُ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ (١) وما يتعلمونه في

الكيمياء والطب والجغرافيا هو ما نص الله تعالى عليه بقوله : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا

خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ (٢) وما يتعلمه الطالب

في العلوم الإنسانية هو ما نص الله عليه بقوله : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

﴿٥٥﴾ (٣) وهو ما جاء واضحا في كل آية من كتاب الله الكريم أو سنة سيد المرسلين صلى الله عليه

وسلم مما له مساس بخلق الإنسان وتكوينه وذكر أحواله وما جبل عليه من الضعف والحرص وما ركب في نفسيته من الظلم والجهل والجزع والهلع والمنع والعجلة وغيرها .

مع أهمية عناية عضو هيئة التدريس الجامعي — في أي تخصص — بالإعجاز العلمي ومتابعة كل

جديد في ميدانه ليثري طرحه بما يتوصل إليه العلم الحديث من حقائق حول آيات الله تعالى في الأفاق والأنفس .

ودعوة الطلاب ليطلعوا على تراث أمتهم الخالد في سائر العلوم والفنون ومنها العلوم الطبيعية

، سواء كان ذلك من خلال النقاش في قاعة الدرس أو من خلال التكليف بالأعمال البحثية المختلفة في صورة بحث متكامل أو في صورة تقرير أو واجب منزلي ، وكيف كان قصب السبق لهم في ريادة هذه العلوم ، وكيف قامت على أنقاضها — في فترة ركود الأمة المسلمة — علوم الغرب ومخترعاته ومكتشفاته .

على أن يفرق عضو هيئة التدريس الجامعي — في أي تخصص — بين المعارف النافعة وغير

النافعة ، استثمارا للعقل ، وحرصا على عدم تبديد طاقاته ، فإن من العلوم والمعارف علومها ومعارفها يصدق عليها مقولة : العلم بها لا ينفع والجهل بها لا يضر ، وما من شك أن إدراك هذه المسألة يوفر على المعلمين والمتعلمين — أُنَى كانت مواقعهم — وقتا وجهدا كبيرين ، فقد يرد على المتخصص في فن من الفنون العلمية مثل هذا ، فكان لا بد من التنبيه له ، حفاظا على القدرات العقلية من العبث العلمي الذي لا طائل من ورائه ، وقد ضرب علماء الأمة وسلفها الصالح — عليهم رحمة الله — لهذا أمثلة ، منها : هُيِّم

(١) - [سورة فصلت: الآية ٥٣]

(٢) - [سورة لقمان: الآية ١١]

(٣) - [سورة الملك: الآية ١٤]

عن خوض البعض في مسمى الشجرة التي أكل منها أبونا آدم عليه السلام فأخرج من الجنة ، ومنها :  
خوض البعض في لون كلب أصحاب الكهف ، وقولهم : لو كان في ذلك أدنى فائدة علمية أو معرفية  
لبينها المولى سبحانه لعباده في كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وحيث لم يرد في الوحيين العظيمين  
الكتاب والسنة ما يشير إلى ذلك فإن الخوض فيه تبديد للطاقات ، وتضييع للقدرات ، وإهدار للأوقات ،  
وهو ما ينهى عنه الإسلام جملة وتفصيلا .

ويلحق بها وجوب توقف الإنسان بعقله وتفكيره عن الخوض فيما لا يمكن الخوض فيه ، ولا  
يقدر العقل أن يعمل فيه ، ومن أمثلة ذلك : الخوض في حقيقة الروح التي خلقها الله تعالى في الإنسان ،  
وهي أحد مكوناته ، فإن الله سبحانه قد قطع الطريق على كل باحث عن حقيقة الروح ، لعدم قدرته مهما  
أوتي من علم وقوة وقدرة أن يدرك ذلك فقال سبحانه : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ  
الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١)

ويلحق بهذا تحريم خوض الباحث المسلم في أية قضية تتصادم مع ما يعتقد ، أو يؤمن به من قيم  
وأخلاق ، ذلك أن ما يتصادم مع العقيدة الصحيحة — التي رضيها الله سبحانه للبشرية كلها شرعة  
ومنهاجا — ليس من العلمية النافعة في شيء ، فإن ما يصدق عليه مصطلح ( العلم النافع ) في أي تخصص  
، هو ما كان منضبطا بضوابط الشرع المطهر في غاياته ووسائله وأساليبه ، وما كان منفلتسا عن هذه  
الضوابط الشرعية في الكتاب والسنة — في الغايات والوسائل والأساليب — فهو الجهل المردي ، والهوى  
المتبع المهلك ، بل هو الضلال المبين ولو كان صاحبه موصوفا بالعلمية ، وملقبا بألقابها ، كما بينه المولى  
سبحانه في محكم تنزيله بقوله : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى  
عِلْمِهِ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ  
بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) إنه الضلال المردي ، والهوى المتبع ، أورثه الختم على

السمع والقلب والغشاوة على البصر ، بسبب الإعراض عن الله الخالق في أمره ونهيه ، واتخاذ الهوى البشري  
المملوء بالغرائز والشهوات إلها من دون الله .

وإن من العجب العجاب أن يكون الضلال حاصلًا مع وفرة وافرة في وسائل العلم وأدواته ، فهو  
ضلال في زمن العلم ، وانحراف في وقت الثقافة ، وزيف في عصر التقنية المعلوماتية ، فكيف حصل هذا ؟

!!!

(١) - [سورة الإسراء: الآية ٨٥]

(٢) - [سورة الجاثية: الآية ٢٣]

تعالى بمفهومها الشامل ، الذي يُعَبِّد الحياة بكل مناسطها لله رب العالمين ، وهو التفكير الذي يجب أن ترتبط به فلسفة الحياة العامة ، ثم الفلسفة التعليمية ، ثم فلسفة كل مقرر ، ثم فلسفة الموضوع ، ثم فلسفة كل فكرة يشتمل عليها كل موضوع .

على أن يتجلى هذا الربط في سائر التخصصات وعند كل أعضاء هيئة التدريس في الجامعات المسلمة ، ما دامت ترفع شعار الإسلام ، وتتخذ من القرآن والسنة منهجا لها يسير حياتها .

وليس هذا الأمر مقصورا على المتخصص في العلوم الشرعية أو في أي جانب من جوانب التربية ، بل إنها مهمة الجميع على اختلاف تخصصاتهم ، ما دام أن الجميع قد خلقوا لتحقيق هذه الغاية ، بل إن الإيمان قد يغرس في نفس المتعلم حين يدلل له المتخصص في العلوم الطبيعية على عظمة الله تعالى من خلال خلق الإنسان أو الحيوان أو النبات أو الجماد مسترشدا في ذلك بما يتوصل إليه العلم الطبيعي من حقائق ومشاهدات .

كما أن عضو هيئة التدريس الجامعي مطالب بأن يربي طلابه على حس ( التفكير الشمولي ) الذي يحيط بالقضية المطروحة للنقاش إحاطة كاملة ، فليس من المنطق العلمي أن يبدي العالم أو المتعلم رأيه ، أو يصدر حكمه على قضية لم يبد له منها إلا طرف واحد ، لأن الرأي أو الحكم والحال ما ذكر سيكون مشوها ، تنقصه الدقة ، والموضوعية ، مما يُفقد صاحبه مصداقية الطرح ، ويمكن من خلال التوجيه

القرآني في قوله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ (١) أن يتكرر عضو هيئة التدريس تطبيقات تربوية تؤكد على اجتناب هذا الخلق السيء ، فمن ذلك :

أن يكلف الطالب بقراءة صفحتين من مقطع يتكون من خمس صفحات ، ثم يطلب من جميع الطلاب أن يبدوا آراءهم في الفكرة وفي كاتبها ، ولربما سمع عضو هيئة التدريس من طلابه أحكاما تصدر ، وعبارات تقال ، وآراء ترد ، وكلها تحمل تشنجا في الأحكام ، وانفعالا في إبداء الرأي ليس في مكانه ، مجرد خطأ بسيط أو جملة من الأخطاء اشتملت عليها الصفحتان الأوليان ، وقد يكون العكس فقد تبلغ الثقة منتهاها ، وترد عبارات الثناء ، والمدح ، والارتياح ، بمجرد قراءة هاتين الصفحتين ، فإذا ما تمت قراءة الفكرة كاملة تبدلت المواقف ، وانقلب المدح قدحا ، والثناء عداً ، أو العكس .

كل ذلك سببه عدم الإحاطة بالمكتوب أو المسموع ، وعدم دراسته بكل جوانبه وأبعاده وحيثياته ، وهو ما يؤكد على الذي يتصدون للفتوى ، فإن الفتوى ليست صناعة علمية مجردة عن أبعادها العقديّة

(١) - [سورة يونس: الآية ٣٩]

والاجتماعية والفكرية ، وغيرها ، كما أنه لا بد من الوقوف على ملابسها وحياتها ، ومعرفة حال المستفتي ، وزمن الفتوى ، في لفتة ذكية إلى المصالح والمفاسد ، وغير ذلك .  
ويلحق بذلك تدريب الطلاب على الحذر من بتر العبارات التي ترد في سياق معين مسموعاً أو مقروءاً ، لتعطي معنى غير مراد للمتحدث أو الكاتب ، ثم يحمل عليه الحاملون بخيلهم ورجلهم مدحاً أو قدحاً .

كما أن عضو هيئة التدريس في طرائق تدريسه مطالب بتعويد الطالب الجامعي على حسن ( التفكير الناقد ) من خلال نقد فكرة أو مقالة أو كتابة أو عمل ، نقداً إيجابياً ، بعد تسليح الطالب بالقواعد المهمة فيما هو بصدد نقده سواء كانت هذه القواعد علمية تخصصية أو كانت منهجية ، وتربيته على أن يجب من الآخرين أن يصيبوا الحق ، وتحذيره من تتبع العثرات والزلات كي لا يكون ذلك سلوكاً يعتاده ، فيفرح بالزلة ، ويغتبط بالعترة ، ليجد من خلالها متكاً يصعد عليه ، ومكاناً يؤوي إليه .

ومن أمثلة ذلك : أن يؤصل لطلابه قصة بدء الخليقة في ضوء المصادر الأصلية ، مشيراً إلى الفترة الذهبية في حياة البشرية والتي دامت عشرة قرون كانت على التوحيد الخالص لم تشبها شوائب الشرك والإلحاد حتى انحرفت البشرية في عهد قوم نوح عليه السلام فبعث الله تعالى الرسل مبشرين ومنذرين ، ثم يطلب منهم نقد هذه العبارة التي اشتمل عليها كتاب نفيس في بابه ، لكنه لم يسلم من الخطأ الذي لم ينتبه له صاحبه ، ولعله من زلات اللسان التي لا يكاد يسلم منها أحد ، وهذه العبارة هي : " ما زال الإنسان منذ وجد على وجه الكرة الأرضية مأخوذاً بسوء الفهم لنفسه ، يميل إلى جانب الإفراط فيرى أنه أكبر وأعظم كائن في العالم ، وينادي بذلك وقد امتلأ أنانية وغطرسة وكبرياء . . . " (١) ليكتشف الطالب

أن في هذه العبارة تجاوزاً غير مقبول حين أدخل ضمن هذه الأنانية والغطرسة ذلك المجتمع المثالي الذي دام عشرة قرون ، لم يعرف من الأنانية والغطرسة شيئاً ، ولم يمارس منها مثقال ذرة .  
ومن الأمثلة أيضاً :

تدريب الطلاب على نقد ما في المكتبة الإسلامية من أطروحات مضللة في شتى العلوم والمعارف ، سواء كانت كتباً ، أو أجزاء متفرقة من كتب ، قد تحمل على أغلفتها أسماء عربية إسلامية ، فإذا قلب المرء صفحاتها وجدها فيها من الخلل شيئاً كبيراً ، ومن أمثلة ذلك : كتاب ألفه صاحبه وسماه ( المدخل إلى التربية ) أكد فيه الكاتب لأجيال الأمة أن أبرز العلماء والمفكرين والمرين في تاريخ البشرية الطويل هم أساطنة الوثنية في الأرض ممن وصفهم الله في كتابه الكريم بأنهم كالأنعام بل هم أضل ، لكونهم يأتون كفراً وشركاً لا يتفق مع الفطرة ولا العقل ولا الواقع ، وقد وقف الباحث على أحد هذه الكتب وفيه فصل كامل عن أعلام التربية في تاريخ البشرية الطويل لم يذكر فيهم نبي واحد ، بل حين أحصاهم الباحث

(١) عبدالرحمن النحلاوي ، أصول التربية الإسلامية ، ٣١

وجدهم أربعة عشر مربيًا هم كالتالي: سقراط ، أفلاطون ، أرسطو ، ابن سينا ، الغزالي ، ابن جماعة ، ابن

خلدون ، جون لوك ، روسو ، بستالوتزي ، هربارت ، فروبل ، سينسر ، ديوي ( ١ ) .

وهنا يطلب عضو هيئة التدريس من طلابه تحديد المعنى الدقيق لمصطلح ( أعلام ) ثم مصطلح ( التربية ) ثم يطالبهم بتصنيف هؤلاء الأعلام من حيث الديانة ، ثم يبين لهم فساد عقل المشرك منهم ، فإذا وصل الأمر إلى ابن سينا مثلاً : بين لهم ماذا قال فيه أهل العلم من سلف الأمة المحمدية ، ثم يحاكم هذا الفصل من الكتاب إلى التأريخ الصحيح من خلال الحقائق العلمية الربانية ، ليصل إلى الحكم الدقيق على هذا الفصل من الكتاب .

والتأمل لهذه الأسماء التي ذكرت يجد منهم ( عشرة ) كفار لا يؤمنون بالله ولا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ولا باليوم الآخر ، بمعنى أنهم يؤمنون بمن لم يخلق ، ويشكرون من لم يرزق ، ويساوون بين من يملك كل ذرة في الكون ومن لا يملك مثقال ذرة ، ويجعلون المخلوق نداً للخالق ، وهذا ما لا يقول به عاقل أبداً ، ومنهم ( ثلاثة ) فقط ممن هم من أهل الإسلام ، و ( واحد ) نقل عنه بعض الباحثين كلاماً لا يقوله إلا ملحد زنديق خبيث ، وإن لبس لبوس الإسلام ، وتستر بألقابه ، إذا ثبت عنه ما قال ، ومات ولم يتب ، وهو ( ابن سينا ) الذي وصفه بعض أهل العلم بأنه أفضل متأخري الزنادقة والملاحدة ، وهو لسأهم وقدوتهم الذي يقدمونه على الرسل .

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن القيم عليه رحمة الله : " فاعلم أن الله — سبحانه وتعالى عما يقولون — عندهم كما قرره أفضل متأخريهم ولسأهم وقدوتهم الذي يقدمونه على الرسل : أبو علي بن سينا : هو الوجود المطلق ، بشرط الإطلاق ، وليس له عندهم صفة ثبوتية تقوم به ، ولا يفعل شيئاً باختياره البتة ، ولا يعلم شيئاً من الموجودات أصلاً ، لا يعلم عدد الأفلاك ، ولا شيئاً من المغيبات ، ولا له كلام يقوم به ، ولا صفة . . . وهو الذي قرب مذهب الملاحدة من دين الإسلام بجهد ، وغاية ما أمكنه أن يقربه من أقوال الجهمية الغالين في التحهم . . . فالرجل معطل مشرك جاحد للنبوات والمعاد ، لا مبدأ عنده ولا معاد ، ولا رسول ولا كتاب " ( ٢ ) بل نقل عنه ابن القيم — رحمه الله — أنه كان يقول : " أنا وأبي من أهل دعوة الحاكم فكان من القرامطة الباطنيين الذي لا يمتنون بمبدأ ولا معاد ولا رب خالق

ولا رسول مبعوث جاء من عند الله تعالى " ( ٣ )

( ١ ) إبراهيم ناصر ، المدخل إلى التربية ، ص ٢٢٥

( ٢ ) ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، ج ٢ ص ٢٦٠ وما بعدها .

( ٣ ) ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، ج ٢ ص ٢٦٦

والحاكم هذا الذي يتبعه ابن سينا وأبوه — كما قال الفقي رحمه الله — : " هو منصور بن العزيز بالله بن المعز بالله العبيدي الثالث ، من الخلفاء الكذبة الفجرة العبيدين المغاربة المتغلبين على مصر ، ادعى الألوهية ، وقتل من العلماء من لا يحصى ، وكتب على المساجد والجوامع سب أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، ولعن الله ولعن شيعته وحزبه ، وهو الذي يعبده الدرورز بلبنان والإسماعيلية بالهند " (١)

وقد رد بعض العلماء على ابن سينا انحرافاتة ، وفندوا شبهاته ، ومنهم الشهرستاني رحمه الله ، المتوفى سنة ٥٤٨ هـ فقد : " صارح ابن سينا في كتابه ( المصارعة ) فأبطل قوله بقدم العالم ، وإنكار المعاد ، فقام له نصير الإلحاد ، ونقضه بكتاب سماه ( مصارعة المصارعة ) قال فيه إن الله لم يخلق السموات والأرض في ستة أيام ، وأنه لا يعلم شيئا ، وأنه لا يفعل شيئا بقدرته واختياره ، ولا يبعث من في القبور " (٢)

وقد كان لابن سينا موقفين من قضية بعث الأبدان بعد الموت ، حيث أثبتت تارة ، ونفاها تارة أخرى ، ومن كلامه في إنكار المعاد والبعث بعد الموت قوله : " فإذا بطل أن يكون المعاد للبدن وحده ، وبطل أن يكون المعاد للبدن والنفس جميعا ، وبطل أن يكون للنفس على سبيل التناسخ ، فالمعاد إذن للنفس وحدها على ما تقرر " (٣)

وقد تتبع بعض الباحثين ابن سينا من خلال كتبه فيما يتعلق بأمر المعاد وحقيقة البعث ، وأثبت من خلال نقولات موثقة موقفه من قضية البعث بعد الموت فقال : " ونحن نميل إلى القول مع الفريق الآخر بأن ابن سينا كان له موقفان بالفعل غير أنه في نظرنا انتهى إلى الموقف الثاني الذي يقر فيه المعاد النفساني وينكر المعاد الجسماني " (٤)

وقد بسط الباحث الكلام عن ابن سينا لكون كثير من الكتاب يصنفه ضمن فلاسفة الإسلام العظماء الذي كان لهم في الفلسفة الإسلامية — كما يسمونها — أعظم الأثر ، وإذا ثبت عنه ما قيل فالإسلام منه ومن فلسفته براء .

(١) محمد حامد الفقي ، حاشية إغاثة اللفهان ، ج ٢ ص ٢٦٦

(٢) أنور الجندي ، تصحيح المفاهيم في ضوء الكتاب والسنة ، ص ٢٦١

(٣) ابن سينا ، رسالة أضحوية في أمر المعاد ، ص ٩٣

(٤) محمد أبو سعده ، حقيقة المعاد بين الدين والفلسفة ، ص ٦٤

وإن كانت لابن سينا آراء تربوية جيدة ، فإنه يمكن الاستفادة منها ، ويمكن الاستفادة أيضا من كتبه في الطب ، فهو في ميدانه علم لا يبارى ، مع التزام المؤمن تجاهه عقيدة الولاء والبراء التي هي من أوثق عرى الإيمان ، وهي أعظم قضية وردت في القرآن الكريم بعد قضية التوحيد .

وأما ابن جماعة وابن خلدون والغزالي رحمهم الله ، فقد أثروا المكتبة التربوية بنفائس الكتب والموضوعات ، بل منهم من مات وصحيح البخاري على صدره كأبي حامد الغزالي رحمه الله بعد أن أقبل في آخر حياته على كتب الحديث وترك الفلسفة وسرايها المضللة ، على أن هؤلاء الأعلام التربويين من المسلمين يؤخذ من كلامهم ويرد ما كان موافقا أو مخالفا للكتاب والسنة بفهم سلف الأمة عليهم رضوان الله تعالى ، وهذا هو المعيار الفاصل بين تربيتنا الإسلامية الراشدة وبين غيرها .

إن هذا نموذج واحد لكثير من الكتب التربوية التي تشتمل على خلل كبير لا يمكن قبوله ، وهل يعقل أن يكون النموذج الأمثل لعظماء المربين من أعلام التربية المميزين في تاريخ البشرية الطويل هم هؤلاء فقط ، عشرة كفار منحرفو الفطر ، ضالو المعتقد ، وثلاثة مسلمين فقط ، وملحد يتلبس بلبوس الإسلام إن كان قد تبث عنه ما قال ، ومات ولم يتب ؟ .

أين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من هذه الأسماء التي وصفت بأنها من أعلام التربية في تاريخ البشرية الطويل ؟ !!! أين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهم الذين جاءوا بالتربية الإسلامية لأقوامهم من خلال ما أوحاه الله تعالى إليهم وهو الحق الذي لا مرية فيه ، حتى ختموا بأعظم معلم ومرب عرفته البشرية ؟ !!!

إن الباحث ليؤكد على أن البحث التربوي في مجتمعا الإسلامي الكبير الواسع في حاجة ماسة إلى أن تعاد كتابته من خلال منطلق علمي رباني راشد مقنع يقوم على الحقائق الربانية التي لا مرية فيها ، خاصة وأن كثيرا من هذه الكتب التي تنتشر في المكتبة التربوية الإسلامية قد جعلت مصادرها في نقل المعلومة هي الكتب الغربية التي تترجم أحيانا بالحرف الواحد دون نقد أو تمحيص ، وتسير على المنهجية الغربية في تقصي المعلومة والتي تعتمد — وخاصة في العلوم الإنسانية — على منهج : التأريخ الظني ، الذي يقوم على الظنون والتصورات المجردة .

ولعل من اللطائف التربوية أن الباحث سأل أحد أساتذته — رحمه الله — ممن بلغ في البحث التربوي مكانة عالية ، وكان ذلك قبل وفاته بشهر واحد ، فقال له : هل يوافقني أستاذي على أن ( ٨٠% ) مما كتب في العلوم الإنسانية داخل أروقة المكتبة التربوية الإسلامية ترجمة لما كتب الغرب ؟ فقال يا بني : إن لي في جامعات العالم الإسلامي معلما أكثر من أربعين سنة ، كما أنني عضو في منظمة اليونسكو لسنوات عديدة ، ثم قال : زد من عندي ( ١٠% ) يعني أن محصلة ما ترجم من غير نقد ولا تمحيص : تسعون في المائة ، ثم سأل الباحث أحد أساتذته ممن يكبره سنا وعلمنا وخبرة وبجنا وتدريسا عن هذه النسبة فقال : زد من عندي ( ٥% ) وخشية من ذهاب ما تبقى من النسبة أوقف الباحث أسئلته ،

الأخشبين ، فقال لا : إني أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئا )) (١) إنها نظرة إلى المستقبل الواعد ، في ضوء قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ

الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (٢)

كما أن عضو هيئة التدريس الجامعي مطالب أن يربي طلابه على معرفة ( أحوال التفكير العلمي

( وهي إما تفكير فردي ، أو تفكير جماعي ، وهو ما بينه المولى سبحانه في قوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا

أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ مَا

بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ (٣)

(٣) وعلى هذا يمكن لعضو هيئة التدريس الجامعي أن يقوم بتعويد طلابه على التفكير الجماعي من خلال

إنشاء وحدات مصغرة داخل كل مجموعة بعد أن يطرح مشكلة للنقاش طالبا الحلول من هذه المجموعات المقسمة على أن يكون الحل من خلال مبررات مقنعة انتهج أصحابها العلمية في عرض الحلول ، كما أن عضو هيئة التدريس يمكن أن يقوم مع طلابه بهذا الدور فيما قد يعترض مسيرتهم التعليمية من مشكلات ، سواء كانت هذه المشكلات خاصة بالعملية التعليمية والتربوية ، أم عامة تتعلق بالمجتمع الذي يعيشون فيه

كما أن عضو هيئة التدريس الجامعي مطالب بأن يربي طلابه على معرفة ( ميادين التفكير العلمي ) وقد سبق للباحث أن حدد الميادين التي أمر العقل أن يتفكر فيها ، والميادين التي نهي عن التفكير فيها لعدم قدرته على ذلك ، بحكم قصوره ، وعدم إداركه بكل شيء في عالمه المادي ، فضلا عما وراء ذلك من أمور الغيب .

وقد كان ميدان الشهادة هو الميدان الذي دعي العقل المسلم أن يتفكر فيه ، سواء كان ذلك في الأشياء المحسوسة كالتفكير في آيات الله تعالى في الآفاق والأنفس ، أو كان في الأمور المعنوية كالتفكير في حكمة الله البالغة من التشريع ، وغيرها .

أما الميدان الذي نهي العقل عن التفكير فيه ، فهو ميدان الغيب الذي لا سبيل إلى إدراكه إلا عن طريق الوحي الصادق في كتاب الله تعالى أو سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) مسلم ، صحيح مسلم ، ص ٧٤٧ حديث رقم ( ١٧٩٥ )

(٢) - [سورة الأنبياء: الآية ١٠٥]

(٣) - [سورة سبأ: الآية ٤٦]



إن قاعة الدرس في أمس الحاجة إلى عضو هيئة التدريس الجامعي المتخصص في العلوم الطبيعية الذي يثير مكامن التفكير العلمي لدى طلابه ، وذلك بتدريهم على اكتشافات العلاقات بين الظواهر — ومن أمثلة ذلك :

أن يدور هذا الحوار بين الطبيب وطلابه في قاعة الدرس من خلال هذه الأسئلة :  
• أمرنا — ندبا — بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، فما الحديث الذي يدل على ذلك ؟  
والجواب : هو حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى

أموت صوم ثلاثة أيام من كل شهر ، وصلاة الضحى ونوم على وتر )) (١)

هل ورد تحديد هذه الأيام الثلاثة ؟

والجواب : خلاف عند أهل العلم ، غير أن بعضهم ذكر أنها الأيام البيض ، وهي الثالث عشر

والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر ، كما قال ذلك ابن حجر — رحمه الله في الفتح (٢) والمنذري

— رحمه الله — في الترغيب والترهيب (٣) والمقدسي — رحمه الله — في الأحاديث المختارة (٤) .

ثم يعقبه سؤال آخر : ماذا ندب الإسلام عمله في هذه الأيام الثلاثة ؟ وسيكون الجواب : الصيام

سؤال : ما تعريف الصيام ؟ الجواب : ترك الطعام والشراب والنكاح وسائر المفطرات من أول

النهار إلى آخره .

سؤال : لماذا أمرنا بصيام هذه الأيام الثلاثة بالذات ؟ لماذا لم نؤمر بصيام الثلاثة الأيام الأولى

فنبتدأ الشهر بخير ؟ أو الثلاثة الأخيرة فنختتم الشهر بخير ؟ إن هذا محط تفكير وتأمل ودراسة ونظر وتجريب

وقياس .

سؤال : أليس حال القمر خلال هذه الأيام مختلف عنه في أول الشهر وآخره ؟ وسيكون الجواب

: بنعم .

سؤال : كيف تكون صورة القمر خلال هذه الأيام الثلاثة ؟ الجواب : مستدير استدارة كاملة .

سؤال : إذن نحن قد أمرنا على جهة الندب بترك الطعام والشراب وسائر المفطرات عندما يستدير

القمر أليس كذلك ؟ الجواب : بلى .

(١) البخاري ، صحيح البخاري ، ص ٢٣١ حديث رقم ( ١١٧٨ )

(٢) ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٢٢٦

(٣) المنذري ، الترغيب والترهيب ، ج ٢ ص ٧٤

(٤) المقدسي ، الأحاديث المختارة ، ج ١ ص ٤٢٢

سؤال : هل هناك علاقة بين استدارة القمر وبين ترك الطعام ؟ لماذا لا نجرب ؟  
ثم يقوم الطبيب بإجراء التجربة على أحد طلابه أو بعضهم ، وهم معه يتابعون الخطوات ،  
ويرصدون النتائج ، وسوف يجدون فتحا طبيا جديدا ، ليقدموا من خلال هذه النتائج توصيات لمرضى  
السكر والقلب وضغط الدم ، وغيرهم .

إن بين الظواهر الميثوثة في الكون علاقات مطردة يؤثر بعضها في بعض ويتأثر به ، ومنها العلاقة  
بين القمر وبين الإنسان ، واكتشاف هذه العلاقات هو الخطوة الأولى في عملية الاختراع ، وهو ما يجب  
أن يتعلمه المتخصصون في العلوم الطبيعية على جهة الخصوص .

كما أن المتخصصين في سائر العلوم النظرية يمكن أن يثروا تفكير المتعلم إلى أقصى مداه حول  
آيات الله تعالى في الآفاق والأنفس من خلال ما في أيديهم من قدرات ، ويمكن أن يتحقق ذلك في قاعات  
الدرس ، ومن أمثلة ذلك :

يكلف عضو هيئة التدريس أحد طلابه أن يقف أمام زملائه طالبا منه أن يحل الزرار الذي يعلو  
قميصه ثم يعيط ربطه مرة ثانية مستخدما أصابع يديه كلها إلا الإهامين في اليمنى واليسرى ، على أن يعطيه  
من درجات المقرر ما يغريه للمشاركة .

سوف يحاول الطالب وسيعجز عن ذلك وعندها يعطي عضو هيئة التدريس درسا في عظمة  
الخالق الذي أبدع هاتين الإهامين ، وجعل قوام حياة الإنسان في كثير من جوانبها عليهما .

إنسان يعجز عن فك زرار ثوبه ، كيف يصنع طائرة ؟ ويقدم آلة ؟ ويحدث منشأة ؟ ويبدع تقنية  
؟ ثم يلفت نظر طلابه إلى مكان الإهام من الكف ، كيف جعلت في مقابل بقية الأصابع !!! فسبحان من  
خلق فسوى ، وقدر فهدى .

كما أن التفكير يتعدى الحسيات إلى المعنويات في حكمة التشريع ، حين يدعو عضو هيئة  
التدريس طلابه إلى تأمل حكمة الله تعالى في تشريع الصيام كيف جعل مدرسة في ضبط النفس ؟ وكيف  
جعل مدرسة في العناية بالوقت ؟ وكيف جعل مدرسة في البنين النفسي للمجتمع ؟ وكيف جعل  
مدرسة في الرحمة ؟ ومدرسة في الصبر ؟ وغير ذلك .

ويدعوهم إلى التفكير في حكمة الله تعالى من تشريع القصاص ، وكيف يكون فيه حياة وهو أول  
ما يتبادر إلى الذهن هدر للأنفس ، وإزهاق للأرواح ، ثم يقارن بين مجتمع مسلم يحكم في القصاص بشرع  
الله تعالى وبين مجتمعات لا تفعل ذلك كيف تقل نسبة الجريمة هنا وتكثر هناك ، فإذا هي الحياة الحقيقية التي  
تورث الرضا بحكم الله تعالى وتشريعه ، فيورث لها سعادة الدنيا والآخرة .

وأما ميدان الغيب فليس للعقل أن يتعدى حدوده وهو أمر معلوم عقلا وشرعا ، وعلى عضو  
هيئة التدريس الجامعي أن يحمي عقول طلابه من خطر فكري يتردد على بعض الألسنة من أن المعرفة التي لا  
تخضع للقياس والتحريب فليست معرفة ، ويجب ألا تأخذ من وقت الجاد في حياته حيزا أبدا ، فما تقدمت  
العلوم ، ولا نضجت البشرية في حياتها إلا حينما رحلت المعرفة الغيبية — التي لا تستند إلى معطيات العلم

إذا كنت ناقلا بالصحة وإذا كنت مدعيا فالدليل " نصب أعينهم وهم يؤلفون ويجاورون وينظرون ، ولو كروا على أفكار خصومهم قبل أن تكون واضحة للناس لما قبل منهم ذلك ، ولما كان ندهم علميا منهجيا مقنعا .

وعليه فإن مما يحسن بعضو هيئة التدريس الجامعي وهو يبين الخطأ لطلابه ، أن يتجنب في كثير من الأحوال التعرض للأسماء أو الهيئات أو الجماعات أو المذاهب ، بل يجعل الفكرة نصب عينيه ، فإذا ما بان عوارها بان عوار صاحبها دون أن يستفز أتباعها ، فيورث الاستفزاز عندهم وتكبرهم ولو تبين لهم الدليل .

إن كثيرا من الناس يتعلقون بالأشخاص أو الأشياخ أو الأسر أو العشائر أو المذاهب أو الجماعات ، وإن تنقص واحد من هؤلاء ضرب هؤلاء في الأعماق ، فيعمي التعصب قلوبهم ، لكونهم يربطون الحق بالناس ، ولا يربطون الناس بالحق ، فكان من المصلحة الشرعية القرآنية تعرية السلوك وفضح الفكرة ليستبين أمر صاحبها ، فإما أن يتوارى أو يؤوب وكلا الأمرين مطلب شرعي يؤكد عليه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

كما أنه لا يجعل من منهجيته العلمية استعداد الآخرين من خلال تنقصهم أو هتك استارهم إذا كان يرغب منهم الاستجابة لما يطرحه مما يتفق مع الدليل ويسير مع البرهان .

وعليه ، فإن جو المحاضرة يجب أن تسمع فيه الكلمة الهادئة ، والعبارة المترنة ، مبعثها حب الخير للآخرين ، واحترام مشاعرهم ، وحفظ حقوقهم وكرامتهم ، مهما خالفوه في الرأي ، متجنباً إسكات المناقش عندما يناقش في حدود الأدب العلمي الإسلامي النبيل ، فلا يحجر على عقل الطالب بالتهديد أو حتى بالترغيب ، ولا ينذر بالطرده ، أو يتوعده بالحرمان ، أو يلزمه بالجهل والغباء ، وغير ذلك .

وقد يحقق عضو هيئة التدريس في قاعة درسه خطوات إجرائية لتفعيل هذه الأخلاق الإسلامية النبيلة من خلال عرض فيلم تعليمي لمحاورة أو مناظرة بين شخصين أو فريقين طالبا منهم تدوين ما فيها من المواطن التي يؤيدها الحق الإسلامي النبيل ، وما فيها من المواطن التي لا تتفق مع الخلق الإسلامي النبيل ، ذلك أن حيادية الطالب ومشاهدته للحوار وهو خارج حليته ، يجعله قادرا على التأمل والنقصد الهادئ الهادف ، ليرتبي على هذا الحق عندما يكون في موطنه يوما من الأيام .

#### ثانيا : الضوابط العلمية :

من الأهمية بمكان أن يؤكد عضو هيئة التدريس الجامعي على الضوابط العلمية التي يجب أن يتحلى بها هو أولا ، ليقنتدي به الطالب الجامعي في ذلك ، ولعل من أوليات هذه الضوابط العلمية عدم قبول أي فكرة إلا بدليلها ، فإن كانت القضية شرعية فالدليل النقلى من القرآن الكريم وصحيح السنة

النبوية ، وإن كان القضية مادية فالدليل العقلي أخذا من قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا

تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي  
السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ ﴿٤﴾

ذلك أن مواطن البحث العلمي لا تقبل في أطروحاتها المشاعر الجياشة ، ولا الأحاسيس المرهفة ، ولا تنفع فيها التشنجات وردود الأفعال ، وإنما هو الدليل والبرهان ، وقد أثبتت وقائع الله في الأرض أن الذي يبنون أديانهم في العقيدة والعبادة على غير البراهين الصحيحة يضلون الطريق فيصبحون أضحوكة في أعين الآخرين ، بل حتى فيما يتعلق بأمور حياتهم فإنها حين تبني على الخرافات والأوهام والخزعبلات تكون حياة مشوهة فاسدة متناقضة خرقاء ، باطن الأرض لأصحابها خير من ظاهرها .

وما أجهل بعضو هيئة التدريس — في أي تخصص — إذا سمع فكرة أدلى بها الطالب الجامعي في قاعة الدرس أن يسأله عن برهانه فيما قال ، وحجته فيما ذكر ، مؤكدا له أن الفكرة العارية عن الدليل يمكن أن تقبل في مجالس العوام ، وأنه يمكن أن نتخددع بها العواطف الممتلئة بالحب والإعجاب ، لكنها في ميادين البحث العلمي — ومنها قاعات الدرس في الجامعات — لا يجب أن يكون لها مكان البتة .

كما أن من الضوابط العلمية للتفكير عدم خوض الإنسان في قضية لا يحسنها ، وهو الإيمان بالتخصص ، والوقوف عند أهل الذكر في كل فن من فنون المعرفة ، على أن تضبط هذه العلوم كلها بضوابط الشرع المطهر ، وليس هذا من باب الوصاية الفكرية كما يزعمه بعض المثقفين ، لأن جميع المتخصصين من أبناء المسلمين في جوانب المعرفة المختلفة أمام دين الله سواء ، وإلا فما معنى كون الطبيب مسلما ، وكون الفيزيائي مسلما ، وكون العالم الشرعي مسلما ، وكون صاحبة اللغة مسلما ، وكون عالم الفضاء مسلما ، إن معنى هذا التزام الجميع بدين الله تعالى ، واستسلامهم له ، من غير حرج ولا ممانعة ، لتكون القراءة في كل تخصص ملتزمة بالضوابط العلمية الخلقية ، فتكون قراءة على مراد الله تعالى ، لا على مراد الهوى وحظوظ النفس البشرية القاصرة .

وعليه ، فإن عضو هيئة التدريس يجب أن يحترم تخصصه وألا يخوض في تخصص غيره إلا على علم وبينه ، وإلا سأل أهل العلم من المتخصصين ليحصل التكامل المنشود ، وإلا تحقق قول الأول : من تحدث في غير تخصصه أتى بالعجائب .

وعلى هذا يمكن لعضو هيئة التدريس الجامعي حينما يريد أن يعرض لطلابه مسألة ليست من صميم تخصصه ، لكن لها علاقة بتخصصه ، فإنه يستضيف أحد إخوانه من المتخصصين وتكون ندوة حوارية بين مدرس المقرر وبين أخيه المتخصص وبين الطلاب .

(٤) - [سورة الأحقاف: الآية ٤]

أو يهيء من التقنيات التعليمية ما يعينه على تحقيق هذه المهمة ، كالأفلام التعليمية ، أو الشرائح الشفافة ، أو الحاسوب أو ما إلى ذلك .

وإذا طرحت قضية شرعية تحتاج إلى فتوى أهل العلم أحيل الأمر إلى أهله ، بل إن مما يثير القلب للتعلم أن يسأل عضو هيئة التدريس طلابه عن تخصصاتهم في بداية أول لقاء فإذا وجد في قاعة الدرس عدة تخصصات ينتمي إليها الطلاب بالإضافة إلى تخصصه أكد لهم أهمية أن يلتقي جملة من المتخصصين كل أسبوع في قاعة واحدة يتعلم بعضهم من بعض ، وتحال القضية موضع النقاش إلى أهل التخصص فيها ، فإن كانت شرعية سأل عنها الطلاب المتخصصين في الشريعة ، وإن كانت لغوية سأل عنها الطلاب المتخصصين في اللغة ، وإن كانت طبيعية سأل عنها الطلاب المتخصصين في الفيزياء أو الكيمياء ، وهكذا ، مع معابرتهم حين تكون القضية المسؤول عنها من المسلمات في التخصص .

ومن الضوابط العلمية فرط العناية بالمصطلحات ، فإنها سلاح ذو حدين يمكن أن تحقق تحيرا عظيما حين تجلي المعاني ، وتختصر العبارات ، وتوضح الأفكار ، وتبين عما في الأنفس ، وقد تكون أداة للمكر ، وسبيلا للتضليل ، وطريقا إلى المخادعة ، كما أن الأحكام متعلقة بها ، وعلى قدر وضوحها تصح الأحكام ، وعلى قدر غموضها وضبايتها تضل الأحكام الطريق ، فتورث من الفتن العقديّة والفكرية والاجتماعية ما الله به عليم .

ولكل تخصص منهجيته في التعامل مع هذه المصطلحات ، سواء كان المتخصصون في العلوم النظرية أو التطبيقية .

ولعل من التطبيقات الإجرائية التي يمكن أن يربي عضو هيئة التدريس الجامعي طلابه عليها في قضية التعامل مع المصطلحات هذا المثال :

يسأل عضو هيئة التدريس طلابه هذا السؤال : رأى الناس رجلا غريبا مع امرأة في خلوة ، وطلب منك أيها الطالب الجامعي أن تصدر عليه حكما في كلمة واحدة ، فماذا تقول ؟ .  
وسوف يسمع إجابات عجيبة تقول : هو زان ، مجرم ، عاص ، فاسق ، فاسد ، خبيث ، متهم ، فاجر ، إلى غير ذلك ، وقل أن يجد متبنا من المراد قبل الإجابة .

عندها يقوم عضو هيئة التدريس فيكتب العبارة على السبورة ، ثم يكتب الأحكام التي أصدرها الطلاب في قائمة طويلة .

ثم يسأل طلابه عن مصطلح ( غريب ) هل يحتمل أكثر من معنى ، أم أنه لا يحتمل إلا معنى واحدا ؟ .

وسيكون الجواب بأنه يحتمل أكثر من معنى ، ومن هذه المعاني المحتملة لهذه المفردة : أن يكون من غير أهل البلد ، أو يكون غريبا في شكله ، أو غريبا في طبعه .  
عندها يكتب عضو هيئة التدريس هذه المعاني المحتملة تحت مفردة غريب التي وردت في العبارة .

ثم يسألهم عن مصطلح ( امرأة ) أهو نكرة أم معرفة ؟ وسيكون الجواب بأنه نكرة ، ثم يسألهم عن معنى كلمة ( نكرة ) وسيقولون : غير معروفة ، أجل ما دامت المرأة غير معروفة ، فيمكن أن تكون أمه أو زوجته أو عمته أو خالته أو أجنبية عنه .

ثم يعيد كتابة العبارة من جديد وفق المعاني المحتملة ، ليكون من بين هذه العبارات :  
رأى الناس رجلا ليس من أهل البلد مع أمه وطلب منك أيها الطالب الجامعي ان تصدر عليه حكمك فقلت : هو زان ومجرم وخبيث وفاجر إلخ . . . .

ثم يكون الدرس العملي الحي على أهمية المصطلحات ، فيقول عضو هيئة التدريس : ألم يسأل أحدكم عن معنى غريب ؟؟؟ !!! ويطلب تعريف المرأة النكرة قبل الجواب ؟؟؟ !!! إن هذا خلل في منهجية التفكير العلمي ، فإن من أهم جوانبها العناية بالمصطلحات ، وها أنتم لم تحددوا المراد بهذين المصطلحين فوقعتهم في اتهام الناس في أعراضهم ، وهذا يتنافى مع أبسط مطالب الشرع والعقل .

إن عضو هيئة التدريس حين يفعل ذلك ثم يكرر العلمية في محاضرة أخرى بطرح آخر ، سيجد المسلك التربوي في طلابه غير الأول ، وسيجد طلب فحص العبارات ، والتثبت من المصطلحات ، ولربما كان الموقف الأول سببا في تصحيح ذلك الخلل فيما يستقبله الطالب في حياته العلمية والعملية .

ومن الضوابط العلمية في منهجية التفكير العلمي أهمية التناسب الكامل بين المجال المعرفي والمنهج العلمي المستخدم ، فإن لكل مجال معرفي منهج يلائمه ويستخدم له ، فالأحداث التي مرت في حياة الأفراد والمجتمعات والأفكار يناسبها المنهج التاريخي ، وما يتعلق بالمشكلات وجمع المعلومات حولها يناسبه المنهج الوصفي ، والقضايا المادية يناسبها المنهج التجريبي ، والقضايا الغيبية يناسبها الوحي في مصادره الأساسية ، وقد يشترك في مجال معرفي واحد جملة من المناهج ، وذلك حسب مقتضى الحال .

والتأكيد على هذه القضية أمر في غاية الأهمية حفاظا على النتائج الصحيحة التي يتوخاها الباحث من خلال دراسته وبجته .

ويمكن أن يتحقق التدريب على ذلك بأن يضرب عضو هيئة التدريس لطلابه هذا المثال :  
ذهب أحدكم ليشتري جهاز اتصال فقال له البائع : هذا الجهاز فيه من المواصفات كيت وكيت وأريدك أن تؤمن بالغيب وتشتريه ، فماذا تقول ؟ ستفرض الفكرة جملة وتفصيلا ، لأن هذه المسألة المادية تحتاج إلى منهج يتأكد به المشتري صدق البائع فيما قال ، والمنهج هنا هو التحريب ، فكأنني بالمشتري يقول للبائع : أرني كيف يتم ذلك ، و ( أرني ) هذه هي ما يسميه المتخصصون في البحث العلمي بـ ( منهج التحريب ) .

وعلى العكس من ذلك ، لو أن إنسانا قال لآخر : إنه يجري في القبر نعيم وعذاب من خلال نصوص الوحي في الكتاب والسنة ، فقال الآخر : ( أرني ) لما كان هذا منهجا ملائما يمكن أن يستخدم في هذه الحالة ، لأن ما في القبر غيب لا يعلم كيفيته إلا الله ، وإثباته لا يتحقق من خلال التحريب وإنما من خلال الإيمان بالغيب ، وهي الصفة الأولى التي مدح الله بها عباده المؤمنين في صدر سورة البقرة حين قال

سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (١)

مع تأكيد عضو هيئة التدريس على خطورة بعض ما يكتب أو يسمع من خلال بعض الوسائل حتى ولو كان هذا المكتوب أو المسموع من موثوق في دينه وأمانته ، لكن قد تخونه هذه المسألة العلمية ، وهي أهمية التناسب الكامل بين المجال المعرفي والمنهج العلمي المستخدم ، فقد يقرأ الإنسان في كتاب أو يسمع من متحدث أن إنسانا دفن آخر ، فسقط شيء منه في القبر — عند دفن الميت — دون علمه ، ولما عاد إلى منزله تذكر ما سقط منه ، فذهب لنبش القبر فوجد الميت يشتعل عليه قبره نارا .

إن ما يجري في القبر غيب لا يعلم كيفيته إلا الله تعالى ، وليس للمسلم إلا الإيمان بما أخبر الله تعالى به مما يجري في القبر ، لكنه يجهل الكنه والكيفية ، لأن أحدا من الكفار الذين ينكرون عذاب القبر أو نعيمه ، لو جادل مسلما وقال : لا يجري في القبر مما تقول شيئا ، بدليل أننا لو نبشنا القبر لم نجد إلا عظاما ورفاتا ، فكيف ستكون حجة المسلم والحال ما ذكر ؟ .

إذن المنهج العلمي الذي يناسب هذا الحال هو الإيمان بالغيب على ما بينه رب العالمين في كتابه الكريم وفي سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

ولقد كان من الأمثلة التي مرت بالباحث في فترة دراساته العليا ، والتي تؤكد على هذه المسألة العلمية المهمة ، وهي أهمية التناسب بين المجال المعرفي والمنهج العلمي الذي يستخدم له ، أن أحد أساتذته ذكر رجلا كان يعلم عددا من السذج الحلال والحرام في جلسة علمية ، وبينما هو يتحدث إليهم تارة ، ويكتب تارة أخرى ، دخل عليه رجل بإناء فيه شراب ، فتناول الإناء بيده ، وشرب بشماله ، فثار عليه الحاضرون السذج ووصفوه بالكفر لأنه شرب بشماله ، وقالوا له : تعلمنا الحلال والحرام ، وأنت تشرب بشمالك ، وهددوه بالقتل ، فقال لهم بعد أن أعياه الأمر من شدة منازعتهم له : هل الله تعالى أقسم بالقلم أم أقسم بالإناء ؟ فقالوا : بل أقسم بالقلم ، فقال لهم : كيف أخذ يميني شيئا لم يقسم الله به ، ولم يعظمه ، وأدع ما أقسم الله به وعظمه الله ؟ فنكسوا على رؤوسهم ، وقدموا الاعتذار لشيخهم الذي وصف بالذكاء والعلمية .

فاستأذن الطالب أستاذه ليلق على الحدث من خلال طرح علمي منهجي يثير مكامن التفكير ليوصل إلى نتائج علمية صحيحة .

قال الطالب لأستاذه : هل صحيح ما يقوله التريويون من أهمية التناسب بين المجال المعرفي والمنهج العلمي المستخدم ، فقال : نعم ، وبكل تأكيد ، فقال الطالب : لن أتحدث في قضية الأكل بالشمال أو

(١) - [سورة البقرة: الآيات ٢-٣]

باليمن فهي من المسلمات في سلوكنا الإسلامي ، ولكني سأحدث عن خلل كبير في المنهجية العلمية التي كان عليها معلم أولئك السذج .

فالطعام والشراب في الإسلام مجال معرفي ولا بد له من منهج يلائمه وإلا كانت النتائج خاطئة ، والمنهج الذي يلائمه ليس منهج ( القسم ) وإنما هو منهج ( الأمر والنهي ) كما جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأحد الناس وهو يأكل بين يديه : (( كل بيمينك فقال لا أستطيع ، قال لا استطعت ، ما منعه إلا الكبر ، قال : فما رفعها إلى فيه )) (١) وعليه فقد استخدم الرجل لهذا المجال منهجا لا يناسبه فوقع في خطأين كبيرين أحدهما علمي والآخر سلوكي ، فأما العلمي فهو خلل في المنهجية حين استخدم للمجال المعرفي منهجا لا يناسبه ولا يتفق معه أبدا ، وخلل سلوكي حين شرب بشماله .

وكانت محصلة هذا الحوار أن أشاد عضو هيئة التدريس بطالبه ، وسلم له بما قال ، والسبب أن النقاش إذا بني من خلال منهجية علمية منضبطة قاد إلى الإقناع .

وإذا كان هذا الحدث في الموقف التعليمي ، فإن هناك مواقف أخرى ضلت فيها فرق وتاهت فيها مذاهب ، وماجت فيها أفكار ، فخرج أصحابها عن طريق أهل السنة والجماعة ، يوم فرطوا في هذه الجزئية المهمة في منهجية التفكير العلمي ، وهي أهمية التناسب الكامل بين المجال المعرفي والمنهج العلمي المستخدم ، وقد خرج بسبب هذا الخلل أصحاب عقيدة الحلول والاتحاد ، ووحدة الوجود ، والمعتزلة ، والعقلانيون الجدد ، وظهرت الماركسية ، وفسر التاريخ تفسيراً مادياً صرفاً ، وغير ذلك .

ومن الضوابط العلمية للتفكير العلمي — كما جاء في القرآن الكريم — تلقي المعرفة من مصادرها الصحيحة ، فإن المعارف تتنوع مصادرها ، فإذا أخذت المعرفة من غير مصادرها الحقيقي ضل صاحبها في نتائجها ، سواء كانت هذه النتائج مما يتعلق بعلوم الدنيا أم الآخرة .

فإذا كانت المعرفة شرعية لا مجال للاجتهاد فيها فإن مصادرها الحقيقي هو القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وإذا كانت المعرفة مادية فإن مصادرها هو العقل البشري الذي يدور مع التوجيه الرباني حيث دار .

وعليه فإن عضو هيئة التدريس الجامعي يولي هذه القضية عناية خاصة ، فإذا أبدى الطالب فكرة أو أدلى برأي سأل عن مصدر معلوماته من أين استقاها ، ولهذا صلة وثيقة بالتخصص ، فإن أخذ المعرفة من المتخصص فيها هو المنهج العلمي الصحيح ، فلا يقبل قول العالم الشرعي في الطب ، ولا يقبل قول الطبيب في العلم الشرعي ، ولا يقبل قول الفيزيائي في البلاغة ، ولا قول صاحب الأدب في الكيمياء ، ولكن

(١) مسلم ، صحيح مسلم ، ص ٨٣٨ حديث رقم ( ٢٠٢١ )



المتخصص في علم ما إذا نقل حقائق العلم في غير تخصصه وأسند قوله إلى أهل التخصص فقد برأ من العهدة .

إن لكل معرفة مصدرها الذي تؤخذ منه ، فالمعارف الشرعية مصدرها الوحي ، والمعارف العقلية مصدرها العقل ، والخلط بين الأمرين عند طلب المعلومة يورث الخلل ، ويوقع في الخطأ وهو ما تستهجنه المنهجية العلمية الإسلامية .

ومن الضوابط العلمية للتفكير العلمي كما جاءت في القرآن الكريم الإفادة من الآخرين بعد النقد والتمحيص وذلك في ضوء ضوابط الشرع الحنيف فإن الحكمة قد ترد على ألسنة الآخرين ولو كانوا على خلاف ما عليه المسلم في الدين والخلق ، ولا مانع أن ينقل عضو هيئة التدريس الجامعي معارف الآخرين ويستشهد ببعض طرحهم ، بل ولا مانع أن يتبادل مع غيره المعلومة ولو كان كافرا لا يؤمن بالله ولا اليوم الآخر ، وخاصة في العلوم الطبيعية مع محافظة المسلم على عقيدته الإسلامية في مسألة الولاء والبراء .

فإذا كان عضو هيئة التدريس بصدد الحديث عن موضوع في تععيد القواعد مثلا وأهميتها في ضبط جزئيات العلوم وفروعها ، فلا مانع أن يستشهد بالمثل الصيني الذي يقول : لأن تعلمني كيف أصيد سمكة خير لي من أن تعطيني كل يوم سمكة ، فتعليم صيد السمك ولو كان مجهدا في بداية الأمر لكنه يكفي الإنسان المؤونة بعد ذلك ، وهو ما يشير إلى أهمية القاعدة التي تضبط للمتعلم ما يتعلق بها من مسائل

إن العلوم الطبيعية جهد بشري تراكمي لا يستغني عضو هيئة التدريس الجامعي عن جهود الآخرين فيه مهما كانت الأسباب ، كما أن العلوم النظرية فيها ما يمكن أن يستفيدة الإنسان من الآخرين سواء كان ذلك من خلال بعض الأساليب أو الوسائل أو حتى الأفكار ، ثم توجه وجهة شرعية في غاياتها وأساليبها .

كما أن من الضوابط العلمية لمنهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم التنازل جدلا مع الخصم ، وهي خطوة في الطريق الذي يوصل إلى النتيجة الصحيحة القائمة على البرهان النقلي أو العقلي ، ذلك أن الخصم إذا رأى من خصمه إصرارا على مواقفه لا يجحد عنها أبدا ولو كانت صحيحة ألباه ذلك إلى الإصرار على خطأه مهما كان مخالفا للدليل ، وخاصة مع المعاند .

وقد يمر عضو هيئة التدريس الجامعي ببعض هذه المواقف مع طلابه داخل قاعة الدرس ، فإذا حصل ذلك فإنه يأخذ الطالب بمقدمات منطقية ويقول للطالب : سلمت لك بأن الأمر حق وإن لم يكن كذلك ، ولكن يتزل مع الطالب جدلا أو افتراضا ، ثم يحمله على ما بعدها ، ليصل به إلى النتيجة التي يريدتها .

#### **طرائق التدريس وأهداف التفكير العلمي :**

قسم الباحث أهداف التفكير العلمي إلى ثلاثة أهداف : أهداف متعلقة بالمظهر الشعائري ، وأهداف متعلقة بالمظهر الكوني ، وأهداف متعلقة بالمظهر الاجتماعي ، وقد يكلف عضو هيئة التدريس

طلابه باستنباط الآيات التي لها علاقة بالأهداف الشعائرية والكونية والاجتماعية ، ثم يطالبهم بتصنيفها ، ثم يوقفهم على الحكمة من مشروعيتها ، مبينا لهم آثارها ، وقد يعمد إلى المقارنة بين الطرائق والآثار في المنهجية الإسلامية وبين غيرها من أمم الكفر مما يمكن أن يعقد بينها مقارنة .

وتطبيق تلك الأهداف في طرائق التدريس يمكن أن يكون على النحو التالي :

من مظاهر الأهداف المتعلقة بالمظهر الشعائري بأسلوب علمي يثير مكامن التفكير ، ما يتعلق بتصحيح العقيدة ، ونبذ الشرك ، خاصة ممن أشركوا مع الله غيره من المخلوقات ، ولتحقيق هذه الغاية ، فإن عضو هيئة التدريس يطلب من الطلاب أن يذكروا له الآيات التي وردت في الحث على تدبر القرآن الكريم ، فإذا ذكروها سألهم : ما الحكمة من تدبر القرآن الكريم ؟ فإن لم يجيبوا أجاب هو بقوله : لأن كل كلمة ، وكل حكم ، وكل خير ، وكل آية ، قد جاءت في مكانها عن قصد وإرادة ليكون لها مدلولها في سياق الكلام ، لو استبدلها الناس بغيرها في تعبيراتهم ما كانت أبلغ منها كما جاءت في القرآن الكريم .

، ومن ذلك أن الله تعالى قال في كتابه الكريم : ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾

﴿ (١) فلماذا قال سبحانه : مَا تَنْحِتُونَ ، لم لم يقل أتعبدون الأصنام ؟ وهي ذاتها التي كانت تنحت في الجاهلية ، لماذا اختار سبحانه كلمة ( تنحتون ) ولم يذكر الأصنام ، لأن هذه الكلمة تثير تفكير السامع إلى أقصى مداه ، فإن الأذن حين تسمع كلمة ( تنحتون ) يطير التفكير إلى المنشار والقدم والمسمار والمطرقة ، ويسرح العقل في تأمل هذا الإله الذي ضرب بالقدم وقطع بالمنشار ، وكيف حفرت عينه ، وقصت قدمه ، ومن الذي فعل بالإله هذه الأفاعيل : لعله مولى من الموالى ، ليصبح المولى الحقير في نظرهم صانعا ، والإله العظيم كما يزعمون إله وحاكما ومصرفا ومدبرا ؟ !!!

كما أن المولى سبحانه يدعو إلى استنباط الحكمة من تشريعه المحكم ، حين يقول : ﴿

أَفْحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

(٢)

ومن الأهداف المتعلقة بالمظهر الكوني التي تثير مكامن : بيان عظمة الله تعالى من خلال أعمال العقل في آياته الكونية ، المثبوتة في الآفاق والأنفس إذ يدعو — سبحانه — إلى تدبر آياته الكونية في الآفاق والأنفس محتتما ذلك بقوله : أفلا تبصرون ، أفلا تعقلون ، أفلا تذكرون . . .

(١) - [سورة الصافات: الآية ٩٥]

(٢) - [سورة المائدة: الآية ٥٠]

خلق الله تعالى ليست مجرد الاختراع فقط وإنما هي في الخطوة الأولى الوقوف على عظمة الله تعالى ، ثم يتلوها بعد ذلك الإبداع في اختراع ما يمكن للبشرية أن تسعد به في حياتها الدنيوية .

فتكون محصلة التفكير في عظيم خلق الله وصنعه أنه سبحانه المستحق للعبادة دون سواه ، وهو

سبب في تحصيل العلم وزايدة الفتح والتوفيق ، كما سبحانه : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِ اللَّهُ

وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١)

ومن الأساليب التي تثير تفكير المتعلم — وقد اعتنى به القرآن الكريم كثيرا — أسلوب ضرب المثال ، ذلك أن الكلام حين يكون مجردا عنه ، خاصة عندما يكون في الحديث أمر غائب عن الذهن يصعب عليه تصوره ، لا يكون له وقع في النفس ، لكن المتحدث حين يبدأ بضرب مثال على ما يريد بيانه ، ويناقش المستمعين فيه ، ثم يحملهم على ما يريد بيانه ، فإنهم يربطون بين المثال وبين الكلام المراد إيصاله ، فيتحقق من وراء ذلك خيرا كثيرا ، وما من شك أن الربط بين المسائل إنما هو عملية عقلية عليا تؤكد عليها التربية الإسلامية من خلال مصادرها الأساسية .

فلو أن عضو هيئة التدريس أخرج جهاز اتصال لطلابه وقال لهم : من أعلم الناس بخصائصه وأسراره ؟ وسيكون الجواب : الشركة التي صنعتها ، عندها ينتقل إلى الحديث عن الإنسان وهو جهاز متحرك قد بلغ في الإعجاز والإتقان غايته ، فيقول لهم : من هو العالم بخصائصه وأسراره ؟ وسيكون الجواب : الله سبحانه ، لينتقل عضو هيئة التدريس فيقول : يؤمن بعض الناس بأن الذي صنع هذا الجهاز أفراد في شركة ، وأنهم العالمون بما يصلحه وما يصلح له ، ولا يؤمنون أن الذي خلق الإنسان هو الله ، وأنه العالم بما يصلحه وما يصلح له ، أي منطوق علمي هذا ؟ إذا آمنا أن الذي خلق الإنسان هو الله تعالى ، وأنه العالم بما يصلحه ويصلح له ، أفليق بعقل أن يسير في طريق لم يرسمه له الذي خلقه ؟ إننا لو حاولنا تشغيل جهاز الاتصال على غير تعليمات الذي صنعه لما صلح أبدا ، وكذلك الحال في الإنسان إذا أريد له أن يعمل على غير تشريعات خالقه لما صلح أبدا .

وخلاصة القول أن المثال يتنوع بحسب مقتضى الحال والمقال ، وأنه يثير مكامن التفكير عند المتعلم ويفتح باب للربط بين المسائل ، ويحرك الذهن نحو الاستنباط والإبداع .

كما أن من أساليب منهجية التفكير العلمي العناية بالقصص ، فإن الحديث حين يكون مجرد ذكر عبارات تقال ، لا يستهوي النفس كما لو تخلل الحديث الأسلوب القصصي ، وهو ما جاء واضحا في كتاب الله الكريم ، فإن بعض سور القرآن الكريم قد جاءت كاملة في ذكر قصة واحدة كقصة يوسف عليه السلام مع ما يتخللها من أحكام وعبر ودروس لربما استنبطها السامع دون أن تذكر له .

(١) - [سورة البقرة: الآية ٢٨٢]

ودائما ما يربط السامع للقصة بين أحداثها وبين نتائجها ، وعادة ما يحلل بعض أحداثها وهو يسمع ، وعادة ما يمكن أن يستنبط أسبابها دون أن تشرح له .

ومن أساليب منهجية التفكير العلمي العناية بالمقدمات قبل اقتحام النتائج ، خاصة حين تكون المقدمات متفق عليها بين الطرفين المتناقشين ، فإن كل مقدمة تقود إلى الأخرى حتى توصل إلى نتيجة حتمية لا بد من التسليم بها ، وقد تحتاج بعض القضايا المطروحة للنقاش إلى مقدمة واحدة ، وقد تحتاج إلى مقدمتين وقد تحتاج إلى ثلاث أو أكثر .

ومن أساليب منهجية التفكير العلمي الاستدلال بطريق الأولى ، فإن الذي خلق الإنسان ابتداءً قادر على يعيده يوم القيامة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُاَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ

وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۗ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ (١) فإذا كان الحوار قائما بين عضو هيئة التدريس وبين طلابه ، وذكرت مسألة

وسلموا بها ، ثم ذكرت أخرى أصغر منها بنفس الحثيات والملابسات فإن التسليم بها من باب أولى .  
كما أن من أساليب هذه المنهجية الاستدلال بأمر على أمر كالأستدلال بالبعث من النوم على البعث بعد الموت ، وكالأستدلال بالخلق على الأمر ، فإن الذي خلق الوجود كله وحده ، لا بد أن يكون هو الأمر وحده .

ومن أساليب هذه المنهجية العناية بالقواعد الكلية ، كما هو شأن القرآن الكريم ، فإن الجزئيات لا تنتهي ، لكن القاعدة الواحدة تضبط للمتعلم ما يمكن أن يندرج تحتها من الجزئيات ، ولكل علم قواعده وأصوله ، ولهذا لزم عضو هيئة التدريس أن يوليها عناية خاصة ليوفر على نفسه كثيرا من الجهد والوقت والمعاونة ، مع ما في هذا الإجراء من التدريب على التفكير العلمي المنضبط ، فإن تصنيف كل جزئية لتندرج تحت قاعدتها عملية عقلية عليا وهي ما يسمى عند المتخصصين في البحث العلمي بـ ( الاستدلال ) ويسمون وضع القاعدة ( الاستقراء ) وكلا الأمرين من أسس منهجية التفكير العلمي التي أكد عليها القرآن الكريم .

ومن أساليب هذه المنهجية أيضا الحوار ، وهو الأسلوب الذي يكون الحديث فيه بين طرفين على أن يبني على أسس علمية ، منطلق من خلال قواعد علمية لتضبط عملية الحوار ، وقد ورد في كتاب الله الكريم مواطن كثيرة كان فيها الحوار بين أنبياء الله تعالى وأقوامهم في غاية الحجة والبيان ، على أن الملاء في كل أمة لا يملكون منطلقا علميا وهم يجادلون أنبياءهم ، إنما تملكهم معايير القوة والجاه والمكانة الاجتماعية وكثرة الأتباع ، وقد جاء هذا واضحا في حوار الرجلين صاحبي الجنتين في سورة الكهف ، فقد

(١) - [سورة الروم: الآية ٢٧]

افتخر أحدهما على الآخر وهو يحاوره بكثرة المال والولداً ، وأنكر أن تبعد جنته وأنكر قيام الساعة ، وهذا منطق يكذبه الواقع ، فإنه يعلم أن سيموت كما مات غيره ، وأن جنته ستباعد كما بادت جنان من كان قبله في غابر الأزمان ، بل تناقض في طرحه وأكد إنه إن رد إلى لربه فله عنده خير منها .

لكن المتأمل في منطق صاحبه يجده قائماً على الحججة المقتنعة ، فقد ذكره بربه الذي خلقه ، ثم طور خلقه من تراب ثم من نطفة ثم سواه رجلاً كامل الخلق ، ليكون المعنى : الله الذي خلقك من العدم ، وجعل لك هذه الجنة ابتلاء واختباراً ، وأراك مصارع الناس من حولك ، وأطلعك على النفوس البائدة والديار الهالكة ، وتنكر بعد ذلك شيئاً رأيت مثله في حياتك ؟ وتنكر البعث بعد الموت وأنت تقر بأن الذي خلقك ابتداءً هو الله ؟ إن هذا منطق من لا يعقل أبداً .

وعليه فإن الحوار مطلب تربوي كبير لبناء شخصية المتعلم في المسائل التي تقبل الحوار ، وقد يكون الإقناع من نصيب المعلم ، وقد يكون من نصيب المتعلم ، والمعول عليه هو الإقناع من خلال الحجج والبراهين .

كما أن من أساليب هذه المنهجية الموازنة بين الأمور وهو أسلوب تربوي تكرر كثيراً في كتاب الله تعالى ، كالموازنة بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وحزب الله وحزب الشيطان ، وأهل الجنة وأهل النار ، والموازنة بين الدنيا والآخرة ، وبين الحق والباطل ، وبين نعيم الجنة وعذاب النار ، وغير ذلك .

وعضو هيئة التدريس الجامعي يجد متسعاً كبيراً في قاعة الدرس لعقد الموازنة فيما يتناوله مع طلابه من مسائل ، ومن أمثلة ذلك : الموازنة بين تشريع الله الكامل ، وبين تشريع البشر القاصر في أنظمتهم البشرية ، وقوانينه الوضعية ، وبين استقرار المجتمعات التي تحكم بشرع الله والتي لا تحكم به ، والموازنة بين الأفكار والعقائد والقيم والمبادئ والسلوكيات التي تقوم على الهدى الرباني وغيرها مما وضعه البشر .

ومن أساليب هذه المنهجية طرح الأسئلة والإجابة عليها تارة ، إن كان في الإجابة فائدة ، وعدم الإجابة عليها تارة أخرى إن كانت الجواب عليها متعذراً لوضوحها وعدم حاجتها إلى الجواب ، وكلها مسالك تربوية يمكن أن يحققها عضو هيئة تدريس الجامعي في قاعة الدرس ، مع لفت أنظار طلابه دائماً إلى النظر في العواقب ، والاستعانة بالمكونات البيئية عند عرض المعلومة ليؤكد بها مصداق ما يقول .

#### **طرائق التدريس ومعوقات التفكير العلمي :**

كي يتجنب الطالب الجامعي معوقات التفكير العلمي بحكم أنه أمضى فترة من سني حياته في جنبات مواطن البحث العلمي ، وهي الجامعة ، فإن عضو هيئة التدريس يشيد بالعقل ، وبجس الانتفاع منه ، وعدم تعطيله ، وتجنبيه كثير من المعوقات التي أصبحت سمة كثير من الناس في حياتهم العامة والخاصة ، في المواطن العلمية وفي غيرها ، كالتقليد والتعصب والاستكبار وضيق الأفق واتباع الهوى واتباع الظن والتأثير الجماهيري والجدال من أجل الانتصار للباطل ، والوقوف عند الأشكال دون سير الأغوار ، وغيرها .

على أن يشرح عضو هيئة التدريس الجامعي كل معوق لطلابه ويضرب عليه أمثلة ، وذلك حينما يقع للطالب شيء من هذه المعوقات ، فإذا تعصب الطالب لرأيه وهو مخالف للدليل ، ذكر له خطورة التعصب ، وكيف يعمي عن الحق المؤيد بالدليل ، وهكذا دواليك .

## ثانياً : أساليب التقويم

### تعريف التقويم :

يراد بالتقويم في مفهومه العام : " إصدار حكم عن قيمة شيء أو عمل ما أو تجربة معينة " (١)

كما عرفه بعض الباحثين في مفهومه التربوي بأنه : " قياس أداء الطالب العلمي والعملية والسلوكي خلال عملية التعلم من بدايتها حتى نهايتها " (٢) وهذا المفهوم للتقويم التربوي إنما هو جزء من مفهومه التربوي العام الذي لا يقتصر على قياس وتقويم أداء الطالب في المجال المعرفي أو العملي أو السلوكي أو الانفعالي أو غيرها ، ولكنه يتعدى الطالب إلى قياس سائر جوانب العملية التعليمية والتربوية كتقويم المعلم ، والمناهج ، وطرق التدريس ، والأهداف التعليمية ، والسياسات التعليمية ، ومدخلات التعليم ومخرجاته ، وسائر ما يتعلق بالعملية التعليمية والتربوية .

وقد اختلف الباحثون في تسمية هذا النوع من النشاط هل يقال له : تقويم ، أم تقييم ؟ أم أهمما بمعنى واحد ؟ فقال بعضهم : " التقييم إصدار حكم على لغرض ما على قيمة مثل الأفكار ، الأعمال ، الحلول ، الطرق ، المواد ، وهو يتضمن استخدام المحكات والمستويات لتقدير مدى كفاية الأشياء ، وفعاليتها ، فالتقييم يتضمن القياس والحكم بناءً على معيار ، أما التقويم فمعناه إصلاح الاعوجاج ، ويأتي بعد التقييم ، أي أننا نقيم الطلاب حتى نقومهم ونسد النقص أو الضعف عندهم ، ولكن العادة جرت أن

يستخدم التقييم والتقويم بنفس المعنى " (٣)

ولهذا استخدم الباحث مصطلح ( التقويم ) لشيوع استخدامه بين المتخصصين في عمليات

القياس والتقويم .

(١) عبدالله بو بطانه ، دور التقويم في تطوير العملية التربوية ، ص ٦

(٢) نعيمة عيد ، أسس التدريس الجامعي ، ص ٩٧

(٣) محمود محمد غانم ، القياس والتقويم ، ص ١٠

والمعرفي ، وما من شك أن الذين يطلقون مثل هذا الوصف على هذا الجزئية من التقويم هم الذين يراعون هذه الجزئية اهتماما بالغا ، وتأخذ من وقتهم وجهدهم حيزا كبيرا .

والباحث يقصد بأساليب التقويم — التي هو بصدد الحديث عنها — تلك الأساليب التي يقوم بها عضو هيئة التدريس الجامعي أثناء الموقف التعليمي ، وهو المتعلق بمعرفة مدى ما تحصل عليه الطالب في الجانب المعرفي ، الذي يسبق القيام بالعمل الصالح ، أو تغيير السلوك غير المرغوب فيه .  
غير أن الباحث يؤكد على أن القدرة على تغيير سلوك المتعلم ، ومعرفة ذلك من خلال التقويم إنما هو مرتبط — بعد توفيق الله تعالى — بإحداث تغيير جذري في قناعات هذا المتعلم .

وتغيير القناعات مرتبط بما يقدم لهذا المتعلم من علوم ومعارف متنوعة بطريقة علمية منهجية تثير تفكيره إلى أقصى مداه ، من خلال البراهين النقلية والعقلية ، ثم تقاس هذه العلوم والمعارف لمعرفة مدى إدراك هذا المتعلم لها ، ومدى تأثيرها في سلوكه .

فإن كان لها أثر في سلوكه حكم عليها بأنها معارف نافعة ، وحكم على الطرائق التدريسية التي قدمت بها هذه المعارف بأنها طرائق علمية واعية ، أما إذا لم تحدث تغييرا إيجابيا في سلوك المتعلم فإنه لا يحكم عليها بأنها غير نافعة ، أو أنها قدمت بطريقة غير علمية ، لأن أمر تصحيح السلوك يتعلق بهداية الله تعالى وتوفيقه قبل كل شيء .

فقد قدمت للكافرين المعاندين الجاحدين معارف متنوعة ، وبأساليب تربوية راقية على يد أعظم معلم عرفته البشرية في تأريخها الطويل ، ومع ذلك لم يتغير سلوك هؤلاء الكفار تغييرا إيجابيا ، لأن المسألة يدخلها بعدد آخر ، وهو خذلان الله تعالى لهؤلاء بسبب كبرهم وعتوهم وتكذيبهم وغفلتهم ، وهو ما جاء

واضحا في قول الحق جل ذكره : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي

الْأَرْضِ بِعَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ  
الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ

بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿٤٦﴾ (١)

فقد بين المولى سبحانه بأنهم حين يرون الآيات سواء كانت كونية أم قرآنية في غاية المنطق العلمي كفروا بها ، وإذا رأوا سبيل الرشد المؤيد بالدليل الفطري والنقلي والعقلي كفروا به ، وحين يرون سبيل الغي الذي لا يقبله نقل ولا عقل جعلوه منهجا لهم في حياتهم ، وقد جاءت السبب واضحا في أنهم غير مذعنين للحق المؤيد بالدليل ، إنما هو التكذيب والغفلة .

(١) - [سورة الأعراف: الآية ٤٦]

إن هذا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتوفيق الله تعالى وهدايته للإنسان ، فكم من متعلم أخذ من العلم حظاً وافراً ، غير أن في سلوكه ما يتنافى مع ما وجده من العلم ، وما حصله من ثقافة ، فكان ضلاله على علم في زمن العلم ، وانحرافه على علم في زمن الثقافة ، قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ

الْهَهُرَ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١)

وقد ختمت الآية بالدعوة إلى التذكر بأسلوب الحض المقترن بالتوبيخ والتقرير ، الذي يؤكد أن العلم من غير هداية الله تعالى وتوفيقه إنما هو الضلال المبين .

من هنا كان من الضروري في العملية التعليمية والتربوية وعلى يد عضو هيئة التدريس الجامعي إثارة تفكير المتعلم من خلال أساليب التقويم ولو كانت مقتصرة على الجانب المعرفي فقط ، فإنه الجانب الذي يغذي سلوك المتعلم ، ويدفعه نحو العمل ، ويزن انفعالاته ، وقد جاءت المنهجية العلمية الإسلامية لتؤكد أن العلم قبل القول والعمل ، كما بوب البخاري في صحيحه هذا الباب فقال : باب : العلم قبل القول والعمل واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ

لِدُنْيَاكَ ﴾ (٢)

### أنواع التقويم :

للتقويم أنماط متعددة يفرضها حال المتعلم ، ونوعية العلم المقدم للطالب ، فقد يكون التقويم تحريراً كتابياً ، وقد يكون شفويًا عن طريق الحوار والمناقشة ، وقد يكون معملياً في المختبر بين الوسائل والأدوات ، وفي جميع الأنواع يتولى عضو هيئة التدريس تقويم أداء طلابه ، على أن يكون هذا التقويم مشيراً للتفكير العلمي لدى الطالب .

### أساليب التقويم بين الوسيطة والغاية :

التقويم الذي سبق تعريفه إنما هو وسيلة لتحقيق هدف معين ، وهو قياس ما تحصل عليه الطالب من معلومات ، وحفز له على مذاكرتها ، وتثبيت المعلومة في الذهن ، وتحديد مستوى الدارسين ليأخذ كل واحد مكانه الذي يليق بمستواه ، وفقاً لسنة التمايز بين الناس ، وتقديراً للفروق الفردية بين المتعلمين ، وإذكاءً لروح التنافس الإيجابي بين الأقران .

(١) - [سورة الجاثية: الآية ٢٣]

(٢) - [سورة محمد: الآية ١٩]



وليس التقويم هدفا في حد ذاته ، ولا هو غاية يسعى إليها عضو هيئة التدريس ، وليس مرتبطا  
بنهاية الفصل الدراسي ، بل هو عملية مستمرة يتابع فيها المعلم المتعلم لقياس ما يحصله أول بأول ، في  
القاعة بعد ختام الدرس أو الحلقة الدراسية ، ودوريا في منتصف الفصل الدراسي ، ونهايا في آخر الفصل  
الدراسي ، أو في نهاية العام ، وكل له فلسفته في تحديد فترة تقويم المتعلم ، من حيث الكم والكيف .  
غير أن أساليب التقويم قد أصبحت عند بعض المهتمين بالعلمية التعليمية والتربوية غاية في حد  
ذاتها ، حتى أصبح التعليم في أذهان بعض المعلمين إنما هو من أجل تقويم مستوى الدراس في نهاية المطاف ،  
فتحولت أساليب التقويم في كثير من الجامعات والمعاهد والمدارس إلى شبح مخيف يجلب القلق للمتعلم ،  
ولربما كان لذلك آثاره الكبيرة على المتعلم في بعض جوانب حياته الصحية والفكرية والاجتماعية ، وإن  
كانت أساليب التقويم لا بد منها ، إلا أن فلسفتها وطريقة وضعها تحتاج إلى مراجعة كبيرة من قبل  
القائمين على المؤسسات التعليمية في مراحلها المختلفة .

إن عضو هيئة التدريس الجامعي لا بد أن يسأل نفسه هذا السؤال : لماذا أقدم المعلومة للطالب ؟  
هل الهدف من تقديم المعلومة للطالب هو اختباره فيها في نهاية الفصل الدراسي ، وإن لم يكن لها مساس  
بحياة الطالب وواقعه الذي يعيش فيه ؟

أم أن الهدف هو أن يعيش الطالب بهذه المعلومة في حياته ، وأن يصطبغ بها في سلوكه ، وأن  
تصبح واقعا في يومه وليلته ، فإذا كان الهدف الأخير هو المتعين في ذهن عضو هيئة التدريس ، فإن فلسفته  
في التدريس والتقويم ستتعدى مشكلة الحفظ والتلقين المجرد إلى استثارة التفكير وبناء العقل ، فيحقق الطالب  
من خلال ذلك ثمرة عاجلة في حياته العلمية والعملية .

إن الذين يصبون المعارف المتنوعة في أذهان طلابهم بغية استرجاعها منهم في نهاية الفصل  
الدراسي بغض النظر عما تحقق من الفائدة ، وبغض النظر عن الطرائق التي تثير التفكير وتحرك العقل سوف  
يجدون أن المحصلة التي ورثها الطلاب من هذه الطريقة لا تكاد تذكر ، فإذا سئل الطالب الجامعي عما تلقاه  
من المعلومات الكثيرة قبل فصل دراسي أو فصلين أو ثلاثة فسوف ، لا يذكر إلا القليل النادر ، وقد سأل  
الباحث طلابه في كثير من المجموعات عما تعلموه قبل ثلاثة فصول دراسية هل بقي منه شيء ، فكان كثير  
منهم ينفي أنه بقي منه شيء ، والذي يذكر شيئا باقيا يذكر شيئا يسيرا ، لا يقارن بتلك الجهود التي  
بذلت في التحضير ثم في التلقين ثم في إعداد الاختبارات بعد ذلك .

والسبب في نظر الباحث يعود إلى فهم عضو هيئة التدريس الجامعي للهدف من التعليم ، ذلك أن  
الهدف من التعليم حين يكون لقياس المعلومة في وسط الفصل الدراسي أو آخره ، فإنه يورث طرائق  
تدريس قاصرة تقوم على الحفظ والتلقين المجرد ، إضافة إلى أساليب تقويم قاصرة تعتمد على قياس مستوى  
الحفظ فقط ، دونما التفاتة إلى مستويات العمليات العقلية العليا كالتحليل والتركيب والتقويم .

وليس اللوم يقع كله على عضو هيئة التدريس الجامعي ، بل إن الطالب يتحمل من ذلك جزءا

من المسؤولية ، غير أن نسبة كبيرة منها تقع على من يقدم له المعلومة بهذه الطريقة .

ولكن الذي يؤكد عليه الباحث أن يجعل عضو هيئة التدريس الجامعي نصب عينيه أنه يعلم من أجل أن يعيش الطالب في حياته بهذا العلم ، وأما الاختبارات التحصيلية فإنها تأتي تبعا ، فهي غير مقصودة في الأصل ، وإنما هي مقصد ثانوي للأهداف التي ذكرت آنفا .

#### أساليب التقويم بين التجزئة والشمول :

إن أساليب التقويم التي تعتمد على قياس أسلوب الحفظ فقط لا تعطي المستوى الحقيقي للطالب ، بل إنها لتلجته في كثير من الأحيان — عند ضعف الإيمان بالله ومراقبته — إلى سلوكيات غير مقبولة ، تتناقى مع نصوص الوحي في الكتاب والسنة ، وهذه السلوكيات تتمثل فيما يبتكره الطالب من أساليب غريبة يغش من خلالها المعلومة ، فيكون كلابس ثوبي زور لكونه قد تشبع بما لم يعط ، وحُمِد بما لم يفعل ، ومن غش فليس ممن سار في ركاب الأنبياء والصالحين .

فإذا سئل الطالب عن معاني الكلمات ، وطلب منه إكمال الفراغات ، وكتابة القوانين أو القواعد أو الأدلة ، وطلب منه تعداد الشيء ، وتكملة المقطع أو الفقرة أو القصيدة ، وغيرها مما يتعلق بمستوى الحفظ كانت هذه الأسئلة كلها على هذه الشاكلة تقيس جانبا واحدا من جوانب العمليات العقلية ، وهو الحفظ ، ولربما صيغت خمسة أسئلة أو أقل أو أكثر لتقيس جانب الحفظ والتلقين فقط ، فتكون غير علمية في طريقتها ، وتورث ظلما في قياس مستوى المتعلم ، ولربما جرأت هذه الأسئلة على الوقوع في سلوكيات غير مقبولة ، وذلك لأن الطالب إذا عجز عن حفظ هذا الكم الهائل من المعلومات أو بعضها ، قام بحفظها على الطاولة التي بين يديه ، وعلى ظهر المقعد الذي أمامه ، وفي قصاصات الأوراق الصغيرة ، ولربما ابتكر لذلك من الأساليب ما يعجب له الإنسان .

إن جميع الطلاب ليسوا على مستوى واحد من جودة الحفظ ، إذ فيهم القوي ، والمتوسط والضعيف ، فإذا جاءت أساليب التقويم الكتابية بالذات سواء كانت مقالية أم موضوعية تقيس مستوى الحفظ فقط ، فسوف تدفعهم إلى سلوكيات مرفوضة من جهة ، ويظلمون بها من جهة أخرى ، لأن صاحب القدرات العالية في الحفظ سيتحصل على أعلى الدرجات ، وإن كان متدني القدرات في التحليل والتركيب والتقويم ، بينما ضعيف الحفظ يحصل على أدنى الدرجات ولو كان عالي القدرات فيما يتعلق بالعمليات العقلية العليا ، ومنها التحليل والتركيب والتقويم .

وعلى هذا كان لا بد من تنوع أساليب التقويم كلها سواء كانت شفوية أم كتابية بين مستويات المجال المعرفي كلها : الحفظ والفهم والتطبيق والتحليل والتركيب والتقويم ، رغبة في استثارة القدرات العقلية ، ودرية على التفكير العلمي السليم ، والقياس المنطقي الجيد ، كما أن تنوعها على هذه الصورة يعطي المستوى الحقيقي للطالب .

وسوف يقتصر الباحث على ذكر أشهر أساليب التقويم في قاعة الدرس ، وهي الاختبارات ، وكيف يمكن تفعيل منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم لدى عضو هيئة التدريس الجامعي أثناء الموقف التعليمي من خلالها .

## أوة : الاختبارات الشفوية :

وهي تلك الاختبارات التي يقف فيها الطالب أمام عضو هيئة التدريس وجها لوجه فيجيب عما يطلب منه إجابة مسموعة .

وتختلف من تخصص لآخر ، وتمتاز بكونها تكشف مدى قدرة الطالب على سرعة استحضار إجابته ، وقدرته على توضيح فكرته ، وترتيبها ترتيبا منطقيا ، كما أنها تكشف عن شخصية الطالب ، وقدرته اللغوية ، ومهارته الكلامية ، وغير ذلك .

ويمكن أن تتجلى هذه الاختبارات في السؤال المباشر عن المعلومة ، أو من خلال الحوار ، أو المناظرة ، أو من خلال القراءة ، أو الحفظ ، أو ما إلى ذلك ، سواء كان ذلك من خلال طلب الدليل ، أو تطبيق القاعدة على جزئياتها ، أو من خلال الربط بين أمرين أو مسألتين ، أو من خلال الحوار المبني على المقدمات بغية الوصول إلى نتائجها ، أو حتى من خلال تسميع آية والسؤال عن الوقف على أحد ألفاظها وما يتحملة الوقف من معان وأحكام ، أو من خلال وصل آية بآية لتعطي معنى مرادا يفصل ما أجمل ، أو يبين ما سبق ، أو ما إلى ذلك .

وقد تكون الأسئلة الشفوية مباشرة ، وقد تكون غير مباشرة ، وقد يعبر عن المعلومة سؤال واحد ، وقد يعبر عنها أكثر من سؤال .

ويمكن تفعيل منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم في الاختبارات الشفوية في الجوانب التالية :

- ١- السؤال عن أسباب المشكلات ، وخاصة الأسباب غير المباشرة التي لا تظهر للعيان وتلوح في ذهن بادي الأمر .
- ٢- السؤال عن العلاقات بين الظواهر ، وخاصة تلك العلاقات الخفية التي لا تبدو أول الأمر .
- ٣- الربط بين القضايا والأحداث ، كالربط بين الغاية النهائية من الوجود وبين كل موقف معرفي أو سلوكي أو مهاري ، فإنه نوع من التفكير يتميز به المسلم عن الكافر ، مع اشتماله على سعة الأفق ، وبعد النظرة ، واستشراف المستقبل .
- ٤- السؤال عن تصور الإنسان للعواقب في ضوء السنن الربانية التي تحكم مسيرة الحياة ، وخاصة فيما يتعلق بالظواهر الاجتماعية .
- ٥- التركيز على الأدلة سواء كانت عقلية أو عقلية ، وتدريب الطالب عند الحوار على جعل حديثه في مقدمات منطقية يتفق عليها المعلم والمتعلم ، يعقبها كل مقدمة السير في خطوات مدروسة حتى تتحقق النتائج سواء كان ذلك تدريبا مقصودا ، أو غير مقصود .

- ٦- العناية بمصادر المعلومات وسؤال عضو هيئة التدريس الطالب عن مصدر معلومته .
- ٧- التأكيد على أهمية التخصص في جوانب المعرفة المختلفة وإعادة الأمر إلى أهل الذكر فيه وهم المتخصصون ، وعدم الافتتاح عليهم حتى لا تتضارب الحقائق ، وتتناقض المعلومات .
- ٨- التأكيد على تتبع التاريخي للظواهر سواء كانت طبيعية أم اجتماعية منذ نشأتها والوقوف على عوامل التأثير فيها ، واستشراف مستقبلها ، وخاصة الظواهر الاجتماعية منها في ضوء السنن الربانية التي تحكم مسيرة الحياة .
- ٩- العناية بمناهج البحث العلمي سواء كانت في العلوم الإنسانية أو الطبيعية ، وتعويد الطالب على أن يختار لكل مجال معرفي يتحدث فيه أو يبحث فيه المنهج الذي يناسبه لتلافي وقوع الخلل في النتائج حين يختلف المنهج عن المجال .
- ١٠- عرض بعض المقولات أو الأفكار وتدريب الطلاب على اكتشاف مواطن الصواب والخلل فيها .
- ١١- تقسيم التفكير إلى أنواع من خلال عرض بعض القضايا داخل قاعة الدرس ، على أن يكلف الطلاب بتصنيف نوع التفكير الذي يتناسب معها .
- ١٢- عدم الانبهار بالمكتوب أو المسموع ولو كان من متفوه ما لم يعرض على البراهين العلمية النقلية أو العقلية المنضبطة بالنقل الصحيح .

على أن هذه الأساليب يمكن أن يبتكر لها من الوسائل ما يعين على تحقيقها ، فإذا أراد عضو هيئة التدريس مثلاً أن يربي طلابه على التفكير الناقد ، فإنه يريهم مثلاً مشهداً من فلم تعليمي ، ليس به محظور شرعي ، ويطلب منهم تحديد موطن الخلل وأسبابه ، وكيف يمكن علاجه بالطرق العلمية الأكثر فائدة ، وهكذا .

### **ثانياً : الاختبارات التحريرية ، وهي على نوعين :**

#### **النوع الأول : الاختبارات المقالية :**

وهي تلك الاختبارات التي يقدمها عضو هيئة التدريس لطلابه طالباً منهم إبداء الرأي حول مسألة أو مشكلة دون تقييدهم بعدد معين من الأسطر أو الصفحات : " وتعتبر هذه الأنواع من الاختبارات أكثر الأنواع شيوعاً في مدارسنا وجامعاتنا " (١) وقد يستخدم عضو هيئة التدريس الجامعي هذا اللون من الاختبارات حينما تكون الأعداد في المجموعة صغيرة ، يستطيع تصحيح أوراق الاختبار وتسليمها في ظل

(١) علي راشد ، الجامعة والتدريس الجامعي ، ص ٢٣٨

الظروف التي تحدد فترة معينة لاستلام نتائج الطلاب . ولهذا اللون من الاختبارات مميزات وعيوب ، غير أن مميزاته كثيرة حين يصاغ بطريقة علمية تقيس القدرات العقلية كلها دون أن تستثني منها شيئا . وقد أكد بعض المتخصصين في القياس والتقويم أهمية هذا النوع من الاختبارات بقوله : " والمعلمون يهتمون بقياس ما يعلمه الطلاب ، ومهتمون كذلك بقياس قدرتهم على التفكير ، وعلى استخدام ما اكتسبوه من معارف ومعلومات ، وتمثل الاختبارات المقالية أدوات جيدة لقياس مثل هذه الأهداف مكنت الطالب من تبين قدرته على تذكّر الأفكار والمعارف وتحصيلها ، وتركيبها ، وتنظيمها ، وتقويمها " (١)

ويمكن تفعيل منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم من خلال ما تم عرضه في الأسئلة الشفوية ، وبنفس الأساليب التي ذكرت فيها ، غير أن لكل منها طريقته الخاصة .

#### النوع الثاني : الاختبارات الموضوعية :

هي ذلك النوع من الاختبارات التي تشتمل على عبارات قصيرة محددة لا تحتمل كل عبارة أكثر من إجابة واحدة ، يجيب عنها الطالب بإشارة واحدة أو كلمة واحدة فقط : " كما أن الموضوعية تأتي من كون هذه الأنواع من الاختبارات هي عبارة عن عينة ممثلة لمختلف الأجزاء مما يتيح لنا قياس قدرة الطالب بدقة أكثر بالوقوف على نقاط القوة والضعف عند التلاميذ " (٢)

ولعل السبب في تسميتها بالموضوعية لأن الموضوعية عند التصحيح تتجلى فيها واضحة ، لكون الإجابة عليها لا تحتمل إلا صوابا أو خطأ ، دون أن تتدخل فيها العواطف أو تتأثر بالزمن أو الجهد . وقد وجه لهذا النوع من الأسئلة جملة من الانتقادات من أهمها : " أنها لا تقيس المستويات العقلية

العليا عند المتعلم ، كالإبداع والابتكار والتفكير المنطقي " (٣) والباحث يرى أن هذا الإتمام غير

دقيق فإن كل هذه الأنواع — سواء كانت مقالية أو موضوعية — يمكن أن تقيس مستويات المجال المعرفي كلها ، الحفظ والفهم والتطبيق والتحليل والتركيب والتقويم ، ولكن ذلك يعتمد على وعي واضعها بهذه العمليات العقلية من جهة ، وبمحتوى المقرر الذي يقدمه لطلابه من جهة أخرى .

(١) محمود غانم ، القياس والتقويم ، ص ١٩٥

(٢) محمود غانم ، القياس والتقويم ، ص ١٢٧

(٣) نعيمة عيد ، أسس التدريس الجامعي ، ص ٩٧

ومن أمثلة ذلك : أن يقدم عضو هيئة التدريس لطلابه مقطعاً يتكون من خمسة أسطر ، في عبارات مترزة متناسقة يشرح بعضها بعضاً ، ويعود ضمير بعضها على بعض ، ويبني فيها شيء على شيء ، ثم توضع هذه العبارات بطريقة غير مرتبة ، ويطلب من الطالب أن يرتبها عن طريق الأرقام ، ولتوضح صورة السؤال يكون على النحو التالي :

رتب هذه العبارات ترتيباً منطقياً عن طريق الترقيم التصاعدي بحيث تعطي معنى مستقيماً :

- ( ) عام ١٣٩٠هـ .
- ( ) حيث يقول الأساس المتعلق بها .
- ( ) بما يلائم فطرتها .
- ( ) على مجموعة من البنى الأساسية .
- ( ) وكاد عددها ( ٢٦ ) أساساً .
- ( ) الذي صدرت وثيقته .
- ( ) منها بنية النظام التعليمي .
- ( ) تقرير حق الفتاة .
- ( ) يقوم النظام الاجتماعي في المملكة .
- ( ) من بينها أساس تعليم المرأة .
- ( ) وبعد هذا التاريخ ظهرت أسس النظام التعليمي .
- ( ) ويعدها لمهمتها .

إن المتأمل في العبارات يجد ترتيبها ينمي حس التفكير المنطقي فإن بعضها يربط بينها ضمير فقط ، أو واو العطف ، وبعضها — منطقياً — يسبق بعضاً ، وبعضها يفسر بعضاً ، وهكذا .

بل إن السؤال الواحد يمكن أن يتحول من قياس جانب واحد إلى قياس عدة جوانب إذا استحدث لها عضو هيئة التدريس الجامعي أفكاراً إبداعية جديدة ، ومثال ذلك :

أراد عضو هيئة التدريس الجامعي أن يسأل طلابه عن الفترة الزمنية التي كانت بين نبي الله آدم عليه السلام وبين نبي الله نوح عليه السلام ، وقد بينها لهم في قاعة الدرس بأنها ( عشرة قرون ) فإذا أراد أن يسألهم عن ذلك في قاعة الامتحان عبر أسئلة موضوعية ، فإنه بين أمرين :

أحدهما : إما أن يسأل عن المدة سؤالاً مباشراً ، فيقول : أجب بعلامة ( / ) أو ( خطأ ) أمام

العبارات التالية :

١- كان بين نبي الله آدم ونبي الله نوح عليهما السلام عشرة قرون ( )

فيكون السؤال على هذه الصورة مباشراً يقيس مستوى الحفظ فقط .

لكن نفس السؤال حين يحور بطريقة معينة يكون علمياً يقيس أكثر من مستوى ، وذلك حين

يكون على النحو التالي :

فإذا كان الطالب يعرف معنى النطيحة فسيجيب عن الفقرة الأولى ، وسينقل النطح من صورته التي تعلمها في قاعة الدرس ، وهو نطح الدابة لأختها ، ليطبقه على هذا الموقف الجديد ، ويصدر عليه حكمه بعد ذلك ، فإن السيارة تنطح كما تنطح الدابة .

فإذا السؤال على هذه الصورة يقيس مستويات الحفظ والتطبيق والتقويم في آن واحد ، وهي صورة من صور إثارة التفكير .

وإذا كان الطالب يعرف معنى الإهلال لغير الله ، فسيجيب عن الفقرة الثانية في السؤال ، وسوف يسحب الإهلال الذي كان يفعله المشركون في الجاهلية مئات السنين ليطبقه على من يفعل ذلك في العصر الحاضر ، ليصدر حكمه بأن هذا الذبح قد أهل لغير الله ، والإهلال لغير الله شرك بالله تعالى . وهكذا .

وهذه صور من إثارة تفكير المتعلم ليحفظ ويحلل ويركب ويستقرأ ويستنبط ويكتشف ويصدر أحكامه ، وهي مطالب شرعية تؤكد عليها منهجية التفكير العلمي التي جاء بها القرآن الكريم .

وإذا كان القرآن الكريم يؤكد على أهمية استشارة التفكير لدى المتعلم ، فإن عضو هيئة التدريس الجامعي يجعل من هذه الدعوة منهجا له وهو يضع أسئلته لطلابه ، فلا يقصرها على جانب واحد من القدرات العقلية بل ينوعها لتشمل سائر الجوانب .

## النتائج

- ١- ضلل بعض الباحثين البشرية على جهة العموم ، وأجيال الأمة المسلمة على جهة الخصوص ، حين حصروا التفكير العلمي في جانب واحد من جوانب المعرفة البشرية ، القائمة على الملاحظة والقياس والتجريب ، مع ما يعترئها من القصور والتناقض في بعض الأحيان ، وأخرجوا المعرفة الإلهية — عمداً أو جهلاً — من هذا المسمى ، وهي المعرفة التي بلغت في منهجيتها العلمية منتهاها ، وكيف لا يكون الأمر كذلك ، وهي المعرفة المعصومة من القصور والتناقض ، لكونها وحي الله جل جلاله ، الذي خلق الوجود كله ، بمن فيه وما فيه ، بل إن واقع الأبحاث البشرية في مختلف جوانب المعرفة المادية — التي أصبحت حقائق كالشمس في رابعة النهار — لتشهد بعظمتها وشموحها ، ولو انتقضت الحقيقة العلمية يوماً من الدهر ، فإن اللوم والقصور والفشل يوجه إليها ، ولا يوجه إلى المعرفة الغيبية أبداً .
- ٢- من خلال ما جاء صريحاً في كتاب الله تعالى ، حدد الباحث مكان العقل بأنه في القلب وليس في الرأس ، وقد دل على ذلك أكثر من ثلاث وثلاثين ومائة آية في كتاب الله الكريم ، مع وجود علاقة بين القلب والدماغ ، فإن مبدأ القوة العاقلة تكون في القلب ، ثم تنتهي إلى الدماغ .
- ٣- أكد القرآن الكريم في منهجيته العلمية وهو يدعو إلى التفكير ، على توظيف جميع العمليات العقلية عند مطارحة فكرة ، أو معالجة قضية ، أو ذكر مسألة ، أو عرض موضوع ، حفظاً ، وتدبراً ، وفهماً ، وتطبيقاً ، وتحليلاً ، وتركيباً ، وتصنيفاً ، واستقراءً ، واستنباطاً ، واستدلالاً ، وربطاً ، وتقويماً .
- ٤- أكد القرآن الكريم في منهجيته العلمية على ربط كل قول أو فعل فردي أو جماعي ظاهر أو باطن بالغاية النهائية من الوجود وهي عبادة الله تعالى بمفهومها الشامل ، الذي يعبد كل شيء في الحياة لخالقه ، " قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له \* " وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين " .
- ٥- لم ينزل الله تعالى كتابه الكريم على الناس مجرد القراءة من غير فهم أو تدبر ، فإن هذا ضرب من الأمية القتالة ، ولم ينزله سبحانه مجرد تلاوته في المناسبات ، سواء كانت مشروعة أم ممنوعة ، إنما أنزله المولى سبحانه ليكون منهجاً يهدي للتي هي أقوم ، في كل جانب من جوانب الحياة ، وصدق بعض السلف حين قال : أنزل الله القرآن ليعملوا به فاتخذوا تلاوته عملاً .
- ٦- الشريعة الإسلامية والتربية الإسلامية وجهان لعملة واحدة ، ذلك أن التربية هي حمل الناس على ما في شريعة الله الخالدة من عقيدة وعبادات وأخلاق وسلوك ومعاملات ، بمعنى أن



- التربية تفعيل لما في الوحيين في واقع الحياة من غير ألغاز ولا أحاجي ، وأن الاختلاف بين المصطلحين — الشريعة والتربية — إنما هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد .
- ٧- وجود هوة مريعة بين المتخصصين من المسلمين في مختلف جوانب المعرفة ، حتى أصبحت التخصصات العلمية والمعرفية عند بعض أصحابها كالجزر المتناحرة ، والأحزاب المتنافرة ، كل حزب بما لديهم فرحون ، مع أن المنهجية العلمية الإسلامية تؤكد على أن المعارف النافعة في أي تخصص لحمة واحدة لا ينفك بعضها عن بعض .
- ٨- أكد القرآن الكريم على عموم القراءة من خلال قاعدة لغوية جد رائعة ، تؤكد على أن المفعول به إذا حذف من الجملة ، مع وجود الفعل والفاعل ، كان القصد إرادة العموم ، وهو ما جاء واضحاً في قول الله تعالى " اقرأ باسم ربك الذي خلق " فقد وجد الفعل والفاعل في قوله تعالى : ( اقرأ ) ولم يوجد المفعول به ، ليكون القصد إرادة عموم القراءة في كل تخصص ، شريطة أن تكون هذه القراءات على اختلاف أنواعها وتخصصاتها على اسم الله تعالى .
- ٩- جاءت منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم واضحة المعالم حين بين القرآن الكريم أدائها وجعلها مناط التكليف ، ثم دعاها إلى العلم ، وحدد أبعاد هذه المنهجية وأهدافها وأساليبها ونبه على معوقاتها ، وأكد على أن تكون سلوكاً للمسلم في المؤسسات النظامية وغير النظامية ، في المواقف التعليمية وفي غيرها .
- ١٠- القرآن الكريم في منهجية العلمية وهو يعالج الأحداث الاجتماعية التي تمر بالأمة المسلمة يؤكد على أن تعالج هذه الأحداث في ضوء سنن الله التي تحكم مسيرة الحياة ، كيما تكون المعالجة صحيحة مثمرة ، تُرَقب نتائجها وكأنها تُرى من وراء ستر رقيق ، وإلا وقع الإنسان بن طرفي نقيض ، إما مغرق في المثال ، أو يائس من تغيير الحال :
- ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد      كلا طرفي قصد الأمور ذميم
- ١١- البحث التربوي في حياة الأمة المسلمة اليوم يسير عند بعض الباحثين وراء سنن من كان قبلنا حذو القذة بالقذة شبرا بشير وذراعاً بذراع ، في الأفكار ، والأساليب ، والمصطلحات ، وكيفية المعالجة ، بل إن بعض الأبحاث التربوية تترجم عن الآخرين ترجمة حرفية ، وقد نقل سلف الأمة عليهم رحمة الله قولهم : التعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية هو سبيل أهل السنة والجماعة ، فإذا كان سلف الأمة — رحمة الله عليهم أجمعين — يؤكدون على التميز في كل شيء ، وينهون عن التبعية العمياء حتى في الألفاظ والمصطلحات ، فكيف إذا تجاوزت التبعية الألفاظ والمصطلحات إلى الأفكار والقضايا الرئيسة ، بل في المسلمات أحياناً .
- ١٢- فصل بعض الباحثين من المسلمين بين الجانب المعرفي والجانب السلوكي ، فوصفوا قياس التحصيل الدراسي لدى الطالب بأنه مفهوم تقليدي ضيق محدود ، ونسوا أن تغيير السلوك لا

## المقترحات

- ١- استحداث مقرر يدرسه طلاب الجامعات في الأمة المسلمة يمكن تسميته بـ ( منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم ) يدرّب من خلاله طلاب الجامعة على منهجية التفكير العلمي التي جاء بها القرآن الكريم ، وكيف يفعلونها في حياتهم العلمية والعملية ، وليس هذا بممانع لجميع المتخصصين أن يولوا قضية التفكير العلمي اهتماما من خلال تخصصاتهم المختلفة .
- ٢- تشكيل لجان علمية متخصصة تجمع بين المتخصصين في العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية لتأصيل هذه العلوم تأصيلا إسلاميا منطلقه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .
- ٣- تعاون كليات التربية مع الكليات التي تعنى بالعلوم الشرعية لتدريس بعض المقررات التي تعنى بالقرآن الكريم ، أو السنة النبوية ، أو أصول الفقه ، أو المذاهب الفكرية المعاصرة ، أو غيرها .
- ٤- عقد اللقاءات والندوات بين المتخصصين في العلوم الشرعية والإنسانية والطبيعية داخل أروقة الجامعات ، لتحقيق مبدأ التعاون على البر والتقوى من جهة ، ولتحقيق التكامل العلمي والمعرفي بين المتخصصين في جوانب المعرفة المختلفة من جهة أخرى .
- ٥- تنظيم زيارات متواصلة بين هيئات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وبين الجامعات للاطلاع على أحدث ما توصلت إليه هذه الهيئات من أبحاث علمية متعلقة بالقرآن الكريم .
- ٦- إعادة صياغة الأهداف التربوية وطرائق التدريس وأساليب التقويم لتنطلق في منهجيتها العلمية من توجهات القرآن الكريم .
- ٧- إقامة دورات وبرامج علمية متخصصة لأعضاء هيئة التدريس في الجامعات لرفع كفاياتهم حول طرائق التدريس وأساليب التقويم .
- ٨- إجراء دراسات علمية متوسعة في جوانب هذه المنهجية ، كدراسة الأساليب أو الأهداف أو الأبعاد أو الضوابط ، أو ما له علاقة بهذه المنهجية مما لم يتطرق إليه الباحث .
- ٩- دعوة الباحث إخوانه إلى محاولة إجراء دراسات علمية ميدانية ، يكشف الباحثون من خلالها مدى تطبيق هذه المنهجية في طرائق التدريس وأساليب التقويم ، وفي المقررات والمناشط الجامعية .
- ١٠- إقامة دورات علمية شرعية متخصصة لكل من يهتم بدراسة علم ( البرمجة العصبية واللفظية ) المسمى : ( NLP ) لتخطي حاجز الهزيمة النفسية ، التي لربما رسخت في الأذهان فكرة أن إقناع الناس والتأثير في نفوسهم لا يكون إلا من خلال هذه الأساليب التي جاء بها هذا العلم ، والحق الذي لا مرية فيه ، أنه ليس على وجه الأرض أسلوب أكثر تأثيرا في الوجدان ، وأعظم إقناعا للعقل من الأساليب التي جاء بها كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

## فهرس آيات القرآنية

الصفحة	السورة	رقمها	الآية
٢١٥	الفاتحة	٦	اهدنا الصراط المستقيم
١٣٣-١١	البقرة	٢	ذلك الكتاب لا ريب فيه
٢٩١	البقرة	٤	والذين يؤمنون بما انزل إليك
١٩٧	البقرة	٢١	يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم
٧١-٢٣٩	البقرة	٣٠	وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة
٢١٦	البقرة	٤٣	وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة
٨٨	البقرة	٤٤	أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم
-٢٧٧	البقرة	٦٧	أتخذنا هزواً
٨٨	البقرة	٧٣	فقلنا اضربوه ببعضها
٨٧	البقرة	٧٥	أفتطمعون أن يؤمنوا لكم
٥	البقرة	٧٨	ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون
٢٦٠	البقرة	٨٤	وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم
٢٦١	البقرة	٨٥	ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم
٣٠٠	البقرة	٨٧	أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم
٢٩٢	البقرة	١٢٠	ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم
٢٨٠	البقرة	١٣٣	أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت
٧١	البقرة	١٤٣	وكذلك جعلناكم أمة وسطاً
٢٩٢	البقرة	١٤٥	ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية
٣	البقرة	١٤٦	الذين آتيناكم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم
٢٨٧	البقرة	١٧٠	وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله
٢٨٧	البقرة	١٧١	ومثل الذين كفروا مثل الذي ينطق
٢٠٧	البقرة	١٧٩	ولكم في القصص حياة
٢١٧	البقرة	١٨٣	يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام
٢١٧	البقرة	١٨٤	وأن تصوموا خير لكم
٢١٠	البقرة	١٨٨	ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل
٥٧	البقرة	١٩٧	وتزودوا فإن خير الزاد التقوى

٧٣	البقرة	١٩٨	ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم
٢٠٠	البقرة	٢٠٨	يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة
١٦٤	البقرة	٢١١	سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة
٣٠٨	البقرة	٢١٣	كان الناس أمة واحدة
٩١	البقرة	٢١٩	يسألونك عن الخمر والميسر
١٣٩	البقرة	٢٤٢	كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تعقلون
٣٢٤	البقرة	٢٥١	ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
١٠٠	البقرة	٢٥٨	ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه
٩٨	البقرة	٢٥٩	فانظر إلى طعامك لم يتسنه
٩٣-١٣	البقرة	٢٦٩	يؤتي الحكمة من يشاء
٢١٠١٧	البقرة	٢٧٥	وأحل الله البيع وحرم الربا
٢٩١	البقرة	٢٨٢	واتقوا الله ويعلمكم الله
٤٥	البقرة	٢٨٥	آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه
١١٣	البقرة	٢٨٦	لا يكلف الله نفساً إلا وسعها
١٣	آل عمران	١٣	إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار
١٢٢	آل عمران	١٤	زين للناس حب الشهوات
٤٦	آل عمران	١٨	شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة
١٥٣	آل عمران	١٩	إن الدين عند الله الإسلام
٢٢١	آل عمران	٣٦	فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى
١٣٨-١٢٣	آل عمران	٦٥	يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم
١٢١	آل عمران	٦٦	ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم
٢٩١	آل عمران	٧٨	وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم
٢٥٥-٢	آل عمران	٨٥	ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه
٢٠٤	آل عمران	١٠٢	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته
١٧٥	آل عمران	١١٠	كنتم خير أمة أخرجت للناس
٣٢٦	آل عمران	١١١	لن يضروكم إلا أذى
١١٤	آل عمران	١٢٠	إن تمسكم حسنة تسؤهم
٣٢٦	آل عمران	١٢٠	وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا

١٤٢-٩٩	آل عمران	١٣٧	قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض
٣٢٣	آل عمران	١٣٩	ولا تهنوا ولا تحزنوا
١١٩-١١٤	آل عمران	١٦٥	أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها
٥٧	آل عمران	١٩٠	إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار
٧٥-٨٩-٨	آل عمران	١٩١	الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
١٣٤	آل عمران	١٩٦	لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد
٣٠٤	النساء	٢٨	يريد الله أن يخفف عنكم
٢٢١	النساء	٣٤	الرجال قوامون على النساء
٩٦-١٠	النساء	٨٢	أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
٢٢	النساء	٨٣	ولو رده إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم
٢٠٦	النساء	٩٣	ومن يقتل مؤمنا متعمدا
٣٠٥	النساء	١٣٥	فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا
٣١١	النساء	١٥٧	وقولهم إنا قتلنا المسيح
٢٩٩	النساء	١٧٣	فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
٥٥	المائدة	٢	وتعاونوا على البر والتقوى
٢٥١	المائدة	٢	وتعاونوا على البر والتقوى
٢	المائدة	٣	اليوم أكملت لكم دينكم
٢٥٥	المائدة	٣	حرمت عليكم الميتة والدم
٣٦٦	المائدة	٣	اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي
٤٩	المائدة	٤	يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم
١٧٦	المائدة	٨	يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله
١٨٠	المائدة	٣١	فبعث الله غراباً يبحث في الأرض
٢٠٩	المائدة	٣٨	والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما
٣	المائدة	٤٨	وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب
٢١١	المائدة	٥٠	أفحکم الجاهلية يبغون
٢٧٦	المائدة	٥٤	يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه
٢٠٩	المائدة	٩٠	يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر
٢٠٩	المائدة	٩١	إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة

١٦٤	المائدة	١١٠	وإذ كففت بني إسرائيل عنك
٢٧٨	الأنعام	٣٥	ولو شاء الله لجمعهم على الهدى
١١٦-١١٥	الأنعام	٤٤	فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم
٩١	الأنعام	٥٠	قل هل يستوي الأعمى والبصير
٣٠٥	الأنعام	٥٦	قل لا أتبع أهواءكم
١٤٥	الأنعام	٥٩	وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو
٩٤	الأنعام	٨٠	وحاجه قومه قال أتحتاجوني ف الله وقد هداني
١٦٣	الأنعام	٨٣	وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه
١٣٧	الأنعام	٩٤	ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة
١٢٤	الأنعام	٩٥	إن الله فائق الحب والنوى
١٢٤	الأنعام	٩٦	فائق الإصباح وجعل الليل سكنا
٥١	الأنعام	٩٧	وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها
١٦٤	الأنعام	١٠٤	قد جاءكم بصائر من ربكم
٣٢٤	الأنعام	١١٠	ونقلب أفئدتهم وأبصارهم
٢٣٤	الأنعام	١٢٥	فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام
٩٥-٩٢	الأنعام	١٢٦	وهذا صراط ربك مستقيماً
١١٩	الأنعام	١٣٦	وجعلوا الله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً
١٩٩	الأنعام	١٤٨	سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا
١٦١	الأنعام	١٤٨	سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا
١٥٢-٩٤	الأنعام	١٥٢	ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن
١٠٧-٤٠	الأنعام	١٦٢	قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي
٢٥٨	الأنعام	١٦٣	لا شريك له وبذلك أمرت
٢٦٩	الأنعام	١٦٥	وهو الذي جعلكم خلائف الأرض
٢٣٩	الأنعام	١٦٥	يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا
٩٢	الأعراف	٣	اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم
١٧٤	الأعراف	٢٧	يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة
٢١٤	الأعراف	٣١	يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد
٢٩٩	الأعراف	٣٦	والذين كذبوا بآياتنا

٢٩٩	الأعراف	٤٠	إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها
١٣٦	الأعراف	٥٤	ألا له الخلق والأمر
١٩٧	الأعراف	٥٤	ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين
٢٧٦	الأعراف	١٣٨	وجاوزنا ببني إسرائيل البحر
٢٥٨	الأعراف	١٤٦	سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون
٤٩	الأعراف	١٧٥	واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها
٢٦٨	الأعراف	١٧٥	واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا
٢٦٨	الأعراف	١٧٦	ولو شئنا رفعناه بها
٣٠١-١٩٢	الأعراف	١٧٩	ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس
٩٠	الأعراف	١٨٤	أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة
٩٨	الأعراف	١٨٥	أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض
١٧٤	الأعراف	١٨٧	ويستلونك عن الساعة أيان مرساها
١١٧	الأعراف	١٩٤	إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم
٩٣	الأعراف	٢٠١	إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان
٣٢٥	الأنفال	٣٧-٣٦	إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله
١١٥	الأنفال	١٨	ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين
٨٩	الأنفال	٢٢	إن شر الدواب عند الله الصم البكم
١٧	الأنفال	٢٩	يأيتها الذين آمنوا إن تقوا الله يجعل لكم فرقاناً
١١٢	الأنفال	٥٣	ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمته أنعمها على قوم
٣٣٠	الأنفال	٦٠	وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة
٢٨٩	التوبة	١٦	أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
٢٢٠	التوبة	٣٣	هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق
١٢١	التوبة	٣٨	يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم اتقوا
٣٢٨	التوبة	٤٧	يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم
١٥٩	التوبة	٩٤	يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم
١٥٤	التوبة	١١٩	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
٥٢	يونس	٥	هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً
٣١٠	يونس	٢٤	حتى إذا أخذت الأرض زخرفها

١٩٩	يونس	٣١	قل من يرزقكم من السماء والأرض
٣١١	يونس	٣٦	وما يتبع أكثرهم إلا ظناً
٤	يونس	٣٨	أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله
٢٥٠	يونس	٣٨	أم يقولون افتراه قل فأتوا بسوره مثله
١٢٠	يونس	٣٩	بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله
١٧٧	يونس	٣٩	بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه
٢٧٨	يونس	٣٩	بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه
١١٥	يونس	٨١	فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر
٩٩	يونس	١٠١	قل انظروا ماذا في السموات والأرض
٣٥١	هود	١٦-١٥	من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها
٤	هود	١٣	أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله
٣	هود	١٧	ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده
٢٧٧	هود	٤٥	رب إن ابني من أهلي
٢٧٧	هود	٤٦	يا نوح إنه ليس من أهلك
٧٢	هود	٦١	والى ثمود أخاهم صالحاً قال يقوم اعبدوا الله
٢٤٢	هود	٨٣	وما هي من الظالمين ببيعد
٢٨١-٢٨٠	يوسف	٣٨-٣٧	قال لا يأتیکما طعام ترزقانه إلا نبأتكما تأويله
١٠٢	يوسف	٤٥	وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة
١١٥	يوسف	٥٢	ذلك ليعلم أنى أخنه بالغيب
٧٢	يوسف	١٠٥	وكأين من آية في السموات والأرض
٢٦٧	يوسف	١٠٨	قل هذه سبيلي أدعو إلى الله
٧٠	الرعد	٣	وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهار
١١٨	الرعد	٥	وإن تعجب فعجب قولهم إذا كنا تراباً
١١٢	الرعد	١١	له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه
٣٤٢	الرعد	١١	إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم
١٨٨	الرعد	١٥	ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً
٩٣	الرعد	١٩	أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى
٣٠٥	الرعد	٣٧	ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم



٩٣	إبراهيم	٥	ولقد أرسلنا موسى بآيتنا أن أخرج قومك من الظلمات
٢٥٢	إبراهيم	٦	وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم
٢١١	إبراهيم	٢٢	وقال الشيطان لما قضي الأمر
١١٥	الحجر	١٣-١٠	ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين
٢١٩	الحجر	٩	إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون
١٣٦-١٠٥	النحل	١٨-٣	خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون
٢٩٨	النحل	٢٣-٢٢	إلاهم إله واحد
١٨٣	النحل	٥٩-٥٨	وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً
٧٠	النحل	٨	ويخلق ما لا تعلمون
١٠٧	النحل	١٤	هو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً
٩٠	النحل	٤٤	وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم
١٠٠	النحل	٤٨	أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيوا
٣١	النحل	٧٨	والله أخرجكم من بطون أمهاتكم
٤	النحل	٨٩	ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء
١٤٠	النحل	٩٠	إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى
١٩٠	النحل	٩٧	من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى
٣٣٢	النحل	٩٧	من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن
٣١٨	النحل	١١١	يوم تأتي تجادل كل نفس عن نفسها
٣١٨	النحل	١٢٥	ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
٤	الإسراء	٩	إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم
٤٤	الإسراء	٩	إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم
١٣٣	الإسراء	٩	إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم
١١٣	الإسراء	١٦	وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها
٢٠٨	الإسراء	٣٢	ولا تقربوا الزنا
٢٠٦	الإسراء	٣٣	ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق
١٦٦-٣١	الإسراء	٣٦	إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً
١٥	الإسراء	٣٦	ولا تقف ما ليس لك به علم
٩٤	الإسراء	٤١	ولقد صرفنا في هذا القرآن ليعلموا

١٩٨	الإسراء	٥١	فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة
١٥٨	الإسراء	٥٣	وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن
١١٤	الإسراء	٧٦	وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها
١١١	الإسراء	٧٧	سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا
١٧٤-١٤٦	الإسراء	٨٥	ويستلونك عن الروح
١٢	الإسراء	٨٨	قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن
٤	الإسراء	٨٨	قل لئن اجتمعت الإنس والجن
٣١٠	الكهف	٥٣	ورأى المجرمون النار
٢٦٨	الكهف	١٣	نحن نقص عليك نبأهم بالحق
١٦٣	الكهف	١٥	هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة
٣٠٥	الكهف	٢٨	واصبر نفسك مع الذي يدعون ربهم
٣١٠	الكهف	٣٦	وما أظن الساعة قائمة
٣١٧	الكهف	٥٤	ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس
٢٩٥	مريم	٢٩	وقل الحق من ربكم
١١٧	مريم	٤٢	إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
١٥٨	طه	٤٤-٤٣	اذهبا إلى فرعون إنه طغى
٣٠٦	طه	١٦	فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها
١٤٩	طه	٥١	قال فما بال القرون الأولى
٢٩	طه	٥٤	إن في ذلك لآيات لأولى النهى
١٠١	طه	٨٩	أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا
٤٧	طه	١١٤	وقل رب زدني علماً
١١١	طه	١٢٣	قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو
١٩١	طه	١٢٤	ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشةً ضنكاً
٣٤١	الأنبياء	١٠٦-١٠٥	ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر
١٧٧	الأنبياء	٧	وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً لا نوحى إليهم
٢٨٢	الأنبياء	٧	وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً
١٣	الأنبياء	١٠	لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم
١٣٩	الأنبياء	١٠	لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم

٢٥٥	الأنبياء	١٠	لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون
١٠٠	الأنبياء	٤٤	أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها
١٣٨	الأنبياء	٦٧	أف لكم ولما تعبدون من دون الله
٥١	الأنبياء	١٠٧	وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين
١٨٨	الحج	١٨	ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض
١٥٤	الحج	٢٤	وهدوا إلى الطيب من القول
١٥٨	الحج	٢٤	وهدوا إلى الطيب من القول
٣٦	الحج	٤٦	أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها
٢٤٥	الحج	٤٦	أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها
٣٨٢	الحج	٤٦	أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها
٢٣٢-١١٧	الحج	٧٣	يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له
٢٣٣	الحج	٧٤	وما قدروا الله حق قدره
١٠٣	المؤمنون	٩٢-٩١	ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله
٩٦	المؤمنون	٦٨	أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت
٧٠	المؤمنون	٨٠	وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار
١٠٧	المؤمنون	١١٥	أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً
٣٢٠	النور	٥٠-٤٨	وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم
٩٢	النور	١	سورة أنزلناها وفرضناها
٢٠٨	النور	٢	الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة
٢٠٩	النور	٤	والذين يرمون المحصنات
٣٠	النور	٤٤	يقلب الله الليل والنهار إن فى ذلك لعبرة
٣٢٩	النور	٥٥	وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
٩٩	الفرقان	٩	انظر كيف ضربوا لك الأمثال
١٩٩	الفرقان	٢١	وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة
١٩٩	الفرقان	٣٢	وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة
٢١٠	الفرقان	٤٠	ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء
١٣	الفرقان	٤٤	أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون
١١٩	الفرقان	٤٤	أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون

٣٠١	الفرقان	٤٤	أم تحسب أن أكثرهم يسمعون <sup>٥٥</sup>
٩٢	الفرقان	٥٠	ولقد صرفناه بينهم لذكروا فأبى أكثر الناس
٧٦	الفرقان	٦١	تبارك الذي جعل في السماء بروحاً
٢٠٨	الفرقان	٦٨	والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر
٢٠٨	الفرقان	٦٩	يضاعف له العذاب يوم القيامة
٢٠٨	الفرقان	٧٠	إلا من تاب وآمن
٨٨	الشعراء	٢٨	قال رب المشرق والمغرب وما بينهما
١٥٦	الشعراء	١٨٣	ولا تبخسوا الناس أشياءهم
٢٧٦	النمل	٥٥-٥٤	ولوطاً إذ قال لقمومه
٩٩	النمل	١٤	وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا
١٥٤	النمل	٢١	لأعذبه عذاباً شديداً أو لأذبحنه
١٨٠	النمل	٢٢	فمكث غير بعيد
٩٧	النمل	٢٧	قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين
١٨٠	النمل	٣٤	قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها
١٩٦	النمل	٥٩	قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
١٦٣	النمل	٦٤	أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده
٣٦٤	النمل	٦٦	بل ادارك علمهم في الآخرة
٥٦	القصص	٢٦	قالت إحداهما يا أبت استأجره
٣٠٦	القصص	٥٠	ومن أضل ممن اتبع هواه بغير
٣٠٧	القصص	٥٠	فإن لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم
٧١	القصص	٧٧	وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة
١٩٠	العنكبوت	٣-٢	أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون
٣٢٥	العنكبوت	٣	ولقد فتنا الذين من قبلهم
١٤١	العنكبوت	٤٠	فكلاً أخذنا بذنبه
٦٨	العنكبوت	٤٨	وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه
٣٦٣	العنكبوت	٦٥	فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله
٢٢٤	الروم	٤-١	ألم غلبت الروم
٢٢٥	الروم	٧-٦	وعد الله لا يخلف الله وعده

١١٢	الروم	٦	وعد الله لا يخلف الله وعده
١٥٢	الروم	٧	يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا
١٩٢	الروم	٧	يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا
٢٦٩	الروم	٧	وهم عن الآخرة هم غافلون
٩٠	الروم	٨	أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض
١٩٨	الروم	٢٧	وهو الذي يبدوا الخلق ثم يعيده
٤٠٣-١١٨	الروم	٢٧	وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده
٢٦٢	الروم	٢٩	كل حزب بما لديهم فرحون
٣٠٦	الروم	٢٩	بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم
١٠٤	الروم	٣٠	فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله
٢٤٤	الروم	٤١	ظهر الفساد في البر والبحر
٢٩٢	الروم	٦٠	فاصبر إن وعد الله حق
٣٨٠	لقمان	١١	هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه
١٢٧	لقمان	١١	هذا خلق الله
١٩٩	لقمان	٢٥	ولين سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله
١٤	لقمان	٢٧	ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام
١٤٥	لقمان	٣٤	إن الله عنده علم الساعة
١٧٤	لقمان	٣٤	إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث
١١٠	الأحزاب	١١-١٠	وإذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم
١١٠	الأحزاب	١٢	وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض
٣٣٨	الأحزاب	٢١	لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة
٢٢١	الأحزاب	٣٣	وقرن في بيوتكن
٢٥٦	الأحزاب	٣٤	واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة
٢٢١	الاحزاب	٣٥	إن المسلمين والمسلمات
١٨٢	سبأ	٢٤	قل من يرزقكم من السموات والأرض
٢٩٢	سبأ	٢٨	وما أرسلناك إلا كافة للناس
١٢٤-٩٠	سبأ	٤٦	قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى
٢٣٠-٧٠	فاطر	٢٨-٢٧	ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً

٩٣	فاطر	٣٧	أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم
١٤١	فاطر	٤٣	فهل ينظرون إلا سنت الأولين
٢٤٣	فاطر	٤٣	استكباراً في الأرض
١١٨	يس	٧٧-٧٩	أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة
١٢٩	يس	٣٦	سيحان الذي خلق الأزواج كلها
٨٨	يس	٦٢	ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً
١٠٠	يس	٧٧	أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة
٣٤٤	الصفات	١٧١-١٧٣	ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
٢١٠	الصفات	١٣٧-١٣٨	وإنكم لتعمرون عليهم مصبحين
٢٨٨	الصفات	٦٩-٧٠	إنهم ألفوا آباءهم ضالين
٤٠١	الصفات	٩٤-٩٥	قال أتعبدون ما تتحتون
٢٠٣	الصفات	٩٥	قال أتعبدون ما تتحتون
٩١	الصفات	١٥٥	أفلا تذكرون
٢٨٨	ص	٧	ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة
٦٥	ص	١٦	وقالوا ربنا عجل لنا قطننا قبل يوم الحساب
٣٠٤	ص	٢٦	يا داود إنا جعلناك خليفة
١٠٧-٣٨	ص	٢٧	وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً
٩٦-٩٥-٥	ص	٢٩	كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته
٣١	ص	٤٥	واذكر عبدنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب
٤١	الزمر	٢٣	الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشبيهاً
٩٢	الزمر	٢٧	ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل
١٥٤	الزمر	٣٣	والذي جاء بالصدق وصدق به
٢٧٧	الزمر	٦٤	قل أغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون
١٩٣	الزمر	٦٥	ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت
٣٤٤	غافر	٥١-٥٢	إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا
٣١٩	غافر	٥	كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم
٩٨	غافر	٢١	أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبل
٣١٩	غافر	٣٥	الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان

٢٩٨	غافر	٥٦	إن الذين يجادلون في آيات الله
٣١٤	فصلت	٢٦	وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن
١٣١-١٢٦	فصلت	٥٣	سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم
٢٤٣	الشورى	٣٠	وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم
٢٨٥	الزخرف	٢٤-٢٢	بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة
١٧٢	الزخرف	١٩	وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً
١٧٤	الزخرف	١٩	أشهدوا خلقهم
٣١٣	الزخرف	٥٤	فاستخف قومه فأطاعوه
١١٨	الزخرف	٨٧	ولين سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون
١٩٨	الزخرف	٨٧	ولين سألتهم من خلقهم ليقولن الله
٢١١	الدخان	٣٧	أهم خير أم قوم تبع
١٩٠	الجمانية	١٣-١٢	الله الذي سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره
٣٢٧	الجمانية	٢١	أحسب الذي احترحوا السيئات أن نجعلهم
٣٠٦	الجمانية	٢٣	أفرأيت من اتخذ إلهه هواه
١٦٢-١٦١	الأحقاف	٤	قل أرأيتم ما تدعون من دون الله
٢٤٢	محمد	١٠	أفلم يسيروا في الأرض فينظروا
١٩٣	محمد	١٢	إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات
٣٠١	محمد	١٢	والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام
٤٨	محمد	١٩	فاعلم أنه لا إله إلا الله
٤٩	محمد	١٩	فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك
٩٦-٥	محمد	٢٤	أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها
٢٥٧	محمد	٣٨	وإن تتلوا يستبدل قوما غيركم
١٠٨	الفتح	٢٧	لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق
١١٤	الفتح	٢٢	ولو قتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار
٣٧٢	الفتح	٢٩	محمد رسول الله
١٤٧	الحجرات	١	يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
١٤٩	الحجرات	١	يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
١٥٤	الحجرات	٦	يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبيا

٣١١	الحجرات	١٢	يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن
١٦٧	الحجرات	١٤	قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا
٣٢	ق	٣٧	إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
١٢٧	ق	٨-٦	أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنينا وزيينا وما لها من فروج
١٢	الذاريات	٢١-٢٠	وفي الأرض آيات للموقنين
١٢٩-٩٦	الذاريات	٢١	وفي أنفسكم أفلا تبصرون
١٠٤	الذاريات	٥٦	وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون
١٨٩	الذاريات	٥٦	وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون
٣٠	الطور	٣٢	أم تأمرهم أحلامهم بهذا
١٩٤	الطور	٣٦-٣٥	أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون
١٨٣	النجم	٢٢-٢١	ألكم الذكر وله الأنثى
٢٣٧	النجم	٥-٣	وما ينطق عن الهوى
٣١١	النجم	٢٣	إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم
٢٠١	النجم	٢٦	وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا
١٠١	القمر	١٧	ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
١٠٢	القمر	١٥	ولقد تركناها آية فهل من مدكر
٧٦	الرحمن	٥	الشمس والقمر بحسبان
٩١	الواقعة	٦٢	ولقد علمتم النشأة الأولى
٣٧٢	الحديد	١٩	والذين آمنوا بالله ورسله
١٠١	الحشر	٢	هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب
٢٥٦	الحشر	٧	وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
٣٥٩	الصف	٣-٢	يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون
٤٧	الجمعة	٢	هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم
٧٢	الجمعة	١٠	فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض
٣٢٨	المنافقون	٧	ولكن المنافقين لا يفقهون
٣٢٧	المنافقون	٨	ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
٢٠٤	التغابن	١٦	فاتقوا الله ما استطعتم
١٥٩	التحریم	٣	وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً



٨٩	الملك	١٠	لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعيرين
٨٠-٥٦	الملك	١٤	ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير
٥٧	الملك	١٥	هو الذي جعل لك الأرض ذلولاً
٤٨	القلم	١	ن والقلم وما يسطرون
٢٩٣	القلم	٩	ودوا لو تدهن فيدهنون
٣٢٩	القلم	٤٥-٤٤	فذرني ومن يكب بهذا الحديث
٣١٠	الحاقة	٢٠	إني ظننت أني ملاق حسابه
١٢٩-٦٩	نوح	١٤-١٣	ما لكم لا ترجون لله وقاراً
٢٩٩	نوح	٧	وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم
٣٠٥	النازعات	٤١-٤٠	وأما من خاف مقام ربه
٩١	المدثر	١٩-١٨	إنه فكر وقدر
٩٧	المدثر	٢١	ثم نظر
١٩٠	الإنسان	٢	إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه
٩٧	عبس	٣٣-٢٧	فلينظر الإنسان إلى طعامه
٢٤٧	المطففين	٦-٤	ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون
٢٦٨	المطففين	٢٩	إن الذين أجزموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون
٢٦٨	المطففين	٣٤	فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون
٩٧	الطارق	٥	فلينظر الإنسان مم خلق
١٢١	الأعلى	١٧-١٦	بل توثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى
٢٢٩	الأعلى	٥-٢	الذي خلق فسوى
١١٣	الفجر	١٤-١٠	وفرعون ذي الأوتاد
٢٩	الفجر	٥	هل في ذلك قسم لذي حجر
١٠٦	البلد	٤	لقد خلقنا الإنسان في كبد
١٨٩	البلد	١٠-٨	ألم نجعل له عينين ولساناً وشفهتين
١٨٩	التين	٤	لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم
٢١٤	البينة	٥	وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
٢٩٣	الكافرون	٦-١	قل يا أيها الكافرون
١٦٠-٢١٩	المسد	٥-١	تبت يدا أبي لهب وتب

## فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	طرف الحديث
١٤٧	أجلس النبي صلى الله عليه وسلم جيشا من الرماة
٥٠	إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث
٢٠٦	أشهد أنك بيت الله
٣١٨	أضحك من مجادلة العبد ربه
١٠٩	أفأخبرت أنك تأتيه العام
٣١٨	ألا تصليان
٣٧١-٣٢٣-٣٢	ألا وإن في الجسد مضغة
٢٥٦	ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه
٢٩٧	الكبر بطر الحق وغمط الناس
٣٠٧	اللهم رب جبرائيل وميكائيل
١٧٩	أما إنه صدقك وهو كذوب
٢٣٨	إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة
٣٦١	أن تجعل لله ندا وهو خالقك
٣٦٥	أنتم توفون عند الله سبعين أمة
٣٨٩	إني أرجو الله أن يخرج من أصلابهم
١٠٩	إني رسول الله ولست أعصيه
٣٧	أول ما خلق الله القلم
٢٩٥	اثنتان في الناس
٤٩	الكلب الأسود شيطان
١٥٦	المتشيع بما لم يعط
٢٠٦	بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة
٢٠٧	بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم
١٨١	بلغوا عني ولا آية
٢٥٦	تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدي
١٧٣-١٤٤	تفكروا في آلاء الله
٣٥٤	ثم إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملا
٣٤١	ثم لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر
٢٨٥	خالفوا المحوس

٢٨٥	خالفوا المشركين
٢٧٥	خيركم قرني
٣٦-٧	رفع القلم عن ثلاثة
٣٤١	ستفتح لكم الأرض
١٠٩	فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أأنت نبي الله حقا
٢١٥	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسخ مناكبنا
٢٠٧	كل المسلم على المسلم حرام
٣٠٤	كل بني آدم خطاء
٣٩٨	كل يمينك قال لا أستطيع قال لا استطعت
٣٤٠	لا تجتمع أمتي على ضلالة
٢٠٦	لا تحاسدوا ولا تناجشوا
٢٣٨	لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله
٢٠٦	لا يحل دم امرئ مسلم
٢٩٧	لا يدخل الجنة من كان في قلبه
و	لا يشكر الناس من لا يشكر الله
٢٨٩	لتتبعن سنن من كان قبلكم
٣٧١	لتسون صفوفكم
٤٩	لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها
٢١٩	ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار
٣٧٠-٣٦٩	ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله
٣٥٨	ما تزال طائفة من أمتي
٢٠٠	ما من مولود إلا يولد على الفطرة
١٤٥	مفاتيح الغيب خمس
٣٢١	من ترك الكذب
٥٠	من سلك طريقا يلتمس به علما
٢١٨	من سن في الإسلام سنة حسنة
٣٤٣-٢١٨	من كان على مثل ما أنا عليه
١٣	والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة
١٤	وقع عصفور على حرف السفينة
٣٤٠	يا مسلم يا عبدالله

## فهرس المصادر والمراجع

### أوة : القرآن الكريم وعلومه

- ١- أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، دقائق التفسير ، جمع الجليلند ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، سوريا ، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ .
- ٢- اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـ .
- ٣- العماد الأصفهاني ، كاشف المعاني شرح منظومة حرز الأمامي ( مخطوط ) .
- ٤- برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ .
- ٥- جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، دار الفكر ، ١٣٦٨هـ .
- ٦- سليمان بن عمر العجبي ، المشتهر بالجمال ، الفتوحات الإلهية ، مطبعة عيسى الحلبي ، مصر .
- ٧- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، الطبعة
- ٨- صديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، دار أم القرى، القاهرة، مصر، ١٩٦٥هـ .
- ٩- طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة ١٤١٢هـ .
- ١٠- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الدر المنثور في التفسير الماثور، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .
- ١١- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤١٨هـ .
- ١٢- علي بن أحمد الواحدي ، أسباب النزول ، عالم الكتب ، بيروت .
- ١٣- محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ١٤١٣هـ .
- ١٤- محمد الرازي فخر الدين ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٠هـ .
- ١٥- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ .
- ١٦- محمد بن أبي بكر بن القيم ، بدائع التفسير ، تحقيق يسري السيد ، دار ابن الجوزي ، السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ .
- ١٧- محمد بن أحمد العمادي أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ .
- ١٨- محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتاب العربي ، ١٣٨٧هـ .

- ١٩- محمد بن أحمد المحلي، وعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى.
- ٢٠- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٢١- محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٦هـ.
- ٢٢- محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، دار الفكر، ١٤٠١هـ.
- ٢٣- محمد بن لطف الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ٢٤- محمود بن عمر الرمشمري، الكشاف، تحقيق عادل عبدالموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٢٥- محمود شكري الألوسي، ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمه البرهان، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧١م.
- ٢٦- محمود شكري الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- ٢٧- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ٢٨- مقبل بن هادي الوادعي، الصحيح المسند من أسباب النزول، دار النور، ألمانيا الغربية، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.
- ٢٩- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة.
- ٣٠- منصور بن محمد عبد الجبار المرزوي السمعاني، تفسير القرآن، تحقيق حمزة حافظ، شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة.
- ثانياً : الحديث الشريف وعلومه :**
- ٣١- أبو سليمان الخطابي، غريب الحديث، تحقيق الغرباوي، جامعة أم القرى، السعودية، ١٤٠٢هـ.
- ٣٢- أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ٣٣- أحمد بن حنبل، المسند، دار الكتب العلمية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٢٩٨هـ.
- ٣٤- أحمد بن علي أبو يعلى، مسند أبي يعلى، تحقيق حسين أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٣٥- أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الفكر، د - ت.

- ٣٣- أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني ، كتاب الزهد ، تحقيق عبدالعلي حامد ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ .
- ٣٧- إسماعيل بن محمد العجلوني ، كشف الخفاء ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥هـ .
- ٣٨- سليمان بن أحمد الطبراني ، المعجم الكبير ، تحقيق حمدي السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ .
- ٣٩- سليمان بن الأشعث السجستاني ، سنن أبي داود ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٩هـ .
- ٤٠- عبدالرؤوف المنادى ، فيض القدير ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، الطبعة الاولى
- ٤١- عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي وآخرون ، شرح سنن ابن ماجه ، قديمي كتب خانة ، كراتشي .
- ٤٢- عبدالرزاق بن همام الصنعاني ، مصنف عبدالرزاق ، تحقيق : حبيب الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ .
- ٤٣- عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري ، الترغيب والترهيب ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ .
- ٤٤- عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي ، سنن الدارمي ، تحقيق فواز زمرلي وخالد العلمي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ .
- ٤٥- عبدالله بن محمد ابن ابي شيبة ، مصنف ابن أبي شيبة ، تحقيق كمال الحوت ، مكتبة الرشيد ، الرياض ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٩هـ .
- ٤٦- عبدالله بن مسلم بن قتيبه ، تأويل مختلف الحديث ، تحقيق محمد النجار ، دار الجيل ، بيروت ، ١٣٩٣هـ .
- ٤٧- علي بن أبي بكر الهيثمي ، موارد الظمآن ، تحقيق محمد عبدالرزاق حمزه ، دار الكتب العلميّه ، بيروت .
- ٤٨- علي بن أحمد بن حزم ، الإحكام في أصول الأحكام ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ .
- ٤٩- عمر بن عبدالرحمن الفزوي البيهقي ، شعب الإيمان ، تحقيق محمد السيد زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ .
- ٥٠- محمد بن إسحاق ابن خزيمة ، صحيح ابن خزيمة ، تحقيق محمد الاعظمي ، المكتب الاسلامي ،

- ٥١- محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، بيت الافكار الدولية ، الرياض ، ١٤١٩ هـ .
- ٥٢- محمد بن حبان البستي ، صحيح ابن حبان ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤ هـ .
- ٥٣- محمد بن عبد الباقي الزرقاني ، شرح الزرقاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ .
- ٥٤- محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، المقاصد الحسنة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- ٥٥- محمد بن عبد الله الحاكم ، المستدرک علی الصحیحین ، تحقيق مصطفى عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ .
- ٥٦- محمد بن عبد الواحد المقدسي ، الأحاديث المختارة ، تحقيق عبد الملك بن دهيش ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ .
- ٥٧- محمد شمس الحق العظيم آبادي ، عون المعبود شرح سنن أبي داود ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٩ هـ .
- ٥٨- محمد ناصر الدين الألباني ، صحيح الجامع الصغير وزيادته ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ .
- ٥٩- محمد ناصر الدين الألباني ، صحيح سنن أبي داود ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ .
- ٦٠- محمد ناصر الدين الألباني ، صحيح سنن النسائي ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ .
- ٦١- محمد ناصر الدين الألباني ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤١٥ هـ .
- ٦٢- محمود توفيق سعد ، سبل الاستنباط من الكتاب والسنة ، مطبعة الأمانة ، مصر ، ١٤١٣ هـ .
- ٦٣- مسلم بن الحجاج النيسابوري ، صحيح مسلم ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، ١٤٠٩ هـ .
- ٦٤- معمر بن راشد ، الجامع ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣ هـ .
- ٦٥- يحيى بن شرف النووي ، شرح صحيح مسلم ، دار القلم ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى .
- ٦٦- يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، التمهيد ، تحقيق مصطفى البكري ، وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية ، المغرب ، ١٣٨٧ هـ .

### ثالثاً : مصادر ومراجع اخرى :

- ٦٧- إبراهيم أنيس وآخرون ، المعجم الوسيط ، دار الفكر ، د ، ت .
- ٦٨- إبراهيم الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة ، دار عفان ، السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ .
- ٦٩- إبراهيم ناصر ، المدخل إلى التربية ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، الطبعة الخامسة .
- ٧٠- ابن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة السابعة ، ١٤٠٨هـ .
- ٧١- أبو الأشبال الزهيري ، مقدمة صحيح جامع بيان العلم وفضله ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ .
- ٧٢- أحمد البراء الأميري ، التفكير السديد طريقك إلى النجاح ، دار المعرفة للإستشارات التربوية ، الرياض ، ١٤١٩هـ .
- ٧٣- أحمد بدر ، أصول البحث العلمي ومناهجه ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٩م .
- ٧٤- أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، العبودية ، عالم الكتب ، بيروت .
- ٧٥- أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، مجموع الفتاوى ، مكتبة ابن تيمية .
- ٧٦- أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، الرد على المنطقيين ، تحقيق الكتبي ، إدارة ترجمان السنه ، لاهور ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٢هـ .
- ٧٧- أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ .
- ٧٨- أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، در تعارض العقل والنقل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ .
- ٧٩- أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، تحقيق ناصر العقل ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٧هـ .
- ٨٠- أحمد بن علي بن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ .
- ٨١- أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٨٢- أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ .
- ٨٣- أحمد بن محمد الفيومي ، المصباح المنير ، مكتبة لبنان ، لبنان ، ١٩٧٨م .
- ٨٤- أحمد بن محمد بن مقري التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨م .



- ٨٥- أحمد بن محمد بن خلكان ، وفيات الأعيان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- ٨٦- أحمد عزت راجح ، أصول علم النفس ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، د ، ت .
- ٨٧- أحمد فؤاد باشا، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ .
- ٨٨- إسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح ، تحقيق أحمد عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ .
- ٨٩- إسماعيل بن كثير ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٢هـ .
- ٩٠- إسماعيل راجي الفاروقي وعبدالله عمر نصيف، العلوم الطبيعية والاجتماعية من وجهة النظر الإسلامية، شركة مكتبات عكاظ وجامعة الملك عبد العزيز، جدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ .
- ٩١- إلكسيس كاريل ، الإنسان ذلك المجهول ، تعريب شفيق فريد ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٤٠٩هـ .
- ٩٢- أنور الجندي ، تصحيح المفاهيم في ضوء الكتاب والسنة ، دار الاعتصام .
- ٩٣- بدر الدين ابن جماعة الكنتاني ، تذكرة السامع والمتكلم في اداب العالم والمتعلم ، تحقيق السيد محمد هاشم الندوي ، الرمادي ، الدمام ، الطبعة الاولى ، ١٤١٥هـ .
- ٩٤- بدر الدين محمد بن بهادر الشافعي الزركشي ، البحر المحيط في اصول الفقه، تحرير عبد القادر العاني، دار الصفوة، الغردقة، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ .
- ٩٦- بروتوكولات حكماء صهيون ، ترجمة التونسي ، دار التراث ، القاهرة ، د ، ت .
- ٩٧- بطرس البستاني ، محيط المحيط ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٧م .
- ٩٨- بكر بن عبدالله أبو زيد ، المجموعة العلمية ، دار العاصمة ، السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ .
- ٩٩- جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .
- ١٠٠- جمال سلطان ، ثقافة الضرار ، دار الوطن ، الرياض .
- ١٠١- جمال سلطان ، دفاع عن ثقافتنا ، دار الوطن ، الرياض الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .
- ١٠٢- جمال سلطان ، غزو من الداخل ، دار الوطن ، الرياض .
- ١٠٣- الجويني ، الكافية في الجدل ، تحقيق ، فوقيه محمود ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ .
- ١٠٤- الحسين بن علي بن سينا ، رسالة أضحوية في أمر المعاد ، تحقيق سليمان دينا ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٠٨م .
- ١٠٥- الحسيني سليمان جاد ، وثيقة مؤتمر السكان والتنمية ، رؤية شرعية ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ .

- ١٠٦- حسن أيوب ، السلوك الاجتماعي في الإسلام، دارالترا عربي ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٧هـ
- ١٠٧- حلمي صابر ، منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام ، سلسلة دعوة الحق ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة .
- ١٠٨- حمد بن ناصر الدخيل، من أعلام الحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ
- ١٠٩- ذوقان عبيدات وآخرون ، البحث العلمي ، مفهومه ، أدواته ، أساليبه ، دار الفكر ، عمان ، ١٩٨٧م
- ١١٠- رحاب خضر عطاوي، موسوعة عباقرة الإسلام ، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٤م
- ١٠- زاهر بن عوض الألمي ، مناهج الجدل في القرآن الكريم ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض
- ١١١- زغلول غالب النجار وعلي عبد الله الدفاع، اسهام علماء المسلمين الأوائل في تطوّر علم الأرض ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٩هـ
- ١١٢- زكريا بن محمد الأنصاري ، الحدود الأنيقة ، تحقيق مازن المبارك ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ .
- ١١٣- سعود بن محمد البشر ، السقوط من الداخل ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ .
- ١١٤- سعود بن محمد العريفي ، الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد ،
- ١١٥- سلمان زيد اليماني، القلب ووظائفه في الكتاب والسنة، دار ابن القيم ، الدمام، السعودية،
- ١١٦- سليم دولة ، ما الفلسفة ما الثقافة ، دار بيرم ، د ، ت .
- ١١٧- سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٠٩هـ
- ١١٨- شعبان محمد إسماعيل ، أصول الفقه الميسر ، دار الكتاب الجامعي، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ
- ١١٩- صالح بن حميد وعبد الرحمن بن ملوح ، موسوعة نضرة النعيم في مكارم اخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، دار الوسيله ، جده ، الطبعة الاولى ، ١٤١٨هـ
- ١٢٠- صالح عبدالعزيز و عبدالعزيز عبدالمجيد ، التربية وطرق التدريس ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥م .
- ١٢١- صبحي عبدالحفيظ قاضي ، قضايا جامعية ، دار الإصلاح ، الدمام ، ١٤٠٤هـ .
- ١٢٢- صبحي عبدالقادر ، طرق التدريس العامة ، جامعة الإسراء ، عمان ، ١٩٩٣م .

- ١٢٣- صديق بن حسن القنوجي ، أبجد العلوم ، تحقيق عبدالجبار زكار ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٩٧٨ م .
- ١٢٤- صفى الرحمن المبار كفوري، الرحيق المختوم، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ
- ١٢٥- عائش محمود زيتون ، أساليب التدريس الجامعي ، دار الشروق ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥ م .
- ١٢٦- عابد بن محمد السفياي ، معالم طريقة السلف في أصول الفقه - الثبات والشمول ، مكتبة المنارة ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ .
- ١٢٧- عابد بن محمد السفياي ، حكم الزنا في القانون الوضعي وعلاقته بمبادئ حقوق الإنسان ، مؤسسة المؤتمن ، الرياض ، ١٤١٨ هـ .
- ١٢٨- عباس محمود العقاد ، التفكير فريضة اسلاميه ، نَهضة مصر ، القاهرة .
- ١٢٩- عباس محمود العقاد ، مقدمة كتاب بروتوكولات حكماء صهيون ، ترجمة التونسي ، دار التراث القاهرة ، د ، ت .
- ١٣٠- عبدالجواد الصاوي ، الصيام معجزة علمية ، مكة المكرمة ، رابطة العلم الإسلامي ، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، ١٤١٣ هـ .
- ١٣١- عبدالحليم منتصر ، تاريخ العلم ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة ١٩٧٣ م
- ١٣٢- عبدالرحمن النحلاوي ، أصول التربية الإسلامية ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣ هـ .
- ١٣٣- عبدالرحمن النحلاوي ، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨ هـ .
- ١٣٤- عبدالرحمن بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق الجويدى ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٤١٥ هـ .
- ١٣٥- عبدالرحمن بن رجب الحنبلي ، القواعد ، مكتبة الباز ، السعودية ، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ
- ١٣٦- عبد الرحمن بن صالح عبد الله، التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية، دار المنارة ، جدة ، السعودية الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ .
- ١٣٧- عبدالرحمن بن صالح عبدالله ، الموضوعية في العلوم التربوية ، سلسلة البحوث التربوية والنفسية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ .
- ١٣٨- عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ، الأذكياء ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ .
- ١٣٩- عبدالرحمن حسن حبنكة ، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨ هـ .

- ١٥٥- عبدالمجيد النجار، دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، المعهد العالمي للفكر الإسلامي الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ١٥٦- عبدالمملك بن هشام، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، دار التراث، القاهرة .
- ١٥٧- عبدالوهاب بن علي السبكي، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.
- ١٥٨- عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرقة المذمومة، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ .
- ١٥٩- عثمان علي حسن، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ .
- ١٦٠- عدنان علي النحوي، النهج الإيماني للتفكير، دار النحوي، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ١٦١- عز الدين سعيد الدنشاري، وعبدالله محمد البكري، الدواء وصحة المجتمع، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤١٥هـ .
- ١٦٢- علي الحسيني الندوي، السيرة النبوية، دار الشروق جدة، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ .
- ١٦٣- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.
- ١٦٤- علي بن محمد الماوردي، أدب الدنيا والدين، تحقيق مصطفى السقا، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤٠٨هـ .
- ١٦٥- علي عبدالله الدفاع، رواد علم الفلك في الحضارة العربية والإسلامية، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- ١٦٦- عمر عبيد حسنة، نحو إعادة ترتيب العقل المسلم، دار الإشراف، الدوحة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ .
- ١٦٧- فتحي يكن، التربية الوقائية في الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ .
- ١٦٨- فهد الرومي، منهج المدرسه العقلية الحديثه في التفسير، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ .
- ١٦٩- اللائحة المنظمة لشؤون أعضاء هيئة التدريس بالجامعات السعودية، معهد البحوث وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ .
- ١٧٠- ماجد عرسان الكيلاني، أهداف التربية الإسلامية، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ .

- ١٧١- ماجد عرسان الكيلاني ، فلسفة التربية الإسلامية ، مؤسسة الريان ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٩هـ .
- ١٧٢- متحف هيروشيما ، نبذة عن خسائر القنبلة الذرية في مدينة هيروشيما ، مارس ١٩٩٤م .
- ١٧٣- محمد أبو زهرة ، أصول الفقه ، دار الفكر العربي، ١٣٧٧هـ .
- ١٧٤- محمد أمين فرشوخ، موسوعة عباقرة الإسلام، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م
- ١٧٥- محمد الدريج ، التدريس الهادف ، دار عالم الكتب ، الرياض ، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ .
- ١٧٦- محمد السيد الزعبلوي ، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ، مكتبة التوبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ .
- ١٧٧- محمد السيد الوكيل ، أسباب ضعف الأمة الإسلامية ، دار الأرقم ، الرقازيق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ .
- ١٧٨- محمد الناصر وخولة درويش ، المرأة بين الجاهلية والإسلام ، دار الرسالة ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ .
- ١٧٩- محمد بن أبي بكر ابن القيم ، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، تحقيق الفقي ، مكتبة الرياض الحديثة .
- ١٨٠- محمد بن أبي بكر الرازي ، مختار الصحاح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ .
- ١٨١- محمد بن أبي بكر بن القيم ، إعلام الموقعين عن رب العالمين ، دار الجليل ، بيروت ، لبنان .
- ١٨٢- محمد بن أبي بكر بن القيم ، مدارج السالكين ، تحقيق الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٢هـ .
- ١٨٣- محمد بن أبي بكر بن القيم ، الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعطله ، دار العاصمة ، السعودية ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢هـ .
- ١٨٤- محمد بن أبي بكر بن القيم ، مفتاح دار السعادة، تحقيق سيد إبراهيم وعلى محمد، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ .
- ١٨٥- محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ .
- ١٨٦- محمد بن الحسين الفراء البغدادي الحنبلي ، العدة في أصول الفقه ، تحقيق أحمد بن علي المبارك ، مطبعة المدني ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٤١٠هـ .
- ١٨٧- محمد بن صالح العثيمين ، رسائل في العقيدة ، مكتبة الوعي الإسلامي ، دسوق ، ١٤١٢هـ .
- ١٨٨- محمد بن صالح العثيمين ، حاشية كتاب : التحذير من فتنة التكفير ، ١٤١٧هـ .

- ١٨٩- محمد بن صالح العثيمين ، كتاب العلم ، دار الثريا ، السعودية ، الطبعة الثانية ، ١٤١٧هـ .
- ١٩٠- محمد بن علي الشوكاني ، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول ، تحقيق محمد البذري ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .
- ١٩١- محمد بن عمر الرازي ، آداب الشافعي ومناقبه — تحقيق عبدالغني عبدالخالق ، مكتبة التراث الإسلامي ، حلب .
- ١٩٢- محمد بن محمد الغزالي ، المستصفى من علم الأصول ، تحقيق حمزة حافظ ، شركة المدينة ، جدة .
- ١٩٣- محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- ١٩٤- محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٦هـ .
- ١٩٥- محمد جمال الدين الأفندي ، الغلاف الجوي في محيط العلوم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢هـ .
- ١٩٦- محمد جميل بن علي خياط ، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤١٦هـ .
- ١٩٧- محمد حامد الناصر وخولة درويش ، المرأة بين الجاهلية والإسلام ، دار الرسالة ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ .
- ١٩٨- محمد حسين آل ياسين ، المبادئ الأساسية في طرق التدريس ، دار العلم ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٤م .
- ١٩٩- محمد حسين هيتو ، المعجزة القرآنية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ .
- ٢٠٠- محمد حسيني أبو سعده ، حقيقة المعاد بين الدين والفلسفة ، شركة الصفا ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م .
- ٢٠١- محمد رشاد خليل ، علم النفس الإسلامي العام والتربوي ، دار القلم ، الكويت ، ١٤٠٧هـ .
- ٢٠٢- محمد سعد أطلس ، التربية والتعليم في الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٧م .
- ٢٠٣- محمد عبد الله دراز ، النبأ العظيم ، دار طيبة ، الرياض ، السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ .
- ٢٠٤- محمد عبدالرؤوف المناوي ، التعاريف ، تحقيق محمد الدايسة ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ .
- ٢٠٥- محمد علي البار ومحمد أيمن الصافي ، الإيدز وباء العصر ، دار المنارة ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ .

- ٢٠٦- محمد قطب ، رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر ، دار الوطن والرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ
- ٢٠٧- محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة السابعة ، ١٤١٣هـ
- ٢٠٨- محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، القاهرة الطبعة الثانية عشر، ١٤٠٩هـ .
- ٢٠٩- محمد منير مرسى ، الاتجاهات الحديثة في التعليم الجامعي المعاصر وأساليب تدريسه ، دار النهضة ، العربية ، القاهرة ، ١٩٩٢م .
- ٢١٠- محمود محمد غانم ، القياس والتقويم ، دار الأندلس ، السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ
- ٢١١- محيي الدين عبد الحميد ، عالج نفسك بالصلاة ، دار القادسية ، جدة ، ١٩٩٤م .
- ٢١٢- مهدي محمود سالم ، الأهداف السلوكية ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ .
- ٢١٣- نجم خلف، مقدمة كتاب العيال، دارا بن القيم، الدمام ، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ
- ٢١٤- وزارة المعارف ، سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية .
- ٢١٥- وحيد الدين خان ، الإسلام يتحدى ، دار البحوث العلمية ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣هـ .
- ٢١٦- ياقوت بن عبدالله الحموي ، معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت .
- ٢١٧- يحيى بن شرف بن حزام ، تهذيب الأسماء ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م .
- ٢١٨- يوسف القرضاوي ، الرسول والعلم ، دار الصحوة ، د . ت .
- ٢١٩- يوسف القرضاوي ، العقل والعلم في القرآن الكريم ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ .

#### الرسائل العلمية :

- ٢٢٠- حمدان عبدالله الصوفي ، الموضوعية في العلوم الطبيعية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، كلية التربية ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٩هـ .
- ٢٢١- خليل بن عبدالله الحدري، التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها، رسالة ماجستير منشورة ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤١٨هـ .
- ٢٢٢- رشاد عباس معتوق ، الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي ، رسالة دكتوراه منشورة ، معهد البحوث وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، ١٤١٨هـ .
- ٢٢٣- سفر بن عبدالرحمن الحوالي ، العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، رسالة ماجستير منشورة ، معهد البحوث وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ .

- ٢٢٤- عبد الكريم محمد زهد، دور العقل في التربية الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، كلية التربية ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٤هـ .
- ٢٢٥- عبداللطيف الرباح ، مكانة العلوم الطبيعية في التربية الإسلامية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، كلية التربية ، جامعة أم القرى ، ١٤١٨/١٤١٩هـ .
- ٢٢٦- نايف بن حامد الشريف ، التربية الإسلامية وقضية التفكير العلمي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، كلية التربية ، جامعة أم القرى ، ١٤١١هـ .
- ٢٢٧- محمد علي أبو رزيزة ، آداب المعلم المسلم وواجباته خلال الموقف التعليمي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، كلية التربية ، جامعة أم القرى ، ١٤١٦هـ .
- ٢٢٨- وجدي بن احمد خاشقجي ، تحديد اهداف نظام الإسلام في التربية في ضوء سنن الله في التغيير والتمكين والتدافع الحضاري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، كلية التربية ، جامعة أم القرى ، ١٤٢٠هـ .

#### **الأبحاث العلمية المحكمة :**

- ٢٢٩- إبراهيم بسيوني عميرة ، تدريب مدرس الجامعة أثناء الخدمة ، صحيفة التربية ، القاهرة ، مايو ، ١٩٦٧م
- ٢٣٠- إبراهيم بسيوني عميرة ، بحث بعنوان : تنمية بعض الكفايات التربوية المجتمعية لأعضاء هيئة التدريس بجامعة الملك سعود " بحث مقدم لجامعة الملك سعود ، إدارة الدراسات والتطوير الجمعي ، شوال ١٤١٤هـ .
- ٢٣١- أحمد بطاح وراتب سعود ، تقييم الفعالية التدريسية لأعضاء هيئة التدريس في جامعة مؤتة من وجهة نظر طلبتهم ، مجلة دراسات عمادة البحث العلمي ، الجامعة الأردنية ، العدد الثاني ، جمادى الثانية ، ١٤٢٠هـ .
- ٢٣٢- أفنان نظير دروزة ، دور المعلم في عصر الإنترنت والتعليم عن بعد ، المجلة العربية للتربية ، العدد الثاني ، رمضان ، ١٤٢٠هـ .
- ٢٣٣- أمين سعيد أبو ليل ، الحاجة إلى أعضاء هيئات تدريس مؤهلين في الجامعات العربية ، مجلة اتحاد الجامعات العربية ، العدد ٢٨ ، ١٤١٣هـ .
- ٢٣٤- حسن علي مختار ، بحث بعنوان : دور المعلم في تنمية قدرة التفكير الناقد لدى الطالب ، مقدم للمؤتمر التربوي الثاني لإعداد المعلم ، جامعة أم القرى ، ١٤١٣هـ .
- ٢٣٥- سعيد إسماعيل علي ، بحث بعنوان : الحياة الجامعية في مصر ، دراسات تربوية ، ١٩٩٣م .
- ٢٣٦- سيد سابق ومحمد عدلان ، بحث بعنوان : " التربية العقلية في القرآن " ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية ، مركز البحوث التربوية والنفسية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٠هـ .



- ٢٣٧- سيف الإسلام علي مطر ، الاحتياجات التدريسية لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات ، مجلة كلية التربية ، العدد ١٠ ، يونية ، ١٩٩٤ م .
- ٢٣٨- عبدالله بو بطانة ، دور التقويم في تطوير العملية التربوية ، مجلة التربية الجديدة ، العدد ٣٩ ديسمبر ، ١٩٨٦ م .
- ٢٣٩- عزت عبدالموجود ، التعليم العالي وإعداد هيئة التدريس ، بحث مقدم للمؤتمر الأول للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي في الوطن العربي ، المجلة العربية للتربية ، العدد الثاني ، ١٩٨٢ م .
- ٢٤٠- محمد عبدالرحمن الشائع ، التفسير بمكتشفات العلم التجريبي ، بين المؤيدين والمعارضين ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد الرابع ١٤١١ هـ .
- ٢٤١- محمد عبدالعليم مرسي ، بحث بعنوان : " حتى يكون هناك شيء من الإنصاف لعضو هيئة التدريس في جامعاتنا العربية " مجلة رسالة الخليج العربي ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، العدد العاشر ، ١٤٠٣ هـ .
- ٢٤٢- محمد العمري ، آفاق وتطلعات حديثة للتعليم الجامعي منظور تربوي ، كلية التربية ، جامعة الإمارات العربية المتحدة ، ١٩٩٥ م .
- ٢٤٣- محمد بن عبدالله آل ناجي ، حصال الأستاذ الجامعي المرتبطة بدعم التحصيل الدراسي للطلاب كما يراها أعضاء هيئة التدريس والطلاب الجامعيين ، المجلة العربية للتربية ، العدد الأول ، ربيع الأول ، ١٤٢٠ هـ .
- ٢٤٤- محمد منير مرسي ، الاتجاهات الحديثة في التعليم الجامعي وأساليب تدريسه ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٢ م .
- ٢٤٥- محمد عيسى فهيم ، أعداد أعضاء هيئة التدريس في الخارج ومشكلات المعرفة والتعليم في الغرب ، مركز البحوث التربوية والنفسية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ .
- ٢٤٦- منتصر بن عيسى العسيري وآخرون ، بحث بعنوان : دور المشرف التربوي في تنمية طرائق التدريس لدى معلمي المرحلة الثانوية في محافظة جدة التعليمية ، مقدم للقاء الثامن لمديري إدارات ومراكز الإشراف التربوي بالمملكة ، الرياض ، ١٤٢٢ هـ .
- ٢٤٧- مهدي صالح السامرائي ، وقائع الندوة الفكرية الثالثة لرؤساء ومديري الجامعات في الدول الأعضاء ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، إبريل ١٩٨٧ م .
- ٢٤٨- نعيم محمد عيد ، أساليب التدريس الجامعي ، مجلة العلوم التربوية ، العدد الأول ، محرم ، ١٤١٤ هـ .